

فصل الثاني

قصص الأنبياء

المسمى بالعراق

تأليف: العالم العلامة أبي إسحاق أحمد بن محمد

ابن إبراهيم النيسابوري الشعبي

المتوفى سنة ٤٢٧ هـ تغمده الله برحمته

وأسكنه فسيح جنته آمين

يطلب من

مكتبة الجمهورية العربية

لصاحبها عبد الفتاح عبد الحميد

بشأن الصناديق بالأنزه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على محمد وآله (قال) الأستاذ أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الشعلبي رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على قصص الانبياء المذكورة في القرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان .

(باب في ذكر بعض وجوه الحكمة)
(في تفصيله تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين)

قال الله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) قالت الحكماء إن الله تعالى قص على المصطفى ﷺ أخبار الماضين من الانبياء والامم الحالية لخمسة أمور أى حكم :

(الحكمة الاولى) منها أنه لإظهار نبوته ﷺ ودلالة على رسالته وذلك أن النبي ﷺ كان أمياً لم يختلف إلى مؤدب ولا إلى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيها الانقطاع إلى عالم يأخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طلب شيء من العلوم إلى أن كان من أمره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام وافقته ذلك فأخذ يحدث الناس بأخبار ماضى من القرون وسير الانبياء والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلاً موثقاً صدق بما يوحى إليه وإخباره إياه بذلك فآمن به وصدقه وكان ذلك معجزة له ودليلاً على صحة نبوته ومن كان منهم عدواً معانداً حسده وجحدته وأنكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً قال الله تعالى تكذيباً لهم وتصديقاً للنبي ﷺ (قل تولى الذى يعلم السر فى السموات والأرض) .

(الحكمة الثانية) أنه لما قص عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم أخلاق الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء الصالحين فيما أخبر الله تعالى عنهم وأثنى عليهم والتذمى أتمته عن أمور عوقبت أمم الانبياء بمخالفتها لإليها واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فيتمم الله بذلك معالى الأخلاق

فلما امتثل أمر الله تعالى واستعمل أدب الانبياء أنى الله عليه فقال تعالى (ولأنك لعلى خلق عظيم) ولذلك قالت عائشة رضى الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن .

(الحكمة الثالثة) أنه لما يقص عليه القصص تنبيهاً له وإعلاماً بشرفه وشرف أمته وعلى أقدارهم وذلك أنه لما نظر إلى أخبار الأمم قبله علم أنه عوفى هو وأمنه من كثير مما امتحن الله به الانبياء والاولياء وخدع الله عنهم فى الشرائع ورفع عنهم الاتقال والاخلال التى على الأمم الماضية . كما قال بعض المتأولين فى تفسير قوله تعالى (وأصبح عليكم نعمة ظاهرة وباطنة) أما النعمة الظاهرة فهى تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال الله تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال تعالى (وما جعل الله عليكم فى الدين من حرج) وقال تعالى (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً) فلما قص الله هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم أن الله خصه هو وأمنه بكرامات لم يخص بها أحد من الانبياء والأمم فوصل قيام ليلة بنهاره وصيامه بقيامه لا يفتر عن عبادة ربه أداء لشكره حتى تورمت قدماء فقيل يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً ثم أفترس عليه السلام فقال «بعثت بالحنفية السمحة» .

(الحكمة الرابعة) أنه لما قص عليه القصص تأديباً وتهذيباً لأمته وذلك أنه ذكر الانبياء واثوابهم والاعداء وعقابهم ثم ذكر فى غير موضع وتحذيره لإيائهم عن صنع الاعداء وحثمهم على صنع الاولياء فقال تعالى (لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين) وقال (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الابواب) وقال (وهدى وموعظة للمتقين) ونحوها من الآيات وكان الشبلى رحمه الله تعالى يقول فى هذه الآيات اشتغل العام بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص .

(الحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الانبياء والاولياء والماضين لإحياء لذكرهم وآثارهم ليسكون المحسن منهم فى إبقاء ذكره مشبهاً له تعجيل جزائه

في الدنيا حتى يبقى لذكره وآثاره الحسنة إلى قيام الساعة كما رغب خليل الله إبراهيم عليه السلام في إبقاء الثناء الحسن فقال (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) والناس أحاديث يقال مامات ميت والذكر يحيميه وقيل ما أنفق الملوك والاغنياء الاموال على المصانع والحصون والقصور إلا لبقاء الذكر وأنشد ناصر بن محمد المروزي قال أنشدني الديري :

ولما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

(مجلس في صفة خلق الأرض)

قال الله تعالى (الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء) الآية وإنظارها كثيرة في القرآن (واعلم) أن الكلام في نعمة خلق الأرض على سبعة أبواب :

(الباب الاول في بدء خلق الأرض وكيفيتها)

روت الرواة بالفاظ مختلفة ومعان مثقفة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والأرض خلق جوهره خضراء أضعاف طباق السموات والأرض ثم نظرة إليها نظرة هيبه فصارت ماء ثم نظر إلى الماء فعلى وارتفع منه زبد ودخان بخار وأرعد من خشية الله فن ذلك يرعد إلى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) أى قصد وعهد إلى خلق السماء وهي بخار وخلق من ذلك الزبد الأرض فأول ما ظهر من الأرض على وجه الماء مكة فدحا الله من تحتها فلذلك سميت أم القرى يعنى أصلها وهو قوله (والأرض بعد ذلك دحاها) ولما خلق الله الأرض كانت طبقة واحدة ففتتها وصيرها سبعة وذلك قوله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما) ولذلك قال بعض حكماء الشعراء :

لا تخضعن لخلق على طمع فإن ذلك نقص منك في الدين
واستزق الله عما في خزانته فإن رزقك بين الكاف والذون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغن الملوك بدنياهم عن الدين

وقال كعب الاحبار إن الارض كانت تنكفاً على الماء كما تنكفاً السفينة على الماء فأرساها الله بالجبال وذلك قوله تعالى (والجبال أرساها) وقوله تعالى (والجبال أوتاداً) وقوله تعالى (وألقى في الأرض رواسي أن تمتد بكم) يعنى لتسكناً لا تنحرك بكم .

قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه أول ما خلق الله الأرض عجوت وقالت يارب تجعل على بنى آدم يعملون على الخطايا ويلقون على الحبائث فاضطربت فأرساها الله تعالى بالجبال فأقرها وخلق الله تعالى جبلاً عظيماً من زبرجدة خضراء خضرة السماء منه يقال له جبل قاف فأحاط بها كلها وهو الذى أقسم به الله فقال (ق والقرآن المجيد) .

وروى يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما خلق الله تعالى الأرض جعلت تميم خلق الجبال وألقاها عليها فاستقامت فتمججت الملائكة من شدة الجبال فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من النار قال نعم الماء فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم الريح فقالت يارب هل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم الإنسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله .

(الباب الثانى فى حدود الأرض ومسافتها وأطباقها وسكانها)

روى عن عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال (بين كل أرض وألى عليها مسيرة خمسمائة عام وهى سبعة أطباق الأرض) (الأولى) هذه فيها سكانها والأرض (الثانية) مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفى الأرض (الثالثة) خلق وجوههم مثل وجوه بنى آدم

لا يعصون الله طرفة عين ليلتنا نهارهم ونهارهم ليلتنا والارض (الرابعة) فيها حجارة الكبريت التي أعدها الله لأهل النار تسجر بها جهنم .

قال النبي ﷺ ، والذي نفسي بيده إن فيها لاودية من كبريت لو أرسلت فيها الجبال الرواسي لانماعت ، قال وهب بن منبه الكبريت الاحمر والصخرة منها مثل الجبل العظيم وهي التي قال الله تعالى فيها (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة)

قال منصور بن عمار دخلت خربة فوجدت شاباً يصلي صلاة الخائفين فقلت لنفسى إن لهذا الفتى لشأناً عظيماً لعلة من أولياء الله تعالى فوقفته حتى فرغ من صلاته فلما سلم سلمت عليه فردّ علي فقلت ألم تعلم أن في جهنم وادياً يسمى لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فإوعى فمشق شقيقة فخر ممشياً عليه فلما أفاق قال زدني فقلت (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) الآية فخرميتاً فلما كشف ثيابه عن صدره رأيت مكتوباً عليه بقلم القدرة (فهو في عيشة راضية في جنة طالية قطوفها دائية) .

عن أبي الزرقاء عن عبد الله قال الجنة اليوم في السماء السابعة فإذا كان غداً جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم في الارض السفلى فإذا كان غداً جعلها الله حيث يشاء وأما بعد قعر الارض فكافيك به حديث قارون حيث خسف به الارض وبداره وبأمواله ففي الخبر أنه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة وقال النبي ﷺ بينما رجل يتبختر في بردته وينظر في عطفه وقد أعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتججل في فيها إلى يوم القيامة .

(الباب الثالث في ذكر الايام التي خلق الله تعالى فيها الارض)

قال الله تعالى (قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) الآية قال أبو إسحق شبك يمدى أبو بكر محمد بن أحمد القحطان قال شبك يمدى أحمد بن

الخسعين بن شاذان قال شبك بيدي إبراهيم بن يحيى قال شبك بيدي صفوان بن سليم
قال شبك بيدي أيوب خالد الأنصاري قال شبك بيدي عهد الله بن أبي واقع قال
شبك بيدي أبو هريرة قال شبك بيدي أبو القاسم عليه السلام فقال خلق الله الأرض
يوم السبت والجمال يوم الأحد والاشجار يوم الإثنين والظلمات يوم الثلاثاء
والنور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة .

(الباب الرابع في ذكر أسمائها وألقابها)

(قال) وهب بن منبه الأولى من الأرض تسمى أديما والثانية بسيطا والثالثة
تقيلاً والرابعة بطيحا والخامسة متثاقلة والسادسة ماسكة والسابعة ترى .
(وما أسمائها المذكورة في القرآن) ففي سبعة أيضاً سماها الله فراشاً فقال
(الذي جعل لكم الأرض فراشاً) وسماها قراراً فقال (أم من جعل الأرض
قراراً) وسماها رتقاً فقال (أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا
رتقاً) وسماها بساطاً فقال (والله جعل لكم الأرض بساطاً) وسماها مهاداً فقال
(ألم يجعل الأرض مهاداً) وسماها ذات الصدع يعني بالنبات وسماها كفاناً فقال
(ألم يجعل الأرض كفاناً) قال خالد بن سعيد كنت أمشي مع الشعبي بظهر السكوفة
فنظر إلى بيوت السكوفة فقال هذه كفات الأحياء ثم نظر إلى المقبرة فقال هذه
كفاة الأموات .

(يحكى) أن عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من أولاد المجوس شاب
مضطرب يدعى تحقيق الكلام وأظهر مسألة بحريق الانفس بالنار وكان يزعم أن
الجسد جيفة من في حال الحياة فإذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب في زيارة
فقده وأن الواجب إحراقه وإذراء رماده فقيل لبعض الفقهاء إن الناس قد
افتتنوا بمقالة هذا المجوس لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله بن طاهر أن أجمع بيننا
وبين هذا المجوس لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله فلما تكلم المجوس بمقالته

تلك قال له الفقيه أخبرنا عن صبي تدعيه أمه وحسينته أيهما أولى به فقال له الام
فقال إن هذه الأرض هي الام منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها أن يردوا إليها
فأفهم المجوسى وأنشد في معناه أمية بن أبى الصلت :

والارض مقلتنا وكانت أمنا فيها مقابرنا وفيها فولد

(وسئل) يحيى بن معاذ الرازى إن ابن آدم يدري أن الدنيا ليست بدائر
قرار فلم يطمئن إليها قال لأنه منها خلق فهي أمه وفيها نشأ فهي عيشه ومنها رزق
فهي عيشه وإليها يعود فهي كفاته وهي عمر الصالحين إلى الجنة .

(الباب الخامس فى ذكر ما زين به الأرض)

وهى سبعة أشياء الازمنة وزين الازمنة بأربعة أشهر قال الله تعالى (إن
عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض
منها أربعة حرم) فالاربعة الأشهر الحرم منها ثلاثة سرد وواحد فرد فالثلاثة
السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والامكنة وزينها بأربعة
أشياء مكة والمدينة وبيت المقدس ومسجد العشاء وزينها أيضاً بالانبياء عليهم
السلام وزين الانبياء بأربعة إبراهيم الخليل وموسى السليم وعيسى الوجيه
ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين وهم أهل الكتاب وأصحاب الشرائع
وأولوا العزم وزينها أيضاً بآل محمد ﷺ وزينهم أيضاً بأربعة على وفاطمة
والحسن . الحسين رضى الله عنهم .

وزينهم أيضاً بأربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وهم الخلفاء الراشدون والائمة
المرضيون رضى الله عنهم أجمعين .

(روى) عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال (لا يجتمع حب
هؤلاء الاربعة إلا فى قلب مؤمن قال أنس قد اجتمع حبهم فى قلبى والحمد لله
وزينها أيضاً بالمؤمنين وزينهم بأربعة العلماء والقراء والفزاة والعباد وزينها بأنواع
الحيوانات والنباتات والجمادات .

(الباب السادس في عاقبتها وما لها وآخر حالها)

اعلم أن الله تعالى وعدها بسبعة أشياء أحدها التبديل وهو قوله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض) وفي الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخيز النقي الحواري لم يعص الله عليها قط ظرفة عين ولا وصم فيها ولا قسم مستوية كالصليب المهند .

(والثاني) الزلزلة قال الله تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها) الآية وقال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتسكن الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الطرج قيل وما الهرج بارسل الله قال القتل ، فإذا أكلت أمي الربا كانت الزلزلة وإذا جاروا في الحسك اجترأ عليهم العدو وإذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت وإذا منعوا الزكاة فحظوا ولولا البهائم لم يمطروا .

وفي الحديث د أن الأرض تزلزلت على عهد عمر رضى الله عنه فأخذ بمضادتي حنبر رسول الله ﷺ وقال يا أهل المدينة إنكم رجفتكم وإن الرجفة من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وإنكم أحدثتم أشياء حتى أعجلتم فهل أنتم متبهون تأويفر عمر من بين أظهركم .

(والثالث) البرز قال الله تعالى (وترى الأرض بارزة) يعنى لفصل القضاء .
(والرابع) الرج قال الله تعالى (إذا رجت الأرض رجاً) قال المفسرون كما يرج الصبي في المهد حتى ينعكس كل شيء عليها خوفاً من ربها .

(والخامس) الرجف قال الله تعالى (يوم ترجف الأرض والجبال)
(والسادس) المد حتى تتخلى وتلقى ما في بطنها قال الله تعالى (وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت)

(والسابع) الدك قال الله تعالى (إذا دكت الأرض دكا) وقال تعالى (فدكتنا دكة واحدة)

(الباب السابع في وجوه الأرض المذكورة في القرآن)

وهي سبعة أولها مكة خاصة قال الله تعالى في الرعد والانبيا (أولم يروا أنه
فأت الأرض تنقصها من أطرافها) يعنى أرض مكة .

(الوجه الثانى) أرض المدينة قال الله تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا
فيها) يعنى أرض المدينة وقال تعالى (إن أرضى واسعة) وقال الله تعالى (وإنه
كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها)

(الثالث) أرض الشام وذلك قوله تعالى (ادخلوا الأرض المقدسة) الآية
يعنى بلاد الشام وقال تعالى (ونجيناه ولو ظأ إلى الأرض التى بازكنا فيها للعالمين)

(الرابع) أرض مصر قال تعالى (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض) أرض مصر
وقوله تعالى (اجعلنى على خزان الأرض إنى حفيظ عليم) وقوله (فإن أبرج
الأرض) أى أرض مصر وقوله تعالى (إن فرعون علا فى الأرض) وقاله
(ويستخلفكم فى الأرض) أى أرض مصر .

(الخامس) أرض المشرق فذلك قوله تعالى (إن يأجوج ومأجوج مفسدون
فى الأرض) .

(السادس) الأرضون كلها وذلك قوله تعالى (وما من دابة فى الأرض إلا على
الله رزقها) وقوله تعالى (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا
أهم أمثالكم) فى التسخير وقال تعالى (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام)
وقال تعالى (الذى جعل لكم الأرض فراشاً)

(السابع) أرض الجنة فذلك قوله تعالى (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر
أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) وقوله تعالى (وأورثنا الأرض نبتوا من
الجنة حيث نشاء فنعم أجر العالمين) .

(مجلس في ذكر خلق السموات وما يتصل به)
(وترتيب الكلام في هذا المجلس أيضاً على سبعة أبواب)

قال وهب بن منبه كادت الأشياء أن تكون سبعة فالسموات سبع والأرضون سبع والجبال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف والأيام سبع واليوكب سبعة وهي السيارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعي بين الصفا والمروة سبعة ورعى الجار سبعة وأبواب جهنم سبعة ودركتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام قال تعالى (فلبث في السجن بضع سنين) وإتافه ملك مصر سبع سنين (وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان) وكرامة الله للمصطفى ﷺ سبع قال الله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قال تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) إلى قوله (فتبارك الله أحسن الخالقين) ورزق الإنسان وغذاؤه من سبعة أشياء قال الله تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه) إلى قوله (مناها لكم ولا نعامكم) وأمر السجود على سبعة أعضاء .

(الباب الأول في بدء خلق السموات)

قال الله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) أي قصد ثم ففتحها بعد أن كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففلقناهما)

(الباب الثاني في جواهرها وأجناسها)

قال الربيع بن أنس سماء الدنيا من موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء .

(الباب الثالث في هيئتهما وحدودهما)

قال الله تعالى (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شددت أقطارها بالثانية والثالثة والثالثة وكذلك إلى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى (بغير عمد ترونها) وعمادها من فوقها .

(وعن أنى هريرة) رضى الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يتفكرون فقال فيم أنتم تتفكرون ؟ فقالوا نتفكر في الخلق فقال لهم تتفكرون في الخلق ولا تتفكرون في الخالق فإنه لا يحيط به الفكرة تفكروا في أن الله خلق السموات سبعاً والأرضين سبعاً وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والأرض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وما بين كل سماء من خمسمائة عام وفي السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لا يتجاوز الماء كعبه .

(الباب الرابع في أسبابها وألقابها)

قال وهب بن منبه أولها سماء الدنيا دنياح والثانية ديقا والثالثة رقيع والرابعة فيلون والخامسة ظفطاف والسادسة سمحاق والسابعة اسحا قاتل .

وأما أسماءها المذكورة في القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى (والسماء بناء) والسقف قال الله تعالى (وجعلنا السماء سقفا محفوظاً) والطرائق قال الله تعالى (وجعلنا فوقكم سبع طرائق) والطباق قال الله تعالى (والذى خلق سبع سموات طباقاً) والشداد قال الله تعالى (وبقينا فوقكم سبعاً شداداً) والرتق الفلق قال الله تعالى (كانتا رتقا ففتقناهما) والدخان قال الله تعالى (ثم استوى إلى السماء وهى دخان) .

(وروى) أن الملائكة قالت يارب لو أن السماء والأرض أمرتهما ففصياك ما كنت صانعا بهما قال كنت أمر دابة من دوابي فتبثلعهما قالت يارب

فأين تلك الدابة ؟ قال في مرج من مروحي قالت يارب فأين ذاك المرج قال في علم من علومى قالت الملائكة سبحان ذى البسط القوى :

وقد ورد عن الضحاك بن مزاحم الهلالى حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب فى صفة السموات وخدمتها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها وأسمائها وألقابها وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسير بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن علوية قال حدثنا إسماعيل بن عيسى قال حدثنا إسحق بن بشر عن جوير عن الضحاك ومقاتل قال خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينتها وهى ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد المجلى ولأسمها برقيها وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الزعد وهذا الرعد يسبح بحمده وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذى الملك والمسلوك .

وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لو قيست شجرة بين مناكبهم لما انقاست رافعين أصواتهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت وأسمها قيدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصفه من نار ونصفه من ثلج وبينهما رقى فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفى النار وهو يقول يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام .

ولون السماء الثالثة كلون الشبه وغلظها مسيرة خمسمائة عام وأسمها الماعون وفيها ملائكة ذو أجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة ووجوه شتى وافعون أصواتهم بالتسبيح ويقولون سبحان الحى الذى لا يموت أبدا وهم

صفوف قيامهم كأنهم بنيان مرضوض لو قيس شجرة بين مناكبهم ما انقاست
لا يعرف أحد منهم لون صاحبه من خشية الله تعالى .

وخلق الله السماء الرابعة بينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها مسيرة
خمسائة عام ولونها كلون الفضة البيضاء واسمها فيلون وفيها ملائكة يضعفون على
ملائكة السماء الثالثة وكذلك أهل كل سماء أكثر عدداً من السماء التي تليها إلى
الضعف وفي السماء السابعة ملائكة لا يحصى عددهم إلا الله تعالى وهم في كل يوم في
زيادة وذلك قوله تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) قال وهم قيام وركوع وسجود
على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملك منهم في أمر من أموره فينطلق الملك
ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذي أتى جانبه من شدة العبادة وهم يقولون سبح
قدوس ربنا الرحمن الذي لا إله إلا هو قال :

وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب
واسمها اللاحقون ومنها إلى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون
على ملائكة الأربع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفعوا أبصارهم ولا يرفعونها إلى
يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة قالوا ربنا تعبدك حق عبادتك .

وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها إلى السماء السابعة
مسيرة خمسمائة عام فيها جند الله الأعظم الأكبر ويون لا يحصى عددهم إلا الله
تعالى وعليهم ملك جنوده سبعون ألف ملك وكل منهم جنوده سبعون ألف ملك
وهم الذين يبعثهم الله في أموره إلى أهل الدنيا رافعون أصواتهم بالتلهيل والتسبيح
واتمها عاروس وهي من ياقوتة حمراء .

وخلق الله السماء السابعة غلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة
وعليهم ملك وهو على سبعائة ألف ملك كل منهم له من الجنود مثل قطر السماء
وتراب الثرى والسهل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق في سبع سموات
وسبع أرضين ويخلق الله سبحانه وتعالى في كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهي من درة

ببعضه من السماء السابعة إلى مكان يقال له مرهوتا . سيرة خمسمائة عام وعليه جنود الله من الملائكة وهم رؤساء وهم أعظمهم سوى الروح وحملة العرش والعرش فوق ذلك في عليين لا يعلم منتهاه إلا الله تعالى .

(الباب الخامس في ذكر الأمام التي خلق الله الأشياء فيها)

روت الرواة أن الله تعالى ابتداء خلق الأشياء يوم الأحد إلى يوم الخميس وخلق يوم الخميس ثلاثة أشياء السموات والملائكة والجنة إلى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة فخلق في الساعات الأولى الأوراق والآجال وفي الثانية الأرزاق وفي الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عز وجل (فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها) الآية .

(الباب السادس في ذكر ما زين الله به السموات)

وهي عشرة أشياء الشمس قال الله تعالى (وجعل الشمس سراجا) وقال تعالى (سراجا وماجا) والقمر قال الله تعالى (وجعل القمر فيهن نورا) والسكواكب قال الله تعالى (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) وهي على ضربين منها معلق كستعاليق القناديل في المساجد ممسكة بقدرة الله عز وجل .

(وروى) جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال في العرش مثل جميع ما خلق الله تعالى في البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) وأن ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية لخلق الطائر المسرع ثمانين ألف عام والعرش يكسب كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله تعالى والأشياء كلها في العرش كحلقة ملقاة في فلاة وإن لله ملكا يسمى حزقياء له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح مسيرة خمسمائة عام فخلق له خاطر هل يقدر أن ينظر إلى العرش فزاده الله تعالى في الاجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله

تمالى إليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة فلم يبلغ قائمة من قوائم
العرش ثم ضاعف الله تعالى له الاجنحة والقوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين
ألف سنة فبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فأوحى الله تعالى إليه أيها الملك لو
طرت إلى أن ينفخ في الصور مع أجنحتك وقوتك ما تبلغ ساق عرشى فقال له
الملك سبحان ربى الأعلى فأنزل الله سبحانه وتعالى (سبح اسم ربك الأعلى) فقال
النبي ﷺ : اجعلوها في سجودكم .

(وروى) على بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ أنه قال
السكرى لؤلؤة طولها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية السكرى أما أنا لأهل
الإيمان من شر الشيطان .

(وروى) إسماعيل بن مسلم عن أبى المتوكل الناجى عن أبى هريرة رضى الله عنه
أنه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوماً ففتح الباب فإذا التمر قد
أخذ منه ملء السكف ثم دخل يوماً آخر فإذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوماً
آخر فإذا هو قد أخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك أبو هريرة رضى الله عنه للنبي ﷺ
فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك أن تأخذه قال نعم قال إذا فتحت الباب فقل
سبحان من سخرك لمحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فإذا هو قائم بين يديه فقال
لله ياعدو الله أنت صاحب الفعل قال نعم لا أعود ما كنت أخذت منه إلا لأهل
بيت فقراء من الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال أيسرك أن تأخذه
قال نعم قال فإذا فتحت الباب فقل مثل ذلك أيضاً ففتح الباب وقال سبحان من
سخرك لمحمد فإذا هو قائم بين يديه فقال ياعدو الله أليس قد عاهدتني أن لا تعود
فقال دعنى هذه المرة فإنى لا أعود فتركه ثم عاد فأخذ الثالثة فقال أليس قد عاهدتني
أن لا تعود لا أدعك اليوم حتى أذهب بك إلى الذى ﷺ فقال لا تفعل فإنك إن تدعنى
هلكك كلمة فإذا قلتها لم يقربك أحد من الجن لأصغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى
قال له انتفعان إن تركتك قال نعم قال فما هى؟ قال (الله لا إله إلا هو الحى القيوم)

حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك أبو هريرة للنبي ﷺ فقال
 له أما علمت يا أبا هريرة هذه ؟ إنه كذلك صدق الحديث ، واللوح والقلم قال الله
 تعالى (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) وقال تعالى (ن والقلم وما يسطرون)
 وقال ابن عباس أن مما خلق الله تعالى لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه من
 ياقوتة حمراء كتابيه نور وقلبه نور وعرضه كما بين السماء والأرض ينظر الله تعالى
 فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء
 فذلك قوله تعالى (كل يوم هو في شأن)

(وروى) أن أول ما خلق الله القلم فنظر إليه نظرة هيبة وكان طوله كما بين
 السماء والأرض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يارب وما أكتب قال اكتب
 بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال أجز بما هو كائن إلى يوم القيامة .

(ويحكى) أن ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مغموماً فقال له
 روح عني يا ابن الزيات فأشدد يقول :

الهم فصل والقضاء غائب وكان ما خط في اللوح
 فالتس الروح وأسبابه أيأس ما كنت من الروح
 والبيت المعمور :

(وروى) الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ
 أن في سماء الدنيا بيتاً يقال له البيت المعمور بخيال السكبة وأن في السماء السابعة
 بحر من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه
 انغماسه ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج منه سبعون ألف قطرة من نور فيخلق
 الله تعالى من كل قطرة ملكاً فيأمرهم أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه
 فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون إليه إلى يوم القيامة وسدرة المنتهى
 قال الله تعالى (عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى) .

(وقال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هي شجرة في السماء السابعة عما يلي الجنة أصلها ثابت في الجنة وعروقها تحت الكرسي وأعصانها تحت العرش إلهيها ينتهي عالم الخلائق كل ورقة منها تظل أمة من الأمم يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم والجنة قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل رسول الله ﷺ عن الجنة كيف هي ؟ قال من يدخل الجنة حتى لا يموت ومنهم لا يأس ولا نبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يا رسول الله كيف بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة بلاطها مسك أزفر وحصاؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران .

(وروى) مجاهد عن مسروق عن أنى ذكر قال قال رسول الله ﷺ أن السماء أطت وحق لها أن تغط ليس منها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك ساجد أو رাকع أو قائم أو قاعد يذكر الله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وأخرجتم إلى الصحراء تجارون إلى الله تعالى

(الباب السابع في ذكر ما لها وآخر حالها)

لعلم أن الله تعالى وعد السماء بسبعة أشياء أحدهما المور قال الله تعالى (يوم تمور السماء موراً) يعنى تدور كدوران الرجا من هول يوم القيامة والثانى أخبر أنها تصير كالملح فقال تعالى (يوم تكون السماء كالملح) يعنى دردى الزيت والثالث أخبر أنها تصير وردة كالدهان قال تعالى (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) والرابع الإنشقاق قال تعالى (وإذا السماء انشقت) والخامس الانفطار قال تعالى (وإذا السماء انفطرت) (وإذا السماء منفطره) والانفطار أكثر من الإنشقاق والسادس الانفراج قال تعالى (وإذا السماء فرجت) والسابع السكشط قال تعالى (وإذا السماء كسطت) أى نزعت من مكانها وطويت طياً قال تعالى (يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب) الآية وأحسن الشاعر حيث قال :

إذا قيل من رب هذى السما فليس سواء له مضطرب

ولو قيل رب سوى ربنا لقال العباد جميعاً كذب

وقال ابن عباس رضى الله عنهما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه أبى أنت
وأبى يارسول الله ذكرت مجرى الخنس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى
بالخنس فى القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم فما الخنس؟ فقال يا على هن السكوا كب
الخمسة البرجيس وهو المشتري وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه السكوا كب
الخمسة الطالعات الجاربات مع الشمس والقمر فى الفلك وأما سائر السكوا كب فكلها
معلقات فى السماء كتعليق القناديل فى المساجد وهى تدور مع السماء دوراناً بالتسبيح
والتقديس والصلاة لله تعالى ، ثم قال النبى ﷺ وأن أحببتهم أن تسبّيتنوا ذلك
فانظروا دوران الفلك مرة من هنا ومرة من هنا وإن لم تسبّيتنوا الفلك فالنجرة
وبياضها مرة من هنا ومرة من هنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران
السكوا كب معها سوى هذه الخمسة ودورانها اليوم كما ترون فذلك صلاحها
ودورانها يوم القيامة فى سرعة دوران الرحمان أهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى
(يوم تمور السماء موراً) يعنى تدور دوراناً (وتسير الجبال سيراً) فإذا طلعت
الشمس فإنها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكاً
فأشرى أجنحتهم يحرقونها فى الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات
النهار والقمر كذلك قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر فى الشتاء كان ذلك
أو فى الصيف أو بينهما من الخريف والربيع فإذا أحب الله أن يبتلى القمر والشمس
ويرى العباد آية من الآيات يستعجبهم رجوعاً عن معاصبه وإقبالاً على طاعته تحركت
الشمس على العجلة وقالت مرة خرت الشمس عن العجلة وهو الفلك فإذا أراد
الله تعالى أن يعظم تلك الآية ليشدد خوف العباد غربت الشمس كلها فلا يبقى على
العجلة شئ منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهى من كسوفها
فإذا أراد الله أن يجعل آية دون آية وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان فى الماء
ويبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف وابتلاء الشمس والقمر
وذلك تخويف العباد واستعجاب من الله تعالى فأى ذلك صارت الملائكة الموكلة

بجعلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الأخرى تقبل على العجلة فتجرها إلى الشمس وهم في ذلك يقردون في فلك على مقادير ساعات النهار أو ساعات الليل ليلا كان أو نهاراً لكيلا يزيد في طولها شيء وقد ألهمهم الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة الذي ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلاً قليلاً من ذلك السواد حتى يحمد الله تعالى على ما قوام لذلك ويتعلقون بعرى العجلة حتى يجرونها بإذن الله تعالى قال ﷺ عجبت من خلق الله وما بين من القدرة فيما لم يخلق أعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة (أتعجبين من أمر الله) .

إن المجتهدون في الأرض وهم يومئذ عصابة قابلة في الأرض في كل بلد من بلاد المسلمين في هوان بين الناس وذلة في أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلي وردّه ولا يصبح نحو ما كان يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر إلى السماء فإذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت في السماء وصارت في مكانها من أول الليل فينكر ذلك ويظن فيها الظنون ويقول خفت قراتي أم قصرت صلاتي أم قت قبل حيني قال ثم يقوم فيعود إلى مصلاه فيصلي ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضاً فإذا هو بالليل مكانه فيزيده ذلك إنكاراً ويخالطه الخوف ويظن في ذلك الظنون من السوء ثم يقول لعلى قصرت صلاتي أو خفت قراتي أو قت في أول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلي أيضاً مثل وردّه كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فلا ينظر إلى السماء فإذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت في أماكنها في أول الليل فشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة .

ثم ينادى بعضهم بعضاً وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون فيجتمع من المجتهدون من أهل بلده في تلك الليلة في مسجد من مساجدهم يحارون إلى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقرينة تلك الليلة فإذا مات لهم مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى

جبريل عليه السلام إليهما فيقول لهما إن الله تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغربكما فتطلعا
منه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبيكان عند ذلك وجلا من الله تعالى وخوف يوم
القيامة بكاه يسمعه أهل السبع السموات ومن دونها وأهل سرادقات العرش ومن
فوقها فيبيكون جميعاً لبكائهما لما خاطبهما من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع
الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما قال فيبيننا المجتهدون يكون ويتضرعون إلى
الله تعالى والغافلون في غفلتهم إذ نادى مناد ألا إن الشمس والقمر قد طلعا من
مغربهما فينظر الناس فإذا بهما أسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما
في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى (وجمع الشمس والقمر) وقوله تعالى
(إذ الشمس كورت) فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين فيتنازع كل واحد
منهما صاحبه استباقاً ويتصارخ أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادهما
والأحبة عن ثمرات فؤادهما فتشغل كل نفس بما كسبت فأما الصالحون والأبرار
فإنهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار
فلا ينفعهم ويكتب عليهم حسرة فإذا ما بلغ الشمس والقمر سررة السماء وهى منتصفها
جاءهما جبريل عليه السلام فيأخذ بقرنهما ويردهما إلى المغرب فلا يغربهما من تلك
العيون ويسكن يغربهما من باب التوبة .

فقال عمر بن أبي أنت وأمرى يارسول الله وما باب للتوبة ؟ فقال يا عمر خلق الله
تعالى باباً للتوبة خلف المغرب له مصرعان من ذهب مكلان بالدر والجواهر ما بين
المصرع إلى المصرع أربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق
الله تعالى الدنيا إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ولم يقب
عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحاً منذ خلق الدنيا إلى ذلك اليوم إلا ولجت تلك
التوبة في ذلك الباب ثم ترتفع إلى الله تعالى .

فقال معاذ بن جبل بأبي أنت وأمرى يارسول الله وما التوبة النصوح قال أن يتندم
العبد على الذنب الذى أصاب فيعتذر إلى الله تعالى ثم لا يعود إليه كما لا يعود
اللبن إلى الأضرع قال فيغربهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد المصرعين

هم يلثم ما بينهما فيصير كأنه لم يكن بينهما صدع قط وإذا أغلق باب التوبة فلم يقبل العبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها في الإسلام إلا من كان قبل ذلك محسناً فإنه يجري عليه ما كان يجري عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) فقال أبي بن كعب بأبي أنت وأمي يا رسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا ؟ فقال يا أبا إن الشمس والقمر يكسيان النور والضوء بعد ذلك ثم يظلمان ويغربان كما كان قبل ذلك وأما الناس فانهم مع ما رأوا من فظاعة تلك الآفة وعظمتها يلحون على الدنيا ويحرون فيها الأنهار ويغرسون فيها الأشجار ويبنون فيها البغيان وأما الدنيا فلو نتج للرجل منهم فيها مهر لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى أن ينفخ في الصور فقال حذيفة جعلني الله فداك يا رسول الله فكيف بهم عند النفخ في الصور قال يا حذيفة والذي نفسي بيده لينفخن في الصور ولتقوم الساعة والرجل قد لا ط حوضه فلا يشرع فيه الماء ولتقوم الساعة وقد أخذ بن لحيته من تحتها فلا يشربه ولتقوم الساعة والثوب بين الرجاين فلا يشرا به ولا يطويانه ولا يبيعانه ولتقوم الساعة والرجل قد رفع لقمته إلى فيه فلا يطعمها هم تلا هذه الآية (وليا أنينهم بغتة وهم لا يشعرون) فإذا قامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين المريقين وأهل الجنة والنار وقيل أن يدخلوا هما يدعوا الله تعالى بالشمس والقمر فيجاء بهما أسودين لا نور لهما مكدرين قد وقعا في الزلازل واليلايا وفراغهما ترتعد من هول يوم القيامة وهول ذلك ومن غفافة الرحمن تعالى فإذا كان حذاء العرش خر ساجدين لله تعالى ويقولان يا إلهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا في طاعتك وسرعتنا للمضي في أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين إيماناً فقد علمت أننا لن ندعوهم إلى عبادتنا ولم نزلهم عن عبادتك فيقول الله تعالى صدقتم إني قد قضيت على نفسي أن أبدى وأعيد وإني معيدكما إلى ما بدأناكما منه فارجعا إلى ما خلقتهما منه فيقولان ربنا مم خلقتنا فيقول خلقتهما من نور عرشي فارجعا إليه فيلبع من كل واحد منهما برقة تكاد تحطف الأبصار نوراً فيختطآن بينور العرش فذلك قوله تعالى (يبدى ويعيد).

(مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة)
(الباب الأول في ذكر وجود الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام)

قال الحكماء خالق الله الخالق ليظهر وجوده وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المنقطة بالحكمة لأنها لا تنافي إلا من قادر حكيم وليعبد فإنه يحب عبادة العابدين ويثيبهم عليهم على قدر فضله لا على قدر أفعالهم وإن كان غنياً عن عبادة خلقه لا يزيد في ملكه طاعة المطيعين ولا ينقص من ملكه معصية العاصين قال الله تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وليظهر إحسانه لأنه محسن فأوجد لهم ليحسن إليهم وليفضل عليهم فيعامل بعضهم بالعدل وبعضاً بالفضل وخلق المؤمنين خاصة للرحمة كما قال عز وجل (وكان بالمؤمنين رحيماً) وقال تعالى (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) .

قال جعفر بن محمد الصادق والضحاك عن مزاحم أى للرحمة خلقهم وليحمدوه لأنه يحب الحمد (ويروى) أن آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصريح والسقيم والحسن والقبيح والأسود والأبيض فقال يارب هلا سويت بينهم فقال الله تعالى إني أحب أن أشكر .

(قال) أبو الحسن الففال خلق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الأشياء للعبادة وخلق الإنسان للمحنة قال عز وجل (هو الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) .

(قال العلماء) خلقكم لإظهار القدرة ثم رزقكم لإظهار الكرم ثم يميتكم لإظهار القهر والجبروت ثم يحييكم لإظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من قال الخالق جميعهم لأجل محمد ﷺ .

عن قتاده عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال هـ أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن، وقيل خلقهم لأمر

عظيم غيبه عنهم لا يحليه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى (أحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه (يا أيها الناس ذاقوا الله فما خلق امرؤ عبثاً فيلهو ولا أهمل سدى فيبغو)

وقال الأوزاعي دبلغني أن في السماء ملكاً ينادي كل يوم لا ليت الخلق لم يخلقوا ، وليتهم إذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له ، وقال بعضهم د إذا ما وثم خلقوا عرفوا ما خلقوا له وجلسوا فنذكروا ما عملوا ، وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول في مناجاة د إلهي غيب عني أجلي وأحسيت على عملي ولا أدري إلى أي الدارين منقلبي أقدم أوقفتني وقفة المحروين أبداً ما أبقيتني ، وقال أبو القاسم الحكيم د إن الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوى والبلبلى فما دام الروح في جسده فهو في البلوى فإذا فارق الروح الجسد فهو في الבלبلى فأتى له السرور وهو بين البلوى والبلبلى) .

وقال بعض الحكماء يا ابن آدم أنظر إلى خطر مقامك في الدنيا وإن ربك حلف فقال (لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وإن إبليس حلف فقال (فيمزك لا غوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) وأنت يا مسكين بين الله تعالى وبين إبليس مطروح ساء لاه والله أعلم .

(الباب الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته)

قال المفسرون بالفاظ مختلفة ومعان متفقة إن الله تعالى لما خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله إلى الأرض إنى خالق منك خلقاً منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن أطاعني منهم أدخلته الجنة ومن عصاني أدخلته النار ثم بعث إليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها فلما أتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت له الأرض إنى أعوذ بعزة الذى أرسلك أن لا تأخذ منها شيئاً يكون فيه غداً للنار نصيب فيرجع جبريل عليه السلام إلى ربه ولم يأخذ منها شيئاً وقال يا رب استعاذت بك فمكرهت أن أقدم عليها فأمر الله عز وجل ميكائيل عليه السلام فأتى الأرض فاستعادت بالله أن يأخذ منها شيئاً فيرجع إلى ربه ولم يأخذ منها شيئاً فبعث الله ملك الموت فأتى

الارض فاستعازت بالله أن يأخذ منها شيئاً فقال ملك الموت وإني أعوذ بالله أنه
أعصى له أمراً فقبض قبضة من زواياها الاربع من أديمها الاعلى ومن سبطتها وطيتها
وأحرها وأسودها وأبيضها وسهامها ومهادها فكذا كان في ذرية آدم الطيب والنجيب
والصالح والطالح والجميل والقيبح ولذلك اختلف صدورهم وألوانهم قال الله تعالى
(ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم) ثم صعد بها
ملك الموت إلى الله تعالى فأمره أن يجعلها طيناً ويخمرها فعبثها بالماء المر والعذب
والمالح حتى جعلها طيناً وخمرها فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم أمر جبريل عليه السلام
أن يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الارض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمداً
ﷺ فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس المقرين السكر وبين وملائكة
الصفح الاعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبي ﷺ وهي يومئذ بيضاء نقية فعبثت
بماء التسليم ورعرت حتى صارت كالذرة البيضاء ثم غمست في أنهار الجنة
كلها فلما أخرجت من الانهار نظر الحق سبحانه وتعالى إلى تلك الذرة الطاهرة
فانتفضت من خشية الله تعالى فقطر منها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون ألف
قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبياً فمكل الانبياء صلوات الله على
نبينا وعليهم أجمعين.

قال الله تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) الآية قال ابن عباس
الإسنان آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسداً ملقى على باب الجنة في صحيح
الترمذي بالإسناد عن رسول الله ﷺ في تفسير أول البقرة (إن الله خلق آدم
بيده من قبضة قبضها من جميع الارض من السهل والجبل والاسود والابيض
والاحمر فجاءت الاولاد على ألوان الارض).

وسأل عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ كيف خلق الله آدم عليه السلام؟ فقال: خلق
رأس آدم وجهه من تراب الكعبة و صدره وظهره من بيت المقدس وغذيه من
أرض اليمن وساقية من أرض مصر وقدميه من أرض الحجاز وبده اليمن من أرض
المشرق وبده اليسرى من أرض المغرب ثم ألقاه على باب الجنة فمكث مر عليه مالا من.

الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل ذلك رأيا شيئاً يشبهه من الصور فرببه إبليس فرآه فقال لأسر ما خلقت ثم ضربه بيده فإذا هو أجوف فدخل فيه وخرج من دبره وقال لأصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق أجوف لا يشهد ولا يتناسك ثم قال لهم أرايتم إن فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلمون قالوا نطيع ربنا قال إبليس في نفسه والله لأن فضل هذا على لأعصيته وأن فضلت عليه لأهلكته فذلك قوله تعالى (وأعلم ما تبذرون وما كنتم تكتمون) يعني ما أظهرت الملائكة من الطاعة وإبليس من المعصية وقوله تعالى (إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) وفي الخبر أن جسد آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة يطر عليه مطر الحزن ثم أمطر عليه مطر السرور سنة واحدة فذلك كثرت المحنوم في أولاده وتصير عاقبتها إلى الفرح والراحة ، وأنشدنا في هذا المعنى أبو عوانه المهرجاني :

يقولون إن الدهر كله يومان فيوم محبات ويوم مكاره
وما صدقوا فالدهر يوم محبة وأيام مكروه كثير البدائة
وأنشدني ابن الأعرابي فقال :

عن الزمان كثيرة لا تنقضي وسرووه يأتيك بالقلبات
وأنشدني أبو بكر الصولي لابن المعتز :

أى شيء يكون أعظم من ذا لو تفكرت في صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا والبلايا تكال بالقفزات

(الباب السادس في صفة نفخ الروح)

قال العلماء لما أراد الله أن ينفخ في آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل في فيه فقالت الروح مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال للروح ثمانية فقالت مثل ذلك وكذلك ثالثة إلى أن قال في الرابعة أدخلني كرها واخرجني كرها فلما أمرها الله

نعمالى بذلك دخلت في فيه فأول ما نفخ فيه الروح دخلت من دماغه فاستدارت نزلت في عينية والحكمة في ذلك أن الله تعالى أراد أن يرى آدم بدء خلقه وأصله حتى إذا تنابت عليه الكرامات لا يدخله الزهو ولا المجب بنفسه ثم نزلت في خياشيمه فيعطس فحين فراغه من عطاسه نزلت الروح إلى فيه لسانه فلقنه الله تعالى أن قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك أول ما جرى على لسانه فأجاب به عز وجل يرحمك ربك يا آدم للرحمة خلقتك قال تعالى سبقت رحمتي غضبي ثم نزلت الروح إلى صدره وشرايينه فأخذ يعالج القيام فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى (وكان الإنسان عجولاً) وقوله تعالى (خلق الإنسان من عجل) فلما وصلت الروح إلى جوفه اشتهى الطعام فهو أول حرص دخل جوف آدم عليه الصلاة والسلام .

(وفي) بعض الأخبار أن آدم عليه السلام لما قال له ربه يرحمك ربك يا آدم مديده ووضعها على أم رأسه قال أوه فقال الله مالك يا آدم فقال إني أذنبت ذنباً فقال من أين علمت ذلك فقال لأن الرحمة للمذنبين فصارت تلك سنة في أولاده إذا أصاب أحدهم مصيبة أو محنة وضع يده على رأسه وتأوه ثم انتشر الروح في جسده كله فصارت لحماً ودعماً وعظاماً وعروقاً وعصباً ثم كساه الله تعالى لباساً من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسناً فلما قارف الذنب بدل بهذا الجلد ثم خلق الله فرساً من المسك الاذفر يقال له الميمون له جناحان من الدر والجواهر فركبه آدم عليه الصلاة والسلام وجبريل أخذ بلجامه وميكائيل عن يمينه وإسرافيل عن شماله فطافوا به السموات كلها وهو يقول السلام عليكم يا ملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى يا آدم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم إلى يوم القيامة ثم علمه الله تعالى الأسماء كلها .

(واختلف) العلماء في هذه الأسماء فقال الربيع ابن أنس أسماء الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أسماء ذريته وقال ابن عباس وأكثر الناس علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة ثم أمر الله الملائكة بالسجود له كما قال الله تعالى

(فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) وأكثر العلماء على أن الأمر بالسجود لآدم إنما توجه على الملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة فلما أمرهم بالسجود سجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين .

(الباب الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام)

قال المفسرون لما أسكن الله تعالى آدم الجنة كان يمشى فيها وحشياً لم يكن له من بحاله ويؤانسه فألقى الله تعالى عليه النوم فأنام فأخذ الله ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر يقال له القصيرى فخلق منه حواء من غير أن أحس آدم بذلك ولا وجد له ألماً ولو تألم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم لبسها من لباس الجنة وزينها بأنواع الزينة وأجلسها عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم يمتحنون عليه ما هذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء بذلك قال لأنها خلقت من شيء حتى قالوا ولما ذا خلقها الله تعالى لتسكن لى وأسكن إليها وذلك قوله تعالى (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) قال النبي ﷺ وخلقت المرأة من ضلع أعوج فإن تقمها تسكسرها وإن تركها تستمتع بها على زوجها .

(وقيل) الحكمة فى أن الرجال يزيدون على مرور الأيام والاعوام حسناً وجمالاً لأنهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم جدة وجمالاً والنساء يزددن على مرور الأيام قبحاً لأنهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على مرور الأيام فساداً .

وفى بعض الاخبار أن آدم عليه السلام لما رأى حواء مديده إليها فقالت الملائكة مه يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله ؟ فقالت الملائكة حتى تؤدى مهرها قال ومهرها فقالوا أن تصلى على محمد ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا آخر الانبياء من ولدك . ولولا محمد ما خلقت .

(الباب الخامس في ذكر امتحان الله آدم عليه الصلاة والسلام) (وما كان منه في ذلك)

قال أهل التاريخ لما أسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام أبايح لهما نعيم الجنة كلها إلا شجرة واحدة ذلك قوله تعالى (وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة) إلى قوله (فتكونا من الظالمين) واختلفوا في هذه الشجرة التي هي شجرة المحنة .

فقال علي رضي الله عنه هي شجرة الكافور وقال قتادة هي شجرة العلم وفيها من كل شيء علامة وقال محمد بن كعب ومقاتل هي السنبلة وقيل هي الخنطة وقيل هي السكرمة فوسوس لها الشيطان حتى زين لها الشجرة فأكلا ما نهاهما ربهما عن أكله من ثمرة تلك الشجرة وحسن لهما معصية الله تعالى في ذلك حتى أكلا منها .

وكان وصول عدو الله إليهما وتزيينه ذلك لهما على ما ذكره أصحاب الاخبار أن إبليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فنهه الخنزفة من ذلك فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها أربعة قوائم كثرة أعم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لإبليس صديقة فسألها أن تدخله الجنة في فيها فأدخلته في فيها ومرت به على الخنزفة وهم لا يعلمون فأدخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى فيها من النعيم والكرامة فقال طيب لو كان خلد فاعتنم ذلك الشيطان منه فأتاه من قبل الخلد وقيل إن إبليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا ألف سنة ولم بدخلي الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الآن فأدخله الجنة فاحتال في إخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به إلى آدم فمكث على باب الجنة قبيها هو كذلك إذ خرج إليه الطاووس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه إبليس قال له أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك فأريت من خلق الله أحسن منك قال أنا طائر من طيور الجنة لاسمى طاووس فبكى إبليس فقال له الطاووس من أنت ومم بكائك ؟ فقال له إبليس أنا ملك من الملائكة

الكرابين إنما بكيت تأسفاً على ما يفوتك من حسنك وكمال خلقك فقال له الطاووس أيفوتني ما أنا فيه قال بلى وأنتك تفنى وتبديد وكل الخلائق يبدون إلا من تناول من شجرة الخلد فإنهم المخلدون من تلك الخلائق فقال الطاووس وأين تلك الشجرة قال إبليس هي في الجنة قال الطاووس ومن يدانها بمكانها قال إبليس أنا أدلك عليها إن أدخلتني الجنة قال الطاووس كيف لي بإدخالك الجنة ولا سبيل لي ذلك المكان فإنه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها إلا بإذن الله ورضوانه ولكن سأدلك على خلق من خلق الله تعالى يدخلها فإنه إن قدر على ذلك فهو دون غيره فإنه خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال إبليس فبادر إليها فإن لنا فيه سعادة الأبد لعلمها تقدر على ذلك .

فجاء الطاووس إلى الحية وأخبرها بمكان إبليس وما سمع منه وقال إنني رأيت بباب الجنة ملكاً من الكروبين من صفته كيت وكيت فهل لك أن تدخله الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فأسرعت الحية نحوه فلما جاءته قال لها إبليس نحواً من مقاتله للطاووس فقال كيف لي بإدخالك الجنة ورضوان إذا رأك لم يمكنك من دخولها فقال لها أتحوّل ريحاً فتجعلني بين أنيابك قالت نعم .

فتحوّل إبليس لعنه الله ريحاً ودخل في فم الحية فأدخلته الجنة فلما دخل إبليس الجنة أراها الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وجاء حتى وقف بين يدي آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يعلمان أنه إبليس فنأح عليهما نياحة أحزنتهما فبكيا وكان أول من نأح فقالا له ما يبكيك فقال أبكى عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة فوق ذلك في أنفسهما وإنما لذلك وبكى إبليس ومضى ثم إن إبليس أتاهما بعد ذلك وقد أثر قوله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قال نعم قال كل من هذه الشجرة الخلد فقال نهاني ربّي عنها فقال إبليس ما نهاك ربكما عن هذه الشجرة إلا لأن تسكرنا ماسكين أو تكونا من المخلدين فأبى أن يقبل منه فأقسم لهما بالله إنه لهما لمن الناصحين فآغترا بذلك وما كانا يظنان أن أحدهما يخلف بالله كذبا فبادرت حواء إلى أكل الشجرة ثم زينت لآدم حتى أكلها .

ولذلك قال رسول الله ﷺ : الخمر يجمع الخبائث وأم الذنوب ، ويقال لما قال الله تعالى لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالوا نعم لا نقربها ولأننا كل منها ولم نقتلنا في قولهما بمشيئة الله تعالى فوكلاهما الله تعالى إلى أنفسهما حتى أكلتا المنهى عنهما :

فلما أكل من الشجرة المنهى عنها ابتلاه الله بعشرة أشياء (الأولى) معاقبته ليهما على ذلك بقوله (ألم أنهيكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما هادو مبين) (والثانية) الفضيحة فإنه لما أصاب الذنب بدت لهما سوءاتهما تهاافت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فتجبر آدم وصار هاربا في الجنة فتلقت شجرة العناب فأخذت بناصيته وناداه ربه أفرأى منى يا آدم قال لا يارب ولكن حياء منك ولذلك قيل كفى بالقصر حياء إلى يوم القيامة .

ويروى أن آدم لما بدت سوءاته وظهرت عورته طاف بأشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطي بها عورته فرجته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فأعطته ورقة فطافا يعني آدم وحواء يخصمان عليهما من ورق الجنة فكافأ الله التين بأن سوى ظاهره وباطنه في الخلاوة والمففعة وأعطاه الله ثمرتين في كل عام (والثالثة) أوهن جلده وصديقه مظلما بعد أن كان جلده كالظفر وألقى عليه من ذلك قدرا يسيرا على أنامله ليتذكر بذلك أول حاله (والرابعة) أخرجه من جواره ونودي أن لا ينبغي أن يجاورني من عصائي فأنالك قواه تعالى (اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر) الآية يعني آدم وحواء وإبليس والحية والطاوس فهبط آدم بسرديب من أرض الهند وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود قيل وحواء بجدة بلد بأرض الحجاز وإبليس بالآبلة من أرض العراق وهي بالبصرة وقيل مشان والحية بأصهبان والطاوس بأرض بابل .

أخبرني نافع بن أنس بن أحمد بإسناده عن عثمان بن علية قال سمعت الوضين ابن عطاء يذكر أن آدم قال كنا نسلا من نسل الجنة فسمانا إبليس بالخطيئة إلى

الأرض فلا ينبغي لنا الفرح في الدنيا ولكن الحزن والبكاء مادامنا في دار سبيل
حتى نرد إلى الدار التي سبينا منها وقال الشاعر :

يا ناظرأ يرنو بعيني رافد وه شاهد الأيام خير مشاهد
منتك نفسك وصلة فأبحثها سبل الرجاء وهن غير قواصد
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي درج الجنان بها وفوز العابد
ونسيت أن الله أخرج آدمأ منها إلى الدنيا بذنب واحد

(الخامسة) الفرقة فرق بينه وبين حواء هذا بالهند وهذه بحجة فجاء كل واحد
منهما يطلب صاحبه حتى قرب أحدهما من صاحبه فازدافا فسميت المزدلفة واجتمعا
بجمع فسمى جمعا وتعارفا بمرفة في يوم عرفة فسمى الموضع عرفات واليوم عرفة.

(السادسة) العداوة ألقى بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى (بعضكم لبعض
عدو فالإنسان عدو الحية بشدخ رأسها حيث يراها والطاوس عدو الحية عدوته
تلدغه إذا أمكنها وإبليس عدو لحم جميعاً وفيه إشارة إلى أن الأحزاب إذا اجتمعوا
وتعاونوا على معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى (الأخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) .

(السابعة) النداء عليهم باسم العصيان فقال الله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى) .
(وروى) أن إبراهيم عليه السلام تفسر ذات ليلة من الليالي في أمر آدم فقال
يارب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك وأسكنته
جنتك بلا عمل ثم بزلته واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة
فأوحى الله تعالى إليه يا إبراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد .
(الثامنة) تسليط العدو على أولاده وهو قوله تعالى (وأجاب عليهم بخيلك
ورجلك وشاركهم) الآية .

(التاسعة) جعل الدنيا سجناً له ولأولاده وابتلاه بهواء الدنيا ومقاساة الحر والبرد فيها ولم يكن لها بهما عهد لتعود هواء الجنة وهو كما قال الله تعالى (لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً) قال رسول الله ﷺ « الجنة سجاج لا حر فيها ولا قر»
(العاشرة) التعب والشقاء وذلك قوله تعالى (إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) فهو أول خلق عرق جبينه من التعب والنصب .

(فصل) وابتليت حواء وبناتها بهذه الخصال وبخمس عشرة خصلة نسواهن .
(الاولى) الحيض يروى أنها لما تنازلت الشجرة رميت الشجرة قال الله تعالى أن لك على أن آدميك أنت وبناتك في كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة قال رسول الله ﷺ في الحيض « إن هذا شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم وحواء »
(الثانية) ثقل الحمل .

(الثالثة) الطلق وألم الوضع قال الله تعالى (حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً) وفي الخبر « لولا الزلزلة التي أصابت حواء كان النساء لم يتحضن ولكن حلييات وكن يحمين سرراً ويضعن سرراً .
(الرابعة) نقصان دينها .

(الخامسة) نقصان عقلها عن أنى سعيد في حديث ذكره قال قال رسول الله ﷺ « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحدا كن عقابن له وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله ؟ قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلها أو ليس إذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان ودينها » .

(السادسة) أن ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى (لذكر مثل حظ الأنثيين) .

(السابعة) تخصيصهن بالعدة .

(الثامنة) جعلهن تحت أيدي الرجل كما قال تعالى (الرجال قوامون على النساء) وقال عليه الصلاة والسلام « استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوار عندكم » .

(م ٣ - قصص الأنبياء)

- (التاسعة) ليس لمن من الطلاق شيء ولا يملكون ذلك وإنما هو للرجال .
- (العاشر) حرمانهم من الجهاد (الحادية عشر) ليس منهم نبي .
- (الثانية عشر) ليس منهم سلطان ولا حاكم .
- (الثالثة عشر) لا تسافر إحداهن إلا مع ذي رحم محرم .
- (الرابعة عشر) لا تنعقد بهن الجمعة (الخامسة عشر) لا يسلم عليهن .

وعاقب إبليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء : أولها عزله من الولاية وكان له ملك الأرض وملك سماء الدنيا وكان خازن الجنة .

(الثانية) أخرجه من جواره وأهبطه إلى الأرض .

(الثالثة) مسح الله صورته فصوره شيطاناً بعد ما كان ملكاً .

(الرابعة) غير اسمه كان اسمه عزازيل فسماه إبليس لأنه أبلس من رحمة الله تعالى

(الخامسة) جعله إمام الأشرقياء (السادسة) لعنه الله تعالى (السابعة) نزع منه المعرفة

(الثامنة) أغلق عنه باب التوبة (التاسعة) جعله مريداً أي خالياً من الخير والرحمة

(العاشر) جعله خطيب أهل النار وعاقب الحية بخمسة أشياء قطع قوائمها

وأشهاها على بطنها ومسح صورتها بعد أن كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها

التراب وجعلها تموت كل سنة بالشتاء وجعلها عدوة بني آدم وهم أعداؤها حيثما

روتها يقتلونها وأباح رسول الله ﷺ قتلها في الصلاة وفي حال الإحرام .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ما سألناهم منذ

حاربناهم من ترك شيئاً منهم خيفة منه فليس من يعنى الحيات .

حدثنا عبد الله بن يونس قال أخبرنا داود عن محمد عن أبي الأعين الميموني عن

أبي الأحوص الحسني قال بينما ابن مسعود يخطب ذات يوم فإذا هو بحية تمشي على

الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله ﷺ

يقول : من قتل حية فسكانها قتل رجلاً مشركاً قد حل دمه .

(الباب السادس فى حال آدم بعد هبوطه إلى الارض وما كان منه)

قال ابن عباس رضى الله عنهما : ولما هبط آدم إلى الارض على جبل سرنديب وذكر أن ذروته أقرب من ذرى جبل الارض إلى السماء .

(قال) وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة واستقر جالساً على الارض عطس عطسة فسأل أنفه دماً فلما رأى سيلان الدم من أنفه ولم يكن رأى قبل ذلك دماً هاله ما رأى ولم تشرب الارض الدم فاسود على وجهها كالخم ففزع آدم من ذلك فرعاً شديداً فذكر الجنة وما كان من الراحة نخر مغشياً عليه وبكى أربعين عاماً فبعث الله إليه ملسكياً فمسح ظهره وبطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن والغنى فاستراح فما كان يصيبه من الغم .

قال شهر بن حوشب (بلغنى أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط إلى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى) .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (بكى آدم وحواه على ما فاتهما من نعم الجنة فلما أراد الله تعالى أن يرحم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) الآية واختلفوا فى تلك الكلمات ما هى قال ابن عباس هى أن آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال ألم تنفخ فى من روحك قال بلى قال ألم تسبق لى رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكنى جنتك قال بلى قال فلم أخرجتني منها ؟ قال لشؤم معصيتك قال أى رب أرأيت إن أنا تبت وأصلحت ترجعنى إلى الجنة ففى الكلمات ، وقال عبد الله بن عمر أن آدم قال يارب أرأيت ما أتيتك به شيئاً ابتدعته من تلقاء نفسى أو شئء فدونه على قبل أن تخلقنى بيدك قال لا بل شئء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته فاغفر لى .

وقال محمد بن كعب القرظى هى قول لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسى فتابت على إنيك أنت التواب الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسى فاغفر لى إنيك أنت الغفور الرحيم لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسى فارحمنى إنيك أرحم الراحمين

وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة وأوصى الله تعالى إلى آدم أن لا يحرم ما يحيا على عرشى فأنته فطف به كما تطوف حول عرشى وصل عنده كما تصلى عند عرشى فهناك - تجيب دعاءك فانطلق آدم من أرض الهند إلى أرض مكة لزيارة البيت وقبض الله ما كالأرضه فمكان كل موضع يضع عليه قدمه عمرا نأ وما تعداه مفاوز وقفاراً فلما وقف بعرفات وكانت حواء طالبتها وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمى ذلك الموضع عرفات فلما أنصرفا إلى منى قيل لآدم تمني على قال أتمنى المغفرة والرحمة فسمى ذلك الموضع منى وغفر ذنبيهما وقبل توبتهما ثم أنصرفا إلى أرض الهند قال مجاهد حدثني ابن العباس أن آدم حج من أرض الهند أربعين حجة على رجله فقيل لمجاهد يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأى شيء كان يحمله فوالله إن خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها تلبسته الملائكة ينشونه بالحج وقبول التوبة فقالوا برحمتك يا آدم فدخله من ذلك شيء فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم إنا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام فبقاصرت إلى آدم نفسه .

(وروى) سفيان عن منصور بن معمر عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لما أهبط آدم من الجنة إلى أرض الهند وعليه ذلك الورق الذي كان لباسه من الجنة فيميس وتطائر بأرض الهند فعبق شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يا رسول الله المسك هو من الدواب أم من الشجر قال إنما هي دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر فيصير المسك في سرتها فإذا رعت الربيع جعله الله مسكا وتساقط فينتفع به الآدميون قالوا يا رسول الله فأين يقع قال : قال لي جبريل في ثلاث كور لا يكون في شيء من الأرض إلا فيها أرض الهند وأرض السعدى وأرض التبت قالوا يا رسول الله العنبر إنما هي دابة في البحر قال أجل كانت هذه الدابة بأرض الهند ترعى في البر فبعث الله إليها جبريل عليه السلام فساقها وما معها ففقدتها في البحر وهي أعظم ما تذكرن من الدواب غلظها ألف ذراع وإنما ترمى كما ترمى البقر أختها فربما يخرج من جوفها العنبرة ووزنها ١٥٠٠ رطل ونحو ذلك ثم إن آدم وجد الماء في رأسه وجسده فشد ذلك

إلى الله تعالى فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويعصره فقال إن في هذه الشجرة شفاء من كل داء إلا السام ودله جبريل عليه السلام على شجرة لإلهيلج الأبيض والأسود والأصفر فقال له إن ربك يقرئك السلام ويقول لك كل من هذه فإنك لن تتداوى أنت وذريتك بدواء أفضل منها فيها شفاء من كل داء إن بقي في جوفك فلا تخف وإن خرج أخرج الداء كله وأبرأه فأكله آدم فبرئ.

(قال) في الاخبار إن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض وأصاب جسده أذى الهواء وأحس به اشتكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك إلى جبريل فقال له تشكو العري فأنزله الله عليه ثمانية أزواج المذكورة في سورة الانعام من الضان اثنتين ومن الماعز اثنتين ومن الإبل اثنتين ومن البقر اثنتين ثم أمره أن يذبح كبشاً منها فذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فجعل منها جبة لنفسه وجعل لحواء درعاً وخماراً فلبسا وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فخواء أول من نسج ولبس الصوف .

(وعن) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما تقول في حرفتي ؟ فقال رسول الله ﷺ وما حرفتك ؟ فقال أنا رجل حائك قال حرفتك حرفة أينما آدم عليه السلام وكان أول من نسج آدم وكان جبريل يعلمه وآدم تليذه ثلاثة أيام وإن الله عز وجل يحب حرفتك فإنها حرفة يحتاج إليها الأحياء والأموات فمن قال منكم القبيح فأبونا آدم خصمه ومن أنف منكم فقد أنف من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم ومن آذاكم فقد آذى آدم وهو خصمهم يوم القيامة فلا تخافوا وابشروا فإن حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائداًكم إلى الجنة .

(وعن) أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله ﷺ عليكم بلباس الصوف تعبدون قلة إلا كل عليكم بلباس الصوف تعرفون به في الآخرة وإن النظر في الصوف ليورث القلب التفكير والتفكير يورث الحكمة والحكمة تجرى في الجوف بجري الدم فمن كثرتفكره قل طمعه وكل من قل تفكره كثرتطمعه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب القاسي بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار ، قالوا ثم إن آدم عليه

الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال جبريل ما الذى أصابك فقال أجد فى نفسى قلقاً واضطراباً لا أجد إلى العبادة منه سبيلاً وإني أجد بين لحمى وجلدى ديباً كد يب النمل فقال جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك ؟ قال سوف أهديك إلى ذلك فغاب عنه ثم جاء بشورين أحمرين والعلاء يعنى السندان والمطرفة والمنذخة والسكبتين ثم جاءه بشر من جهنم فوقع فى يد آدم فطار منه شرارة فوة : فى البحر فدخل جبريل إليها وأتى بها فرفعها إلى آدم فطارت منه أيضاً حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبي ﷺ « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم بعد أن غسلت بالماء سبع مرات » فلما جاء بها فى الثامنة قطعت النار قالت يا آدم إني لا أطيعك وإني منتقمة من عصاة أولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم إنما أن تطيعك وليكنى أسجنها لك ولأولادك ليسكون لك ولأولادك فيها المنافع فسجنها فى الحجر والحديد فذلك قوله تعالى (أفرأيتم النار التى تورون أأنتم) الآية .

(وروى) أن آدم لما أخذ النار احترقت يده فخلى عنها فقال لجبريل ما لها تحرق يدي ولا تحرق يدك ؟ قال لأنك عصيت الله وإني لم أعصه ثم أمر جبريل باتخاذ آلة الحرث فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بضرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة فقال يا آدم لك حبتان ولحواء حبة فلذلك صار للذكر مثل حظ الأنثيين وكان وزن الحبة مائة ألف درهم وثمانين ألف درهم فقال يا آدم خذها فإنها سبب سد جوعك وبها أخرجت من الجنة وبها تحبى فى الدنيا وبها تلقى الفتنة أنت وأولادك إلى أن تقوم الساعة ثم أمر أن يشد الثورين ويكسر من الخشب ويضعه عليها ففعل ذلك وجعل يحرق الأرض عليهما فهو أول من حرث الأرض وبكى الثوران على ما فاتهما من راحات الجنة فقطرت دموعهما على الأرض فنبت منها الجاورس وبالا فنبت منه الخصب ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كسرها ثم بذرها فنبت من ساعته فقال آدم عليه الصلاة والسلام آكله ؟ فقال لا أصبر حتى يدرك فلما سنبل وأفرك قال آكله ؟ قال لا وعله الحصاد فلما حصدها قال آكله ؟ قال لا وعله الدياس فلما داس قال آكله ؟ قال لا وعله التنقية فلما نفاه قال آكله ؟ قال لا وجاء بحجرين وعليه الطحن

فلما طحن قال آكله ؟ قال لا وعليه العجن ويقال إن آدم عليه الصلاة والسلام لما نخل دقيقه فأمر جبريل أن يثب النخالة في الأرض المستحصده فثبت فيها الشعير فلما عجن قال آكله قال لا فأمره أن يحفر حفرة ويضع الحطب فيها ويوقد عليها ناراً ففعل ذلك حتى جعله خبزاً ثم وضع عجينة عليه فخبز فهو أول من خبز فلما أخرجه قال آكله قال لا حتى يبرد فلما برد آكله فلما أكله دمعت عيناً آدم عليه السلام وقال ما هذا التعب والنصب قال له هذا وعد الله الذي وعده فذلك قوله تعالى (إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) أما أن لك أن تأكل من كديمينك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استوفى آدم من الطعام شكاً من بطنه ولم يدر ما هو فشكا ذلك إلى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فيم أسكنه فغاب عنه ثم حاد إليه ومعه المعول وقال له احفر الأرض فما زال يحفر حتى بلغ إلى ركبتيه فنبع الماء من تحت رجليه ماء زلالاً أبدياً من الثلج وأحلى من العسل وقال يا آدم اشرب منه شربه فشر بها فاطمأن ثم أنه بعد ذلك وجد تشكياً أشد من الأول والثاني فقال لجبريل ما هذا الذي أجده قال لا أدرى فبعث الله إليه ملكاً ففتق قلبه ودبره ولم يكن قبل ذلك الطعام يخرج فلما خرج منه آذاه ووجد ريقه بكى على ذلك .

(قالوا) لما أنزل الله إلى آدم الحديد نظر إلى قضيب من حديد ثابت على الجبل فقال هذا من هذا الجبل يكسر أشجاراً قد عتقت ويديست فأوقد على ذلك الحديد حتى ذاب وكان أول شيء ضرب منه مدينة فسكان يعمل بها ثم ضرب التور الذي ورثه نوح عليه الصلاة والسلام وهو الذي فار بالعذاب بالهند .

(قالوا) لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرج معه من الجنة قطعة من الذهب فلذلك يبقى الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه الأرض ولا تأكله النار لأنه من الجنة حمل .

(وقيل) أن الله تعالى زود آدم حين أهبطه إلى الأرض من الثمار ثلاثين نوعاً عشرة منها في القشور وعشرة لها نوى وعشرة لا قشور لها ولا نوى فأما التي هي في القشور فالجوز واللوز والفسق والبندق والنخشخاش والبلوط والشاه بلوط في النار نج والرمان واللوز وأما التي لها نوى فالنوخ والمشمش والإجاص والعناب

والفركسك والرطب والخبير والنبق والزعرور والمقل وأما التي لا تشرب لها ولا نوى فالتمفاح
والسفرجل والسكمثري والعنب والتوت والتين والأترج والخروب والخيار والبطيخ
(وقال) ابن عباس هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآس وهى سيدة رباحين
الدنيا والسنبلة وهى سيدة طعام أهل الدنيا والعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا .

(قال) ابن عباس لما هبط آدم إلى الأرض كان أول شيء أكله من الثمار التين .
(قال) وهب بن منبه أن آدم لما أهبط إلى الأرض ورأى سمته ولم يرفيها أحداً
غيره قال يا رب أما لأرضك هذه من عامر يسبح بحمدي ويقدمك غيرى قال الله
تمالى سأجعل فيها من ولدك من يسبحنى ويحمدنى ويقدمنى وأجعل فيها بيتاً ترفع
بذكرى ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها لىسمى وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدنى
حق عبادتى وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أخصه بكرامتى وأوتره بإسمى فأسميه بى
وأعطه بعظمى وعليه وضعت جلالى وأجعل فى ذلك البيت حرماً آمناً يحرم بحرمة
ما حوله وما فرقه وما يحته فن حرمه استوجب بذلك كرامتى ومن أخاف أهله فقد
حقر ذمى وأباح حرمى واستوجب بذلك عذابى وعقابى وسأجعل هذا البيت أول
بيت وضع للناس ببطن مكة مباركاً يأتونه شعماً غبراً وعلى كل ضامر يأتين من كل
فج عميق يرجون بالتلبية رجياً ويضجون بالبكاء ضجيجاً ويعججون بالكبير عجيلاً
فن اعتمره لا يريد غيره فقد وفد إلى وزارنى واستضافنى لحق على الكريم أن
يكرم وفده وأضيافه وأن يسعف كلا بحاجته .

(وقال) وهب بن منبه رحمه الله دأوى الله إلى آدم بعد ما تاب عليه آدم إلى
أجمع لك العلم كله فى أربع كلمات واحدة لك واحدة بينى وبينك واحدة
بينك وبين الناس فأما التي لا تفتقدنى ولا تشركنى شيئاً وأما التي لك فأجزيك
بملك أحوج ما تكون لىه وأما التي بينى وبينك فذلك الدعاء ومنى الإجابة وأما التي
بينك وبين الناس فإن رضى لهم مات رضى لنفسك قال آدم يارب شملت بطلب المعيشة
وطلب الرزق عن التسبيح والعبادة ولست أعرف ساعات التسبيح فى أيام الدنيا
فأهبط الله تعالى لىه ديكاً فأسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذ
آدم من الخلق فكان الديك إذا سمع التسبيح فى السماء سبى فى الأرض فيسبح آدم بتسبيحه

(و يروى) أن الله تعالى أوحى إلى آدم لما أراد أن يهبط إلى الأرض با آدم
لأنى منزلك أنت وذريتك داراً مبنياً على أربع قواعد أما الأولى فإني أقطع
ما تصلون وأما الثانية فإني مهرق ما تجمعون وأما الثالثة فإني أخرب ما تبنيون
والرابعة أميت ما تلدون ولذلك قيل :

لدوا للموت وابنوا للخراب وكلكموا يصير إلى ذهاب

(الباب السابع فى ذكر هبوط إبليس لعنه الله إلى الأرض وحاله فيها بعد اللعنة)

قال الله تعالى (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) الآية (قال الشعبي) أنزل إبليس
من السماء عليه عمامة ليس تحت ذقنه منها شئ أعور فى إحدى رجله نعل .
(وروى) ابن المبارك عن خالد بن حميد بن هلال إنما كره أن يتخصر فى
الصلاة لأن إبليس هبط متخصراً .

(وروى) حماد عن ثابت وحميد عن عبد الله بن حميد بن عمير أن إبليس قال
يا رب أخرجتني من الجنة من أجل آدم وإنى لا أستطيعه إلا بسلاطتك قال فأنت
مسلط عليه قال يا رب زدنى قال لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله قال يا رب زدنى
قال صدورهم مساكن لك ونجعل منهم مجرى الدم قال يا رب زدنى قال أجلب عليهم
يخيلك ورجلك وشاركتهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً
قال آدم يا رب قد سلطته على وإنى لا أمتنع منه إلا بك قال لا يولد لك ولد إلا
وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يا رب زدنى قال الحسنه بهشراً مثلاًها وأزهداً
والسيئة بمثلاًها واحدة أو أحوها قال يا رب زدنى قال أغفر ولا أبالي قال حسبي
(وروى) أن إبليس قال يا رب لعنتنى وأخرجتنى من الجنة وجعلتنى شيطاناً رجماً
مذموماً مدحوراً وبعثت فى بنى آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلى ؟ قال
الكتبنة قال فما كتبى ؟ قال الوشم قال فما حديثى ؟ قال حديثك الكذب قال فما قراءتى ؟
قال قراءتك الشعر قال فما مؤذنى ؟ قال مؤذنتك المزمار قال فما مسجدي ؟ قال مسجديك
السوق قال فما بيتى ؟ قال بيتك الحمام قال فما طعامى ؟ قال طعامك ما لم يذكر لسمى
عليه قال فما شرابى ؟ قال شرابك كل مسكر قال فما مصايدى ؟ قال مصايدك النساء

(الباب الثامن في ذكر ما روى من الاخبار فيمن تراءى له إبليس)
(فراء عياناً وكلمه شفاهاً)

يروى أن آدم النقي إبليس في أرض فلاة فلامه على صنيعه وقال له يا ملعون أي سوء هذا الذي أحملت في غررتني وأخرجتني من الجنة وفعلت في ما فعلت قال فبكى إبليس وقال يا آدم إني فعلت بك ما تقول وأنزلتك هذه المنزلة فمن فعل بي ما أنا فيه وأحلفي هذه المنزلة ؟

(ويروى) أن إبليس تصور لفرعون في صورة الإنس بمصر في الحمام فأنكره فرعون فقال لإبليس ويحك أما تعرفني ؟ فقال لا قال فكيف وأنت خلفتني ألسن القائل (أنا ربكم الأعلى) ،

(ويروى) أن سليمان عليه الصلاة والسلام سأل إبليس فقال أي الأعمال أحب إليك وأبغض إلى الله تعالى فقال لولا منزلتك عند الله تعالى ما أخبرتك إني لست أعلم شيئاً أحب إلى وأبغض إلى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال ما من آدمي إلا قد عمل خطيئة أو هم بها إلا يحيى ابن زكريا فإنه ما عمل خطيئة ولا هم بها واقده قال رب أرني إبليس كما هو وأعزم عليه أن لا يكتمني شيئاً سألته عنه فأوحى الله تعالى إلى إبليس أن ائت عبيدي يحيى ابن زكريا كما هبط إلى الأرض ولا تسكتمه شيئاً يسألك عنه فأتاه وقال يا يحيى آتأ إبليس أمرني رب أن آتيك كما هبطت إلى الأرض فنظر إليه يحيى فإذا على رأسه خطاطيف تطير وحقواه محفوفتان بأكوار كور هنا وكور هنا وفي رجليه خلاخيل فقال ما هذه الخطاطيف التي تطير على رأسك ؟ قال بها أخطف عقول بني آدم قال فما هذه الخلاخيل التي في رجليك قال لبني آدم حتى يغني أو يغني له قاله فأى ساعة أنت على ابن آدم أقدر ؟ قال حين يتملى شعباً ورأى قال فهل وجدت

في نفسى شيئاً قال لا قال ولا على حالى قال نعم قدم إليك طعامك ذات ليلة
وكنيت قد صمت فشيئته إليك حتى أكلت أكثر من عادتك فتناقلت عن وردك
وعادتك فقال يحيى لا جرم لأشبع أبدأ فقال إبليس لا جرم ولا أنصح آدمياً أبداً

(وقيل) لما مات رسول الله ﷺ وأخذوا في جهازه وخرج الناس وخلا
الموضع .

قال ابن عباس قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه لما وضعته ﷺ على المغتسل
إذا بهاتف يهتف من زاوية البيت يا على لا تغسلوا محمداً فإنه طاهر مطهر قال
فوقع في قلبي من ذلك شيء وقلت ويحك من أنت ؟ فإن النبي ﷺ أمرنا بهذا وهذه
مدته وإذا بهاتف آخر يهتف بأعلى صوته يا على فإن الهاتف الأول كان الشيطان
حسد محمداً ﷺ أن يدخل قبره مغسلاً قال على جراك الله خيراً قد أخبرني أن
ذلك إبليس فمن أنت ؟ قال أنا الخضر .

(ويحكى) أن قوماً من بنى إسرائيل تراءى لهم إبليس فقالوا له نف موقفاً
كنت تقفه بين يدي الله تعالى حسباً كنت تقف قبل أن عصيت ربك فقال إنكم
لا تطيقون رؤية ذلك فألحوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا إليه وإلى خشوعه
وخضوعه ماتوا عن آخرهم .

(ويروى) أن رجلاً كان يلعب إبليس كل يوم ألف مرة فبينما هو ذات يوم
غامم إذا أتاه شخص وأيقظه فقال له قم فإن الجدار هاهو يسقط فقال له من أنت ؟
الذى أسفقت على هذه الشفقة ؟ فقال له أنا إبليس فقال كيف هذا وأنا ألعنك كل
يوم ألف مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهادة عند الله تعالى نفشيت أن
تكون منهم فتال معهم كما ينالون .

(الباب التاسع في قصة قابيل وها بيل)

قال الله تعالى (رائل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا) الى آخر القصة قال اهل العلم بقصص النبيين وأخبار الماضين إن حواء كانت ولد لآدم توأمين في كل بطن غلاماً وجارية إلا شيئاً فإنها ولدت مفرداً وكان جميع من ولدت حواء أربعين من ذكر وأنثى في عشرين بطناً .

أولهم قابيل وتوأمته إقليا وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم كثرت الله في نسل آدم كما قال (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) الآية قال ابن عباس لم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفاً ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد واختلف العلماء في وقت مولد قابيل وها بيل فقال بعضهم غشى آدم حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة فولدت قابيل وتوأمته لبودا في بطن واحد

وقال محمد بن إسحق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول إن آدم كان يغشى حواء في الجنة قبل أن تهبط إلى الأرض فحملت بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما حماً ولا نصيباً ولا طلقاً حين ولدتهم ولم تر معهما دماً لطهارة لئنه فلما هبطا إلى الأرض واظمأنا بها فغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبودا فوجدت فيها الوحى والنصب والطلق والدم حتى إذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم ينزويج أى أخواته شاء إلا توأمته التى ولدت معه فإنها لا تحمل له وذلك أنه لم يكن نساء يومئذ إلا أخواتهم وأمهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته إقليا في بطن واحد وها بيل وتوأمته لبودا في بطن واحد وكان بينهما ستان في قول النكلى وأذكر كوا أمر الله تعالى ، أن ينكح لبودا أخت هابيل قابيل وينكح هابيل إقليا أخت قابيل وكانت أخت قابيل من أجل النساء وأحسنهن خلقاً فذكر آدم ذلك لولده هابيل فرضى وسخط قابيل وقال هى أختي ولدت معى في بطن وهى أحسن من أخت هابيل فأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الأرض فأنا أحق بأختي

فقال له أبوه إنها لا تحمل لك فأنى أن يتقبل ذلك منه وقال إن الله تعالى لم يأمره بذلك وإنما هو من رأيه فقال لها آدم قربا قرباناً فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها (وقال معاوية بن عمار) سألت جعفر الصادق أكان آدم زوج لابنته من ابنه فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه رسول الله ﷺ ولا كان دين آدم لإلدين نبينا محمد ﷺ (إن الله تعالى أهبط آدم وحواء إلى الأرض وجمع بينهما وولده بئذ فسماها عناق فبغت وهى أول من نعى في الأرض فسلط الله عليها من قبلها فولد لآدم على أثرها قابيل ثم ولد له هابيل فلما أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنسية من الجن يقال لها عمالة في صورة أنسية فخلق لها رحمة وأوحى الله إلى آدم أن زوجها من قابيل فزوجها منه فلما أدرك هابيل أهبط الله إلى آدم حوراء في صورة أنسية وخلق الله لها رحماً وكان اسمها تركه فلما نظر إليها هابيل ورمتهما أوحى الله إلى آدم أن زوجها من هابيل ففعل ففعل فقال يا أبى أأست أكبر من أخى وأحق بما فعلت به منه فقال يا بنى إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

فقال لا ولمكنك آثرته على بهواك فقال له إن كنت تريد أن تعلم ذلك فقربا قرباناً فأيكما يقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه قالوا وكانت القرابين حينئذ إذا قبلت نزلت نار من السماء فأكلتها وإذا لم تقبل لم تنزل نار لا كالأكل السباع فخرجوا ليقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أراد زرعها واضمر في نفسه ما أبالي أيقبل أم لا لايتزوج أخى ابداً وكان هابيل راعياً صاحب ماشية فقرب كبشاً سميناً من خييار ماشيته ولبناً وزبدأ واضمر في نفسه الرضا بالله والتسليم لامره

وقال اسماعيل بن رافع أن هابيل نتج له كبش في غنمه فلما كبر لم يكن له مال أحب إليه منه وكان يحمله على ظهره فلما أمر بالقربان قرب به قال فوضعا قربانها على الجبل فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش والزبداء واللبن وام تأكل من قربان قابيل حبة لأنه أم يكن بزاكى القلب وقبل قربان هابيل لأنه زاكى القلب فما زال الكبش يرتع في الجنة حتى فدى ابن إبراهيم فذلك قوله تعالى (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) إلى قوله من الممتنين فنزلوا عن الجبل وتفرقوا وقد غضب

قاييل لما رد الله قربانه وظهر فيه الحسد والبغى وكان يضمهما قبل ذلك في نفسه إلى أن أتى آدم مكة ليزور البيت فلما أراد أن يأتي مكة قال للسماء احفظي ولدى بالامانة فأبت فقال للأرض والجبال فأبيا فقال ذلك لقاييل فقال نعم ترجع ونراه كما يسرك فرجع آدم وقد قتل قاييل فذلك قوله تعالى (لما عرضنا الامانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) يعنى قاييل حين حمل امانة أبيه ثم خانها

قالوا فلما غاب آدم اتى قاييل إلى هابيل وهو في غنمه فقال لاقتلنك قال ولم؟ قال لأنه الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني وتدمكح أختي الحسنة وأنسكح أختك الذميمة فيتحدث الناس انك خير منى وأفضل ويفتخر وادك على ولدى فقال له هابيل وما ذنبى إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين

(قال) عبد الله بن عمر وان كان المقتول الأشد وليكنه منعه التحرح ان يبسط الى أخيه يده قال الله تعالى (فطوأت له نفسه قتل أخيه فقتله) الآية اى طأوعته وساعدته فقتله

قال السدى لما قصد قاييل قتل هابيل هرب منه في رموس الجبال ثم أتاه يوماً من الايام وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فأت وقال ابن جريج لم يدر قاييل كيف يقتل اخاه فتمثل له ابليس واخذ طيراً فوضع راسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في مصرعه وموضع قتله قال ابن عباس على جبل تود قال بعضهم على عقبة حراء

وحكى محمد بن جرير الطبرى قال جعفر الصادق بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فلما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لأنه كان اول ميت على وجه الارض من بنى آدم فقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره سنة تروح وعكفت عليه الطيور والسباع ينظرون ان يرمى به فتأكله فبعث الله غرابين فاقتلا فقتل احدهما صاحبه ثم حفر له ينفاره ورجليه حتى مكن له في الارض ثم القاه في الحفرة وواراه

وقابيل ينظر إليه فلما رأى ذلك قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب
فأورى سوءة أخى فأصبح من النادمين يعنى على عمله لا على قتله

(وروى) عن الأوزاعي قال حدثني المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي
لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الأرض دمه
كما تشرب الماء فناداه الله أين أخوك ها بيل ؟ قال ما أدري ما كنت عليه رقيباً
فقال الله تعالى إن دم أخيك لينادي من الأرض فلم قلت أخاك ؟ قال فأين دمه إن
كنت قتلتَه فحرم الله على الأرض من يومئذ أن تشرب دماً بعده أبداً

(عن الضمحاك عن ابن عباس) قال لما قتل قابيل ها بيل وآدم بمكة اشتاك الشجر
وتغيرت الاطعمة وتحمضت الفواكه ومر الماء واغبرت الأرض فقال آدم قد حدث
في الأرض حدث فأتى الهند فإذا قابيل قد قتل ها بيل فأشأ يقول وهو أول شعر .

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون وقل بشاشة الوجه الصديق

(وروى) عن ابن عباس أنه قال من قال إن آدم قال الشعر فقد كذب على
الله ورسوله ورمى آدم بالمأثم وإن محمداً ﷺ والأنبياء كلهم في النسي عن الشعر
سواء قال الله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) ولكن لما قتل قابيل ها بيل
رثاه آدم وهو سرياني وإنما يقول الشعر من تكلم بالعربية قال آدم مرثيته في ابنه
ها بيل وهو أول شهيد على وجه الأرض قال آدم لشيث يا بني إنك وصي فاحفظ
هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان بن هود
عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب اليل وتسكلم
بالعربية وقال الشعر فنظر في المرثية فإذا هو سجع فقال إن هذا ليقوم شعراً
فرد المقدم إلى المؤخر والمؤخر إلى المقدم فما زاد فيه شعراً ولا زاد ولا نقص
حرفاً من ذلك فقال :

تغيرت البلاد ومن عليها
تغير كل ذى طعم ولون
وقايل أذاق الموت هايل
وما لى لا أجود بسكب دمع
وجاءت شملة ولها رنين
لقتل ابن النبی بغير جرم
وجاورنا لمين ليس يقنى
فوجه الارض مغبر قبيح
وقل بشاشة الوجه الصبيح
فواحنه قد فقد المليسح
وهايل تضمنه الضريح
لها بلها وهايلها يصيح
فقلبي عند قتله جريح
عدو لا يموت فاستريح

(وقالت حواء)

دع الشكوى فقد هلكا جميعا
وما يغنى البكاء عن البواكى
فابك النفس وانزل عن هواها
فأجابها إبليس لعنه الله شامتا بهما :

تدح عن البلاد وساكنيها
وكسنت بها وزوجك فى رخاء
فما زالت مكائدتى ومكرى
فلولا رحمة الجبار أضحى

(وقال) سالم بن أبى الجعد لما قتل قاييل هايل مكث آدم مائة سنة لا يضحك
ثم أتى فقيل له حياك الله وأضحكك ولا أبكأك قال ولما مضى من غار آدم مائة
ومثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قاييل هايل بخمس سنين ولد له شيث وتفسيره
هبة الله يعنى أنه خلف الله من هايل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق
وكل ساعة منها وأنزل عليه خمسين صحيفة وكان وصى آدم وولى عهده وأما قاييل

فقل له اذهب فذهب طريداً شريداً فزعا مرعوباً لا يأمن من رآه فأخذ بيد أخته إقليا وذمها بها إلى عدن من أرض اليمن فألقى إليه إبليس وقال إنما أكلت النار قربان أخيك لأنه كان يخدم النار ويعبدها فأنت أيضاً أنت ناراً تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها

قال وكان لا يمر واحد من ولده إلا رماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن لله فقال ابن الأعمى لآبيه هذا أبوك قابيل فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله قال فقال ابن الأعمى إنه أبوك فرفع يده فلطمه فمات فقال الأعمى ويل لي قتلتي ربي برميته وقتلتي ابني بلطمتي قال مجاهد فعلمت إحدى يدي قابيل إلى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ إلى يوم القيامة ووجهت إلى الشمس حيث دارت وعليه في الصيف حظيرة نار وفي الشتاء حظيرة ثلج

قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع الطبول والمزامير والطنابير وانهم مكوا في اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والأوثان والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان في زمن نوح عليه السلام وبقي شيث عليه السلام والله أعلم

(الباب العاشر في ذكر وفاة آدم عليه السلام)

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الأخبار أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوماً وأوصى إلى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعها إلى شيث وأمره أن يخفي ذلك من ولده قابيل لأن قابيل قد قتل هابيل حسداً منه له حين خصه آدم بتزويج أخته إقليا فخاف عليه أيضاً أن يقتله حين خصه آدم بالعالم فأخفى شيث ولده ما عندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل ولده علم ينتفعون به

(وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال لما أخرج الله ذرية آدم من ظهره فجعل بعضهم على آدم فإذا قوم غايهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين

(م ٣ - قصص الأنبياء)

عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسول وإذا فيهم رجل يزهو وهو أضوأهم نوراً
فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال يارب كم عمره قال ستون سنة قال يارب
زد في عمره قال لا إلا أن تزيد أنت من عمرك فقد جف القلم بأعمال بني آدم
وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك
كتاباً وشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعمائة وستون سنة وجاء إليه ملك
الموت ليقبضه فقال آدم عجبت على يا ملك الموت قال ما فعلت بل أنت استوفيت
أجلك قال آدم قد بقي من عمري أربعون سنة قال إنك قد وهبتها لابنك داود قال
ما فعلت ولا وهبت له شيئاً

فأنزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهوداً ثم إن الله أكل لآدم ألف سنة
وأكمل لداود مائة سنة قال رسول الله ﷺ نسي آدم فنسيت ذريته وجهده
فجددت ذريته فأمر الله بالكتاب والشهود من يومئذ

(قال) ابن إسحق وغيره ثم إن آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لأنه صفي
الرحمن فتدفنه الملائكة وشيئ وإخوته في مشارق الفردوس عند قرية هي أول
قرية كانت في الأرض فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله إليه بحفوف وكفن من
الجنة ووليت الملائكة غسله ودفنه فغسلته بالسدر والماء وترا وكفنوه في ثلاث
أيام ثم لحدوا له ودفنوه ثم قالوا هذه سنة ولد آدم من بعده

وقال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل
تقدم أنت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فأما خمس فهي في الصلاة
وأما خمس وعشرون فهي تفضيل لآدم وقد اختلف في موضع قبره فقال ابن إسحق
في مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل في غار أبي قبيس وهو غار
يقال له الغار الكبير

(وروى) أبو صالح عن ابن عباس أنه قال مات آدم على جبل تود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت آدم في السفينة فلما خرج نوح من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكانت وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله أعلم .

(باب في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام)

قال الأستاذ خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقه وخلقته في أحسن صورة وأقسم عليه فقال عز من قال (والثين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) ولقنه الحمد حين عطس ثم قال له يرحمك ربك فسبقته رحمة غضبه وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل وأباح له جميع الجنة إلا الشجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود له وأمرهم بالثقلين وجعله أبا البشر وجعله خليفة في الأرض وعرف الملائكة فضله عليها ولعن إبليس من أجله مع كثرة عبادته وعاتب بسببه وهو أول حامد وأول تائب وأول مجتنب وأول مصطفى وأول خليفة لله في الأرض وهو المميز للأرواح الحبيشة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة فيبعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه ﷺ وشرف وكرم والله أعلم

(مجلس في ذكر النبي لإدريس عليه السلام)

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً) قال أهل العلم بأخبار الماضين وقصص النبيين هو إدريس بن برد وقيل ياربد بن مهلائيل بن قهتان بن أرش بن شيث بن آدم واسمه أخنون وسمى إدريس لسكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث وأمه اشوت وكان إدريس أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من نظر علم النجوم والحساب بعنه الله تعالى لإلهي ولده قابيل ثم رفعه الله إلى السماء .

قاله على ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس فقال يا رب إني مشيت في الشمس يوماً فتأذيت فسكيت بمن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما أصبح الملك وجد من نفسه خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خففت على حر الشمس فما حال الذي قضيت عليه فيه قال تعالى إن عبادي لإدريس سألتني أن أخفف عنك ثقلها وحرها فأجبتني إلى ذلك فقال يا رب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه حلة فأذن الله تعالى له فكان لإدريس يسأله وكان عما سأله أن قال أخبرني أنك أكرم الملائكة على ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لي إليه ليؤخر أجلي فأزداد شكراً وعبادة فقال له الملك لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها

قال قد علمت ذلك وليكنه أطيب لنفسى فقال أنا مكلمه لك وما كان يستطيع أن يفعل لاحد من بنى آدم فهو فاعله لك ثم حملته الملك على جناحه حتى رفعه إلى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم لأنه أتى إلى ملك الموت فقال له لى إليك حاجة فقال أعمل لك كل شيء أستطيعه فقال لى صديق من بنى آدم تشفع بى إليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك إلى وليكن أحببت أعلمته أجله ومتى يموت فيتقدم فى نفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فأخبره بإسمه وقال إنك كنتنى فى إنسان ما أراد يموت أبداً قال وكيف ذلك قال لى لا جده يموت عند مطلع الشمس قال فإنى أتيتك وتركته هناك فقال له انطلق فلا اراك بحده إلا وقد مات والله ما بقى من أجل لإدريس شيء فرجع الملك فوجده ميتاً

(قال وهب) كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض جميعهم فى زمانه فعجبت منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن الله فى زيارته فأذن له فأناه فى صورة بنى آدم وكان لإدريس يصوم الدهر فلما كان وقت لظفاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكره وقال له فى الليلة الثالثة إنى أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربى أن ازورك واصاحبك فأذن لى فى ذلك

فقال إدريس لى إليك حاجة قال وما هى قال قبض روحى فأوحى الله تعالى لى إياه اقبض روحه فقبض روحه ثم ردها الله تعالى عليه ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لأذوق كرب الموت وغمه فأكون له أشد استعدادا ثم قال لى إليك حاجة أخرى قال وما هى قال ترفعنى إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة فأذن له فى ذلك فلما قرب من النار قال لى إليك حاجة قال وما تريد قال تسأل ما لكأى يفتح لى ابواب النار حتى اردھا ففعل ذلك ثم قال فكما اريتنى النار فأرنى الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتحها ففتحت له ابوابها فدخل فقال له ملك الموت اخرج لتهود إلى مقرك فتهلق بشجرة وقال لا أخسرج منها، فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج لان الله تعالى قال (كل نفس ذائقة الموت) وقد ذقته وقال تعالى (ولأن منكم إلا واردھا وقد وردتها) وقال تعالى (وما هم منها بمخرجين) فلبست اخرج فقال الله تعالى للملك الموت دعه فإنه بإذنى دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حى هناك فنارة يعبد الله فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة والله اعلم

(قصة هاروت وماروت)

قال الله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان) الآية قال اهل التفسير إن الشياطين كتبوا السحر والثيرنجيات على لسان آصف فى مده زوال ملك سليمان هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوها من تحت مصلاه وقتلوا الناس ما ملككم سليمان إلا بهذا

قال السدى وذلك ان شيطانا تمثل على صورة لإنسان فأتى نمرأ من بنى اسرائيل فقال هل ادلكم على كنز لا يفنى أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت كرسى سليمان وذهب معهم فأراهم المسكان وقال ناحية فقالوا له اذن فقال لا ولكن ههنا فإن لم تجدوه فاقتلوني وذلك أنه لم يكن احد من الشياطين يدنو من الكرسى إلا احترق

تفحفروا فوجدوا تلك الكتبة فلما اخرجوها قال الشيطان إن سليمان كان يضبط
الجن والإنس والشياطين والظير به— هذا ثم طار الشيطان وذهب واما علماء
بنى إسرائيل وصلاحهم فقالوا معاذ الله ان يكون هذا علم سليمان فإن كان هذا
علمه فقد هلك سليمان واما الجاهل والسملة فأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب
الانبياءهم فأمر الله هذه الآية لإظهارا لعذر سليمان وبيان ابراءه فهذه قصة الآية

(وأما قصة هاروت وماروت)

قال المفسرون إن الملائكة لما رأوا ما يصعد إلى السماء من اعمال بنى آدم
الخبثية وذنوبهم الكثيرة وذلك فى زمن لإدريس عليه السلام عيروهم بذلك
بوانكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم علماء فى الارض واخترتهم فهم
يعصونك فقال تعالى لو انزلناكم إلى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لعلهم
مثل ما فعلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى
اختاروا ملكين من خياركم اهبطهما إلى الارض فاختاروا هاروت وماروت
وكانوا من اصالح الملائكة واعبدتهم

قال الكلبي قال الله تعالى اختاروا الملائكة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت
وعزاييا وهو ماروت وعزرائيل وإثما غيرا لاسمهما لما اقترفا من الذنب كما
غير الله اسم إبليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم الشهوة التى ركبها
نحى بنى آدم واهبطهم إلى الارض وامرهم ان يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن
الشرك والقتيل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فأما عزرائيل فإنه لما وقعت
الشهوة فى قلبه استقبل ربه وسأله ان يرفعه إلى السماء فأناه ورفعته وسجد
اربعة سنين ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطأ رأسه خيما من الله تعالى
واما الآخران فإنهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فإذا امسيا ذكرا
اسم الله تعالى الاعظم وصعد إلى السماء

قال قتادة فامر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك انه اختصم إليهما ذات يوم الزهرة
وكانت من اجل النساء قال على رضى الله عنه كانت من اهل فارس وكانت ملكة

في بلدها فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراودها عن نفسها فأبت والصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلوا مثل ذلك فقال لا إلا أن تهبطا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتغلا النفس وتشرب الخمر فقالا لا سبيل إلى هذه الأشياء فإن الله قد نهانا عنها فالصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفي نفسها من الميل إليهما ما فيها فراودها عن نفسها فأبت وعرضت عليهما ما قالت بالأمس فقالوا الصلاة لغير الله أمر عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر بشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة فزنيا بها فزعمتا أنهما إنسانا فقنلاه .

قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فسخ الله الزهرة كوكبا وقال على رضى الله عنه والسدى والعكبي لهما قالت لا تدركاني حتى تعلماني الذي تصعدان به إلى السماء فقالا لا تصعدا إلا بالاسم الأعظم فقالت فما أنتما بمدركي حتى تعلمانيه قال أحدهما اصحابه علمها فقال لى أخاف الله فقال الآخر فأين رحمة الله تعالى فعلمها ذلك فتكلمت به وصعدت إلى السماء فسخها الله تعالى كوكبا .

(وقال) مجاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لى ارمق السكوك بمنى الزهرة فإذا طلعت فأيقظنى فلما طلعت أيقظته فلما نظر إليها سبها سبها شديدا فقالت يرحمك الله تسب نجما ساطعا مطيعا فقال لى هذه كانت بغيا فلحقى الملكان منهما ما القيا وكذلك قال ابن عباس وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا لى الزهرة من السكواكب السبعة السيارة التى جعلها الله تعالى قواما للعباد وأقسم بها فقال تعالى (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) وإنما كانت المرأة التى فتن هاروت وماروت تسمى زهرة بلجلها فلما زنت مسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله ﷺ الزهرة ذكر تلك المرأة الموافقة لها الاسم فلمنها وكذلك سبيل العشار كان رجلا فلما رأى رسول الله ﷺ هذا النجم الموافق لإسمه لإسم هذا الرجل لعنه يدل عليه ماروى قيس بن عباد عن ابن عباس فى هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر السكواكب قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعدما فارقا الذنب هما بالاصعد إلى السماء فلم تطعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا إلى إدريس عليه السلام فأخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما إلى الله تعالى وقال لى إن نار أيناك

فيصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الأرض فاشفع لنا إلى الله تعالى
ففعّل لإدريس ذلك خيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختروا عذاب
الدنيا لأنه ينقطع فهما بما بل يعذبان .

(واختلف) العلماء في كيفية عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما
إلى قيام الساعة وقال مقاتل كبلا من أقدامهما إلى أصول أفخاذهما وقال مجاهد ملء
حطب ناراً فجعلوا فيه وقال عمر بن سعيد هما معلقان منكسان في السلاسل بضربان
يسيطر الحديد .

(وروى) أن رجلاً قصدهما لتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهم مزرقة
أعينهما مسودة وجوههما ليس بين ألسنتهما وبين الماء إلا أربعة أصابع وهما يعذبان
بالمطر فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لا إله إلا الله فلما سمع كلامه قال لا إله إلا
الله قالاً من أنت قال رجل من الناس قالاً له ومن أي أمة أنت قالاً من أمة محمد ﷺ
قالاً أو بعث محمد ﷺ قال بعم لحمد الله تعالى وأظهر الاستبشار فقال الرجل ومم
استبشار كما قالاً لأنه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا .

(وروى) هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امرأة من دومة الجندل جاءت
تقتضي رسول الله ﷺ بعد موتته تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر وما
تعمل به فقالت عائشة لمرورة يا ابن أختي فزأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله فسكانت
تبكي حتى رجمتها ثم قالت إني أخاف أن أكون قد هلكت ثم قالت كان لي زوج
غاب عني فدخلت على عجوز فشيكت لها ذلك فقالت إن فعلت ما أمر بك به جعلته يأتيك
فعلما كان الليل جاء تنى بكلمين أسودين فركبت أحدهما وركبت هي الآخر فلم يكن
كثير حتى وقفنا ببابل وإذا برجلين معلقين بأرجلهم فقالا ما جاء بك فقالت أعلم
السحر فقال إنما نحن فئمة فلا تسكفري فأرجعي من حيث أتيت فقلت لا فاذهي
إلى التنور فبولي فيه فذهبت لأبول ففرغت فلم أفل فرجعت فقالت فعلت قلت نعم
فقالتا هل رأيت شيئاً فقلت لم أر شيئاً قالاً فأرجعي إلى بلادك ولا تسكفري فأبت فقالتا
اذهبي إلى التنور فبولي فيه فذهبت فاقشعر جلدي وخفت ثم رجمت إليهما فقلت

قد فعلت فقال ما رأيت قلت لم أرى شيئاً قال كذبت لم تفعلى فارجمى إلى بلادك ولا تكفرى فإنك على رأس أمرك فقلت لا فقال لا لى اذهبي إلى التنور فبولى فيه فذهبى إليه فبالت فيه فرأيت فارساً مقنعا بحديد خرج منى حتى ذهب السماء وغاب حتى ما أراه فجئتها فقلت قد فعلت قال فارأيت ؟ قلت رأيت فارساً مقنعا بالحديد خرج منى وذهب فى السماء فلم أره قال صدقت ذلك إيمانك خرج منك فاذهبي فقلت والله ما أعلم شيئاً ولا قال لى شيئاً فقال لا تردى شيئاً إلا كان خذى هذا القمح فابذريه فبذرت ثم قلت له اطلع فطلع فقلت انحصد انحصد فقلت انفرك ففرك ثم قلت له انطحن فطحن ثم قلت انخبز فخبز فلما رأيت أننى لا أريد شيئاً إلا كان سقط فى يدي فرجمت وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيئاً قط ولا أفعله أبداً .

قال الازاعى بلغنى أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال يا جبريل صف لى النار فقال إن الله تعالى أمر أن يؤقد عليها الف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهيبها والذى بعثك بالحق لو أن ثوباً من ثياب أهل النار ظهر لأهل الأرض لما اتوا جميعاً ولو أن ذنوباً من شرابها صب فى ماء الأرض جميعاً لقتل من ذاقه ولو أن حلقة من السلسلة التى ذكرها الله وضعت على جبال أهل الأرض جميعاً لذابت وما استقلت ولو أن رجلاً دخل النار وخرج لمات أهل الأرض من نثر ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبي ﷺ وبكى جبريل لبيكاته وقال أتبكى يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبداً شكوراً وبكى جبريل فقال يا جبريل أتبكى وأنت الروح الامين أمين الله على وحيدته قال أخاف أن أتبلى بما أتبلى به هاروت وماروت فهذا الذى منعنى من التكالى على منزلتى عنده ربي فأكون قد أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نوديا من السماء يا جبريل ويا محمد إن الله قد أمنكما من غضبه فلا يعذبكما وأن فضل محمد ﷺ على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة .

(مجلس في قصة نوح عليه السلام)

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام (واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه) الآية وهو نوح بن الملك متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلايل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام وأمه أقينوش بنت راكيل وقيل بنت كاييل بن خوثييل بن أخنوخ أرسله الله تعالى إلى ولده قابيل ومن تابعهم من ولد شيث (قال) ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يصكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل فيهم صباحة وفي نسائهم دمامة وكان في نساء السهل صباحة وفي الرجال دمامة وأن إبليس أتى رجالا من أهل السهل في صورة غلام فاجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ إبليس شيئا مثل الذي يؤمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس مثله فباغ ذلك من حولهم فأتوهم إليه مستمعين إليه واتخذوه عبدا يحتمعون إليه في السنة فتبرج النساء للرجال والرجال لهن وهو قوله تعالى (ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى) .

(قال ابن عباس) كان آدم أوصى أن لا يناكح بنو شيث بنى قابيل فجعل بنو شيث آدم في مغارة وجعلوا عليه حفاظا لئلا يقر به أحد من أولاد قابيل وكان الذي يأتونه ويستغفر لهم بنو شيث فقال مائة من بنى شيث صباح يوم لو نظرنا ما فعل بنو عمنا يعنون بنى قابيل فهبط المائة إلى نساء السهل صباح الوجوه من بنى قابيل فاحتبس النساء والرجال ثم مكثوا ما شاء الله فقال مائة أخرى لو نظرنا ما فعل أخواننا فهبطوا من الجبل إليهم فاحتبسهم النساء ثم هبط بنو شيث كلهم فظهرت المعصية وتما كهوا واختلطوا وكبر بنو قابيل حتى ملثوا الأرض وأكثروا الفساد فبعث الله إليهم نبيهم نوحا بن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله تعالى وخوفهم بأسه ويحذرهم سطوته كما أخبر الله تعالى بقوله (قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدكم دعائي إلا فرارا) وقال تعالى (وقوم نوح من قبل لم يكن لهم كفارة مما فاسقون) .

(وروى) الضحاك عن ابن عباس أنه قال إن نوحا كان يضرب ثم يلف في

ليد ثم يلقى في بيته فيرون أنه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى آيس من إيمان قومه
فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنه يتوكأ على عصا فقال يا بني انظر إلى هذا الشيخ إليك
أن يترك فقال يا أبت مكسني من العصا فأعطاه العصا فقال ضعني في الأرض فوضعه
فمشى إليه فضربه بالعصا .

فقال نوح رب قد ترى ما يصنع بي عبادك فإن لم يكن لك في عبادك حاجة
فاهدهم وإن لم يكن غير ذلك فصبرني إلى أن تحكم بيني وبينهم وأنت خير الحاكمين
فأوحى الله إليه أنه إن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا
يفعلون فأيسه من إيمان قومه وأخبره أنه لم يبق في أصلاب الرجال ولا أرحام
النساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم وقال (رب لمنهم عصوني) الآية إلى قوله
(ولا تذرن دياراً ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيراً) وهم أسماء
أصنام لهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله تعالى (رب لا تذرن الأرض
من الكافرين دياراً) إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً)
وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا تباراً) أى هلاكاً ودماراً فأجاب الله دعاءه
وأمره بأن يصنع الفلك كما قال الله تعالى (واصنع الفلك بأعيننا) .

ثم بعث الله جبريل يعلم نوحاً صنعة الفلك وكان نوح يقطع الخشب ويضرب
الحديد ويهيء عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يبرون عليه وهو في عمله
فيسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة ثم يقولون ألا ترون
إلى هذا المجنون يتخذ بيتاً يسير به في الماء ويضحكون منه وذلك قوله تعالى (ويصنع
الفلك وكلامه عليه ملاء من قومه سخروا منه) فيقول نوح (إن تسخروا منا فإننا
نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب
مقيم) وأوحى الله إلى نوح أن يجعل صنعة الفلك فقد اشتد غضبي على من عصاني
فجعل السفينة طولها ستمائة ذراع وعرضها اثنتا عشرة وثلاثون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثة
وثلاثون ذراعاً هذا قول ابن عباس في رواية الخضر وطلاها بالقار داخلها

وخارجها وشدها بالدر وهو مسامير الحديد وذلك قوله تعالى (وحملناه على ذات ألواح ودسر) وفجر الله له عين القمار بحب السفينة فعلى غلياناً حتى طلاهها به فلما فرغ من صنع السفينة أوحى الله إليه أن احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كلها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله إليه من البر والبحر والسهل والجبل وقد جعل الله فوران التنور آية بينه وبين نوح وعهد إليه فقال إذا رأيت التنور قد فار فاركب أنت ومن معك في الفلك واحمل فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى (فإذا جاء أمرنا به فارق التنور) أي عذابنا وهو الطوفان (فلما احمل فيها من كل زوجين اثنين) الآية.

وقال ابن عباس كان التنور بالهند والفوران هو الغليان فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمر الله تعالى.

(قال) ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوماً وليلة فأقبلت الوحوش والطيور والدواب إلى نوح حين أصابها المطر وسخرت له فحمل منهما من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الدرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق إبليس بذنبه فلم تستقر رجلاه فجعل نوح يقول ادخل فانهض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وإن كان الشيطان معك كدخلك بها لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك فقال أخرج يا عدو الله قال ما أخرج وما كان بذلك لك أن تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك (سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين لأنه من عبادنا المؤمنين)

(عن وهب ابن منبه) قال لما أمر الله تعالى نوحاً أن يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف أصنع بالأسد والبقر وكيف أصنع بالعناق والذئب وكيف أصنع بالحمام والهر قال الله تعالى من ألقى بينهم العداوة؟ قال أنت يا رب قال فأما أولئك بينهم حتى لا يضاروا فحمل نوح السباع والدواب في الطبقة الأولى فآلقى الله على الأسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل :

وما السكب محموداً وإن طاله عمره
لعمرك ما المحمود وما سوى الأسد

وجعل الوحوش في الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم في الطبقة العليا وجعل الدرة معه في الطبقة العليا شفقة عليها لئلا يقتلها شيء واختلفوا في أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى (ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) من هم وكم هم قال قتادة لم يكن في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة من بنيه سام وحام ويافث ونساءهم بجميعهم ثمانية فأصاب حام امرأته في السفينة فدها نوح ربه فتغيرت نطقته فجاء بالسودان .

(قال السكبي) أمر نوح أن لا يقرب ذكر أنثى ما دام في السفينة فوثب السكبي على السكبية فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم اجعله عسرا وقال الاعشى كانوا سبعة نوح وثلاثة بنين وثلاثة كسنا ن له وقال ابن إسحق كانوا عشرة سوى نساءهم وهم نوح ويثوه سام وحام ويافث وستة أناث ممن كانوا آمنوا معهم وأزواجهم جميعاً .

وقال ابن عباس فلما ركب نوح في الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك في شهر آب بالرومية فلما دخلها وحمل معه من حمل تحركت ينابيع الأرض والغوط الأكبر وأمطرت السماء كأفواه القرب كما قال الله تعالى (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر) يعني التقى ماء السماء وماء الأرض فجعل الماء ينزل من السماء ويذبح من الأرض حتى كثر واشتد وكان بين إرسال الماء واحتمال الماء الفلك أربعةين يوماً وليلة ثم احتمل الماء الفلك وكان كسنعان بن نوح تخلف عن أبيه قال قتادة لم يركب في السفينة فتاداه نوح (وكان في مهزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سأوى إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) وكان عهد كسنعان بالجبال أنها تحصن من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموح فبكان من المفرقين) وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً .

(وروت) عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : لو رحم الله أحداً من قوم نوح لرحم المرأة أم الصبي وذلك أنها خشيت عليه من الماء وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت قمته فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبي فلما بلغ رقبتها رفعته بيدها حتى ذهب بهما الماء فلو رحم الله أحداً منهم لرحم هذه .

قالوا ثم طافت السفينة بأهلها الأرض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء حتى أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعاً وقد رفع الله البيت الذي كان يحججه آدم صيانة له من الغرق وهو البيت المعمور ونحبا جبريل الحجر الأسود في جبل أفي قبليس فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت في الأرض تسير بهم حتى انتهت إلى الجودي وهو جبل حصين من أرض الموصل فاستقرت عليه .

قال مجاهد تشاخصت الجبال وتطاوت أثلا ينالها ماء فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعاً وتواضع لأمر ربه الجودي فلم يغرق فأرست السفينة عليه فذلك قوله تعالى (واستوت على الجودي) (وقال) ابن عباس استوت السفينة على الجودي وقد باد ما على وجه الأرض من الكفار ومن كل شيء فيه الروح والأشجار فلم يبق شيء من الحيوانات إلا نوح ومن معه في الفلك إلا عوج ابن عنق فذلك قوله تعالى (وقيل بعد القوم الظالمين) أى هلاكاً . (وقيل يا أرض أبلعي ماءك) أى انشقي (ويا سماء أقلعي) أى احبسي ماءك (وغيض الماء) أى ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي في الأرض لأنها آخر ما بقى في الأرض من ماء الطوفان وبقي في الأرض أربعين سنة ثم ذهب .

(وروى) عن علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كشيبي من تراب فأخذ كفاً من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم .

قال هذا كعب سام بن نوح قال ثم ضرب السكيب بعصاه وقال له قم ياذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى أهكذا هلك قال لا بل مت وأنا شاب ولكن ظننت أنها الساعة فمن ثم شئت فقال له حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب والوحوش وطبقة فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله إلى نوح أن اغمر ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فأكلاه فلما كثر الفأر في السفينة وجعل يقرض جبالها وذلك أنه ترأله في السفينة أوحى الله تعالى إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة فأقبلا على الفأر فأكلاه فقال له عيسى كيف علم نوح أن البلاد قد يبتست قال بعث نوح غرابا يأنيه بالخبر فوجد جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فذلك لا يأنف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق الزيتون بمنقارها وطين برجلها فعلم أن البلاد جفت قال فطوقها بالخضرة التي في عنقها ودعا لها أن تكون في أمان وأمان فمن ثم تألف البيوت فقالوا يا رسول الله ألا تنطلق به إلى أهلنا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لارزق له ؟ ثم قال له عد ياذن الله تعالى فعاد تراباً .

قال أهل التاريخ أرسل الطوفان لثلاثة عشر يوماً خلعت من آب ومضى ستائة ستة من عمر نوح ولتتمة ألني سنة ومائة سنة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم إلى الأرض وركب نوح ومن معه في السفينة لعشر خلوان من رجب وخرجوا منها في العاشر من المحرم فلذلك سمي يوم عاشوراء وأقاموا في الفلك سنة أشهر فلما هبط نوح ومن معه في الفلك سالمين صام نوح وآمن جميع من معه من الإنس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكراً لله تعالى ويقال إن نوحاً وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم في السفينة من دوام النظر إلى الماء فأمروا بالاكتمال يوم عاشوراء الذي خرجوا فيه من السفينة .

(عن ابن عباس) قال قال رسول الله ﷺ ومن اكتحل بالأمديوم عاشوراء لم ترمد عينيه أبداً ، فلما أخرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ من ناحية من الأرض الجزيرة موضعاً وابنى هناك قرية سموها سوق ثمانين لأنه كان ابني فيها لمن آمن معه وهم ثمانون فهي اليوم تسمى بسوق ثمانين فأوحى الله تعالى إلى نوح أنه لا يعود الطوفان إلى الأرض أبداً وعاش نوح بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة فكان جميع عمره ألف سنة إلا خمسين عاماً ثم قبضه الله تعالى إليه (ويروى) أنه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال (كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر) ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه ساماً وجعله ولي عهده وكان ولد له سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساماً وهو بكره فقال يا بني أوصيك بإثنين وأنهاك عن إثنين فأما اللذان أنهماك عنهما فلا إشراك بالله والكبر فإنه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر وأما اللذان أوصيك بهما فإني رأيتهما يكثران الولوج إلى الله تعالى قول لا إله إلا الله وسبحان الله فإن قول لا إله إلا الله لو جمعت السموات السبع والأرضون السبع لخرقتهما حتى تبلغ إلى ربها ولو جمعت لا إله إلا الله في كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع وما فيها وأوصيك بسبحان الله فإنها صلاة الخلق وبها يزقون .

(ذكر خصائص نوح عليه السلام)

وهي خمسة عشرة خصلة لم يسم أحداً من الأنبياء بإسمه وسمى بذلك لسكينة نوحه على نفسه وكان أول نبي من الأنبياء الشريعة وأول داع إلى الله تعالى وأول نذير عن الشرك وأول من عذبه أمته لردم دعوته وأهلك أهل الأرض كلهم بدعائه ويقال إن الله تعالى أوحى إليه بعد الطوفان إني خلقت خلقى وأمرتهم بطاعتي فانتكروا معصيتي فاشتد لذلك غضبي فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصني وعذبت بذنوب بني آدم جميع خلقى وقد حلفت إني لا أعذب بمثل هذا العذاب أحداً من خلقى بعدها ولكن جعل الدنيا دولا بين عبادي ثم أجزيهم بأعمالهم إذا اجتمعوا عندي وكان عليه السلام أطول الأنبياء عمراً وقيل له أكبر الأنبياء وشيخ المرسلين وعمر ألف

سنة ولم ينفص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبلغ أحد من الرسل في الدعوة مثل ما يبلغ
وكان يدعو قومه ليلاً ونهاراً وإعلاناً وسراً ولم يلق نبي من أمته من الضرب
والشتم والأذى والجفاء مثل مالقى فلذلك قال الله تعالى (وقوم نوح من قبل إنهم
كانوا قوماً فاسقين .

وجعل ثمانى المصطفى ﷺ في الميثاق والوحي قال الله تعالى (ولما أخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح) وقال تعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين
من بعده) هو في البعث أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة بعد محمد ﷺ وأعطاه
الفلك وعلمه صنمته وحفظه بما فيه وأجره فوق الماء وسماه شكوراً فقال تعالى
(ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً) وأكرمه بالسلامة والبركة فقال
تعالى (يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) الآية .

(قال) محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام وكل مؤمن ومؤمنة إلى
يوم القيامة وجعل ذريته هم الباقين فهو أول البشر وأصل النسل .

(وروى) عن الحسن بن سمرة بن جندب قال قال رسول الله ﷺ و ولد
نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السور
ويافث أبو الترك ويأجوج وماجوج (قال) عطاء ودعا نوح على حام أن لا يعدو
شعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيد الولد سام ويافث فلما هبط نوح
وذريته من الفلك قسم الأرض بين ولده أثلاثاً فجعل لسام وسط الأرض ففيها
بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسينحون وجيهون وذلك ما بين قيسون إلى
شرق النيل وبين بحري الجنوب إلى بحري الشمال وجعل لحام قسمه غرب النيل وما بين
بحري ريج الجنوب وما وراء إلى سينحون إلى بحري ريج الدبور وجعل قسم يافث
من قيسون فما وراء إلى بحري الصبا فذلك قوله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين
وتركناه عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه
من عبادنا المؤمنين) :

(م ٥ -- قصص الانبياء)

(مجلس في قصة هود عليه السلام)

قال الله تعالى (وإلى عاد أعاهم هوداً) (تتقون) وهو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وهو عاد الأول وكانوا ينزلون اليمن وكانت منازلهم بالشجر والاحقاف كما قال الله تعالى (را ذكر أعاهاد إذ أنذر قومهم بالاحقاف وقد خلت النذر) الآية وهو رمال يقال له رمل عاج وهو ما بين عمان إلى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فسدوا في الأرض وكثروا وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة ما لم يعط غيرهم كما قال الله تعالى (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة) أى عظماً وطولاً وقوة وشدة .

وقال محمد بن إسحق بن يسار وهود بن عامر بن شالح بن أرخشذ بن سام بن نوح وولد لشالح عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة فأمرهم هود أن يوحدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه إلهاً غيره وأن يكفوا عن ظلم للناس ولم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك فأبوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنوا المصانع وبطشوا فيها بطش الجبارين كما قال تعالى (أتبنون بكل آية تعيشون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين) فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى أضربهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيئته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم ليجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة عارف بحرمتها وسكانها عند الله تعالى وأهل مكة يومئذ العالقي وإنما سموا العالقي لأن أباهم عالق ابن سام بن نوح وكان سيد العالقي وإذا ذلك بمكة رجلاً يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية اسمها فاهدة بنت اجبيري رجل من عاد فلما قحط المطر هز عاد جهودوا وقالوا جهزوا منكم وفداً إلى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا منهم قيل بن عنز والقيم بن هزال بن هزيل وعبيل بن ضد بن عاد الأكبر ومرئذ بن عفير وكان مسلماً كتم إسلامه وجهامة بن الخبيري .

قال معاوية بن بكر ثم بعثوا أيضاً لقمان بن عاد بن ضد بن عاد الأكبر فالطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رطل من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلاً فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصحابه فاقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قيتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهراً ومقامهم شهراً فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومه يستغيثون من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالي وأصحابي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيقي والله ما أدرى كيف أصنع بهم فاستمعى أن أمرهم بالخروج إلى ما بعثوا إليه فيظنون أنه ضيق من مقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً فشكا ذلك من أمرهم إلى الجرادتين فقالتا له قل شعراً تغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر :

ألا يا قبيل ويحك قم فهينم	لعل الله يمنحنا غلاما
فتمسقى أرض عاد إن عاداً	قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس ترجوا	به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهموا بخير	فقد أمست نساؤهموا عيامي
وإن الوحش يأتيتهم جهاراً	ولا يخشى لهادى سهاماً
وأنتم ههنا فيم اشتقيتم	نهاركموا وليلكوا تماماً
فقمح وفدهم من وفد قوم	ولا لقوا النجاة والسلاما

فلما غنمهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم إنما بعثكم قومكم يستغيثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرراً لأنكم والله لا تسقون بدعائكم وإن أسكن إن أطعتم نبيكم وأنبتكم إلى ربكم سقيتم فأظهر إسلامه عند ذلك وقال جهامة بن الخبيري خال معاوية حين سمع قوله وعرف أنه قد اتبع دين هود عليه السلام

أيا سعد فإنك من قبيل	ذو كرم وأمك من ثمود
فإننا لا نطيعك ما بقينا	ولسنا فاعلين لما تريد

أنا أمرنا لنترك دين رفد ورمل وآل ضد والعبود
ونترك دين أباء كرام ذوى رأى وتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر وكان شيخاً كبيراً أحببنا عنا مرثد بن سعد
حتى يقدم معنا مكة فإنه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا إلى مكة يستسقون
لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم بمكة
قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا إليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد
أخذوا يدعون لجعل يقول اللهم اعطني سؤلى ولا تدخلني في شيء مما يدعو وقد عاد
وكان قيل بن عذر رأس وفد عاد قد أمرهم أن يؤمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم اعط
قبلاً ما سألك واجعل سؤالنا مع سؤاله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد ولم
يدخل في دعوتهم فقال اللهم إني جئتك وحدى في حاجتى فاعطني سؤلى .

وقال قيل بن عذر حين دعا واستسقى اللهم لم أجىء لمريض فأداويه ولا لاسير
فأفاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم يا إلهنا إن كان هود صادقاً فاسقنا فإننا قد
هلكنا فأنشأ الله سبحانه ثلاث واحدة بيضاء واحدة حمراء واحدة سوداء
ناداه من السحاب ألا يا قيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحب الثلاث
فقال قيل اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماء فتاداه المنادى يقول
اخترت يا قيل رماداً رمداً فلم تبق من آل عاد أحداً لا والداً تتركه ولا ولداً
لأجعلهم رمياً همدلاً إلا بنوا اللويذة المهدا وبنو اللويذة رهط من هزال بن هزبل
ابن بكر وكانوا سكاناً بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد
الآخرة فساق الله السحابة السوداء التي اختارها قيل بما فيها من النعمة إلى عاد حتى
خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا
عارض بمطرنا فقال الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل
شيء بأمر ربها) أى كل شيء مرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنهار ريح
مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبذرت ما فيها من العذاب صاحت ثم صغقت
فلما أفاقت قالوا لها ما رأيت؟ قالت رأيت ريحاً فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها

(أخبرنا) الحسن بن محمد بن الحسين أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا الحسن بن علوة أنبأنا إسماعيل بن عيسى أنبأنا إسحاق بن بشر أنبأنا المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أوحى الله تعالى إلى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد ففعلت بهم ما بين مشارق الأرض ومغاربها فأوحى الله إليهم أن يرجعوا فخرجوا على حالها على قدر غمرته الخاتم وهي الحلقة قال فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً أي دائمة متتابعة فلم تدع أحداً من عاد إلا أهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين جلودهم ولذ به الأنفس وأنها من عاد لظعن فنجحهم ما بين السماء والأرض وتدهمهم بالحجارة حتى هلكوا قال محمد بن إسحاق السدي : بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض ففتبارت البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فأخرجتهم منها فهلكوا ، فلما أهلكهم الله تعالى أرسل عليهم طيورا سوداء لنلقهم في البحر فأنزلتهم فيه (قال) ابن بشار لما خرجت الريح على عاد من الوادي قال : تسعة رهط منهم أحدهم الخليلان وكان رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادي فزدها فجعلت الريح تدخل إلى تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمي به فيندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة يعرفونها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى (كأنهم أعجاز نخل خاوية) حتى لم يبق منهم إلا الخليلان فال إلى الجبل فأخذ بجانب منه فهزه فاهتز في يده ثم أنشأ يقول :

لم يبق إلا الخليلان نفسه يالك من يوم دهاني أمسه

فقال له هود ويحك يا خليلان أيسلم تسلم فقال مالي عند ربك إذا أسلمت ؟ قال الخليلان قال نعم هولا الذين أراهم في السحاب كأنهم البخت ؟ قال هود ذلك للامانة قال إن أسلمت أيقعدني وربك منهم لقومي قال ويحك هل رأيت ملائكة

يقيد من جنوده فقال لو فعل ما رضيت بفجاءات الريح فألحقته بأصحابه وأهلكته وأقنى الله عاداً سوى من بقي من قومهم بمكة ونواحيها .

قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فزلوا عليه فيدناهم عنده إذ أقبل رجل على ناقه في ليلة مقمرة من أنصار عاد فأخبرهم بهلاك عاد فقالوا له أين فارقت هوداً وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكلهم شكوا فيما حدثتهم به فقالت هرقة بنت بكر صدق ورب السكبة ومنصور بن يعقربن أخى معاوية بن بكر معهم قالوا وقد قيل لمرثد بن سمد ولقمان بن عاد وقيل بن عفر حين دعوا بمكة قد أعطيتهم مناهم فاختاروا لأنفسكم فقال مرثد اللهم اعطني برأاً وصدقة فأعطى ذلك وقيل قال اختار أن يصيبي ما أصاب قومى فقيل له هلاك فقال لا أياك لا حاجة لي في البقاء . بعد قومى فأصابه الذى أصاب عاد من العذاب فهلك وقال لقمان يا رب اعطني عمراً فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع بقرات سمان بمواظب عقر لا يمسه القطر أو عمر سبعة أنسر إذا مضى نسر حولت إلى نسر آخر فاستحق بقاء الأبقار واختار عمر النسور فعمر عمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرج حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته فيربيه حتى إذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى أتى إلى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلم يبق غير السابع .

قال ابن أح لقمان يا عم لم يبق من عمرك إلا هذا النسر فقال لقمان يا ابن أخى هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضى عمر لبد طارت النسور غداة من رأس الجبل ولم ينهض لبد فيها وكان نسور لقمان لا تغيب عنه قال فلما رأى لبد لم ينهض مع النسور ونام إلى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان في نفسه وهناً ولم يكن يجده قبل ذلك فلما انتهى إلى الجبل رأى نسر لبد واقفاً بين النسور فتناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات لقمان معه وفيه جرى المثل (أتى لبد على لبد) وقال النابغة الذبياني :

صحت قفاراً وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذى أخنى على لبد

وقال محمد بن إسحاق قال مرثد بن سعد حين سمع قول الراكب الذي أخبر
بهلاك عاد شعراً :

عطاشاً ما تبلهم السماء	عصت عاد رسولهم فأمنوا
فأردفهم مع العطش العناء	وسير وفدكم شهراً لينسقوا
على أنارهم عاد الصفا	بكمهم برهم جهارا
فإن قلوبهم قفر هواء	ألا نزع الإله حلوم عاد
وما تغنى النصيحة والشقاء	من الرب المهيمن إذا عصوه
لنفس نيلينا هود فداء	نفسى وإبتائى ولم ولدى
على ظلم وقد ذهب الضياء	أنانا والقلوب معميات
يقابله صدى والهاء	لنا صمى يقال له جهود
وأدرك من يكذبه الشقاء	فأبصره الذين له أنابوا
وإخوته إذا جن المساء	روانى سيوف الحيق آل هود

أخبرهم لأنه لحق هود ومن معه وبقي هود فاشاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون
سنة وقال أبو الطمیل عامر بن وائلة سمعت علياً رضى الله عنه يقول لرجل من
أهل حضرموت هل رأيت كميناً أحمر يخالطه مدرة حمراء وأراك وسدر كثيرة
بجانية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا أمير المؤمنين إنك لتعتبه لى نعت
رجل قدر آه قال لا واسكنى قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا أمير المؤمنين؟
فقال فيه قبر النبي هود عليه السلام .

أخبرنا أبو جحر وأحمد بن أبي العرابي أنبأنا المقيرة بن عمرو بن الوليد بمكة
في المسجد الحرام بين الركن والمقام أنبأنا الفضل بن يحيى الجندى أنبأنا يوسف بن
محمد أنبأنا يزيد بن أبي حكيم عن سفيان الثوري عن عطاء عن السائب عن عبد الرحمن
ابن سابط أنه قال قال بين الركن والمقام وزعم قبر تسعة وتسعين نبياً وأن قبر هود
وه صالح وشعيب وإسماعيل عليهم السلام في تلك البقعة .

(مجلس في قصة صالح عليه السلام)

قال الله تعالى (وإلى ثمود أخاهم صالحاً) وهو ثمود بن عامر بن لارم بن سام ابن نوح وهو أخو جدريس وأراد ههنا القبيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة ماؤها والتمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ما ذكر محمد بن إسحق بن يسار والسدي والكلبي ووهيب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخل كلام بعضهم في بعض أن عاداً الأولى لما أهلكهم الله تعالى وانقضى أمرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا في الأرض فلبوا فيموا وكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم ينفق المسكن من الحجر والندر فيندم وهو حصى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً فنحتوا منها وجابوها وجوفوها وكانوا في سعة من معاشهم .

كما قال الله تعالى (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتمتحنون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تمشوا في الأرض مفسدين) .

خالفوا أمر الله وعبدوا غيره فأفسدوا في الأرض فبعث الله إليهم صالحاً نبياً وهو صالح بن عبيد بن آصف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود وكانوا قوماً عرباً وكان صالح من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً فبعثه الله تعالى إليهم رسولاً فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فلم يتبعه إلا قليل مستضعفون فلما ألع عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه أن يرثيهم آية يكون صدقة لما يقول فقال اللهم أرهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم آية تريدون ؟ قالوا نخرج معنا إلى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون إليه بأصنامهم في يوم معلوم من السنة فدعوا إلهك وندعوا آلها فإني استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعنا فقال لهم صالح نعم ؛ فخرجوا بأثوابهم إلى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أولادهم وسألوها أن لا يستجاب لصلح في شيء مما يدعون به .

ثم قال جندع بن عمرو بن حواس وهو يومئذ سيد ثموديا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة يعني الصخرة المنفردة عن الجبال من ناحية الحجر يقال لها الكائبة ناقة مختبرجة جوفاء وراء عشراء والمختبرجة ماشاكت البخت من الإبل فإن فعلت ذلك صدقتك وآمننا بك فأخذ عليهم صالح الميثاق أنه إذا فعل ذلك صدقوا وآمنوا به .

ثم أن صالحاً عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمخضت الصخرة تمخض التوتج بولدها ثم تحركت الهضبة فصدمت عن ناقة عشواء جوفاء وراء كما سأله لا يعلم ما بين جديها إلا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت سقيا مثلبا في العظم فلما من به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن ينزوا بصالح ويقيموا عنده فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والخباب صاحباً وأوثانهم ورباب بن صمعر وكانوا من أشراف ثمود وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن خليفة فأراد أن يسلم فنهاهم أولئك الرهط فأطاعهم فقال رجل من ثمود :

وكأنت عصبة من آل عمرو	إلى دين النبي دعوا شهابا
عنز ثمود كلهم جميعاً	فهب أن يجيب ولو أجابا
فأصبح صالح فينا عزيزا	وما بدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولسكن الفؤاة من آل حجر	نالوا بعد رشهم ذؤابا

فلما خرجت الناقة قال صالح (هذه ناقة لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم) فمكثت الناقة ومعها سقيا في أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فسكانت ترعى الماء يوماً ولهم يوم فإذا كان يومها وضعت رأسها في بئر بأرض الحجر يقال له بئر الناقة فيرتفع الماء إليها فما ترفع رأسها إلا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتفجع ثم تروح عليهم فيحلبون من لبنها ماشاوا فيشربون ويدخرون ويلبثون أوانيهم لكن تصدر من غير الفج الذي وردت منه لأنها لا تقدر أن تصدر من حيث وردت لأنه يضيق عليها .

قال أبو موسى الأشعري أنبت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته سقين دفوعاً فإذا كان الغد من يومهم - شربوا - من الماء وقد أخرجه الله تعالى من البئر

وأدخروا ما شاؤا قدر كفايتهم في يوم الناقة وكانوا مع ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة في الصيف إذا كان الحر تطلع ظهر الوادي فتهرب منها أغنامهم وبقرةم وإبلهم وتبسط إلى بطن الوادي في حره وحدهم فكانت المواشي تنفر منها إذا رأتها إذا كان الشتاء سبقت الناقة في بطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهر الوادي في البر والحدة فأضر ذلك مواشيهم للبلاء والاختيار فكانت مراتهم الجبال فكبر ذلك عليهم حتى حلوا على الناقة فاحتلوا في عقرها .

وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنيم بن عثك وتكنى أم غنم وهي من بني عبيد بن المهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمر وكانت عجوزاً مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من الإبل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت الحيا بن مهر وكانت غنية جميلة ذات مواشي كثيرة وكانت هاتان المواتان من أسد الناس عداوة لصالح وكانتا تحتلان على عقور الناقة من كفرهما بصالح بما أضرتهما بمواشيهم وكانت صدوق عند ابن عبال لها يقال له صقيم ن هراوة بن سعد بن النضر يف بن هلال فأسلم حسن إسلامه وكانت صدوق قد وضعت إليه مالها فأنفقته على من أسلم من أصحاب صالح عليه السلام حتى نفذ المال فأطلع صدوق على إسلامه فعاتبته على ما فعل فأظهر لها دينه ودعاها إلى الله تعالى فأنت عليه وأخذت أولادها فقبيحتهم في بني عمها الذين هي منهم فقال لها زوجها ردي على أولادي فلما ألح عليها قالت حتى أحاكك إلى بني عمي وذلك أن بني عمه كانوا مسلمين فأبت أن تحاكمهم إليهم فقال لها بنو عمها والله لثمطينه ولده طائفة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته أولاده وكانت أوفر الناس جالا وأكثرهم مالا وأحسنهم كالا فأجابها إلى ذلك ودعت عنيزة قدار بن سالف أهل قدهح واسم أمه قديرة وكان رجلاً أشقر أزرق قصيراً ويزعمون أنه كان لوانية رجل يقال له صفوان ولم يكن لشاف ولكنه قد ولد على فراشه فقالت له يا قدار أعطيتك من بناتي أيما شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزاً في قومه وذكره رسول الله ﷺ «إذا ابعت أشقاها ورجل عزيز في قومه مثل أبي زمعة .»

قالوا فانطلق قدار ومصدع واستعانوا بمن استعانوا من ثمود فأتبهم سبعة نفر
وكانوا تسعة رهط كما قال الله تعالى (وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض
ولا يصلحون) فلقاهم هديات بن مبلخ خال قدار وكان عن يمينه من أهل الحجر ودعر
ابن شخيم بن داغرة أخى مصدع وخمسة لم يذكر أسماءهم فاجتمعوا على عقر الناقة .

قال السدي وغيره أوحى الله إلى صالح أن قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك
فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم إنه سيولد في شهركم هذا غلاما يعقرها ويكون
هلاكمكم على يديه فقالوا لا جرم لا يولد لنا في هذا الشهر ولد إلا اقتلناه فولد
التسعة منهم في ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا أولادهم وولد لهما شرابن فأبى أن يذبح
إبنه وكان بكره لم يولد له قبل ذلك شيء وكان ابن العاشر أزرق أحمر فذبت بهاتين
سريعتا وكان إذا مر بالتسعة ورأوه ندموا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان أبناؤنا
أحياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لأنه كان سبب قتل أولادهم
فقتلوهما بالله لنبيته وأهله قالوا نخرج فيرى الناس أنا قد خرجنا لسفر فأتى الغار
فتمكن فيه حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتيته فقتله ثم رجع إلى
الغار فتمكن فيه وتصرف بهد ذلك لرجاله فنقول ما شهدنا سبلك أهله وإنما
لصاحدقون فيصدقوننا ويظنون أنا قد خرجنا إلى سفر وكان صالح لا ينام الليل
معه في القرية وكان يأوى إلى مسجد يقال له مسجد صالح يبيت فيه بالليل فإذا
أصبح أتاهم ووعظهم وذكرهم فإذا أمسى خرج إلى المسجد فصلى فيه .

فلما دخلوا الغار وأصغروا أنهم يخرجون إليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم
صخرة من الغار فقتلتهم فانطلق رجال من كان قد اطلع على ذلك إلى الغار فإذا هم
رضخ فرجوا يصيحون في القرية يا عباد الله ما قنع صالح أن أمرهم بقتل أولادهم
حتى قتلهم فأجمع أهل القرية عقر الناقة .

(قال) ابن أبي عمير لما كان فيهم التسعة على تبذير صالح عليه السلام بعد
عقرهم الناقة ولما قدار صالح إليهم بالمعذلة وذلك أن التسعة الذين عقروا الناقة قالوا

هلم فلنقتل صالحاً فإن كان صادقاً كسنا عجلنا قتله وإن كان كاذباً كسنا ألحقناه بذاتفه
ليلاً فأتوه ليلاً ليبيتوه في أهله فرمته الملائكة بالحجارة فلما أبطلوا على أصحابهم
أنى أصحابهم منزل صالح فوجدوه مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا صالح
أنت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته وأخذوا السلاح وقالوا والله لا تقتلونه أبداً
فقد وعدكم بأن العذاب نازل بكم في ثلاث فإن كان صادقاً فلم تزيدوا ربكم عليكم
إلا غضباً وإن كان كاذباً فأنتم من وراء ما تريدون فأنصرفوا عنهم ليلتهم تلك .

(قال) السدى غيره فلما ولد ابن العاشر يعنى قدار وكان يشب في كل يوم
شباب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة شباب غيره في الشهر ويشب في الشهر شباب
غيره في السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيدون الشراب فأرادوا ماء يمزجون به
شربهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء شربه الناقة فاشتد عليهم ذلك
وقالوا ما نصنع باللبن ولو كسنا نأخذ الماء الذى تشربه هذه الناقة فنسقيه أفعالنا
وحرثنا كان خيراً لنا فقال ابن العاشر هل لكم أن أعقرها قالوا نعم .

(قال) ابن إسحق وغيره فاطلاق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا
الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل شجرة على طريقها وكمن لها
مصدع في أصل شجرة أخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة
ساقها وخرجت أم غنمة وعذيرة وأمرت لبيتها وكانت من أحسن الناس وجهاً
فترامت لقدار وأسفرت عن وجهها لو حرضته على عقر الناقة فشدد عليها بالسيف
فكشفت عرقوبها فأرداها وطعن في لبنها ونحرها ونحر ج أهل البلد واقتمسوها
وأكلوا لحما وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقيمها ذلك انطلق حتى أتى جبلاً
منيعاً يقال له ضوم وقيل لإسمه فارة .

وروى ذلك مسنداً عن رسول الله ﷺ من حديث شهر بن حوشب عن عمرو
ابن خارجة أتى صالح عليه السلام فقبل له أدرك غنماقتك قد عقرت فأقبل وخرجوا
يتلفونه ويعتذرون إليه ويقولون يابى الله إنما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم

صالح انظروا هل تدركون فصليها فإن أدركتموه فمسي أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا
يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا إليه ليأخذوه فأوحى الله إلى الجبل فتطاول في
السماء حتى لا تناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت
دموعه ثم دعا ثلاثاً وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام ليكل أمة
أجل فتمتعوا في داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب

قال محمد بن إسحق بن يسار اتبع الفصيل أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة
وفيهم مصداق وأخوه ذؤاب ولد مهرج فرماه مصدع بسهم فأنظلم قلبه ثم جره
برجله فأنزله وألقوا لحمه مع لحم أمه فقال له صالح عليه السلام انتم كنتم حومة الله
فأبشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا مستهزئين به متى ذلك يا صالح وما آية
ذلك وكان يسمون الأيام فيوم الأحد الأول والثنين أهون والثلاثاء ديار والاربعاء
جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شبار وفيه يقول الشاعر:

أومل أن أعيش وأن يرمي بأول أولي بهمون أول جبار
أو المردى ديار فإن أفقه فوق نيس أول عروبة أو الليثار

قالوا وكان عقور الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألهم عن
وقت العذاب آيته لمنكم تصبحون غرة مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم
العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة ثم تصبحون العذاب
يوم الأول فأصبحوا يوم الخميس ووجوهكم مصفرة كما ما ظلمت بالخلق صغيرهم
وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فأيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحاً قد صدقهم فطلبوه
ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام هارباً حتى لحق ببطن من ثمود كذبوا عنهم بتواغثم
قنول على رجل منهم يقال له نقيل وبكنى (أبا هذيل) وهو مشرك فقبض عليه فلم
يقدروا عليه فغدوا على أصحاب صالح يذبونهم ليدلواهم عليه فقال رجل من
أصحاب صالح يقال له مهدع بن هرم يا بني الله إنهم ليعذبوننا لأنك ظلم عليهم فأنفذهم

قال نعم فذهب عليهم عليه مبدع فأبوا هذب فسلطهم في ذلك فقال نعم هو عندي وليس
لكم إليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما أنزل الله تعالى بهم من عذابه
فجعل بعضهم يخبر بعضاً بما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد
مضى يوم الأجل فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم حمرة كأنما خضبت بالدم
فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أن العذاب واقع بهم فلما أمسوا فإذا وجوههم
مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعاً ألا قد حضركم العذاب .

فلما كان ليلة الأحد خرج صالحاً عليه السلام من بين أظهرهم وخرج معه من
آمن حتى جاؤا الشام فنزلوا رملة فلسطين فلما أصبحوا تسكفونوا وتحنطوا وكان
حنوطهم الصبر والمروءة وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم بالأرض فجعلوا
يقلبون أبصارهم إلى السماء مرة وإلى الأرض مرة ولا يدرون من أين يأتيهم
العذاب فلما اشتد الضجى من يوم الأحد أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل
صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الأرض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق
فيهم صغير ولا كبير إلا هلك كما قال عز وجل (فأصبحوا في دارهم جاثمين) كأن
لم يغفوا فيها إلا إن ثمود كسفروا ربهم ألا بعداً لنمود) ولم ينبج منهم إلا جارية
مقعدة يقال لها ذريعة بذت شاف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق لها
رجليها بعد ما عاينت العذاب أجمع فخرجت كأسرع شيء يكون حتى أتت قرحاً
وهو وادي القرى حد ما بين الحجاز والشام فاخبرتهم بما عاينت من العذاب وما
أصاب ثمود ثم استسقت من الماء فلما شربت ماتت .

(وروى) أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي ﷺ بالحجر في
غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد هذه القرية ولا تشربوا من ماءها ولا
تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تسكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم ثم
قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوهم الآيات
فبعث الله لهم الناقة .

وقال أهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك أنه انتقل من الشام إلى مكة بعد ما أهلك الله تعالى قومه وكان يعبد الله تعالى هناك حتى مات وكان قد أقام في قومه عشرين سنة .

(أخبرنا) محمد بن عبد الله بن محمد الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قتيبة أبو عثمان عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله ﷺ يا علي أتدرى من أشقى الأولين قال قلت الله ورسوله ألم قال حافر الناقة قال يا علي أتدرى من أشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله أعلم قال قاتلك والله أعلم .

(مجلس في قصة إبراهيم عليه السلام والنمروذ)

وهو إبراهيم بن تازخ بن ناحور بن ساروخ بن ادغو بن قالع بن طابر بن شالح بن قيثان بن أرخشند بن سام بن نوح وكان لاسم أبي إبراهيم الذي سماه به أبوه تازح فلما صار مع النمروذ قيعاً على نخزائن آلهته سماه آزر وقال بجاهد إن آزر ليس لاسم أبيه وإنما هو لاسم صنم وقال ابن إسحاق ليس لاسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى معوج وقيل هو بالقبطية الشيخ الهرم وولد لناخور تارخ بعد ما مضى من عمره سبع وعشرين سنة وهذا المجلس يشتمل على أبواب والله أعلم .

(الباب الأول في مولد إبراهيم عليه السلام)

اختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من أرض الأهواز وقال بعضهم كان مولده ببال من أرض السواد بناحية يقال لها كوثا وقال بعضهم كان مولده بالوركاء بناحية حدود كسكر ثم نقله أبوه إلى الموضع الذي كان به نمروذ من ناحية كوثا وقال بعضهم كان مولده ببحران ولكن نقله أبوه إلى أرض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم ولد إبراهيم عليه السلام في زمن نمروذ بن كنعان وكان بين الطوفان وبين مولد إبراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة ونمروذ بن كنعان بن سنجار يب بن كوش بن حام

ابن نوح (ويقال) ملك الارض أربعة : مؤمنان وكافران ، فأما المؤمنان فإسحاق
ابن داود وذو القرنين عليهما السلام ، وأما الكافران فنمروذ وبختنصر ، وكان
نمروذ أول من وضع على رأسه التاج وتيجر في الارض ودعا الناس إلى عبادته ؛
وكان له كهان ومنجمون فقالوا له إنه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل
الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال إنهم وجدوا ذلك في
كتب الانبياء .

(وقال السدي) رأى نمروذ في منامه كأن كوكباً طلوع فذهب بضوء الشمس
والقمر حتى لم يبق لها ضوء ففرغ فرغاً شديداً ودعا السحرة والكهنة والفاقة وهم
الذين يخطون في الارض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك هذه
السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه قال فأمر نمروذ بذبح كل غلام
يولد في تلك الناحية تلك السنة وأمر بمنزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة
رجلاً رقيباً أميناً فإذا حاضت المرأة خلى بينه وبينها إذا أمن الموافقة فإذا طهرت
حول الرجل عنها فرجع أزراً أبو إبراهيم فرجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع
عليها في طهرها فحملت بإبراهيم عليه السلام .

(وقال) محمد بن إسحق بعث نمروذ إلى كل امرأة حبلى بقريته فخبى عنها عنده
إلا ما كان من أم إبراهيم فإنه لم يعلم بحبلها وذلك أنها كانت جارية حديثة السن
لم تعرف الحبل ولم بين في بطنها .

(قال ابن عباس) لما حملت أم إبراهيم قال السكهان للنمروذ إن الغلام الذي
أخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فأمر نمروذ بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم
إبراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطالع عليها فيقتل ولدها فوضعت
في نهر يابس ثم لفته في خرقه ووضعت في حلفاء ورجعت فأخبرت زوجها بإيبتها وأنها
قد ولدت في موضع كذا فإطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سرباباً عند
نهر فوارة وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف إليه فترضعه .

(وقال السدى) لما عظم بطن أم إبراهيم خشي آزر أن يذبح فانطلق بها إلى أرض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فأنزلهما في سرداب من الأرض وجعل يتعمدها ويكتم ذلك عن أصحابه فولدت إبراهيم عليه السلام في ذلك السرداب فحشب فمكان وهو ابن سنة كما بن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة أسقطت طمع الذباحين ثم ذكر آذر لأصحابه أن له ابناً فانطلق به إليهم .

(قال ابن إسحق) لما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلة إلى مغارة وكانت قريبة منها فولدت فيها إبراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصلح المولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت إلى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فتجده حياً يمص إبهامه (قال أبو زريق) كانت أم إبراهيم كلما دخلت على إبراهيم عليه السلام وجدته يمص إبهامه فقالت ذات يوم لأنظرن إلى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبناً ومن أصبع عسلاً ومن أصبع سمناً .

(قال ابن إسحق) وكان آزر سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت له غلاماً مات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على إبراهيم عليه السلام في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث إبراهيم عليه السلام في المغارة إلا خمسة عشر يوماً حتى جاء إلى أبيه آزر فأخبره أنه ابنه وأخبرته امرأته بما كانت صنعت في شأنه ففسر آزر بذلك وفرح فرحاً شديداً .

﴿ الباب الثاني في خروج إبراهيم عليه السلام من السرداب ورجوعه إلى قومه ﴾
(ومحاجته إياه في الدين وإلقاتهم إياه في النار وما يتعلق بذلك)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما شب إبراهيم عليه السلام وهو في السرداب قال لأمه من ربي ؟ قالت أنا قال فمن ربك ؟ قالت أبوك قال فمن رب أبي ؟ قالت له نمرود قال فمن رب نمرود ؟ قالت له أبسكت فسكت ثم رجعت إلى زوجها فقالت أرايت للغلام الذي يحدث أنه يغير دين أهل الأرض فإنه ابنك ثم أخبرته بما قال (م ٦ -- قصص الأنبياء)

لها فأتاه أبوه آزر فقال لإبراهيم عليه السلام يا أبتاه من ربى ؟ قال أملك قال فن رب أمى قال أنا قال فن ربك ؟ قال نمرود قال فن رب نمرود ؟ فطعمه اطمة وقال اسكت وذلك قوله تعالى (واقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) .

ثم قال لأبويه أخرجاني فأخرجاه من السرب فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر إبراهيم عليه السلام إلى الإبل والبقر والغنم والخيل يراح بها فسأل أباه ما هذه فقال لإبل وخيل وبقر وغنم فقال ما لهذه بد أن يكون لها رب خالق ثم نظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال إن الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لربى ماله إله غيره ثم نظر فإذا المشتري قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر شهر فرأى السكوكب قبل القمر فقال هذا ربى فذلك قوله تعالى (فلما جن الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال إننى لم يهدنى ربى لا كونه من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر) لانه رأى ضوءها أعظم (فلما أفلت قال يا قوم إني برىء مما تشركون إني وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض خনিفاً وما أنا من المشركين) قالوا وكان أبوهما يصنع الاصنام فلما ضم لإبراهيم إلى نفسه جعل يصنع الاصنام ويعطيها إبراهيم ليبيعها فيذهب بها إبراهيم عليه السلام فينادى من يشتري ما يضر ولا ينفع فلا يشتري أحد منه فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فضرب رؤسها وقال لها اشرى كسدت استهزاء بقومه بما هم عليه من الضلالة والجهالة حتى فشى عيبه إياها واستهزأوه بها في قومه وأهل قريته فحاجه قومه في دينه فقال لهم (أتجانونى فى الله وقد هدانى) الآيات إلى قوله عز وجل (وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ترفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم) حتى خصمهم وغلبهم بالحجة ثم إن إبراهيم عليه السلام دعا أباه آزر إلى دينه فقال (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً) إلى آخر القصة فأتى أبوه الإجابة إلى مادعا إليه ثم أن إبراهيم عليه السلام جاهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون وأظهر دينه فقال (أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباءكم الأقدمون فإنهم عدو لى لإلرب العالمين) قالوا فن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا أتعنى نمرود فقال إلا الذى خلقنى

فهبو يهدينى إلى آخر القصة ففشا ذلك فى الناس حتى بلغ نمرود الجبار فدعاه فقال له يا إبراهيم أرأيت إلهك الذى بعثك وتدعو إلى عبادته وتذكر من قدرته التى تمظمه بها على غيره قال ما هو؟ قال إبراهيم عليه السلام ربي الذى يحيى ويميت قال نمرود أنا أحيى وأميت قال إبراهيم كيف يحيى ويميت قال آخذ رجلين استوجبا القتل فى حكمى فأقتل أحدهما فأكون أمته ثم أغفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته فقال له إبراهيم عند ذلك إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأنت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمرود ولم يرجع إليه شيئاً ولزمته الحجة فذلك قوله عز وجل (فبهت الذى كفر) الآية ثم أن إبراهيم عليه السلام أراد أن يرى قومه نصف الأوثان التى كانوا يعبدونها من دون الله وعجزها إلزاماً للحجة عليهم فجعل ينتهم لذلك فرصة ويختال فيه إلى أن حضرهم عيد لهم .

قال السدى : كان لهم فى كل سنة عيد يخرجون إليه ويحتفلون فيه فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم عادوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم فلما كان فى بعض الطريق ألقى نفسه وقال لى سقيم أشتكى رجلى فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس (واتالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) فسمعوها منه .

وقال مجاهد وقتادة فإنما قال إبراهيم عليه السلام هذا فى سر من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد منهم وهو الذى أنشأه عليه قالوا ثم رجع إبراهيم عليه السلام من الطريق إلى بيت الآلهة فإذا فى البيت نهر مستقبل باب النهر صنم عظيم يليه أصغر منه إلى باب النهر وإذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعه بين يدي الآلهة وقالوا إذا كان حين رجوعنا فرجعنا وقد باركت الآلهة فى طعامنا أكلنا فلما نظر إبراهيم عليه السلام إلى الأصنام وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا نأكلون فلما لم يجبه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرباً باليمين وجعل يكسرهن بفأس فى يده حتى لم يبق إلا الصنم الأكبر فعلق الفأس فى عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل (فجعلهم جنداً ذلاً لا كبيراً لهم لهم لى إليه يرجعون) فلما جاء القوم من العيد

إلى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة قالوا (من فعل هذا بآلهتنا أنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتي يذكرهم يقال له إبراهيم) هو الذى نظمه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار وأشرف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلمهم يشهدون عليه أنه هو الذى فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة .

قال قتادة والسدى وقال الضحاك لعلمهم يشهدون بما نصنع به ونعاقبه فلما أحضروه قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال إبراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من أن تعبدوا معه هذه الأصنام الصغار وهو أكبر منها فكسرهن فأسألوهم إن كانوا ينطقون قال النبي ﷺ دلم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات كلها فى الله تعالى وقوله إنى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذى عرض أسارة هى أختي) فلما قال إبراهيم ذلك رجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون هذا الرجل فى سؤالكم إياه وهذه آلهتكم التى فعل بها ما فعل حاضرة فأسألوها وذلك قول إبراهيم عليه السلام فأسألوهم إن كانوا ينطقون فقال قومه ما نراه إلا كما قال (قيل) إنكم أنتم الظالمون بعبادتكم الأوثان الصغار مع هذا الكبير ثم فكسوا على رؤسهم متجبرين فى أمره وعلوا أنها لا تنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة عليهم لإبراهيم عليهم السلام قال لهم (أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف أنتم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب (قالوا حوقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين) .

قال ابن إسحق كانوا يجمعون الحطب شهراً حتى إذا كثرت الحطب وجمعوا منه ما أرادوا وأشعلوا النار فى كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى إن الطير لير بها فيحترق من شدة وهجها ثم عمدوا إلى إبراهيم عليه السلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقاً بإشارة إبليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من إلقائه فى النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيداً مغلولاً صلوات الله عليه فضجت السموات والأرض والجبال ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين ضجة واحدة وقالوا أى ربنا إبراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره

يحرق في النار فاذن لنا في نصرته فقال الله تعالى لهم إن استعان بشيء منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت لكم في ذلك وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيلي وبينه فلما أرادوا لقائه النار أتاه ملك المياه فقال إن أردت أنأخذت النار فإن المياه والامطار بيدي وأناه حازن الريح فقال إن شئت طيرت النار في الهواء فقال إبراهيم عليه السلام ولا حاجة لي إليكم ثم رفع رأسه إلى السماء فقال اللهم أنت الواحد في السماء ليس في الأرض أحد يعبدك غيري .

وروى المعتمر عن أبي بن كعب عن أرقم (أن إبراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه في النار لا إله إلا أنت سبحانه رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك) ثم رموا به في المنجنيق إلى النار في موضع شاسع فاستقبله جبريل عليه السلام فقال يا إبراهيم ألك حاجة قال أها إليك فلا قال جبريل فبسل ربك فقال إبراهيم عليه السلام حسبي من سؤالي علمه بحالي حسبي الله ونعم الوكيل وفي الخبر (أن إبراهيم عليه السلام إنما نجى بقوله حسبي الله ونعم الوكيل) قال الله عز وجل (يا نازكوني برداً وسلاماً على إبراهيم) .

قال السدي فأخذت الملائكة بصبي إبراهيم فأقعدته على الأرض فإذا عين ماء ورد أحمر ونرجس قالوا فأقام إبراهيم في النار سبعة أيام قال المنهال بن عمر قال إبراهيم خليل الله ما كنت أياماً قط أنعم مني عيشاً من الايام التي كنت فيها في النار (قال ابن إسحق وغيره) وبعث الله ملك الظل في صورة إبراهيم عليه السلام فقعد فيها إلى جنب إبراهيم وهو مؤنس فأناه جبريل عليه السلام بمقيص من حرير وقال يا إبراهيم إن ربك يقول أما علمت أن النار لا تضر أحبابي وألبسه القميص ثم أشرف نمرود من صرح له عال ونظر إلى إبراهيم عليه السلام وما يشك أنه قد هلك فرآه جالساً في روضة ورأى الملك قاعداً إلى جنبه وحوله نار تحرق ما جمعوا من الخشب فناداه نمرود يا إبراهيم كبير إهلك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار حتى لم تضر يا إبراهيم فهل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فهل تخشى إن أقمت فيها أن تضرك قال لا قال فقم اخرج منها فقام إبراهيم عليه السلام

يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج منها قال له التروذ ما الذي رأيته معك في مثل
حضورك قاعداً إلى جانبك قال ملك الظل أرسله إلى ربى ليؤنسنى فيها .

(قال الشعبي) ألقى إبراهيم عليه السلام في النار وهو ابن ست عشرة سنة
وذبح إسحق وهو ابن سبع سنين وولده سارة رضى الله عنها وهى ابنة تسعين سنة
وكان مذبحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد ياسحق بقيت يومين
وماتت في اليوم الثالث .

(قال ابن إسحق) استجاب لإبراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا
ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه برداً وسلاماً على نخوف من نمرود
وملثمهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو
أخو إبراهيم عليه السلام وكان لها أخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ فهاران أبو لوط
وناحور أبو تنويل وتنويل أبو لابان ورفقا بنت تنويل امرأة إسحق بن إبراهيم
آم يعقوب وليا ورا حيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وآمنت أيضاً
به سارة وهى بنت عمه وهى سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم عليه السلام .

(قال السدى) كانت سارة بنت ملك حران ، وذلك أن إبراهيم ولوطاً عليهما
السلام انطلقا قبل الشام فلقى إبراهيم سارة هى بنت الملك حران ، وكانت قد
ظفقت على قومها في ذنبهم فتزوجها إبراهيم عليه السلام على أن لا يضرها .

(قال ابن إسحق) خرج إبراهيم عليه السلام من كوثا من أرض العراق
مهاجراً إلى ربه عز وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى
(فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربى) فخرج حتى نزل حران فمك بها ما شاء
الله تعالى أن يمك ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر إلى الشام فنزل
الأسبوع من أرض فلسطين وهى برية الشام ونزل لوط بالمؤتة فهك وهى من السبع على
مسيرة يوم وليلة فبعثه الله نبياً فذلك قوله عز وجل (ونجينا لوطاً إلى الأرض التى
نباركنا فيها للعالمين) يعنى الشام فبركتها أن بعث منها أكثر الانبياء وهى الأرض

المقدسة وأرض المحشر والمذمور وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله
المسيخ الدجال بباب لد وهي أرض خصبة كثيرة الأشجار والأنهار والثمار يطيب
فيها العيش للغنى والفقير .

(الباب الثالث في مولد إسماعيل وإسحق عليهما السلام)
(ونزول إسماعيل وأمه هاجر الحرم وقصة بثر زمزم)

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما نجا الله خليله إبراهيم عليه السلام آمن به من
آمن وتابعوه على فراق قومهم وإظهار البراءة منهم فقالوا (إنا برآء منكم وما
تعبدون من دون الله كسفرأ بكم) أيها المعبودون من دون الله كسفرأ بكم (أيها
المعبودون من دون الله) وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء (أيها العابدون) حتى
تؤمنوا بالله وحده) ثم خرج إبراهيم عليه السلام مهاجراً إلى ربه وخرج معه لوط
عليه السلام وتزوج إبراهيم عليه السلام بإبنة عمه سارة فخرج بها يلتمس القرار
بدينه والأمان على عبادته لربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ثم
خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الأولى وكانت سارة
من أحسن النساء وأجملهن وكانت لا تعصى إبراهيم عليه السلام في شيء وبذلك
أكرمها الله .

قال فأتى الجبار رجل وقال له إني ههنا رجل معه امرأة من أحسن النساء
ووصف له حسننها وجمالها فأرسل الجبار إلى إبراهيم عليه السلام فجاء فقال ما هذه
المرأة منك فقال هي أختي ونخوف إن قال هي امرأتى أن يقتله فقال زينها وأرسلها
إلى حتى أنظر إليها فرجع إبراهيم إلى سارة عليها السلام وقال لها أن هذا الجبار
قد سألتني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تسكني بيني عنده فإنك أختي في كتاب الله عز
وجل أنه ليس في هذه الأرض مسلم غيري وغيرك .

ثم أقبلت سارة إلى الجبار وقام إبراهيم عليه السلام يصلي فلما دخلت عليه
ورآها أهوى إليها ليتناولها بيده فمبست يده إلى صدره فلما رأى الجبار ذلك عظم

أمرها وقال لها سلى ربك أن يطلق يدى فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم إن كان صادقا فأطلق يده فأطلق الله تعالى يده .

(وفى بعض الاخبار المسندة) أنه فعل ذلك ثلاث مرات بقصد أن يتناولها مقتبىس يده فلما رأى ذلك ردها إلى إبراهيم ووهب لها هاجر وهى جارية قبطية فقابلت إلى إبراهيم فلما أحس بها إبراهيم أنفتل من صلاته قال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر الباغى بما رأى ، قال محمد بن سيرين كان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله ﷺ قال فتلك أمكم يا بنى ماء السماء .

(وفى بعض الاخبار) أن الله تعالى رفع الحجاب بين إبراهيم وسارة حتى كان ينظر إليها من وقت خروجها من عنده إلى وقت انصرافها إليه كرامة لها وتطييباً لقلب إبراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جارية ذات هيبة فوهبها سارة لإبراهيم فقالت إني أراها امرأة وضيفة نخذها لعل الله تعالى أن يرزقك منها ولداً وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسدت فوقع إبراهيم على هاجر فولدت له إسماعيل عليه السلام .

(وروى) محمد بن إسحق عن عبد الرحمن بن عبيد الله بن كعب بن مالك الأنصارى قال قال رسول الله ﷺ (إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً) .

قال ابن إسحق ففسدت الزهرى ما الرجم إلى ذكرها رسول الله ﷺ فقال : كانت هاجر أم إسماعيل منهم ثم خرج إبراهيم من مصر إلى الشام وهاب ذلك الملك الذى كان بها وأشفق من شره فزل السبع من أرض فلسطين واحتفر بها بئراً واتخذ بها مسجداً وكانت ماء تلك البئر معينا ظاهراً وكانت غنمه تردها فأقام إبراهيم بالسبع مدة ثم أن أهله آذوه فيها ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وليليا يقال لها قطة فلما خرج من بين أظهرهم نصب ماء تلك العين وذهب فقدم أهل السبع جميعاً على ما صنعوا وقالوا أخرجنا من بين أظهرنا رجلاً صالحاً فأنبعوا أثره حتى أدركوه وسألوه أن يرجع فقال ما أنا براجع إلى بلد أخرجت منه

قالوا إن الماء الذي كنت تشرب منه وتشرب معك منه قد نصب وذهب فأعطاهم سبعة أدنين من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فإنكم إذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معيناً ظاهراً كما كان فاشربوا ولا تقرّبوا امرأة حائض فخرجوا بالأدين .

قال فلما وقفت على البئر ظهر الماء فمكثوا يشربون منها وهي على تلك الحال حتى أتتها امرأة طامث فاشترفت منها فركد ماؤها إلى الذي عليه اليوم وأقام إبراهيم عليه السلام ببلده وكان يضيف من نزل به وقد أوسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم فلما أراد الله تعالى ذلك قوم لوط عليه السلام بعث إليه رسلة يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم وأمرهم أن يبدؤوا بإبراهيم عليه السلام وبشروه وسارة بإسحق ومن وراءه إسحق ويعقوب فلما نزلوا على إبراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوماً حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل إلا مع ضيف ما أمكنه فلما رآهم على صورة الرجال سر بهم ورأى ضيوفاً لم يصف مثلهم حسناً وجالاً فقال لا يخرج هؤلاء أقوم إلا أنا فخرج جاء بمجلى سجين حنيد وهو المشوى بالحجارة فقربه إليهم فأمسكوا أيديهم عنه فقال لهم ألا أنا نكون (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكروهم وأوجس منهم خيفة) حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا إبراهيم لا تأكل طعاماً إلا بشئ قال فإن لها ثمناً قال وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحمده وتقرّبوا إلى منظر جبريل إلى ميكائيل عليهما السلام قال يحق لهذا أن يخذله ربه خائلاً ثم قال له لا تحف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأتهم سارة قائمة بخدمةهم وإبراهيم قاعدهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشروه بإسحق ويعقوب مضكت سارة واخفاف العلاء في العلة الجالبة اضحكها ما هي فقال السدى إنما مضكت سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم وقالت يا عجبا لا ضيافنا هؤلاء أنا نخدّمهم بأنفسنا نكرمه لهم وهم لا يأكلون طعامنا .

(قال السدى) قالت سارة لجبريل عليه السلام لما بشرها بالولد على حالة البكر ما آية ذلك فأخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فادّخر أخضر فقال إبراهيم هو الله إذا ذبح .

وقال مجاهد وعكرمة فضحكك أى حاضت فى الوقت تقول العرب ضحكك الارب
إذ حاضت وقال السدى وابن يسار وغيرهما من أهل الاخبار فحملت سارة ياسحق
وقد كانت حملت هاجر بإسماعيل فوضعتا معاً وشب الغلامان فبينما هما يتناضلان
ذات يوم وقد كان إبراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق إسماعيل فأخذه وأجلسه
فى حجره وأجلس إسحق إلى جانبه وسارة تنظر إليه ففضيت وأخذها ما يأخذ
النساء من الغيرة فحلفت لتقطع بضعة منها ثم ثاب إليها عقلها .

فقال لها إبراهيم عليه السلام اخفضيها وانقضى أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة
فى النساء ثم أن إسماعيل وإسحق عليهما السلام افتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان
ففضيت سارة على هاجر وقالت لا تساكفني فى بلد واحد وأمرت إبراهيم عليه
السلام أن يعزلها عنها فأوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام أن يأتى بهاجر ولبنها
مكة فذهب بها حتى قدم مكة وهى إذ ذاك عذراء وسلم وبعث إليها خارج مكة أناس
يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ ربوة حراء فقال لإبراهيم عليه السلام لجبريل
عليه السلام ههنا أمرت أن تضعها قال نعم فعمد بهم إلى موضع الحجر فأنزلهما
فيه وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ عريشاً ثم قال (ربنا إني أسكنت من ذريتى
بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس
تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات انهم يشكرون) ثم انصرف فأتبعته هاجر
وقالت إني من تسكننا فجعل لا يرد عليها شيئاً فقالت الله أمرك بهذا ؟ قال نعم ،
فقالت إذا لا يضيئنا ثم انصرف راجعاً إلى الشام .

وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنقد الماء فعطشت وعطش الصبي فنظرت أى
الجبال أدنى من الأرض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتاً أو ترى إنسياً
فلم تسمع شيئاً ولم تر أحداً ثم لأنها سمعت أصوات سباع الوادى نحو إسماعيل
فأقبلت إليه مهرولة بسرعة ثم سمعت صوتاً نحو المروءة فسمعت وهى تزيد السعى
كالإنسان المجهود فهى أول من سمى بين الصفا والمروءة ثم صعدت إلى المروءة
فسمعت صوتاً كالإنسان الذى يكذب سمعه حتى استيقظت وجعلت تدعو اسمع لبل
يعنى يا الله قد أسمعتنى صوتك فأغثنى فقد هلكت وهلك من معى .

فإذا هي بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت ؟ فقالت سرية لإبراهيم عليه السلام تركني وإني ههنا قال وإلى من وكلكما ؟ قالت وكلنا إلى الله تعالى قال لقد وكلكما إلى كريم كاف ثم جاء بهما وقد نفذ طعامهما وشرابهما حتى انتهى بهما إلى موضع زمزم فضرب بقدمه فقارت عين فلذلك يقال لزوم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت هاجر شاة لها وجعلت تسقى فيها وتدخره فقال لها جبريل عليه السلام أنها رى وجعلت أم لإسماعيل تحبسها حبساً .

قال رسول الله ﷺ (لولا أنها عجلت لسكانت زمزم معيناً) وقال لها جبريل لا تخاف الظم على أهل هذه البلدة فإنها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها أما أن أبا الغلام سيجيء فيبنيان لله تعالى بيتاً هذا موضعه ومرت رفقة من جرهم تريد الشام قرأوا الطير على الجبل فقالوا إن هذا الطير لحاتم على ماء فأشرفوا فإذا هم بالماء فقالوا لها جبرل إن شئت كسنا معك فمأ نساك والماء ماؤك فأذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة فلذلك كانت العرب تقول في تلييتهم :

لا هم أن جرهما عبادك الناس طارف وهم بلادك وهم قديماً عمروا بلادك فمكانوا هناك حتى شب لإسماعيل وماتت هاجر فتزوج لإسماعيل امرأة من جرهم وأخذ اسماهم فتعرب بهم فهم أولاده العرب المتعربة .

ثم أن إبراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يزور هاجر وإبنتها فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فقدم إبراهيم عليه السلام مكة وقد ماتت هاجر ويقال إنه قدمها راكباً البراق فلما قدمها ذهب إلى بيت لإسماعيل فقلنا لأمراً أنه أين صاحبك قالت ليس هنا ذهب يتصيد وكان لإسماعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان مولماً بالصيد فخص بالقص والفروسية والرمى والصراع فقال لها إبراهيم عليه السلام هل عندك طعام أو شراب قالت ليس عندي شيء وما عندي أحد فقال لها إبراهيم إذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب إبراهيم عليه السلام ودخل لإسماعيل فوجد ربح أبيه فقال لأمراً أنه قد جاءك أحد فقالت شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأه قال فا قال لك قالت قال فاقري زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فابث إبراهيم عليه

السلام ما شاء الله سم استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل فجاء إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يحيى الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة فقالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لها بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لسكان مكة أكثر أرض الله برأ وشهيراً وتمراً ثم قالت له انزل حتى أغسل رأسك وشيئك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعت قدميه عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقى أثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الايمن ثم جمعت المقام إلى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فقال إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء إسماعيل ووجد ربح أبيه فقال لامرأته هل جاء أحد قالت جاءني شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

(قال) أنس بن مالك رأيت المقام أثر أصابع إبراهيم عليه السلام وعقبه ولم يخص قدميه غير أنه أذهب مسح الناس بأيديهم .

(وأخبرنا) محمد بن أحمد بن عبدون قال أخبرنا محمد بن حمدون بن خالد حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا هدية بن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسح القرشي قال سمعت مسافر بن شيبه يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول شهد ثلاث مرات أني سمعت رسول الله ﷺ يقول (الركن والمقام يا قوتان من بواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس الله نورهما لضاء ما بين المشرق والمغرب) .

(الباب الرابع في القول على بقية قصة زمزم)

(روت الرواة) عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينما أنا نائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثانية جاءني فقال احفر درة قلت وما درة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فقال احفر المصونة فذهب عني فلما كان من الغد رجعت إلى منسجعي فتمت فجاءني فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم ؟ وكانت قد رست وغار ماقرها لما مضت أيام إسماعيل عليه السلام قال بئر يستقى الحجيج منه عند منحر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدل على موضعها وعرف أنه قد صدق ففدا بماله ومعه الحرث بن عبد المطلب وأيس له ولد غيره يومئذ فلما علمت به قريش قاموا إليه فقالوا يا عبد المطلب إنها من آثار آبائنا لإسماعيل وإن لنا فيها حقاً فأشركنا فيها فقال ما أنا بفاعل إن هذا شيء خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فأنصفنا فإننا غير تاركيك حتى نخاصك قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أخاصكم إليه قالوا كاهنة بني سعد بن هذيل قال نعم وكانت من أطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف فركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض إذ ذاك مفاوز فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفذ ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا لئنا بمفازة ولئنا نخشى على أنفسنا أن يصيبنا مثل ما أصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم قال لأصحابه ماذا ترون قالوا إن رأينا تبسع لرأيك فأمرنا بما شئت .

قال فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما يجد من القوة فمكل من مات دون صاحبه ودفنه في حفرة قال فحفروا وجلسوا يتذكرون الموت ثم قال عبد المطلب وما لنا لا نضرب في الارض فعسى الله أن يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون وتقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها فلما أن انبعثت به انفجرت من تحت حوافر دابة عبد المطلب عين ماء عذب فكبّر عبد المطلب وكبّر أصحابه ثم نزل فشرّب منه وشرّب أصحابه حتى رووا وملثوا

أسقيتهم ثم دعا القبايل من قريش فقال هلموا إلى الماء فقد سقانا الله تعالى ولما لم
فشربوا وسقوا ثم قالوا والله قضى الله عيناً يا عبد المطلب والله لا نخاضك في
زمزم أبداً إن الذي سقاك هذا الماء في هذه القلعة فهو ساقيك زمزم فارجع فرجع
ورجعوا معه حتى أوفوا مكة وخلوا بينه وبين زمزم ولما جن الليل رأى
عبد المطلب في منامه كأن قائلاً يقول له :

يا أيها المدح احفر زمزم إنك إن حفرتها لم تندم
وهي تراث من أبيك الأعظم تسقى الحجيج حافلاً لم ينقم
فلما سمعه عبد المطلب قال وأين زمزم ؟ قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب
الاعصم قال فعذا عبد المطلب ومعه ابنة الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر
عند الوثنين أساف وناثلة اللذين كانت قريش تعبدهما فجاء بالعمول وقام ليحفر
حيث أمر فقامت قريش وقالوا والله لا نترك أن تحفرها ووثنائها ومنحرفنا
عندها وكانت قريش - سدوة على ذلك لأنهم أخبروا أن جرهما لما سكنت مكة
أودعت في زمزم أموالاً وأسلحة للمصطفى ﷺ لما أخبر أن الله تعالى باع في
هذه القرية نبياً من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر
بذلك عبد المطلب نازعوه في ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه يحفر فربما يخطيء
الموضع فحفر غير بعيد فظهرت له العلامات فسكر ففرغوا أنه لم يخطيء فتبادى
حتى بلغ إلى تمثالين من ذهب هما الغزالان اللذان دفنهما جرهم ووجد فيها سيوفاً
ودروعاً فقالت له قريش يا عبد المطلب إنما معك في هذا شركة قال لا واسكن
نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف نصنع قال اجعلوا للسكبة قدحين ولى قدحين
ولسك قدحين فنخرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له قالوا
أنصفت فجعل قدحين أصفرين للسكبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين
أبيضين لقريش ثم أعطوا القداح التي تضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو
فخرج إليهما الأصفران على الغزالين للسكبة وخرج الأسودان على الأسياف
والأدراع لعبد المطلب وتخلف قدحاً قريش قال فعلق عبد المطلب الأسياف والأدراع
بباب السكبة وضرب في الباب الغزالين الذهب فكان أول ذهب حليت به السكبة

وكانت الرياسة والتقدمة لعبد المطلب قبل حفر زمزم فلما حفرها وأخرج منها
ما أخرج ازداد بذلك في قریش عظماً وجاهاً ومنزلة وعافاة الحجيح المياه التي
كانت بمكة ونواحيها وأقبلوا على زمزم لما كان من غدوبة مائها وليكونها من أثر
إسماعيل عليه السلام وافتخرت بنوعبد مناف على قریش وعلى سائر العرب والله أعلم

﴿ الباب الخامس في صفة بناء الكعبة وبده أمرها إلى وقتنا هذا ﴾

أخبرنا أبو عمر وأحمد بن أبي أحمد الغراني أخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن
الوليد المغربي بمكة حدثنا أبو سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم بن المفضل حدثنا
عبد الله بن أبي غسان اليماني حدثنا أبو همام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن
مهران عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام
ياقوتة من يواقيت الجنة والبيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف
ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة حذاء الكعبة وأن الله تعالى أهبط آدم
عليه السلام إلى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته وأنزل عليه
الحجر الأسود وهو يتلأل كأنه لؤلؤة بيضاء فأخذه آدم وضمه إليه استئناساً به
ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثاقهم فجعله في الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم
العصا ثم قال يا آدم تخط فتخطى فإذا هو بأرض الهند فسكت هناك ما شاء الله أن
يمكث ثم استوحش إلى البيت فقبل له حج يا آدم فأقبل يتخطى فصار موضع
كل قدم تربة وما بين كل ذلك مفاوز حتى قدم إلى مكة .

فقال آدم يا رب اجعل لهذا البيت عمارة يعمرونه من ذريتي فأوحى الله تعالى
إليه إني معمروه بنبي من ذريتك إسمه إبراهيم أنخذة خليلاً أفضى على يديه عمارته
وأهبط له سقايته وأورثه حله وحرمة ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه فلما
تفرغ من بناءه نادى يا أيها الناس إن الله تعالى بنى بيتاً فحجوه فاسمع ما بين الخافقين
فأقبل من يجمع هذا البيت من الناس يقول لبيك لبيك وقال ﷺ وأن آدم عليه السلام
سأل ربه عز وجل فقال يا رب أسألك لمن مات في هذا البيت من ذريتي لا يشرك

بك شيئاً أن تلحقه بي في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيئاً آمناً يوم القيامة .

روت الرواة بأسانيد مختلفة : أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض كان طوله سبعين ذراعاً ، فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك إلى الله عز وجل فأنزل الله تعالى يا قوتة من يوراقت الجنة فكانت موضع البيت الآن ، ثم قال يا آدم إني أهبطته لك بيتاً تطوف به كما يطاف حوله عرشي وتصلى عنده كما كنت تصلى عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام إلى مكة ورأى البيت فطاف به ،

(وروى) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام أن لي حرمًا بحيال عرشي فهنا لك أستجيب لك ولولئك من كان في طاعتي قال آدم رب كيف لي بذلك ولا أقوى عليه ولا أهتدي إليه فقيض الله ملسكاً فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام إذا مر بروضة وبمكان يعجبه قال للملك انزل بي ههنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمراناً وكل مكان تهداه مفاوز وقفار ثم بنى البيت فلم يفرغ من بناءه خرج الملك إلى عرفاته فأراه المناسك كلها التي يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعاً ثم رجع إلى أرض الهند فمات على تود .

قال أبو يحيى بائع القت قال لي مجاهد لقد حدثني عبد الله بن عباس أن آدم نزل حين هبط بالهند ولقد حجج منها أربعين حجة على رجله فقلت له يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأى شيء كان يحمله والله أن خطوته مسيرة ثلاثة أيام .

وقال وهب بن منبه أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض فرأى سعتها وأم يرفيها أحداً غيره قال يارب أما لهذه الأرض طامر يسبح بحمدك ويقديسك غيري قال الله تعالى إني سأجعل فيها من وادك من يسبح بحمدي ويقديسني وسأجعل فيها بيوتاً ترفع بذكري ويسبح فيها خلقي ويدكر فيها اسمي وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أخوه بكرامتي وأثره بإسمي وأسميه يلق وأنطقه بعظمي وعليه

وضعت جلالى ثم أجعل ذلك البيت حرمًا آمنًا يحرم بحرمة من حوله ومن تحته ومن فوقه فن حرمه بحرمة استوجب بذلك كرامتى ومن أخاف أهله فقد ضيع دينى وخسر ذمتى وأباح حرمتى أجعله أول بيت وضع للناس يأتونه شعئاً غبراً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .

(واختاف) العلماء فى كيفية بيان ذلك فقال بعضهم إن الذى خرج مع إبراهيم عليه السلام من الشام لدلائله على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل (ولذا بونا لإبراهيم مكان البيت) الآية قالوا جعل إبراهيم بنيه وإسماعيل يتأوله الحجارة وكان إبراهيم عبرانياً وإسماعيل عربياً فألهم الله تعالى أحدهما لسان صاحبه فكان إبراهيم عليه السلام يقول هب لى كيناً يعنى هات لى حجراً فيقول له إسماعيل هاك فخذ فبذلها السكينة من خمسة أجبل طور سيناء وطور زينا وابنان والجودى وبليت قواعده من حراء قال فبقى حجر فذهب لإسماعيل يبتغيه ثم رجع فوجده قد ركب حجراً فى مكانه فقال يا أبت من أناك بهذا الحجر فقال أتانى به من لم يكن لى لك ثم قال إبراهيم لإسماعيل اتنى بحجر حسن أضعه على الركن ليكون علماً للناس فناده أبو قبيس يا إبراهيم أن لك عندى ودعة فهاك فخذها فاخرج إبراهيم عليه السلام الحجر الأسود من جبل أنى قبيس وركبه فى موضعه فلما فرغ إبراهيم وإسماعيل من بناء البيت وأتموا دعوا رهما فذلك قوله تعالى (ولذا يرفع إبراهيم البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) إلى قوله (وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت الثواب الرحيم) فأجاب الله تعالى دعاءه وأرسل جبريل عليه السلام ليعلمهما مناسك الحج فصح بهما يوم التروية إلى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم بات بهما حتى أصبح الصباح ثم غدا بهما إلى عرفة فقام بهما هناك حتى إذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما إلى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموضع الذى يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما إلى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة

فوقف بهما على قزح حتى إذا أسفر الصبح أفاض بهما إلى منى فأراهما كيف يرميان الجمار وأمرهما بالذبح وأمرهما بالنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما إلى البيت

فأوحى الله تعالى إلى نبينا محمد ﷺ (أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) ثم أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج فقال يا رب وما يبلغ صدوقي ؟ فقال عليك الأذان وعلى البلاغ فعلا مبيراً ونادى يا عباد الله إن ربكم قد بنى بيتاً فحجوه وأجيئوا داعي الله فسمعه ما بين السماء والأرض وما بين الأبحر ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء فأجابه كل من آمن بالله من سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة لبنيك اللهم لبنيك .

(وقال) عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمر استقبل إبراهيم عليه السلام اليمين والمشرق والمغرب فدعا إلى الحج فقبل لبنيك اللهم لبنيك وذلك قوله وعز وجل (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) الآيات فلم يزل البيت على ما بناه إبراهيم عليه السلام إلى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد ﷺ وذلك قبل مبعثه بخمس سنين فهدمت قريش السكبة ثم بنوها وكان السبب في ذكر علي ما ذكر محمد بن إسحق وغيره من أن السكبة كانت روضة فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لسقيفها وكان بمكة رجل قبضي نجار فبني لهم أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر السكبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار السكبة وكانوا يهابونها وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا كثرت وفتحت فهاها فكانوا يهابونها فبينما هي ذات يوم على جدار السكبة كما كانت تصنع فبعث الله طائراً فاقتطمها فذهب بها .

وقالت قريش إنا لنرجوا أن الله تعالى قد رضى ما أردناه من عمارة بيته وأن غنونا عاملاً رقيقاً وخشباً وقد كثرنا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار بخمس عشرة سنة فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمر وابن عمير ابن عامر بن مخزوم فتناول من السكبة حجراً فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه

فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائنا من كسبكم إلا طيباً ولا تدخلوا فيها من مهر
بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم إن الناس هابوا هدمها فقال الوليد
ابن المغيرة أنا أبدأ لكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا ترد
إلا الخير ثم هدم من ناحية الركنتين فتربص الناس به في تلك الليلة وقالوا ننتظره
إِنْ أُصِيبَ لم نهدم منها شيئاً ورددناها كما هي وإن لم يصبه شيء فقد رضى الله
تعالى بما فعلناه فأصبح الوايد من ليلته غادياً على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى
انتهى الهدم إلى الأساس فأفضوا إلى حجارة خضر كأنها أسنة الإبل آخذة بعضها
ببعض فأدخل من قريش عتلة بين حجرين ليقلع أحدهما فلما تحرك الحجر
تحرك مكة بأسرها فعلموا أنهم قد انتهوا إلى الأساس .

وقالوا إن القبائل قد اجتمعت لبنائنا فجعلت كل قبيلة تجتمع على حديثها ثم
بنوا فلما بلغوا البنيان إلى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة أرادت أن
تضمه في صفة دون الأخرى حتى تجاروا وتخالفوا وتواعدوا للقتال ففريت
بنو عبد الدار حفنة مملوءة دماء ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب على الموت
وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم قسموا لهقة الدم بذلك فكشوا أربع ليال وأخمس
ليال على ذلك ثم أنهم اجتمعوا في المسجد وتشارروا وتناصفوا فزعم بعض
الرواة أن أبا أمية بن المغيرة وكان حينئذ أسن قريش كلها فقال يا معشر قريش
اجعلوا بينكم فيما تحتلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب هذا المسجد يقضى بينكم
فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه .

فكان أول من دخل عليهم محمد رسول الله فلما رآوه قالوا هذا محمد الأمين
اد رضىنا به فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال هلموا إلى ثوباً فأثروا به فأخذ
الركن فوضعه فيه بيده ثم لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ادفعوه جميعاً
ففعلوا به ذلك حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بنى عليه قالوا فكانت
السكبة كذلك على ما بنته قريش إلى أربع وستين من الهجرة حتى ساصر الحصين بن
نمير السكوني عبد الله بن الزبير فقتلوا البيت بالمنجنيق وجعلوا يرتجزون ويقولون

حجارة مثل النيق المزيـد ترمى بها عيدان هذا المسجد
وقال آخر منهم :
كيف ترمى صنيع أم قروة تأخذهم من الصفا والمروة

أم قروة لاسم منجنيق فالت حيطان السكعبة بما رميت به من حجارة المنجنيق
وأنها مع ذلك احترقت وكان السبب فيه أنهم كانوا يوقدون حولها فاقبلت شرار
هبت بها الريح فاحترقت باب السكعبة واحترق خشب البيت وقال بعضهم كان
السبب في ذلك أن امرأة كانت تبخر البيت فطارت شرارة من النار فاحترق البيت
وكان أول ما تكلم الناس في القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله وقال قوم
ليس من قدرة الله قالوا فهدم عبد الله بن الزبير السكعبة حتى سواها بالارض
وكان الناس يطوفون بها من وراء الاساس ويصلون إلى موضعها وجعل الحجر
الاسود في تابوت في خرقة من حرير وجعل ما كان من حلي البيت وما وجد فيه
من ثياب وطيب عند الحجر في خزانة البيت ثم أعاد بناءه .

وقال إن أمى أسماء بذت أبى بكر حدثتني أن رسول الله ﷺ قال لعائشة :
« لولا حداثة عهد قومك بالكفر لرددت السكعبة على أساس إبراهيم فإزى في
السكعبة الحجر وإن قريشاً أعوزتهم النفقة فأخرجوا الحجر من البيت ولجعت لها
بابين باباً شرقياً وباباً غريباً فأمر به الزبير فحفر فوجدوا قلاعاً أمثال الإبل
فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال أقررها على أساسها فبناها ابن الزبير وأدخل
فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر فكانت السكعبة
على ما بناها ابن الزبير إلى سنة أربع ومسعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفي
عبد الله بن الزبير وولى الحجاج من قبل عبد الملك بن مروان فبنقض الحجاج نفيان
السكعبة الذي كان بناء الزبير بأمر عبد الملك وأعادها إلى بنائها الأول بمشهد من
عشايج قريش فهي اليوم على ما بناها الحجاج .

(الباب السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده)

قال الله تعالى (فلما بلغ معى السبعى قال يا بنى لنى أرى فى المنام لنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) واختلاف السلف من علماء المسلمين فى الذى أمر إبراهيم عليه السلام بذبحه من بنيه بعد إجماع أهل الكتاب على أنه كان إسماعيل عليه السلام .

(وروى) شعبة عن إسحاق عن أبى الأحوص قال افتخر رجل عند عبد الله ابن مسعود قال أنا فلان بن فلان بن الأشياخ السكرام فقال عبد الله ذاك يوسف ابن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله .

(وروى) سفیان عن زيد بن أسلم عن عبيد الله بن عمير عن أبيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يا رب يقولون يا إله إبراهيم وإسحق ويعقوب فلم قالوا ذلك فقال إن إبراهيم لم يعذب بشيئاً قط إلا اختارنى عليه وإن إسحق جادلى بالذبح فهو بغير ذلك أجود إن يعقوب كلما زدت به بلاه زادنى حسن الظن

وروى حمزة بن الزيات عن أبى إسحاق عن أبى ميسرة قال قال يوسف عليه السلام لملك مصر أرغب أن تأكل معى وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله وقال الآخرون هو إسماعيل وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن عمرو وأبو الطفيل عامر بن وائلة وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف ابن مهران ومجاهد وكان الشعبي يقول رأيت قرنى السكيت منوطين بالسكبة .

(وروى) محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظى أنه كان يقول أن الذى أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من بنيه إسماعيل وأنا لجد ذلك فى كتاب الله تعالى فى قصة الحق عن إبراهيم عليه السلام وما أمر به من ذبح بنيه أنه إسماعيل وذلك أن الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبح من إبنى إبراهيم وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين وقال تعالى (فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق

يعقوب) يقول بابن وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح إسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ما وعده وما الذى أمر بذبحه إلا لإسماعيل .

وأما الرواة التى روت عنه ﷺ أن الذبيح إسماعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابى بإسناده عن الصحابى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكر روا أن الذبيح إسماعيل أو إسحق فقال على الخبر سقطتم كنت عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فقال يا رسول الله أعد على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله ﷺ فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحين فقال إن عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لربه إن سهل عليه أمرها ليدبحن أحد ولده قال فخرج السهم عبد الله فنهجه أخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل والثمانى لإسماعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفى القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على أنه إسحق فهو أن الله تعالى أخبر إبراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجراً إلى الشام مع سارة ولوط وقال لاني ذاهب إلى ربى سيهدين أنه دعا فقال ربى هب لى من الصالحين يعنى ولداً صالحاً من الصالحين وذلك قبل أن يعرف هاجر وقبل أن تصير له أم إسماعيل ثم أتبع ذلك الخبر عن إجابة دعوته وتبشيره بإياه بغلام حلیم وعن رقية إبراهيم أن يذبح ذلك الغلام الذى بشر به حين بلغ معه السعى وليس فى القرآن أنه بشر بولد ذكر إلا بإسحق .

وأما الدليل على أنه إسماعيل فما ذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبر أن قرنى الكلب كانا معلقين بالسكبية إلى أن احترق البيت فاحترق القرنان فى أيام ابن الزبير والحجاج وهذا ادل دليل على أن الذبيح إسماعيل ، وأما قصة الذبيح وصفته وفعل إبراهيم بإبنه عليهما السلام .

قال السدى بإسناده لما فارق إبراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجراً إلى الشام هارباً بدينه كما قال تعالى (لاني ذاهب إلى ربى سيهدين) دعا الله أن يهب له ابناً صالحاً من سارة (رب هب لى من الصالحين) فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين إلى المؤمنة بشروه بغلام حلیم فقال إبراهيم لما بشر به هو إذآ لله ذبيح

فلما ولد الغلام وبلغ معه السعى قيل له أوف بذرك الذى نذرت قرباناً إلى الله تعالى وكان هذا هو السبب فى أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام بذبح لابنه فقال إبراهيم عند ذلك لابنه إسماعيل تقرب قرباناً إلى الله تعالى وأخذ سكيناً وحبلًا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا أبت أين قربانك فقال (يا بنى لئى أرى فى المنام أنى أذبحك فأنظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تأمر مستجيدنى إن شاء الله من الصابرين) .

قال ابن إسحق كان إبراهيم إذا زار هاجر وإسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقبل بمكة ويرجع من مكة فيدعى عند أهله بالشام حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يامل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرمانه رأى فى المنام أن يذبحه فلما رأى ذلك قال لابنه يا بنى خذ هذا الحبل والمدية ثم انطلق إلى هذا الشعب لتحتطب فلما خلا إبراهيم لابنه فى شعب ثبير أخبره بما تأمر به وقال (يا بنى لئى أرى فى المنام أنى أذبحك) الآية فقال له لابنه الذى أراد أن يذبحه يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينضح عليها دمي فينقص أجرى وتراه أمتى فتحزن وأشحن شفرتك وأسرع بمر السكين على حلقي ليكون أهون للموت على فإن الموت شديد فإذا أتيت أمتى فاقرأها منى السلام فإن رأيت أن ترد فيبعي فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عنى .

فقال إبراهيم نعم العون يا بنى أنت على ما أمر الله به ففعل إبراهيم ما أمره لابنه ثم أنه أقبل عليه يقبله وهو يبكى الابن يبكى حتى استنبح الدموع تحت خده ثم أنه أوضع السكين على حلقه فلم يجزع ولم تعمل السكين شيئاً .

قال السدى وضرب الله صحيفة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا أبت كفى على وجهي فإنك إن تنظر إلى وجهي رحمتي وأدركتكم على رقة تحول بينك وبين أمر الله ففعل إبراهيم ذلك فذلك قوله تعالى (فلما أسلما وتله للجبين) ثم إنه وضع السكين على قفاه فأنقلبت ونودى (يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) الآية هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه ففطر إبراهيم عليه السلام فإذا هو

بجبريل عليه السلام ومعه كبش أعين أملح أقزن فنكبر الكبش وكبر إبراهيم
وكبر إبنه فذلك قوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) .

قال سعيد بن جبير وغيره وعن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة قدره
فيها أربعين خريفاً وروى عنهما أيضاً أن الكبش الذي فدى به عن إبراهيم هليهما
السلام هو الكبش الذي قرب هابيل بن آدم فقبل منه فارسل إبراهيم وأخذ
الكبش وأتى به المنحر من منى فدبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول
الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميازيب السكبة قد وحش يعني ببس .
وروى عمرو بن عبيد عن الحسن بن أبيه أنه كان يقول ما فدى إسماعيل
إلا بكبش من الأروى أهبط عليه بثبير وهى رواية أبي صالح عن ابن عباس
قال كان وعلا .

(وى) أبو هريرة عن كعب الأحبار وابن إسحق عن رجال قالوا لما
رأى إبراهيم فى المنام أن يذبح إبنه قال الشيطان والله نئن لم أفن أنا آل إبراهيم
ولما لم أفن أحداً منهم أبداً فشل لهم الشيطان رجلاً فأتى أم الغلام فقال لها
أندرين أين ذهب إبراهيم يا بئس قالت ذهب به ليحطب من هذا الشعب فقال
لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به منى وأشد حياء من ذلك
فقال لها إنه يزعم أن الله أمره بذلك فقالت له إن كان أمره بذلك فقد أحسن
فى امتثال طاعة ربه وفى استسلامه لأمر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هارباً
حتى أدرك الإبن وهو يمشى على أثر أبيه فقال له يا غلام هل يدرى أين يذهب
بك أبوك قال يحطب لأهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد إلا ذبحك قال
ولم ؟ قال يزعم أن الله أمره بذلك قال فليفعل ما أمره الله به فتبعها وطاعة لأمر
الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على إبراهيم فقال أين تريد أيها الشيخ ؟ قال
أريد هذا الشعب لحاجة لى فقال والله إنى أرى الشيطان قد جمادك فى منامك يا مرك
بذبح إبنك هذا فمر فدا إبراهيم فقال له إليك عنى يا ملعون فوالله لأمضين لأمر
ربى فرجع ابليس لعنه الله بغيط لم يصب من إبراهيم وأهله شيئاً بما أراد وقد
امتنعوا منه بعون الله وتأييده .

وروى أبو الطفيل عن ابن عباس رضى الله عنهما أن إبراهيم عليه السلام
أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فاسبقته فسبقه إبراهيم عليه السلام
ثم ذهب الى جرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم
عرض له عند الجرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجرة
السكرية فرماه بسبع حصيات ثم مضى الى إبراهيم عليه السلام لأمر الله تعالى
فهذه قصة الذبح وقال أمية بن الصلت الثقفي في ذلك شعراً :

ولا إبراهيم الموفى بنذر	احتساباً وحامد الأجزاء
يكره لم يكن ليصبر عنه	لو رآه في معشر اقتال
أى بنى أنى نذرتك لله شحيطاً	فاصبر فأنلك حال
واشدد العضد حين جبنى للسكين	جبن الأسير للأغلال
له مدية تحايل فى اللاحسم	غلاماً جبينه كالللال
بينما يخلع السراويل عنه	فككه ربه بكبش حلال
يتخذ ذا فدا لإبنك أنى	للذى فملتما غير قالى
ربما تجزع النفوس من الأمر	له فرجة كسكل العقال

(الباب السابع فى هلاك النروذ بن كنعان وما أحل الله تعالى به)
(من نكحته وقصة الصرح)

قال الله تعالى (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم
السيف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) .

(زوت الرواة) باسانيد مختلفة أن أول جبار كان فى الأرض النروذ بن كنعان
وكان الناس يخفون لآلهه ويمتارون لمن عنده الطعام فخرج اليه ابراهيم يمتار مع
من يمتار وكان النروذ اذا مر به الناس قال لهم من ربكم ؟ قالوا أنت حتم مر ابراهيم
قال من ربك قال ربي الذى يحى ويميت قال أهأحيى وأميت قال ابراهيم فإن الله
يأتى بالشمس من المشرق فات بهاء من المغرب فهبت الريح كفر ورد ابراهيم بفهم

طعام فرجع إبراهيم إلى أهله فرز بكشيب أعفر فقال لآخذن من هذا فأتى به أهلى
فتطيب به قلوبهم حين أن أدخل عليهم فأخذ إبراهيم منه فأتى به إلى أهله فوضع
مناعه ثم نام فقامت امرأته إلى مناعه ففتحتة فإذا هو بأجود دقيق رآته فأخذته
وصنعت منه طعاماً فلما أفاق قدّمته إليه وكان عمده أهله أن ليس معهم شيء ولا عندهم
طعام فقال لهم من أين هذا فقالت من الطعام الذى جئت به فعلم إبراهيم أن الله
رزقه فحمد الله وشكره .

ثم إن النروذ الجبار لما حاجه إبراهيم عليه السلام فى ربه قال إن كان مايقول
إبراهيم حقاً فلا انتهى حتى أعلم من فى السماء فبنى صرحاً عظيماً عالياً ببابل وقال
مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد إلى أربعة أفراخ من النسور فعلفها اللحم
والخبز ورباها حتى شبت واستفحلت ثم قعد فى تابوت ومعه غلام وقد دحل قوسه
ونشابه وجعل لذلك التابوت باباً من أعلاه وباباً من أسفله ثم ربط التابوت بأرجل
النسور وعلق اللحم على عصا فوق التابوت ثم دخل على النسور فطار وتصدت
طعمها فى اللحم حتى أبعدت فى الهواء فقال النروذ لفتاه افتح الباب الأعلى وانظر
إلى السماء هل قربنا منها ففتحت الباب الأعلى ونظر فإذا السماء على هيئتها ثم قال
افتح الباب الأسفل فانظر إلى الأرض كيف راها ففتحت فقال أى الأرض مثل
الحبة البيضاء والجبال كالدهان وطار النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها
وبين الطيران فقال لغلامه افتح الباب ففتحت الباب الأسفل وإذا السماء كهيئتها وفتحت الباب
الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة ونودى أهلها الطاغى أين تريد .

قال عكرمة فأمر عند ذلك غلامه قزعى بشهم فعاد إليه الشهم متلطحاً بالدم فقال
كفيت شغل إلى السماء واختلّفوا فى ذلك الشهم من أى شيء تلتطح فقال عكرمة من
سمكة بحر معلق فى الهواء بين السماء والأرض قزيت نفسها لله تعالى وقال بعضهم
أصاب الشهم طائر من الطير فتلتطح من دمه ثم أمر النروذ غلامه أن يصوب العصا
ويشكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت

والنفسور ففزع وتظنت أنه أمر يحدث في السماء وأن الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى (وقد مكروا مكرمهم وعند الله مكرمهم وإن كان مكرمهم لنزول منه الجبال) ثم إن الله تعالى أرسل ريحاً على صرح النمرود فألقت رأسه في البحر فخر عليهم الباقي وارتفعت بيوتهم وأخذت النمرود وعدة وتبلبلت ألسن الناس حين سقط صرح النمرود من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لساناً فلذلك سميت بابل لتبلبل الألسنة فيها فلذلك قوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) وذلك أن الله تعالى بعث إلى النمرود ملكاً أن آمن حتى أتركك على ملكك قال قبل رب غيري فجاءه الثانية والثالثة فأبى عليه فقال له الملك اجتمع جموعك إلى ثلاثة أيام فجمع جموعه وجنوده فأمر الله تعالى أن يفتح عليه باباً من البعوض ففعل فظلمت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمرود وقومه فأكلت لحومهم وشربت دماهم فلم يبق منهم إلا العظام والنمرود كما هو لم يصبه شيء من ذلك فبعث الله إليه بعوضة فدخلت في منخره حتى وصلت إلى دماغه فسكت أربع مائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جباراً أربع مائة سنة فعذبته الله أربع مائة سنة كعدة ملكه ثم إن البعوضة أكلت دماغه وأهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله .

((الباب الثامن في ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج إبراهيم وولده))

قال الله تعالى (أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته) الآية قال أهل العلم بأخبار الماضين ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبارة من أرض كنعان في جبرون في مزرعة اشتراها إبراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمكة فدفنت في الحجر فلما ماتت سارة تزوج إبراهيم بأمرأة من بعدها من الكنعانيين يقال لها قورا ابنة يقظان فولدت له ستة نفر يشان ووزمران ومدان ومدين وأشبقي وشوخ وتزوج أيضاً بأمرأة أخرى من العرب اسمها هجون بنت أهيب فولدت له خمسة بنين كيسان وفروح وإهم ولوطا ونافس فكان

جميع بني إبراهيم مع إسحق وإسماعيل ثلاثة عشر وكان لإسماعيل بكره وأكبر أولاده فأمره
إسماعيل بأرض الحجاز وإسحق بأرض الشام وفزق سائر ولده في البلاد فقالوا لإبراهيم
يا أبانا انزلت إسحق معك وإسماعيل بقربك وأمرتنا أن ننزل بأرض القوية والوحشة
قال بذلك أمرت ثم علمهم أسماء الله تعالى فتكاثروا يستسقون منه ويستنصرون .

(الباب التاسع في ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام)

قال أهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام
أرسل إليه ملك الموت في صورة شيخ هرم قال السدي بإسناده وكان إبراهيم كثير
الإطعام يطعم الناس ويصيفهم فبينما هو يطعم الناس إذ هو بشيخ كبير يمشي في
الجماعة فبعث إليه بحمار فركبه فلما أتاه قدم إليه الطعام فجعل الشيخ يأخذ اللقمة
ويريد أن يدخلها فاه فيدخلها في عينه مرة وفي أذنه مرة ثم إذا أدخلها فيه حصلت
في جوفه خرجت من دبره وكان إبراهيم قد سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون
هو الذي يسأله الموت فقال للشيخ حين رأى حاله ما بالك يا شيخ تصنع هكذا فقال
يا إبراهيم من الكبير قال ابن كم أنت قال كيت وكيت لحسب إبراهيم فوجد عمره
يزيد على عمر إبراهيم بسنتين فقال له إبراهيم بني وبينك سنتان فإذا بلغت عمرك
صرت مثلك قال نعم فقال إبراهيم اللهم اقبضني قبل ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه
وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر إبراهيم مائتي سنة وقيل مائة وخمسة وتسعون
سنة ودفن عند قبر سارة عند مزرعة جبرون .

(الباب العاشر في ذكر خصاله إبراهيم عليه السلام)

هو إبراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى (واتخذ إبراهيم خليلا) وهو سيد النبيين
روى في الحديث أنه قيل للنبي ﷺ يا سيد البشر قال ذلك إبراهيم وهو
أبو الضيفان وكان لا يتغذى ولا يتعشى إلا مع ضيف ورثما مشى ميلين أو أكثر
حتى يجد ضيفا .

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ (بعثت على ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني إسرائيل وهو المجمع على لسان الصديق في الآخرين فليس من نبي تجرى ألسنة الخلق كالمهم بمصديقه وتفضيله وتبجيله كل أمة غيره وذلك بدعائه عليه السلام) (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) وهو المبتلى بأنواع البلاء والمشهود له بالوفاء قال الله تعالى (ولمّا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأثمن) وقال (ولإبراهيم الذي وفى) بما أمر به وهو الأمة القانت قال الله تعالى (لن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين) إلى آخر الآية ومعنى الأمة أنه كان معلماً للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وأنواع الفضل ما يجمع في أمة كما قال الشاعر :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وهو الذى أوتى رشده من قبل بلوغه وهو إمام الموحدين وجعل له لسان الحجّة في التوحيد فدعا الخلق إلى الحق بلسان الحجّة من صغره إلى كبره قال تعالى (ولمّا حببنا آتيناها لإبراهيم) الآية وأول من سباه الله حنيفاً مسلماً قال تعالى (ولمّا كان حنيفاً مسلماً) وبرأه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالإسلام والإخلاص فقال (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) الآية وهو أول من اختن

قال أبو منصور الخنصاري حدثنا أبو العباس العقلي أخبرنا عبد الحكيم الخبزي أن ابن وهب أخبرنا يحيى بن نصر قال قرأ على ابن وهب أخبرنا عن محمد بن المسكندر عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال اختن إبراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة وأخبر الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا محمد بن محمد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علوية أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا إسحاق بن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال لن إبراهيم أول من أضاف الضيف وأول من نرد الأثريد وأول من لبس الثعلبين

وأول من قسم النىء وأول من قاتل بالسيف وأول من اختنن واختنن على رأس
مائة وعشرين سنة من ميلاده ختن نفسه فى موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو
الغاس وذلك أنه كان وقع بينه وبين العمالقة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق
عظيم فلم يعرف إبراهيم أصحابه ليدفنهم فجعل الختان علامة لأهل الإسلام فاختنن
يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ السراويل .

أخبرنا الحسن الدينورى أخبرنا أحمد بن شداد بن عمر بن أحمد القطان أخبرنا
محمد بن إسماعيل بن حسان أخبرنا وكيع أخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى
ابن عيينة قال أوحى الله تعالى لى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إنك أكرم أهل
الأرض على فإذا سجدت فلا ترى الأرض عورتك فاتخذ السراويل وهو أول من
شاب فلما رآه هاله ذلك فقال يارب ما هذا قال لوقار فقال يارب زدنى وقاراً
وهو أول من أقام المناسك وذلك بدعوته حيث قال (وأرنا مناسكنا وتب علينا)
فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو الذى بوأ له مكان البيت وأراه ذلك بعد
دروسه حتى بناء قال الله تعالى (ولأذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) الآية وهو أول
من ألقى فى النار فجعلت النار عليه برداً وسلاماً وهو أول نبي أحيا الله له الموتى
بسؤاله حيث قال رب أرنى كيف تحيى الموتى (وهو الذى يكسى حلة بيضاء يوم
القيامة ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال عليه الصلاة والسلام) يحشر الناس
يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهما وأول من يكسى إبراهيم خليل الرحمن) وهو
السكفيل لأطفال المسلمين والقائد لأهل الجنة وهو أول من فص شاربه وأول
من قلم أظفاره وأول من استمعد وأول من تنف الإبط وأول من أستاذك وأول
من فرق شعره وأول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجى بالماء
وأول من هاجر لله قال تعالى (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربى) وجعل مقامه
قبلة للناس قال الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وجعله إماماً للناس
قال الله تعالى (إني جاعلك للناس إماماً) وقال تعالى (قد كان لىم أسوة حسنة فى
إبراهيم) وأن محمد آخراً الأنبياء وأمه خير الأمم بإتباع ملته قال الله تعالى (ثم أوحينا

إليك أن انبع ملة إبراهيم حنيفاً (وقال (قل بل ملة إبراهيم حنيفاً) وسماه حليماً منيباً وأها قال تعالى (إن إبراهيم لحليم أواه منيب) الحليم السيد الذي يملك نفسه عند الغضب والأواه الذي يكسر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه إلى ربه فمذه ستة وأربعون خصلة من خصاله التي أكرمها الله بها .

(روى) أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم يا إبراهيم إنك لما سلمت مالك إلى الضيفان وابنتك إلى القربان ونفسك إلى النيران وقلبك إلى الرحمن اتخذناك خليلاً .

(وروى) أبو إدريس الخولاني عن أبي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله كم كتاباً أنزل الله تعالى مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل الله على آدم عشر صحائف وهى شيت خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قال فتلك يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المبتلى المساط المغرور لأنى لم أبشك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولستكنى بعثتك لترد على دعوة المظلوم فإنى لا أردتها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يتفكر فيها فى صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم وأخر وساعة يتخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام فى المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن لا يكون طاعناً إلا فى ثلاث نزود لمعاده ومؤنة لمعاشه ولذة فى غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانته ومن علم أن كلامه شر من عمله قل كلامه فيما لا يفنيه والله عن محذور يغنيه .

(بحسبى فى ذكر بعض أخبار إسماعيل وإسحق ابني إبراهيم عليهم السلام)

وقد ذكرنا سير إبراهيم الخليل بإنه إسماعيل وهاجر إلى مكة وإسكانه إياهما بها ولما كبر إسماعيل وبلغ النكاح تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ما قدمنا

ذكره ثم طلقا بأمر أبيه ثم تزوج امرأة أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وهي التي قال لها إبراهيم حين قدم مكة إذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لإسماعيل اثني عشر رجلا نابئا وقيدار وأذيل وبسام ومسمع وذرمسا وحررا وفيما ويطور نافس وقيدما ومن نابت وقيدار ابني إسماعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى إسماعيل فبعثه إلى العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت إسماعيل الوفاة أوصى إلى أخيه إسحق أن يزوج بنته من عيص بن إسحق وعاش إسماعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر .

(وروى) عمر بن عبد العزيز أنه قال شكوا إسماعيل إلى ربه تعالى حر مكة فأوحى الله تعالى إليه اني فاتح لك باباً من الجنة يخرج عليك روحها إلى يوم القيامة وفي ذلك المكان دفن وأما حديث إسحق عليه السلام فإنه نكح رفقة بنت بتويل فولدت له عيصا ويعقوب بعد ماضى من عمره ستون سنة ولهما قصة عجيبة على ما ذكره السدي قال حملت رفقة في بطن واحد بغلامين وكان يعقوب أكبرهما في البطن ولكن عيصاً خرج قبله فلما كبر الغلامان وكان عيص أحبهما إلى أبيه ويعقوب أحبها إلى أمه وكان صاحب صيد فلما كبر إسحق وعمى قال لعيص يا بني اطعمني لحم صيد واقرب مني أدعوك بدعاء دعا لي به أبي وكان عيص رجلاً أشعر ويعقوب رجلاً أجرد فنخرج عيص يطلب الصيد .

فسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب يا بني اذهب إلى الغنم فاذبح منها شاة واشوها واليس جلدها ثم قدمها إلى أبيك وقل له انا ابنك عيص ففعل ذلك واتى إلى أبيه وقال يا أبتاه كل فقال من انت قال انا عيص فمسه وقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فأكل منه ثم قال أدن مني فدنا منه فدعا له ان يحمل في ذريته الأنبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيص بعده فقال يا أبت قد جئت بك بالصيد الذي أردته

فقال يا بني قد سبقك أخوك يعقوب فغضب عيص وقال والله لأقتله فقال يا بني قد بقيت لك دعوة فها هم أدع لك بها فتقدم إليه فدعا له فقال أن تكون ذريتك عدد التراب ولا يملكهم أحد غيرهم ثم إن أم يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فيمكن عنده خشية عليه أن يقتله عيص فانطلق يعقوب إلى خاله كان يسير في الليل ويمكن بالليل فلذلك سماه إسرائيل وهو أول من سرى بالليل فأتى يعقوب إلى خاله وكان يسحق أمره أن لا ينسكح امرأة من السكتانيين وأمره أن ينسكح امرأة من بنات خاله لبان بن ناهر وأن يعقوب لما مكث عند خاله فخطب لابنته راحيل وكان له لابنتان ليا وهي الكبرى وراحيل وهي الصغرى فقال له هل لك من مال فأزوجك عليه فقال لا لكن أخدمك أجيراً حتى تستوفي صداق لابنتك فقال له أن صداقها أن تخدمني سبع حجج فقال يعقوب تزوجني راحيل لأنها أصغر ولا جعلها أخدمك فقال له خاله ذلك بيني وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلم يوافق له شروط دفع له لابنته الكبرى ليا وأدخلها عليه ليلاً فلما أصبح وجد غير ما شرط فجاء يعقوب وهو في ناد من قومه فقال له غررتني وخذعتني واستحللت عمل سبع سنين ودلست على غير امرأتى فقال له خاله يا ابن أختي أردت أن لا يدخل علي في ذلك العار وألبسه وأنا خالك والدك متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهلم فأخذ سبع سنين أخرى حتى أزوجك الأخرى .

وكان الناس يومئذ يجمعون بين الأخنتين إلى أن بعث موسى وأنزلت النوراة فرعى له يعقوب سبع سنين أخرى فدفع إليه راحيل فوادت له ليا أربعة أسباط روبيل وكان أكبرهم يهوذا وشمعون ولاوى وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد ولما سمى بنيامين لأن أمه راحيل ماتت في نفاسها وبنيامين بالعربية الشكل وكان لبان دفع إلى لابنتيه حين جهزهما إلى يعقوب أمتين ويقال لإحداهما زاني والأخرى بلهة فوطيء الأمتين يعقوب فولدت كل واحد منهما ثلاثة أسباط فولدت زلفة ليعقوب دان وفثال وروبالون وولدت له بلهة جاد وبشر وأشر فكان ليعقوب اثنا عشر رجلاً اثنا من راحيل وأربعة من ليا

(م م - قصص الأنبياء)

وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلمة وهم الذين سماهم الله تعالى الاسباط وسماهم بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة .

والسبط في كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والاسباط من بني اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم أن يعقوب فارق خاله لبان وانصرف بولده وامراتيه وجاريته المذكورات إلى منزل أبيه من فلسطين على تخوف شديد من أخيه عيص فلم ير منه إلا خيراً فنازل أخاه وتألفه وتلطفه حتى ترك البلاد ونقل في الشام وصار إلى للسواحل ثم عبر إلى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده .

وقال ابن إسحق تزوج عيص ابن إسحق بنت عمه نسييه بنت إسماعيل بن إبراهيم فولدت له الروم بن عيص فشكل بنى الأصفر من ولده وكان عيص فيما يذكر يسمى آدم لأمته ولذلك سمى ولده بنى الأصفر قالوا وعاش إسحاق بعد ما ولد له عيص ويعقوب مائة سنة وتوفي وله مائة وسبعون سنة ودفنه أبناؤه عند قبر ابنه إبراهيم عليه السلام في مزرعة جبرون والله أعلم .

(مجلس في قصة لوط عليه السلام ع)

وهو لوط بن هاران بن نارح بن أخى إبراهيم عليه السلام وإنما سمى لوطاً لأن حبه لاط بقلب إبراهيم عليه السلام أى تعلق به واهتق ، ومنه حديث أنى بكر رضى الله عنه حين ذكر عمر اللهم اغفر لولا ذاك ألوط أى ألصق بالقلب ، وكان إبراهيم يحبه حباً شديداً ، وكان من أمر لوط فيما ذكر أهل العلم بأخبار الأنبياء وذكر وهب في المبتدأ له أنه شخص من أرض بابل مع عمه إبراهيم مؤمناً به متبعاً له على دينه مهاجراً معه إلى الشام ومعهما سارة بنت ناحور وشخص معه تارح أبو إبراهيم مخالفاً لإبراهيم في دينه ، ومقماً على كفره إلى أن وصلوا إلى حران ومكثوا بها فمات تارح وهو آزر أبو إبراهيم بحران على كفره وشخص إبراهيم ولوط وسارة إلى الشام ثم مضوا إلى مصر فوجدوا بها فرعون من فراعينها يقال له سنان بن عاران بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه

الصلاة والسلام فرجعوا عوداً إلى أرض الشام فنزل إبراهيم فلسطين وانزل لوطاً
الأردن فبعشه الله تعالى إلى أرض سدوم وما يليها وكانوا أهل كفر بالله وركوب
فواحش كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى (أنأتون الفاحشة ما سبقكم منها من أحد
من العالمين لأنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون) .

قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى
لأنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر) فكان قطعهم
السبيل فما ذكر أهل التأويل أن إتيانهم الفاحشة مع من ورد بلادهم وإتيانهم
المنكر في ناديهم قال المفسرون هو أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم على الطريق
فيحدثون من مر بهم ؛ ويتضارطون في مجالسهم وينسجح بعضهم بمضآفي الطريق
وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم على الطريق .

وروى أبو صالح عن أم هانئ قالت : سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية
ن فقال : كانوا يجلسون على الطريق فيحدثون من مر بهم ويستخرون به وهو
المنكر الذي كانوا يأتونه وكان لوط ينهأهم عن ذلك ويدعوهم إلى عبادة الله تعالى
ويتوعدهم على إصرارهم على ما هم عليه ويأمرهم بالتوبة منهم ويخوفهم من العذاب
الآليم فلا يزرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه إلا تمادياً وعتواً واستعجالاً
بعذاب الله تعالى وإنكاراً وتمكذباً ويقولون له (ائتنا بعذاب إن كنت من
الصادقين) حتى سأل لوط ربه أن ينصره عليهم فقال (رب انصرني على القوم
الافسدين) فأجاب الله دعاءه وبعث جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام
ليهلكهم وبشارة إبراهيم عليه السلام بالولد فاقبلوا مشاة في صورة رجال مرد
حسان حتى نزلوا على إبراهيم عليه السلام فتضيفوه وبشروه بإسحق وقد مضت
القصة فلما فرغوا من ذلك وأخبروا إبراهيم أن الله تعالى بهمهم لإهلاك قوم لوط
فاظلم إبراهيم وإبراهيم وحاجهم في ذلك كما قال الله تعالى (فلما ذهب عن إبراهيم الوريث
وجاءته البشري يجادلنا في قوم لوط) .

وكان جداله لإياهم على ماذا ذكر ابن عباس وغيره أنهم لما قالوا له إنا مهلكوا أهل هذه القرية ؛ قال لهم أتهلكون قرية فيها أربع مائة مؤمن قالوا : لا قال : أتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن ؟ قالوا : لا ؛ قال أتهلكون قرية فيها أربعون مؤمناً ؟ قالوا : لا ؛ قال أتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً ؟ قالوا : لا ؛ وكان إبراهيم يعدم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه .

وروى سعيد عن ابن عباس قال : قال الملك لإبراهيم إن كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف إبراهيم حال قوم لوط ، قال للرسول : إن فيها لوطاً ، قالها إشفاقاً منه عليه ، فقالت له الرسل : (نحن أعلم من فيها لننجينهم وأهلها إلا امرأته) .

ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما انتهوا إليها لقوا لوطاً في أرض له يعمل فيها قتاده راوياً عن حذيفة أن الله تعالى قال للملائكة ، لا تهللكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فأتوه ، فقالوا إنا متصيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت وقال : أما بلغكم أمر هذه القرية ؟ قالوا وما أمرها ؟ قال أشهد بالله إنها أشرف قرية في الأرض ، وما أعلم على وجه الأرض أنا أخبث منهم قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط أنه سيحتاج إلى المدافعة عن أضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى (وجاءت رسلنا لوطاً وهم ذرءاً وقال هذا يوم عصيب) أى شديد

قال السدي بإسناده : لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ؛ فاتوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا بنت لوط تسقى الماء لأهلها وكان له ابنتان اسم الكبرى ريثا والآخرى عيشا فقالوا لها يا جارية على من نزل ؟ قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم فمزعزعت عليهم من قومها ثم أتت أباهما فقالت يا أبتاه أدرك فتية نأ على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم فطأ أحسن منهم لئلا يأخذهم قومك فيفضحوك ، وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالا وقالوا له

خلى عنك فلنضيف الرجال فلذلك قوله تعالى (أو لم ننهك عن العالمين) فجاء بهم لوط إلى منزله ما يعلم بهم أحد إلا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومها بذلك وقالت : إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم حسناً قط .

قال أبو حمزة الثمالي : بلغنا أن العلم الذي كان بين امرأة لوط وقومه إذا اتهم الضيفان يقول رسولها هيثوا لنا ملحا تدعوهم بذلك إلى الفاحشة بأضياف لوط فبلغنا أن الله تعالى مستعجلا ملحا قالوا فلما أخبرت امرأة لوط قومها بأضياف زوجها جاء قومه يهرعون إليه أى يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط : (يا قوم اتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد) وقال لهم (هؤلاء بناتي هن أطهر لكم) قالوا (أو لم ننهك عن العالمين) أن تضيف الرجال وقالوا (لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وأنتك لتعلم ما نريد) فلما لم يقبلوا منه من عرض عليهم قال (لو أن لي بكم قوة أوى إلى ركن شديد) قالوا فما بعث الله نبياً بعده إلا في شرف من قومه منعه من عشيرته ، وقال ﷺ لما قرأ هذه الآية رحم الله أخى لوطاً لقد كان يأوى إلى ركن شديد .

قال ابن عباس وغيره وغلق بابه والملائكة معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يألجئون تسور الدار فلما رأت الملائكة مالقى لوط من الكبر والنصب والنصب بسببهم قالوا له (يا لوط إن ركنك أشد يد ولهم آتيهم عذاب غير مردود ، إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فاسر بأهلك بقطع من الليل) الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فئسرجنا حيه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبيك مثل المرجان كأنه الثلج بياضاً وقدماه إلى الخضر فضرب بجناحيه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى (ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم) الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم ثم انصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة إن في بيت لوط أسير قوم في الأرض .

هو قالوا للوط أجهننا بقوم سحرة سحرنا كن كما كنت حتى نصبح يتوعدونه فلما علم
الوط أن أضيافه رسل ربهم وأنهم أرسلوا بهلاك قومه قال لهم أهلكوهم الساعة ،
فقال له جبريل (إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) ثم أمره أن يسرى
بأهله يقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد إلا امرأته فلما كان السحر خرج لوط
وأهل بيته ومعه امرأته فذ قوله تعالى (إلا آل لوط نجيتناهم بسحر نعمة من
عندنا كذلك نجزي من شكر) .

فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت أرضهم فاقنلع قرى قوم لوط الأربع
وكان في كل قرية مائة ألف فرغهم على جناحه بين السماء والأرض حتى سمع أهل
سماء الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم كفأها وقلبها فجعل عاليها سافلها كما قال
الله تعالى (فجعلنا عاليها سافلها) ثم أنبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة فذلك قوله
تعالى (وأمطرنا عليهم حجارة من سجين منضودة مسومة عند ربك وما هي من
الظالمين ببعيد) أي من يفعل كمنعهم .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا ثعلب بن جعفر الباقري أخبرنا الحسين
ابن علوية أخبرنا إسماعيل بن عيسى أخبرنا إسحاق بن بشر أخبرنا جويري ومقاتل
عن الضحاك عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول
الله ﷺ (إنى لأسمع البواصف والقواصف من الرعد فأخشى أنها الحجارة التى
أعدت لقوم لوط أو من يفعل بفعالهم) .

وأخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عقيل القطان أخبرنا أبو الفضل عبدوس
ابن الحسين بن منصور أخبرنا أبو حاتم الرازى أخبرنا أبو النعمان الحكم بن نافع
الحصى عن صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان إلى أن أتى شعيب
قاضى حمص وكان رجلا عالما فسأله عن عقوبة اللوطى قال أن يرموه بالحجارة
كما رجم قوم لوط فإن الله تعالى قال (وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المُنذرين)
وقال تعالى (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه
فقالوا وكان الرجل منهم يتحدث في قريته التى يكون فيها فيأتية الحجو فيقتله قال

وسمعت امرأة لوط الهدية فالتفتت وقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها فذلك قوله تعالى (إلا امرأته كانت من الغابرين) أى الباقيات فى العذاب .

أخبرنا الحسين محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن على أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى قال أخبرنا المعصبي قال سمعت أبا روق يقول : (إلا امرأته كانت من الغابرين) وكانت تسمى هلسفح وقال غيره اسمها واعلة ، قالوا وكانت قرى قوم لوط خمساً سدوم وعمورة ودومة وساعورة فأما سدوم فهى القرية العظمى وكان فى هذه القرية أربعة آلاف فاحتلمها جبريل على جناحه فقتلها فلذلك سميت بالمؤتفكات أى المتقلبات وأما القرية فإنها تسمى صفرة ونجت من العذاب لأن أهلها آمنوا بلوط .

وروى أن النبى ﷺ قال لجبريل عليه السلام « إن الله تعالى سماك بأسماء ففسرها لى قال وصفك فى قوله تعالى (ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين) فأخبرنى عن قوتك : قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الأرض على جناحي فى الهوام حتى سمعت ملائكة السماء الدنيا أصواتهم وأصوات الديكة ثم قلبتها ظهر البطن . قال فأخبرنى عن قوله تعالى مطاوع ؟ قال أن رضوان خازن الجنان وما أسكأ خازن النيران متى قلت لهما أو كلفتهما فتح أبواب الجنان أو النيران فتحتها ؛ قال فأخبرنى عن قوله تعالى أمين ؟ قال إن الله تعالى أنزل من السماء مائة وأربعة كتب على أنبيائه لم يأتمن عليها غيرى . »

أخبرنا عبد الله بن الحسين بن محمد الشقي أخبرنا أبو عثمان بن أحمد بن سميان البرارى أخبرنا عبد الله بن قطيبة أخبرنا ياسر بن ثوبة أخبرنا محمد بن راموز أخبرنا أبو بكر بن عياش قال . سألت أبا جعفر أعذب الله النساء من قوم لوط . بعمل رجالهم ؟ فقال ؛ الله تعالى أعدل من ذلك بل استغنى الرجال بالرجال النساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعاً .

أخبرنا ابن فتحويه أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنا الحسين بن علوية أخبرنا اسماعيل بن عيسى أخبرنا إسحق بن بشر حدثنى مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا أبا الحجاج هل بقى من قوم لوط أحد ؟ قال لا إلا رجل بقى أربعين يوماً وكان

يحكمة فجاءه حجر ليصديه في الحرم فقام إليه ملائكة الحرم فقالوا له حجر ارجع
من حيث جئت فإن الرجل في حرم الله ؛ فوثب الحجر خارج الحرم أربعين يوماً
بين السماء والأرض حتى قضى الرجل حاجته ، فلما خرج أصابه الحجر فقتله عن
مقاتل عن أنى نصرة عن أنى سعيد قال (ما عمل ذلك قوم لوط . إنما كانوا ثلاثين
رجلاً ونيفاً لا يبلغون الأربعون فأهلكهم الله جميعاً) وقال رسول الله ﷺ
(لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لنعمنكم العقوبة جميعاً) .

(مجلس في قصة يوسف بن يعقوب وإخوته عليهم الصلاة والسلام)

قال الله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) الآية قال سعد بن أنى وقاص
تقالت الصحابة لرسول الله ﷺ لو حدثتنا ؛ قال فأنزل الله تعالى (الله نزل أحسن
الحديث كتاباً متشابهاً) الآية فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى
(نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) الآية فدلهم الله
تعالى في هذه الآية على أحسن القصص ، فقال بعض أهل المعاني معنى الآية قصة حسنة
الفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى (وهو أهون عليه) قال الشاعر
إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائه أعز وأطول

لإرادة عزيمة طويلة وأجراه الباقي على الظاهر فقالوا هى أحسن القصص
ثم اختلفوا في وجهها فروى مقاتل عن سعيد بن جبيرة قال اجتمع أصحاب رسول
الله ﷺ إلى سلمان الفارسي فقالوا يا سلمان حدثنا عن التوراة بأحسن ما فيها
فأنزل الله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) يعنى أن قصص القرآن أحسن
بما في التوراة وقيل سمي الله هذه القصة أحسن القصص لأنها ليست قصة في القرآن
تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ما تتضمنه هذه القصة ولذلك قال
الله تعالى (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) وقال تعالى (لقد كان في
قصصهم عبرة لأولى الألباب) وقال تعالى (لا نثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم)
وقيل لأن فيها ذكر الأنبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والإنس

والانعام والطير وسير الملوك والماليك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء ، رجال
الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها ايضاً ذكر العفة والتوحيد، وعلم السير وتعبير
الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش فصارت أحسن القصص لما فيها من
المعاني الجزيلة والفوائد الجليلة التي تصلح للدين والدنيا وتجمع خير الدنيا والعقب .

أخبرنا أبو عبد الله الشافعي أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان أخبرنا محمد بن محمد بن
سليمان أخبرنا محمد بن حميد الرازي أخبرنا مسلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن
روح بن القاسم قال : حدثني عمارة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ
« مررت ليلة أسري بي إلى السماء فرأيت يوسف فقلت يا جبريل من هذا ؟ فقال :
هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يا رسول الله ؟ قال - كالقمر ليلة البدر . »

وعن أبي اسحق بن عبد الله بن أبي فروة قال : كان يوسف إذا سار في أروقة
مصر يرى ثلاثاً وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران .
قال كعب الأحبار . إن الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فأراه الانبياء
عليهم السلام نبياً نبياً وأراه في الطبقة السادسة يوسف متوجاً بتاج الوقار متزجراً
بحلة الشرف مرتدياً برداء الكرامة مقمصاً بقميص البهاء .

وكان يخبر بالامر الذي يروى في المنام أنه سيكون كذا وكذا من قبل أن يكون
ذلك الامر عليه الله ذلك كما علم الاسماء كلها لآدم ، ويقال إنه ورث الحسن من
جده اسحق بن ابراهيم وكان أحسن الناس واسحق هو الضاحك بالعبرانية وهو
ورث الحسن عن أمه سارة فإن الله تعالى صورها على صورة الحور العين ولكن
لم يعطها صفاءهن وأعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون ونقاء البشرة
ما لم يعطه أحداً من العالمين .

وقال وهب : الحسن عشرة أجزاء ، ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس .
وعن عبد الله بن مسعود عن النبي عليه السلام قال (هبط جبريل عليه السلام

فقال يا محمد إن الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف من نور السكينة وكسوت وجهك من نور عرشى .

وقيل لبعض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد ؟ فقال كان يوسف من أحسن الناس ومحمد ﷺ أحسن الناس ويدل عليه حديث جابر بن عبد الله قال - نظرت إلى رسول الله ﷺ وعليه حلة حمراء ونظرت إلى القمر ليلة البدر فهو أحسن عيني من القمر .

(القول في القصة)

قال أهل العلم بقصص الأنبياء وأخبار الماضين - كان ابتداء أمر يعقوب يوسف عليهما السلام وبدء محبة يعقوب له وإيثاره على سائر ولده أن الله تعالى أنبت ليعقوب شجرة في صحن داره ، فكان كلما ولد له ولد أخرجه الله تعالى من تلك الشجرة غصناً ، فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ ، فإذا ألمغ ذلك الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه إليه فولد له عشر بنين فأخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان ، فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيئاً فلما كبر وشب قال لآبيه يا بني الله إنه ليس أحد من إخوتي إلا وله غصن إلا أنا فادع الله تعالى أن يخصني بغصن من الجنة .

فرفع يعقوب يديه إلى السماء وقال اللهم إني أسألك أن تهب ليوسف غصناً من الجنة فيقتخر به على جميع إخوته فهبط جبريل عليه السلام ومعه قضيب من الجنة من الزبرجد الأخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه ويخرجه مع إخوته قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو إذ ذاك صبي كأن قضيبه غرس في الأرض فعلق وتدلأت أغصانه وأثمر من كل ثمرة ثم أتى بأغصان إخوته فغرس حوله فلم تعلق ولم تفرع ولم تثمر ، وإذا بغصن يوسف أقصرها وأصغرها فلم يزل يتعالى في السماء ويطول حتى طال على أغصان إخوته من أصولها وألقمتها في البحر وثبت غصن يوسف في الأرض قائماً فانتبه فزعاً مرعوباً فقال له أبوه ما الذي دهاك يا بني فقص عليه رؤياه (إذ قال يوسف لآبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً) الآية

وكان ينام إلى جانبه فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالي إذ رأى الرؤيا التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فأنبئه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمة إلى صدره وقبله بين عينيه وقال يا حبيب أبيه ما الذي رأيت؟ قال يوسف؛ رأيت كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم واشرقت الجبال وزخرفت البحار وعلت أمواجها وسبحت الحيتان بأنواع اللغات ورأيت كأنني ألبست رداء اشرقت الارض من حيه ونوره ورأيت كأن مفاتيح خزائن الأرض القيت بين يدي فبينما أنا كذلك إذ رأيت أحد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعه الشمس والقمر ونحروا إلى ساجدين .

فقال يعقوب (يا بني لا تقصص رؤياك على أخوتك) الآية ثم عبر رؤياه فقال (وكذلك يمتدبك ربك ويعلمك أمن تأويل الاحاديث) الآية ، قال فسمعت امرأة يعقوب ما قال يوسف لآبيه فقال لها يعقوب اكتمى ما قال يوسف لآبيه ولا تخبري أولادى بذلك فقالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من مراعيهم أخبرتهم بالرؤيا التي أمرها يعقوب بكنمتها فحسدوه على ذلك فلذلك قيل في الحكمة (لا تأمن قارنا على صحيفة ولا شاباً على امرأة ولا امرأة على سر) .

وروى الحكم بن ظهير عن إسماعيل السدي عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله . قال جاء رجل من اليهود يقال له نسنار إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها ؟ فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبه بشيء حتى نزل جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها فأرسل إلى اليهودي ودعاه وقال له إن أخبرتك بأسمائها أتسلم ؟ قال نعم ، فقال له جريان والطارق والذبال وذو السكتفين والفرغ وثواب وعمودان وقابس والمصبح والغليق والضروح ورآها يوسف في أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال ، أرى شيئا مشتبهاً ويجمعه الله لك ؟ فقال اليهودي هذه أسماءها ويقال كان بين رؤيا يوسف في الغصن ورؤياه في السكواكب سبع سنين ؛ فلما ما كان من أمر يوسف ما كان وانضاف إلى ذلك تخصيص أبيه يعقوب إياه بالحجة والقربة حسده

إخوته وحلمهم الحسد على أن تسامروا بينهم في أن يفرقوا بينه وبين أبيه بضرب من الاحتيال ويهاسكوه فيما هم بينهم كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى (إذ قالوا لـيوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين) أى خطأ بين في إيشاره يوسف وأخاه علينا (اقتلوا يوسف وأطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين) أى تائبين فاستعدوا للتوبة قبل وقوع الذنب .

قال قائل منهم وهو يهوذا وكان أفضلهم وأعلمهم لا تقتلوا يوسف فإن القتل عظيم وألقوه في غيابة الجب وهو البئر غير المطوية يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين قيل للحسن ، أيجسد المؤمن فقال للسائل ما أنساك بنى يعقوب ولهذا قيل - الأب جلاب والأخ سلاب فعند ذلك أجمعوا رأيهم أن يدخلوا على يعقوب ويكلموه في إرسال يوسف معهم إلى البرية فقال لهم روبيل وهو أكبر ولد يعقوب إن أبأبأكم لا يأمنكم على يوسف واسكن انطلقوا بنا إلى يوسف حتى نلعب بين يديه فإذا نظر إلينا كيف نمرح ونلعب اشتاق إلى ذلك فأقبلوا على يوسف وهو قاعد يسبح ففعلوا يتلاعبون ويتصاحكون بين يديه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق إلى اللعب معهم فأقبل عليهم وقال يا إخوتاه أهكذا تلعبون في مراعيكم ؟ فقالوا نعم يا يوسف إنك لو رأيتنا ونحن نلعب في مراعيها لتمنيت أن تكون معنا فشوقه إلى ذلك حتى كان هو الطالب إليهم فقال لهم يا إخوتاه انطلقوا إلى أبى واسألوه ان يرسلنى معكم فأقبلوا إلى يعقوب ووقفوا بين يديه صفأ وكانوا يفعلون هكذا إذا أرادوا أن يسألوه حاجة فلما رآهم بين يديه وقوفا صفوفا قال ما حاجتكم ؟ قالوا با أبانا (مالك لا تأمننا على يوسف وإنا له لناصحون) نحوطه ونحفظه حتى نرده إليك (أرسله معنا غدا يرتع ويلعب) في الصحراء (وإنا له لحافظون) فقال لهم يعقوب (لئى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف ان يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) لا تشعرون بذلك . قال ابن عباس وغيره إنما قال ذلك يعقوب لأنه رأى في منامه كأن يوسف على رأسه جلال وكان عشرة من الذئاب قد شدوا عليه لياكلوه وإذا ذئب منها يحمى عنه وكان الأرض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة

أيام فلما رأى يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذنب فلذلك قال لهم
الخاف ان يأكله الذنب .

أخبرنا الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا عبد الله بن شبة أخبرنا أبو نعيم
وعبد الرحمن بن قريش أخبرنا محمد بن عمرو بن الحكم الهروي أخبرنا مالك بن
سليمان القروي أخبرنا عبد الله بن عمر العمري عن نافع عن عمر قال قال رسول الله
ﷺ لا تلقوا الناس السكذب فيكذبوا فإن بني يعقوب لم يعلموا أن الذنب يأكل
الإنسان حتى لقنهم أبوه فلما لقنهم وقال إن أخاف أن يأكله الذنب قالوا أكله
الذنب) فقال بنوه (أتأكله الذنب ونحن عصبة) أي عشرة رجال (إنا إذا لخاسرون)
عجزة مغلوبون ثم قالوا يا بني الله كيف يأكله الذنب وفينا شمعون إذا غضب لا يسكن
غضبه حتى يصبح فإذا صاح لا تسمعه حامل إلا وضعت مافي بطنها وفيها يوذ إذا غضب
شق السبع نصفين فلما سمع يعقوب ذلك منهم اطمان إليهم وأقبل يوسف حتى
وقف بين يدي أبيه ثم قال يا أبت أرسلني معهم قال أوتحب ذلك يا بني ؟ قال نعم قال
إذا كان غداً أذنت لك في ذلك فلما أصبح يوسف لبس ثياباً بهو شد عليه منقطة وأخذ
قضيبة وخرج مع إخوته ثم عمد يعقوب إلى السلة التي حمل فيها إبراهيم زاد إسحق
فحمل فيها زاداً ليوسف وخرج ليشيعهم فقالوا يا بني الله ارجع فقال يعقوب يا بني
أوصيكم بتقوى الله وبحببي يوسف أسألكم بالله إن جاع فاطعموه وإن عطش
فاسقوه وقوموا عليه ولا تنهوه ولا تأخذوه وكونوا متواصلين متراحين، قالوا نعم
نعم يا أبانا كلنا لك وهو أخونا كأحدنا بل له الفضل علينا بحبك إياه فقال نعم يا بني .
اللهم خليفتي عليكم مع أني خائف ان أكون قد ضيعته ثم إنه أقبل على يوسف فالتزمه وضمه
إلى صدره وقبله بين عينيه ثم قال استودعتك الله رب العالمين وانصرف راجعاً .

وروى السدي ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبي
ﷺ وإسحق بن بشر بن جوير عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بحيرة
عن كعب الأحبار وعن سعيد بن أبي عروبة عن الحسن دخل كلام بعضهم في بعض
قالوا أرسل يعقوب يوسف مع إخوته فأخبر جوه مظهرين له السكرامة فلما برزوا
بيده إلى البرية أظهروا له العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحداً بعد واحد وهم

يضر بونه حتى كادوا يقتلونه وعطش عطشاً شديداً فقال لهم اسقوني جرعة من ماء.
 قبل أن تقتلوني فلم يسقوه فعند ذلك بكى الملائكة رحمة ليوسف فامار أي يوسف
 أن ليس أحد منهم يعطف عليه جعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع
 بإبنك بنو الآباء فلما هموا بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأياً
 ليس أنكم قد أعطيتوني موثقاً أن لا تقتلوه فعند ذلك أجمعوا على إلقاءه في الجب كما قال
 الله تعالى (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب) فالهلقوا به إلى الجب
 ليظرحوه فيه وكان ذلك الجب في الأردن بين مدين ومصر وقيل بين طبرية والقدس
 على قارعة الطريق في واد من أوديتها على ثلاث فراسخ منزل يعقوب وكان برأ
 وحشة مظلة وأسفلها واسع وأعلاما ضيق يهلك من طرح فيها من سمة أسفلها لا يمكنه
 الصعود وكان الجب من حفر سام بن نوح ويسمى جب الأحزان فلما أرادوا أن يلقوه
 فيه جعلوا يدلو في البئر فيتملق بشفير البئر فربطوا يديه إلى عنقه ونزعوا قيضه فقال
 يا إخوتاه ردوا علي قيضى أستريح عورتى ويكون لى كفناً بعد مائى وأطلتوا يدي أطرد
 بهما عنى هوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تلبسك
 وتؤانسك فدلوه في البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليسقط فيموت فيه :
 فأخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة مملعة أئنة ورفعها إلى يوسف فوقف عليها
 وجعل يوسف يبكي فنادوه فظن أنهم رحمة لحقتهم فأجابهم فهموا أن يرخصوه بالحجارة
 فيقتلوه فنهضهم يهوذا وقال لقد أعطيتكم موثقاً أن لا تقتلوه قالوا فلما ألقى يوسف في
 الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب وبعث الله تعالى إليه ملسكا خل عنه
 قيده وكان إبراهيم حين ألقى في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عرياناً فاتاه جبريل عليه
 السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه وكان ذلك القميص عند إبراهيم فلما مات
 إبراهيم ورثه إسحق فلما مات إسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك
 القميص في تمويذة وعلقه في عنقه فلما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقى في الجب
 عرياناً ساء ذلك وكان عليه التمويذة فأخرج القميص وألبسه إياه وجعل يؤنسه بالنهار
 ويروى أن الملك أنماه بسفر رجلة من الجنة فأطعمه إياها فلما أمسى يوسف نهض
 الملك ليذهب فقال له يوسف إنك إذا خرجت عنى استوحش فقال له الملك قل إذا

هبت شيئاً يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المسكروبين قد ترى مكانى وتعرف حالى ولا يخفى عليك شيء من أمرى ؛ فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله إليه سبعين ماسكا فحفوا به وآسوه فى الزهر ثلاثة أيام ؛ فلما كان فى اليوم الرابع أتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طررك ههنا فى هذا الجب ؟ قال لإخوتى لآنى ولم قال ؟ حسدوني على منزلى من أنى قال أنحب أن تخرج من هذا الجب ؟ قال قل يا صانع كل مصنوع ويا جابر كل مكسور ويا حاضر كل ملا ويا شاهد كل نجوى ويا قرياً غير بعيد ويا مؤنس كل وحيد ويا غالباً غير مغلوب ويا علام الغيوب ويا حياً لا يموت ويا حي الموقى لا لاله إلا أنت سبحانه أسألك يا من له الحمد يا بديع السموات والأرض يا ملك الملك ويا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد وأن تجعل لى من أمرى ومن ضيقى فرجاً ومخرجاً وترزقنى من حيث أحسب ومن حيث لا أحسب ففعلها يوسف فجعل الله له من الجب مخرجاً ومن كيد إخوته فرجاً وآتاه ملك مصر من حيث لا يحتسب وأوحى الله إليه وهو فى البئر لتنبئ إخوتك بما عملوا وهم لا يعلمون أنك يوسف فذلت قوله تعالى (لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) .

وقال مجاهد - خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين ولم يشفر وجمع الله بينهما وهو ابن أربعين سنة .

أخبرنا أبو عبد الله الدينورى أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف المصرى أخبرنا أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبرى أخبرنا عمران القزاز أخبرنا عبد الوارث أخبرنا يونس عن الحسن قال ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان فى العبودية والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة .

وصلنا إلى قصة يوسف عليه السلام وإخوته بعد ما أتى فى الجب فلما ألقوه فى الجب عمدوا إلى سحلة من الغنم فذبحوها وأطخوا قميص يوسف بدمها وشوها وأكلوا لحما . ثم إنهم رجعوا إلى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق فينظرهم

من يأتون بيوسف فلماذا نوا منه اصطرخوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب أنهم قد أصيبوا بمصيبة ، فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففرع يعقوب وقال مالكم يابنى وأين يوسف (قالوا يا أبانا لانا ذهبنا نستبق) أى نتفضل وكذلك هو فى قراءة عبد الله (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين) وهذا قيسه ملطخ بدمه - فذلك قوله تعالى (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) وإنما فعلوا ذلك ليكونوا فى الظلمة أجراء على الاعتذار وتزوير ما مكروا فقد قالوا - لا تطلب الحاجة فى الليل فإن الحياة فى العيين لا تعتدو بالنهار فاعلمك فتتلجج فى الاعتذار فلا تقدر على إتمامه .

وروى الشعبي - قال جاءت امرأة إلى شريح فجعلت تبكى فقال رجل ألا ترى إلى هذه المسكينة كيف تبكى فقال شريح قد جاء إخوة يوسف عشاء يبكون ثم إنه أنشد فى معناه -

أغرک من شيوخ بکاء وعلقة أم اللحية البيضاء للنتف مطلقه
فإن بنى يعقوب جاءوا أباهم عشاء وهم يبكون زوراً وغرقة

قال فلما قالوا (يا أبانا لانا ذهبنا نستبق) أى نتفضل وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب الآية إلى قوله - بدم كذب . لأنه لم يكن دم يوسف وإنما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كذاب بدال غير معجمة أى طرى فلما قالوا ذهب ليعقوب بكوا بكاء شديداً وقال لهم أرونى قيسه فأروه ، فقال تالله ما رأيت كالיום ولا ذنباً أحلم من هذا أكل ابنى ولم يشق له جيباً ولا خرق له شقاً وصاح صيحة وخر مغشياً عليه فلم يبق إلا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكى بكاء شديداً ثم أخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينه .

أخبرنا ابن فتحويه أحمد بن إبراهيم بن شاذان أخبرنا عبد الله بن ثابت أخبرنا أبو سعيد الأشج أخبرنا أسامة حدثنى زكريا عن سماك عن الشعبي قال كان فى قبص يوسف ثلاث آيات لما جاءوا به إلى أبيه فقالوا أكله الذئب فقال أبوه لئن أكله الذئب ليشقن قيسه وحين سعى نحو الباب فشقت قيسه من خلف فعرف

الوزير أنه لو كان هو الذى راودها لكان الشق من بين يديه وحين ألقى على وجهه فارتد بصيراً .

قالوا فلما أصبح إخوة يوسف من الغد رجعوا إلى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب أبيكم البارحة فإن أردتم أن يصدقكم ويخرجكم من الملامة فمروا بنا على الجب فنخرج يوسف منه ونفارق بين أضلاعه ولحمه ونجى به فقال لهم يهوذا يا إخوة أين العهد الذى بينى وبينكم والله لئن فعلتم ما تقولون لأخبرن يعقوب بما كان منكم إليه ثم لا كون لكم عدواً ما بقيت فتركوه فعند ذلك قال يعقوب لأولاده (بل سوات لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل) وهو الذى لاجزع فيه ولا شكوى « والله المستعان على ما تصفون »

قال ابن عباس إنما كان سبب بلاء يعقوب أنه ذبح شاة وهو صائم فاستطعمه جار له فلم يطعمه فأبتلاه الله تعالى بأمر يوسف قال فكشك يوسف فى الجب ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ودعا له بالدعاء الذى علمه جبريل عليه السلام جاءت سيارة أى رفقة مارة من قبل مدين تريد مصر فأخططوا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قريباً من الجب قال وكان الجب فى قعر بعيد من العمران إنما هو للرعاة والمجناة

فلما نزلت السيارة أرسلوا رجلاً من العرب من أهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى (وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه) قالوا والوارد الذى يتقدم الرفقة إلى الماء فيسمى الأرشية والدلاء فوصل الوارد إلى البئر فأدلى دلوه أى أرسله فتملق يوسف بالحبل فلما وصل إلى فم البئر ورآه مالك بن دعر فرأى أحسن ما يكون من الغلمان فقال يا مالك يا بشرى هذا غلام يابشر أصحابه أنه أصاب عبداً وأسروه بضاعة قال المفسرون أسر مالك ابن دعر وأصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقال لهم بضاعة استبضعناها من بعض الناس إلى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه الشركة إن علموا حاله .

(م ٩ — قصص الانبياء)

قال وكان يهوذا يأتي يوسف بالطعام كل يوم سرّاً من اخوته فأتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجدّه في البئر فظنّ فإذا هو بمالك وأصحابه نزولاً ويوسف معهم وقد باعوه بثمان بختين بعد أن أخرجوه من الجب وإن الذي اشتراه منهم هو عزيز مصر فذلك قوله تعالى (وشروه بثمان بختين دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) أي باعوه بثمان ناقص ظلم حرام لأن ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وإنما قال ذلك لأنهم كانوا في ذلك الزمان لايزنون ما كان وزنه أقل من أوقية أربعين درهماً إنما كان يعدونها عدداً فإن بلغ أوقية وزنوه لأن أقل أوزانهم واصغرها يومئذ أوقية أربعون درهماً .

ويروى أنهم ذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما نزلت منزلاً ولا ارتحلت إلا استبان لي بركة يوسف وكنت اسمع تسليم الملائكة عليه صباحاً ومساءً وكنت انظر إلى غمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه إذا سار وتقف على رأسه إذا وقف فلما قدموا مصر أمره مالك بن دعر أن ينقل فاغتسل وألبسه ثوباً أحسنًا وعرضه للبيع فاشتراه قطفير بن رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان على خزائن الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشه بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام .

ويروى أن هذا الملك ما مات حتى آمن بيوسف وتبعه على دينه ؛ ثم مات ويوسف حي ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافراً فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يسلم .

قال ابن عباس لما دخلوا مصر تلقى قطفير السيارة وأبتاح يوسف من مالك ابن دعر بعشرين ديناراً وزوج نعال وثوبين أبيضين .

أخبرنا أبو بكر الجوزقي أخبرنا أبو العباس الدهولي بسر حين أخبرنا على ابن الحسين الهلالي أخبرنا أبو نعيم أخبرنا زهير عن ابن إسحق عن أبي عبيد عن عبد الله بن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة ، العزيز حين تفرس في يوسف وقال

لامراته أكرمي مشواه ، والمرأة التي أتت موسى فقالت لايبها يا أبت استاجرهم وأبو بكر حين استخلف عمر ، قال الله تعالى - وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يعني أرض مصر .

(قال أهل الكتاب) لما تم ليوسف في الأرض ثلاثون سنة استوزرة فرعون مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى . (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث) الآية فلما أتى العزيز بيوسف إلى منزله وقال لامراته أكرمي مشواه فتأملته امرأة العزيز ورأت حسنه وجماله وقع حبه في قلبها وعشقه فراودته أى طلبت منه متابعتها على هواها وذلك قوله تعالى (وراودته التي هى في بيتها عن نفسه وغلفت الأبواب وقال هيت لك) أى هلم تدعوه إلى نفسها فقال يوسف عند ذلك (معاذ الله إن ربى أحسن مشواى) يعنى زوجك قطفير سيدى إنه أحسن مشواى أنه لايفلج الظالمون ؛ يعنى ان فعلت هذا فخنثته في أهله بعد ما أكرمنى واثمتنى فانا ظالم له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) ومعنى ألهم بالاشىء ما حدث المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد - قال الشاعر

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى تركت على وعثمان تبكى حلاله

أما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهما به فاختلف أهل العلم في ذلك .

قال السدى وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها فقالت له - يا يوسف ما أحسن شعرك ؛ قال هو أول شيء يثتر من جسدى قالت - يا يوسف ما أحسن عيذك قال هما أول مايسيل في الأرض من جسدى قالت - ما أحسن وجهك ، قال التراب يا كله فلم تزل تأمره وتعظمه أخرى وتدعوه إلى اللذة وهو شاب مستقبل يجد شبق الشباب وهى حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به ولم يخوف منها حتى خلوا في بعض البيوت وهم بها ، لولا أن رأى برهان ربه .

وأما البرهان الذي رآه يوسف ، وكان سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه
فاختلفوا فيه .

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبراني أخبرنا حسن بن
عطية عن إسرائيل بن أبي حسين عن أبي سعيد قال ابن عباس في قوله تعالى
(أولاً أن رأى برهان ربه) قال له مثل له يعقوب فضربه بيده على صدره .

قال فكل بنى يعقوب ولد اثنا عشر ولداً إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر
ولداً من أجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة أبيه فاستحيما منه . وقال قتادة
رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب
في ديوان الأنبياء .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد الأصماني أخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد
السكوني أخبرنا محمد بن إبراهيم بن خالد بن عمر حفص البصري ببغداد أخبرنا
خالد بن يزيد البصري أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى
(ولقد همت به وهم بها) فإذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب
فيها (ولم عليكم لحاظين كراهما كاتبتين يعلمون ما تفعلان) فقام هارباً فارأف لما ذهب
عنهما الروح والرعب عادت وعاد وإذا السكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا
معصم مكتوب فيها (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) فقام هارباً وقامت فلما
ذهب عنهما الرعب عادت وعادوا إذا السكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم
مكتوب فيها (ولا تقرّبوا الزنا لأنه كان فاحشة وساء سبيلاً) وقال الله تعالى
(كذلك أنصرف عنه السوء والفحشاء لأنه من عبادة المخلصين)

أخبرنا يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله النعماني أخبرنا عبد الله بن أحمد
ابن جابر الطبرستاني حدثني أبي قال حدثني علي بن موسى الرضا حدثني أبي عن
أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثني أبي عن أبيه عن علي بن الحسين في قوله تعالى

«لولا أن رأى برهان ربه» قال قامت امرأة العزيز إلى الصنم فظلمت دونه ثوب فقال لها يوسف ما هذا؟ قالت استحي أن يرانا فقال لها يوسف أتستحيين من الأيسم ولا يبصر ولا يفقه ولا استحي أنا من خلق الله كلها وعلمها :

قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادراً إلى باب البيت هارباً بما أرادته فاتبعت المرأة فذلك قوله تعالى (واستبقا الباب) يعنى تبادر يوسف وراعى إلى الباب أما يوسف ففراراً من ركوب الفاحشة وأما المرأة فطالباً ليوسف ليقضى حاجتها التى راودته عنها ؛ فأدركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته إليها مانعة له من الخروج فقدت أى خرقت وشقت قميصه من دبر أى من خلفه لأن يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا ألفا سيدها لدى الباب أى وجدوا زوجها قطفير عند الباب جالساً مع ابن عم لراعى فلما رآته هابته، وقالت سابقة بالقول لزوجها (ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً) يعنى الزنا (إلا أن يسجن أو عذاب أليم) يعنى الضرب بالسياط .

عن ابن عباس - وهكذا كالمثل السائر خذ اللص قبل أن يأخذك فقال يوسف بل هى راودتنى عن نفسى فأبديت وفررت منها فأدركتنى وشقت قميصى قال نوف الشامي ما كان يوسف يريد أن يذكرها فلما قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً غضب وقال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها واختلفوا فى هذا الشاهد من هو ؟

قال سعيد بن جبير والضحاك كان صديقاً فى المهد أطلقه الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال « تسكنم أربعة فى المهد وهم صغار ، ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى ابن مريم » .

وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صديقاً ولكن كان رجلاً حكيماً وله رأى وكان من خاصة الملك ، وقال السدى هو ابن راعيل كان جالساً مع زوجها على الباب لحكم بما أخبر الله تعالى عنه ((إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من

السكاذبين ، وإن كان قبضه قدم من دبر فسكذبت وهو من الضاديين (فلما رأى قبضه من دبر ، عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال لأنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ثم أقبل على يوسف فقال يا يوسف أعرض عن هذا الحديث لا تذكره لاحد ثم قال لامراته (واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين) أى من المذنبين حين راودت شاباً عن نفسه وخنت زوجها فلما استعظم كذبت عليه .

قال فشاع أمر يوسف وراعى وتحدثت الناس بذلك (وقال نسوة فى المدينة) وهى امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) أى عبدها الكنعانى قد شغفها حباً أى دخل حبه فى شغاف قلبها وهو حجابها وغلافه لأنها انزاعها فى ضلال مبين أى خطأ بين حيث تراود عبدها عن نفسه ..

فلما سمعت راعيل بمكرهن أى بقولهن وحديثهن قال ابن اسحق يعنى بكيدهن وذلك إنما قلته مكرأ بها لترين يوسف لما بلغن من حسنه وجماله فاتخذت راعيل مائدة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللواتى عيرنها فذلك قوله تعالى (وأرسلت لآيين وأعدت لهن متكئاً) اعتدت أى هبات لهن مجلساً للطعام وما يتكئن عليه من الفارق والوسائد .

عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقناة : يعنى هبات طعاماً وقال مجاهد متكئاً خفيفاً غير مهوز - وهو كل طعام تجزه بالنسكين وقال وهب اعتدت لهن اترجا وبطيخاً وموزاً ورماتاً وورداً وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقال ليوسف خرج عليهن وكانت قد أجلسته فى مجلس غير المجلس الذى هن فيه جلوس فخرج عليهن يوسف فلما رأيته أكبرنه وهالهن أمره وبهتن وقطن أيديهن بالسكاكين اللاتى معهن وهن يحسبن أنهن يقطن الانرج وغيره ..

قال قناة قطن أيديهن حتى القينها فما أحسن إلا بالدم ولم يجدن من جز الأيدى لما اشغل قلوبهن بيوسف عليه السلام ..

(وقل حاش لله) أى معاذ الله (ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم) فقالت راعيل عند ذلك للنسرة (فذلك الذى لم تنى فيه) أى فى حبه وشغفه به ثم لأنها أبدت له الميل الذى عنوها فقالت (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أى امتنع واستعصى فقالت النسرة ليوسف اطع مولانا فك قالت راعيل (لئن لم يفعل ما أمره ليسجن وليكونا من الصاغرين) فاختر يوسف حين عاودته المرأة فى المراودة وتوعدته بالسجن على الخيانة فقال (رب السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه ولا تصرف عني كيدهن أصب إليهن) أى أمل وأنا بهن (وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن لأنه هو السميع العليم ثم بدا لهم) أى العزيز وأصحابه (من بعد ما رأوا الآيات) الدالة على براعة يوسف وهو قد القميص من دبر وخمش الوجه وقطع النسوة أيديهن (ليسجننه حتى حين) .

قال السدى - وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبرانى قد فضحنى فى الناس فيما ان تأذن لى اخرج فأعتذر واما أن تحبسه كما حبستنى فحبسه بعد علمه ببرائه دفعاً للتيمة عن امرأته ، وذلك ان الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيراً ليوسف من همه وتكفيراً لزلته قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرنى عند ربك فلبث فى السجن بضع سنين وحين قال لإخوته إنكم تشارقون قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل .

ولما سجن يوسف دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كان للوليد بن الريان حاكم مصر الأكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلب والآخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه بيوص غضب عليهما الملك فحبسهما وذلك أنه بلغه عنهما أن خبازه يريد أن يسمه وان ساقيه وافقه على ذلك وكان السبب فيه أن جماعة من مصر أرادوا المسكر بالملك واغتموا له فندسوا إلى هذين الغلامين وضمنوا لهما مالا ليسما الطعام للملك والشراب فأجابهم إلى ذلك ثم إن الساقى نكل عنه والخباز غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته وأحضر الطعام قال الساقى أيها الملك لا تأكل فإن الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب لأن الشراب مسموم فقال الملك

للساقى اشرب فلم يضره فقال للخباز كل من طعامك فأنى فحرب ذلك الطعام فى دابة
من الدواب فأكلته فهلك فامر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام لما دخل
السجن قال لاهله لى أعبى الاحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب حلم هذا
العبد العبرانى فتراعى له فسألا من غير أن يكونا رأيا شيئا قال عبد الله بن مسعود
ما رأى صاحبها يوسف شيئا وإنما كان تحالما ليحربا عليه وقال قوم بل كانت رقباهما
على صحة وحقيقة فسألاه عنها . وقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قالاه والله لقد
أحببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف أنشد كما الله تعالى لا تحباني فوالله ما أحبني أحد
قط إلا أدخل على من حبه بلاء لقد أحببتى عمى فدخل على من حبه بلاء ثم أحببتى أنى
فدخل على من حبه بلاء ثم أحببتى زوجة صاحبي فدخل على من حبه بلاء فلا تحباني
بارك الله فيكما قال فأبيا إلا حبه وألفاه حيث كان وجعل يهجهما ما يريان من
فهمه وعقله وقد كانا رأيا حين دخل السجن رقبيا فأبيا يوسف فقال الساقى أيها العالم
لنى رأيت كأنى فى بستان فإذا أنا بأصل كرمة عليها ثلاث عناقيد من غيب فجئتها
كلها وكان كأس الملك بيدي فعصرتها وسقيت الملك شربة فذلك قوله تعالى (قال
أحدهما لنى أرانى أعصر خمرا . وقال الخباز لنى رأيت كأن فوق رأسى ثلاث
سلاسل فيها خبز تأكل الطير منه نبشاً وتأويله لنى أنا نراك من المحسنين) .

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عقال أخبرنا عبد الله بن محمد بن
إبراهيم بن قالويه أخبرنا محمد بن يزيد السلبى أخبرنا أبو الربيع الزهرانى أخبرنا
خلف بن خليفة أخبرنا سليم بن الضحاك بن مزاحم فى قوله (لنى أنا نراك من المحسنين)
قال كان إحسانه إذا مرض رجل فى السجن قام فإذا ضاق عليه وسع له وإن احتاج
جمع له وسأل ربه وقال فتادة بلغنا أن إحسانه كان يداوى مريضهم ويعزى حزينهم
ويجتمد لربه وقال لما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجائهم واشتد
بلاؤهم وظال جزئهم فجعل يقول أبشروا واصبروا وتوجروا لنى فى هذا الأجر
هو أبأ . فقال يافى برك الله فيك ما أحسن وجهك وخلقتك وحديثك لقد بورك
لنى فى جوارك لنى لا تحب أن نكون فى غير هذا المكان منذ رأيناك لما تخبرنا به من

الأجر والسكفارة والطهارة في ذلك فمن أنت يافتي ؟ قال أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب بن إسحق بن خليل الله إبراهيم عليه السلام فقال له عامل السجن والله يافتي لو استنظمت خلعت سبيلك ولكن سأحسن جوارك وأحسن لإيثارك فمكن فى أى بيت شئت قال فمكره يوسف أن يعبر لهما ما سألاه لما علم فى ذلك من المكروه على أحدهما فأعرض يوسف عن سؤالهما وأخذ فى غيره وقال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا شياً تمكياً بتأويله قبل أن يأتيكما فقال هذا فعل السكينة والسجرة فقال ما أنا بكاهن ولا ساحر ولكن ذليكما بما علينى ربي ثم بين لهما دينه ومذهبه فقال (إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعتم ملة آبائى إبراهيم وإسماعيل ويعقوب) الخ الآية فأراهما يوسف فطنته ودرايته ثم دعاها إلى الإسلام وأقبل على أهل السجن وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال إلزما للحجة (يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الواحد القهار ما تعبدون من دونه) الآية ثم فسر رؤياهما لما ألحا عليه فقال (يا صاحبي السجن أما أحذكما) وهو الساقى (فيسقى ربه خيراً) يعنى الملك ويعود إلى منزلته التى كان عليها أما العناقيد الثلاثة فإنها ثلاثة أيام فى السجن ثم يخرج (وأما الآخر فيصلب) والسلال التى رآها فى المنام ثلاثة أيام فيبقى فى السجن ثم يخرج (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) .

قال ابن مسعود : لما سمعنا قول يوسف عليه السلام قال ما رأينا شيئاً إلا بما كنا نغلب ونجرب عليك هذا فقال يوسف قضى الأمر الذى فيه نستفتيان أى فرغ الأمر الذى عنه تسألان .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد الوزان أخبرنا محمد بن هبيل الله الصفار أخبرنا أحمد بن مهران عن أبى رزين العقيلي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول د أن الرؤيا على رجل طائر ما لم تعب فإذا عبرت وقعت ، إن الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة وأحسبه قال لا تقصها إلا على ذى رأى وعقل قال ﷺ د الرؤيا الأولى عابر ، فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذى علم أنه ناجٍ منهم ما وهو العافى اذ كرت عند ربك يعنى الملك وقل له فى السجن غلام محبوس ظالماً (فأنساه الشيطان ذكره

ربه) الآية والبضع ما بين الثلاثة إلى العشرة . وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين .

وقال وهب بن منبه أصاب أيوب البلاء سبع سنين وعذب بختنصر بالمسخ سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين .

وروى يونس عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : رحم الله أخى يوسف لولا كلمته ما لبث في السجن ما لبث ، يعنى قوله اذكرنى عند ربك ثم بكى .

وقال الحسن : نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس .

وقال مالك بن دينار . لما قال يوسف للساقى (اذكرنى عند ربك) فقبل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبى كثرة البلى فقلت ما قلت فويل لإخوتى .

ويحكى أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو فى السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا المنذرين ما لى أراك بين المخطئين ؟ فقال له جبريل عليه السلام يا طاهر الطاهرين اقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت منى استشفعت بالآدميين فوعزتى لأبيئتك فى السجن بضع سنين قال يوسف يا أخى يا جبريل وهو فى ذلك راضى عنى ؟ قال نعم . قال إذا لا أبالى .

وقال كعب الأحبار قال جبريل ليوسف إن الله تعالى يقول لك من خلقك ؟ قال الله تعالى ؛ قال فن حببك إلى آتيتك ؟ قال الله تعالى قال فن آنسك فى البر وألبسك وأنت عريان ؟ قال الله تعالى قال فن نجاك من كرب البئر ؟ قال الله تعالى قال فن علمك تأويل الرؤيا ؟ قال الله تعالى قال فكيف استعشت بأدمى مثلك ؟ قالوا فلما انقضت سبع سنين قال السكلى وهذه السبع سوى الخمس التى كانت قبلها وذلك أنه حبس خمس سنين قبل أن يستشفع بالساقى وهو قوله تعالى (ليسجنه حتى حين) .

فلما استشفع بالساقى وقال له اذ كرنى عند ربك لبث فى السجن سبع سنين فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته رأى ملك مصر الأكبر وهو الريان بن الوليد رؤيا عجيبة فهايته وذلك أنه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت فى بطونهن فلم ير منها شيئاً . ورأى سبع سذبلات خضر قد انعقد حبها وأفركت وسبع أخرى يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والسكنة ومعبريه وقصها عليهم وقال (أيها الملك أفنوني فى رؤياى إن كنتم للرؤيا تعبرون) أى تفسرون . قالوا أضغاث أحلام (مختلطة مشتبهة التأويل أباطيل) وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ، وقال الذى نجا منها (أى من القيتين وهو الساقى) وادكر بعد أمة (أى بوذكر حاججة يوسف بعد حين قال ابن عباس بعد أمة أى بعد سنين) أنا أنبئكم بتأويله فأسئلون (أى إلى السجن .

قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن السجن فى المدينة فبعثوه فأتى ليوسف فقال له (أيها الصديق) يعنى فيما عبرت لنا من الرؤيا والصديق هو كثير الصديق (أفئنا فى سبع بقرات سمان يا كنان سبع عجاف) إلى قوله (لعلمهم يعلمون) أى فضلك وعلمك فقال له يوسف (تزرعون سبع سنين دأباً) إلى قوله (وقيه يعصرون) خرج الساقى إلى الملك وأخبره بما أفئناه به يوسف من تأويل رؤيا كالنهار وعرف الملك أن الذى قال كاهن فقال الملك اتنوني بالذى عبر رؤياى هذا فلما جاء الرسول إلى يوسف أبى أن يخرج معه حتى يعرف عذره وبراهته ويعرف صحة أمره من قيل النسوة فقال للرسول (إرجع إلى ربك) أى سيدك الملك (فأسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي يكيدهن علم) .

قال ابن عباس لوخرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك شأنه مازالت فى نفسه منه حاجة يقول هو هذا الذى راود امرأتى وقال رسول الله ﷺ لقد عجبت من أخى يوسف وكرمه وصبره والله تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف

ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشتراط أن يخرجوني ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لأسرع الإجابة وبادرت الباب ولم أبتغ العذر والله لأنه كان حليماً
 ذا أناء ، قال فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالة فدعا النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن (ماخطبكن إذ راوتن يوسف عن نفسه قلن حاشا لله ماعلينا عليه من سوء) قالت امرأة العزيز (الآن حصحص الحق أنا راوته عن نفسه ولأنه لمن الصادقين) فلما سمع يوسف قال (ذلك ليعلم إنى لم أخنه بالغيب وإن الله لا يهدي كيد الخائنين) فقال له جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف ؟ فقال يوسف عند ذلك (وما أبرئ نفسي) الآية فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وكفائته وديانته وعلمه وعقله قال (ائتوني به استخلصه لنفسى) فلما جاء الرسول إلى يوسف قال أجب الملك الآن فخرج يوسف ودعا لأهل السجن بدعاه يعرف إلى اليوم وذلك أنه قال : اللهم عطف عليهم قلوب الاختيار ولا تنعم عنهم الاختيار فهم أعلم الناس بالاختبار إلى اليوم في كل بلدة .

ثم لأنه اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثياباً جدداً حسناً وقصد إلى الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي حسبي ربي من خلقه عن جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره ؛ فلما دخل على الملك قال ، اللهم إني أسألك بخيرك من خيريه وأعوذ بك من شره وشر غيره ، فلما نظر إليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان ؟ قال لسان عمى إسماعيل ثم لأنه دعاه بالعبرانية ثانياً فقال له ما هذا اللسان ؟ قال لسان أبى يعقوب .

فأعجب الملك ما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنه وغزارة عليه قال لمن عنده إن هذا تأويل علم رؤياي ولم تعلمه السكينة والسحرة ثم أنه أجلسه وقال إني أحب أن اسمع رؤياي منك شفهاً فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل قطعن عليك من شاطئه تشعب أنخلافهن لبناً فبيئنا أنت كذلك تنظر إليهن وقد

أعجبك حسنهم إذا غضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره نخرج من حمته ووحله سبع
بقرات عجاف شعث غير ملصقات البطون ليس لمن ضررع ولا أخلاف ولهن
أنياب وأضراس وأكف كما كف السكالب وخراطيم كخراطيم السباع ؛ فاختلطن
بالسمان واقتربن من اقتراس السباع وأكلن لحمهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن
ومششن مخن ، فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبتهن وهن مهازيل لم يظهر فيهن سمن
ولا زيادة بعد أكلهن إذا سبع سنبلات خضر وسبع آخر سود يا بسات في منبع واحد
عروقه في الثرى والماء . فبينما أنت تقول في نفسك ما هذا ؟ هؤلاء خضر مشمرات
وهؤلاء سود يا بسات والمنبت واحد وأصولها في الماء إذ ذهبت ريح فردت أوراق السود
اليابسات على الخضر المشمرات فأشعلت فيهن النار فأحرقتن وصرن سوداً متغيرات
فهذا آخر ما رأيت من الرقيا ، لأنك انتهيت مذعوراً فقال له الملك والله ما شأن
هذه الرقيا وإن كانت عجيباً بأعجب مما سمعته منك ، فما ترى في رؤياي أيها الصديق ؟
فقال يوسف الصديق : لأنى أرى أيها الملك أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كبيراً في
هذه السنين الخصبية وتبنى الخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون أبقى له
ويكون قصبه وسنبله علفاً للدواب ، وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس
فيكفئك الطعام الذى جمعه لأهل مصر ومن حولها ثم تأتيك الخلق من جميع
النواحي فيمتمرون منك بحكمك فيجتمع عندك الكسوز مالم يجمع لأحد قبلك
فقال له الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعه لى ويكفئنى الشغل فيه ؟ فقال له يوسف
(أجمعنى على خزائن الأرض لى حفيظ عليم) أى كاتب حاسب ، وقيل حفيظ لما
استودعنى عليم بسى الجماعة وباغة من يأتئى . قال له الملك ومن أحق به منك
وولاه ذلك كله وقال له (لأنك اليوم لدينا مكنين أمين)

وروى سفيان عن أبى سنان عن عبد الله بن أبى الهذلى قال : قال الملك
ليوسف لى أريد أن تخاطبى فى كل شىء غير لى آف أن نأكل معى . فقال له
يوسف لى أحق أن آنف بذلك منك لأنى أنا ابن يعقوب ابن إسحق ابن إبراهيم
خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه .

قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دطاء الملك فتوجه بتاجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه فدانت له الملوك ولزم الملك وفوض اليه امر مصر وهزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن قريب فزوج الملك يوسف براعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها اليس هذا خيراً مما كنت تريدين مني ؟ فقالت له أيها الصديق لا تلدني فإنني كنت امرأة حسناء ناعمة كما رأيت في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي الا سيئاً وكنت كما جعلك الله في صورتك وهيئتك فغلبتني نفسي فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فأصابها فولدت له ابنتين لفرانيم وميثا ابني يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف ملك مصر فأقام فيها العدل فأحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى (وكذلك نجزي المحسنين وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) يعنى أرض مصر (يتبوا منها من حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين) وللبخترى في هذا المعنى :

أما في رسول الله يوسف أسوة لمثلك محبوساً على الظلم والإفك
أقام جميل الصبر في السجن برهة فآل به الصبر الجميل إلى الملك
وكتب بعضهم إلى صديق له هذه الابيات :

وراء مضيق الخوف متسع الآمن وأول مفروح به آخر الحزن
فلا تياسن فآله ملك يوسف خزانته بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف في ملكه وخلت السنون المخضبة ودخلها المجديّة جاءت بهول لم يعهد الناس مثله فأصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط نام الملك فبينما هو نائم إذ أصابه الجوع (فتهف الملك يا يوسف الجوع فقال يوسف هذا أول القحط والجوع) فلما دخل أول سنة من سنى الجذب هلك فيها كل شئ أعدوه من السنين فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم في أول سنة بالنقود من الذهب والفضة حتى لم يبق في مصر درهم ولا دينار إلا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحنى والحلل والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شئ وباعهم في السنة الثالثة بالمواشى

والدواب حتى احتوى عليها أجمع؛ وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق عبد ولا أمة إلا أخذه وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها ولم يبق لأحد ملك، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم فإن الرجل كان يشتري بولده الخنطة أو الشعير من شدة المسنة فلم يبق لأحد ولد ذكر ولا أنثى إلا مملوك وباعهم في السنة السابعة برقابهم وأرواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة إلا صار مملوكاً له فتهيجب الناس من أمر يوسف وقالوا تالله ما رأينا ملكاً أجمل من هذا ولا أعظم ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربى فيما خولنى فما ترى فى هذا فقال له الملك الرأى رأيك وإنما نحن لك تبع فقال يوسف فإنى أشهد الله وأشهدك أنى قد أعتقت أهل مصر جميعاً .

وروى أن يوسف كان لا يشبع من الطعام فى تلك الايام فقبل له أن تجوع وبعدك خزان الأرض فقال لى أخاف إن شبعت أن أنسى الجماع .

وروى أن يوسف أمر طباطبا الملك أن يجعل غذاءه نصف النهار مرة واحدة فى اليوم والليله ، وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجماع ويحسن إلى المحتاجين ففعل الطباطبا ذلك فن ثم جعل الملوك غذاءهم نصف النهار ، وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن أحداً منهم وإن كان عظيمامن أكثر من حمل بعير نقسيماً بين الناس وتوسيعاً عليهم . فتزاحم الناس عليه قالوا وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام من القحط والشدة ما أصاب سائر البلاد ونزل بيهقوب من ذلك منازل بالناس فأرسل بنيه إلى مصر يطلبون الميرة وأمسك عند بنيامين أخا يوسف لأمه ، فجاء بنو يعقوب إلى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين من ثغور الشام وكانوا أهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وأنكره لما أراد الله تعالى يبلغ يوسف ما أراد .

وقال ابن عباس وكان بين أن قذفوه فى الحب وبين أن دخلوا عليه أرض مصر أربعون سنة فلذلك أنكره وقيل إنه كان متزيماً بى فرعون مصر فكانت عليه

ثياب الحرير جالسا على سرير وفي عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب
فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبينه ستر فلذلك أنسكروه .

قال بعض الحكماء المعصية تورث النسيئة ولذلك قال الله تعالى (وجاء إخوة
يوسف فدخلوا عليهم فعرّفهم وهم له منكرون) قالوا فلما نظر إليهم يوسف وكلوه
بالعبودية قال لهم أخبروني من أنتم وما أمركم فإني أنكرت شأنكم ؟ فقالوا نحن قوم
من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نبتاع قمحا فقال لعلكم عيون جشتم تنظرون
عورة بلادى ؟ فقالوا لا والله وما نحن بجواسيس وإنما نحن إخوة بنو أب واحد
شيخ كبير صديق من أنبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال فكم أنتم ؟ قالوا نحن
كننا اثنا عشر فذهب منا أخ إلى البرية فملك فيها وكان أحب إلى أبينا منا قال كم
أنتم ههنا ؟ قالوا عشرة قال فأين الآخر ؟ عند أبينا لأنه أخو الذي هلك من أمه
فأبونا يتسلى به . قال فمن يعلم أن الذي تقولون حق ؟ فقالوا أيها الملك إننا في بلاد
لا نعرف فيها . فقال يوسف : فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين فإني
أرضى بذلك قالوا إن أبانا يحزن على فراقه وسراوده عنه ، قالوا فضعوا بعضهم
عندى رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فأصاب القرعة شمعون وكان أبرهم
بيوسف فخلّفوه عنده فذلك قوله تعالى (لما جهزهم بجهازهم قال اتّوني بأخ لكم من
أبيكم) الآية إلى قوله (ولما لفاعلون) فقال عند ذلك يوسف لفتياناه أى لغلماناه
الذين يكيلون الطعام (اجعلوا بضاعتهم) أى ثمن طعامهم .

قال ابن عباس كانت بضاعتهم النعال والأدم ، وقال قتادة كانت ورقا في
وحالهم (لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون)

واختلف العلماء في السبب الذي فعل ذلك يوسف بهم من أجله : قال يوسف تخوف
يوسف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به إليه مرة أخرى ، وقيل خشى أن يشق
أخذ ذلك منهم على أبيه إذا كانت السنة سنة جذب وقيل رأى لو ما أخذ ثمن الطعام
من أبيه وإخوته مع احتياجهم إليه فرد عليهم من حيث لا يعلمون تسكرما وتمضلا ،

وقيل فعل ذلك لانه علم أن دياتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة ولا يستحلون
إمساکها فیرجعون إليه لأجلها فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا قدمنا على خير
رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجل من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال
لهم يعقوب إذا أنتم ملك مصر فاقروا عليه منى السلام وقولوا له إن أبانا يصلى
عليك ويدعوك بما أوليتنا ثم إنه قال لهم أين شمعون؟ فقالوا له إن الملك ارتبه
فأنا تبه بنيامين ثم أخبروه بالقصة فقال لهم ولم أخبرتموه بذلك؟ فقالوا إنه أخذناه
وقال إنكم جوراسيس حيث كلناه لسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة (وقالوا
يا أبانا منع السكيل فأرسل معنا أخانا) يعنى بنيامين (نسكتل ولنا له لحاظون)
فقال يعقوب (هل آمنكم عليه إلا كما آمنتم على أخيه من قبل) الآية .

قال كعب لما قال يعقوب (فآله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) قال الله وعزى
وجلالى لأردن عليك كلاهما بعد ما توكلت على قالوا (ولما فتحوا متاعهم) الذى
حاوله من مصر (وجدوا بضاعتهم) أى ثمن طعامهم (ردت إليهم) قالوا يا أبانا
ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك
كيل يسير) فقال لهم يعقوب (إن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتينى
به إلا أن يحاط بكم) أى تملكوا جميعاً .

وروى جوبير عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى (حتى تؤتون موثقاً
من الله) يعنى حتى تحلفوا إلى بالله وبحق محمد خاتم النبیین وسيد المرسلين أن لا تغدوا
بأخيك ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم قال يعقوب (الله على ما نقول وكيل) أى شاهد
بالوفاء فلما أرادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا
من أبواب متفرقة وذلك أنه خاف عليهم العين لأنهم كانوا ذوى جمال وهيبة وصور
حسان وقامات ممتدة وكانوا أولاد رجل واحد فأمرهم أن يتفرقوا فى دخولهم البلد
ثلاثاً يصابوا بالعين ثم قال لهم (وما أغنى عنكم من الله من شئ إن الحكم إلا الله

عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوه)
 وكان لمصر أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها (ما كان يغنى عنهم من الله من شيء)
 صدق الله يعقوب عليه السلام فيما قال إلى قوله تعالى (ولما كن أكثر الناس لا يعلمون)
 ولما دخلوا على يوسف في المرة الثانية قالوا يا أيها العزيز هذا أخونا الذي أمرتنا
 أن نأتيك به قد جئناك به قال لهم أحسنتم واصبتم وستحمدون على ذلك عندي
 ثم إنه أنزلهم وأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة وأجلس بنيامين
 وحده وحيداً فبكى وقال لو كان يوسف حياً لأجلسني معه فقال لهم يوسف لقد
 بقى أخوكم هذا وحيداً فريداً ثم أجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما
 كان الليل أمر لهم يوسف بمثل ذلك وقال ليبت كل اثنين منكم على فراش واحد
 فلما بقى بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه فجعل
 يوسف يضمه إليه ويشم ريحه حتى أصبح فجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا
 فلما أصبح قال لهم إني لأرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس له أخ يؤنس فإني
 تشاء وأضمه إل أبيكون منزله معي ثم إن يوسف أنزلهم منزلاً وأجرى عليهم
 الطعام والشراب وأنزل أخاه لأمه معه .

فذلك قوله تعالى (آوى إليه أخاه) فلما خلا به قال له ما اسمك . قال بنيامين
 قال له وما بنيامين ؟ قال المشكل وذلك أنه لما ولد فقد أمه قال وما اسم أمك ؟ قال
 راحيل بنت لئان بن ناحور قال فهل لك من ولد ؟ قال نعم كم ، قال عشرة بنين
 قال فلما أسماؤهم لقد اشتقت أسماءهم من اسم أخ لي من أمي هلك اسمه يوسف فقال
 يوسف لقد اضطرك ذلك إلى حزن شديد فما أسماؤهم ؟ قال بالعا وأخير وأشكل
 وأحيا وخير ونعمان وورد ورأس وعيثم وعيثم قال فما هذه الأسماء ؟ قال أما بالعا
 فإن أخي ابنلته الأرض وما أخير فإنه كان بكر أمي وأما أشكل فإنه كان أخي لاني
 وأمي ومنى وأما أحيا فلسكونه كان حياً وأما خير فإنه كان خيراً حيث كان وأما
 نعمان فإنه كان ناعماً بين أبويه وأما ورد فإنه كان بمنزلة الورد في الحسن ، وأما رأس
 فإنه كان بمنزلة الرأس من الجسد وأما عيثم فاعلمني أبي أنه حي وأما عيثم فلو رأيت

غمرته لقرت عيني وتم سرورى فقال له يوسف أتحب ان أكون أخالك بدل أخيك ذلك الهالك فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه وحانقه وقال (لاني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون) ولا تعلمهم بشيء من هذا ثم إن يوسف أوفى لإخوته الكيل وحمل لبنيامين بعير آ .

قال كعب : لما قال له لاني أنا أخوك قال بنيامين فإني إذا لا أفارقك قال يوسف لاني قد علمت باغتيال الوالد فإن حبسته زاد غمه ولا يمكنني حبسك إلا بعد اشتراك بأمر فظيع فقال لا أبالي أفعلم ما تريد فقال يوسف لاني أدس صاعى هذا فى رحلك ثم أنادى عليكم بالسرة ليتبينأ لى ردك بعد تسريحك قال أفعلم فذلك تقوله تعالى (فلما جهزهم بجهازهم جعل الساقية فى رحل أخيه) وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كأساً من الذهب مكللاً مرصعاً بالجواهر جعلها يوسف مكياً لا يكتال بها ثم إنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى ظنوا ثم إن يوسف أمرهم فادركوا وحبسوا عن المسير (ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم اسارقون) فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوف كليلكم وفعلنا لكم ما لم تفعل لغيركم قالوا بلى وما ذاك ؟ قال سقاية الملك فقدناها ولم تنهم عليها غيركم (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين) ولما منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد أحداً بسوء واسألوا عنا من مر بنا به هل أضررنا أحداً أو أفسدنا شيئاً ولما قد ردونا الداهم لما وجدناها فى رحالنا فلو كنا سارقين ما ردوناها . وفى الحديث (لانهم لما دخلوا مصر كموا أفوافدوا بهم لثلاثتناول من حروث الناس شيئاً) فقال الرسول إنه صاع الملك الأكبر الذى يتسكن فيه وإنه أتمنى عليه فإن لم أجده تخوفت أن تسقط منزلتى عنده وأفتضح فى مصر فن رده على فله حمل بعير من طعام وأنا به زعيم أى كفيل قالوا معاذ الله أن تسرق فقال المؤذن وأصحابه فما جزاؤه أى جزاء من وجد فى رحله إن كنتم كاذبين (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين) فقال الرسول عند ذلك لا بد

من تفتيش أمتعتكم واستم ببارحين حتى أفلتسها ؛ ثم إنه انصرف بهم إلى يوسف (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه) لإزالة التهمة ؛ وكان يفتش أمتعتهم واحداً واحداً .

قال قتادة : ذكر لنا أنه كان لا يفتح متاعاً ولا ينظر إلى وعاء أحد إلا استغفر الله تعالى عما قذفهم به حتى لم يبق إلا الغلام فقال ما أظن هذا الغلام أخذ شيئاً فقامت إخوته والله ما نتركك حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك ولا نفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوا الصاع منه فلما أخرج الصاع من رحل بنيامين تسكس إخوته رءوسهم من الحياء ثم أقبلوا على بنيامين فقالوا إيش الذي صنعت بنا وفضحنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لا يزال لنا منك بلاء أخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين : هل بنوا راحيل الذين لا يزال لهم منك بلاء ذهبتم بأخي إلى البرية فاهلكتموه إن الذي وضع الصاع في رحلي هو الذي وضع الدراهم في رحالكم ثم إنهم قالوا ليوسف (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) وهذا هو المثل السائر :
عذره شر من جرمه .

واختلف العلماء في السرقة التي وصفوا بها يوسف قال سعيد بن جبير وقاتة السرقة التي وصفوا بها يوسف أنه سرق صنبا لجده أبي أمه من ذهب فمكسرة والقاه في الطريق وقال ابن جريج أمرته أمه وكانت مسلمة أن يسرق صنبا لحاله من ذهب فأخذه وكسره وقال بجاهد جاء سائل يوما فسرق يوسف ببضة من البيت وأعطاه السائل وقال ابن عيينة دجاجة فناولها السائل فغيره بها وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقال الضحاك وغيره - كان أول ما دخل على يوسف من البلاء أن عمته بنت إسحق كانت أكبر ولد إسحق وكانت منطقة لإسحق عندها وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت راحيل أم يوسف ماتت لحضنته عمته وأحبته حباً شديداً وكانت لا تصبر عنه فلما ترعرع وبلغ سنوات وقع خبه في قلب يعقوب فأناها وقال لها يا أختاه سلمى إلى يوسف فوالله ما أصبر عنه ساعة واحدة فقالت

له ما أنا بتاركته فلما ألح عليها يعقوب قالت ذعه عندي أياما انظر إليه لعل ذلك يسلمني عنه ففعل ذلك فلما خرج يعقوب من عندها عمدت إلى منطقة إسحق لحزمت يوسف بها تحت ثيابه ثم إنها قالت فقدت منطقة إسحق فانظروا من أخذها فالتفت فلم تجدها فلما فتشوا أهل البيت وجدوها مع يوسف فقال والله إنه سلم لي اصنع فيه ما شئت وكان ذلك حكم آل إبراهيم في السارق فانها يعقوب فأخبرته بذلك فقال إن كان هذا فهو سلم لك لا أستطيع غير ذلك فأمسكته بملء المنطقة فما قدر عليها يعقوب يأخذه منها حتى ماتت فهو الذي قال لإخوته (إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرهما يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون) .

قالت الرواة لما دخلوا على يوسف واستخرج الصاع من رحل بنيامين ودعا يوسف بالصاع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال إن صاعى هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلا وإنكم انطلقتم بأخ فيبعثوه فلما سمع بنيامين قام فسجد ليوسف وقال أيها الملك سل صواعك هذان أخى أخى أين هو؟ فنقره ثم قال له جئ وسوف تراه فقال بنيامين واصنع بي ما شئت فإنه أعلم بي سوف يستنقذنى قال فدخل يوسف إلى منزله ثم إنه بكى وتوضأ فقال بنيامين أيها الملك إنى أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذى سرقه فجعله في رحله فنقره ثم إنه قال إن صواعى غضبان وهو يقول كيف تسألنى عن صاحبي الذى سرقنى وقد رأيت مع من كنت قال وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاؤرا فغضب روبيل وقال أيها الملك والله إن لم تتركنا وتترك أخانا لأصيحن صيحة لا يبقنى في مصر امرأة حامل إلا ألقى ما في بطنها وقامت كل شعرة في جسده خرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب إذا غضبوا ومس أحدهم الآخر ذهب غضبه فقال يوسف لإبنه قم إلى جنب روبيل ومسه فقام الغلام نفسه فمسك غضبه فقال روبيل إن في هذا البيت شيئا من ولد يعقوب فقال يوسف من يعقوب؟ فغضب روبيل وقال أيها الملك لا تذكر يعقوب فإنه لإسرائيل الله ابن إسحق بن إبراهيم خليل الله قال يوسف أنت إذا إن كنت

«صادقاً صادقاً فلما أراد يوسف أن يحتبس أخاه عنده ويصير بحكمه ولأنه أولى به منهم واحتبسوه ورأوا أن لاسبيل لهم إلى تخليصه منه سأله أن يخليه لهم ويعطوه واحداً منهم بدله فقالوا (يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ واحداً مكانه إنا نراك من المحسنين قال) يوسف (معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) . ولم يقل من سرق تحرزاً من الكذب (إنا إذا لظالمون) إن أخذنا بريئاً بسقيم (فلما استمأسوا منه خلصوا نجياً) أى خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين فقال كبيرهم يعنى فى العقل وهو شمعون .

وقال قتادة والسدى كبيرهم فى السن وهو روبيل (ألم تعلموا أن أباًكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله) فى هذا الغلام لتردوه (ومن قبل ما فرطتم فى يوسف) أى من قبل هذا قصرتم فى شأن يوسف (فلن ابرح الأرض) يعنى أرض مصر (حتى بأذن لى أبى) فارجع إلى الملك فأنجزه القتال (أو يحكم لى) وهو خير الخالكين ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا (أى نحن رأينا سرقة معه) وما كنا للغيب حافظين (حين سألناك أن ترسله معنا ولو علمنا الغيب أن يسرق ما ذهبنا به معنا) (وأسأل القرية) يعنى وأسأل القرية (التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها) يعنى قومنا صحبوهم من أهل كنعان (وإنا لصادقون) لك فى قولنا فارجعوا إلى يعقوب بذلك القول فقال يعقوب (بل سألتم أنفسكم أمراً فصبراً جميل) وهو الذى لا جزع فيه (عسى الله أن ياتينى بهم جميعاً) يعنى يوسف وبنيامين (لأنه هو العلم الحكيم) وتولى عنهم يعقوب (وقال يا أسفا على يوسف) وذلك انه لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه وبلغ جمده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم (وقال يا أسفا على يوسف) والاسف أشد الحزن .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « لم تعط أمة من الأمم عند المصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون إلا أمة محمد ﷺ ، ألا ترى إلا يعقوب حين أصابه على ابنه ما أصابه من الحزن لم يسترجع إنما قال يا أسفا على يوسف .

وقال الحسن ؛ كان بين خروج يوسف من عند أبيه إلى يوم الإلقاء معه أكثر من ثلاثين سنة لأن يوسف أخذ من أبيه وهو ابن عشرة سنين ثم توصل إلى الملك وهو ابن ثلاثين ولم تحف عيناه من الدموع وما كان على وجه الأرض أكرم على الله تعالى من يعقوب فلما شكى وبكى قال له ولده (تالله تفتق تذكر يوسف حتى تكون حرضاً) أى مريضاً ذاهب العقل من الهم (أو تكون من المالكين) فقال يعقوب لما رأى غلظتهم وجفوتهم (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) لا إليكم وفى الحديث : إن يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقة فقال له بعض جيرانه فتمشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أخوك فما بلغ بك ما أرى ؟ فقال طول الزمان وكثرة الأحزان فأوحى الله تعالى إلى يعقوب : أتشكونى إلى خلقى ؟ فقال يارب أخطأتها فاغفرها لى ، قال قد غفرت لك فيكأن بعد ذلك إذا سئل قال (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) .

أخبرنى الحسين بن فضال : أخبرنا أحمد بن الحسين بن حامد أخبرنا الحسين بن أيوب أخبرنا عبد الله بن أبي زياد أخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن السبط قال سمعت أبي يقول بلغنا أن رجلاً قال ليعقوب ما الذى أذهب بصرك ؟ قال حزنى على يوسف قال فما الذى قوس ظهرك ؟ قال حزنى على أخيه فأوحى الله تعالى إليه يا يعقوب أتشكونى وعزنى وجلالى لا أكشف ما بك حتى تدعونى فقال عند ذلك (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) .

قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله يعقوب عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالى فى طول بلائه ساعة من ليل أو نهار فعند ذلك خرج إخوة يوسف راجعين إلى مصر وهذه كرة ثالثة فدخلوا على يوسف (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز) أى الملك بلغة مصر (مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة) أى قليلة رديئة لا تتفق فى ثمن الطعام إلا بتجاوز من البائع فيها واختلف المفسرون فى هذه البضاعة ما هى فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا لا تتفق إلا بوضيعة .

وقال ابن أبي مليكة رضى الله عنه كانت خلفه الغرائر والحبال رداء المتاع .

وقال عبد الله بن الحارث والحسن كانت أمتعة الأعراب الصوف والسن والاقط
وقال الضحاك كانت النعال والأدم والسويق المقل (فأوف لنا السكيل وتصدق
علينا إن الله يحزى المتصدقين) .

قال الضحاك : لم يقولوا إن الله يحزى إن تصدقت علينا لأنهم لم يعلموا أنه
مؤمن وقال عبد الجبار بن العلاءي سئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على
أحد من الأنبياء سوى نبيينا محمد ﷺ فقال سفيان ألم تسمع قول الله تعالى وتصدق
علينا) أراهم سفيان ان الصدقة كانت لهم حلالاً وإنما حرمت على نبيينا عليه الصلاة
والسلام فقال لهم يوسف مجيباً لهم عند ذلك (هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه إذ
أنتم جاهلون) واختلف العلماء في السبب الذي حل يوسف على هذا القول الذي كان
بده فرج يعقوب وراحله وآخر بلائه ومحنته فقال بن إسحق ذكر لنا أنهم لما
كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه وأدركته الرقة فأرفض دمه با كياً ثم باح بالذي
كان يكتنهم فقال (هل علمتم ما فعلتم) الآية .

وذلك ان يعقوب لما قيل له إن ابنك سرق كتب إلى يوسف كتاباً من يعقوب
إسرائيل الله بن إسحق ابن إبراهيم خليل الله عزيز مصر المظهر العدل والموفى
السكيل أما بعد فإننا اهل بيت موكل بنا بالبلاء فأما جدى فابتلى بالنمر وذفدت يده
ورجله وألقى في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً وأما أبى فشدت يده ورجله
ووضع السكين على قفاه لينذج ففداه الله بنذج عظيم . وأما أنا فمكنا لى ابن وكان
أحب اولادى إلى فذهب به لإخوته إلى البرية ثم اتونى بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا
قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائى عليه ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من امه
وكنت أتسلى به فذهبوا ثم رجعوا وقالوا لأنه سرق ولأنك حديثه لذلك ولأننا
أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً فإن رددته على ولاد دعوت عليك دعوة تدرك
السابع من ولدك .

فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فاظهر أمره

وقال بعضهم إنما قال ذلك حين سأل أخاه بنيامين هل لك ولد؟ قال نعم: ثلاثة بنين، قال فما سميتهم؟ قال سميت الأكبر منهم يوسف قال ولم؟ قال محبة لك ولذكرك قال فما سميت الثاني؟ قال ذنباً قال ولم الذئب وهو سبع عاقر؛ قال لاذكرك به قال فما سميت الثالث قال دما قال ولم قال، لاذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة ولم يتمالك إن قال لإخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذا أنتم جاهلون قالوا أنك لأنت يوسف) ابن إسحق لما قال يوسف لإخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا (أأنا لك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى .

وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف (هل علمتم ما فعلتم) الآية ثم تبسم وكان إذا تبسم كأن ثناياه اللؤلؤ المنظوم فلما أبصروا ثناياه شبهوه بيوسف فقالوا له مستقيمين أنك يوسف .

وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال إن إخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع الناج عن رأسه وكان له في فرقه علامة وكان يعقوب مثلها وكان لإسحاق مثلها وكان لسارة مثلها شبه الشامة فلما رفع الناج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له (أنا لك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا) بأن جمعنا بعد ما فرقتم بيننا (لأنه من ينق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) ثم لهم أقروا بفضل يوسف عليهم وجريتهم إليه فقالوا (تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين) فقال يوسف وكان حليماً كريماً موقفاً (لا تثرى عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) .

قال السدى وغيره: لما عرفهم يوسف بنفسه سألمهم عن أبيه فقال ما فعل أبي من بعدى؟ قالوا ذهب عيناه فأعطاهم قميصه .

قال الضحاك كان ذلك القميص لا يقع على مبتلى ولا على سقيم إلا صح وعوفي فأعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذى كان لإبراهيم وقد مضت قصته فقال لهم

(اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً واتنوني بأهلكم أجمعين)
فلما فصلت العير من مصر متوجهين إلى كنعان قال أبوهم يعقوب (إني لأجد ريح
يوسف لولا أن تفندون) أي تسفهون .

وروي أن ريح الصبا استأذنت ربها أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن
يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأنته بها ، قال ابن عباس : وجد يعقوب ريح
يوسف من مسيرة ثمان ليال وقال مجاهد وذلك أنه هبت ريح فصفتت القميص
فاحتملت الصبا ريح القميص إلى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم أنه ليس في الأرض
من رياح الجنة إلا ما كان عن ذلك القميص فن ذلك قال (إني لأجد ريح يوسف
لولا أن تفندون) فقال له بنوه (تالله إنك لفي ضلالك القديم) فلما جاء البشير
وهو يهوذا ابن يعقوب قال ابن مسعود جاء البشير من بين يدي العير ، وقال السدي
قال يهوذا ليوسف أنا ذهبت بالقميص ملطخاً بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف
أكله الذئب فأعطني اليوم قميصك لأخبره أنك حي فأفرجه كما أحزنه .

قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج ماشياً حامراً حافياً وجعل يعدو حتى أتى أباه
وكان معه سبعة أرغفة فلم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين
فرسخاً فلما أتاه بالقميص القاه على وجهه فارتد بصيراً قال الضحاك رجع إليه بصره
بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان يعقوب عليه السلام أكرم أهل
الأرض على ملك الموت وإن ملك الموت استأذن ربه أن يأتي يعقوب فأذن له
فجاءه فقال له يعقوب يا ملك الموت أسألك بالذي خلقك هل قبضت نفس يوسف
فيمن قبضت من النفس فقال لا ثم قال له ملك الموت يا يعقوب ألا اعلمك كلمات؟
قال بلى قال قل يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصى أحد غيرك قال فدعاها
يعقوب في تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرح القميص على وجهه فارتد بصيراً فقال
لهم عند ذلك (ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر
لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربى) الآية

قال أكثر المفسرين آخر ذلك إلى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وذلك ان الدماء في الاسحار لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب إلى الوعد قام إلى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه إلى الله عز وجل - وقال - اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لوالدى واجنوا على أخيه يوسف فأوحى الله إليه لى قد غفرت لك ولهم أجمعين - وقال وهب - كان يستغفر لهم كل جمعة فى نيف وعشرين سنة

أخبرنا الحسن بن محمد بن فتحويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبه أخبرنا أحمد بن أبي السفر بن ثوبان البصرى أخبرنا إسحق بن زياد الأرملى أخبرنا الفضل بن حميد البغدادي أخبرنا بن زياد وابن ضمرة عن رجاء بن أبى سلمة عن عطاء الخرساني قال - طلب الحوائج إلى الشباب أيسر منها إلى الشيوخ - ألا ترى قول يوسف لأخوته لا تريب عليكم اليوم - وقول يعقوب سوف استغفر لكم ربى -

وروى أن يعقوب قال للبشير لما أخبره بحياة يوسف كيف يوسف ؟ قال له - إنه ملك مصر فقال يعقوب ما صنع بالملك على أى دين تركته - قال على دين الإسلام - فقال يعقوب الآن تمت النعمة .

وقال الثوري - لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام طاق كل واحد منهما صاحبه وبكى فقال يوسف يا أبت بكيت على حق ذهب بصرى ألم تعلم أن القيامة تجمنا ؟ قال بلى يا بني واسكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بينى وبينك يوم القيامة - قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازاً ومائتي راحلة وسأله ان يأتيه بأهله وولده اجمعين فتهيأ يعقوب للخروج إلى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الأكبر الذى فوقه فخرج مع يوسف فى أربعة آلاف من الجنود وركب أهل مصر معهما يتلقون يعقوب - وكان يعقوب يمشى متوكأ على يهوذا فنظر يعقوب إلى الجنود والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر الأكبر لا هذا ابنك

فقالما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فمنعه الله من ذلك وكان يعقوب افضل وأحق بذلك منه فابتدأه يعقوب بالسلام فقال : السلام عليك يا مذهب الاحزان (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه) ورفعهما على العرش وأبواه يعقوب وخالته ليا فسمى الخالة أما كما سمي العم أبا في قوله تعالى (قالوا نعبده لإلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق) وقال الحسن وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الأرض فلما رأى يوسف أبويه وإخوته قد خروا له سجداً أقشعر عند ذلك جلده - (وقال يا أبت هذا أول رب رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً) الآية .

قال وهب دخل يعقوب وولده مصر وهم إثنان وسبعون إنساناً ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلاً سوى الذرية والهرمي والزمي وكانت الذرية ألف ألف سوى المقالة وقال الفهليل بن عياض بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف وعمل سكته فكان يطوف يوماً من الايام في خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس بيضاء فقال له يا بني لقد تغيرت بعدى لك كل هذه القراطيس وما حملت بطاقة منها تسكتب إلى كتاباً ؟ فقال يوسف هذه القراطيس كلها لك كنت كلما زاد شوقي وكثر حنفي أخذ ورقة أكتب إليك يا أبت فيمنعني جبريل ان أكتب إليك فأتركها في هذه الخزانة حتى بلغت هذه المبالغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال منعني ربي فسأل الله عن ذلك فأوحى الله إليه لا لك قلت أخاف ان يأكله الذئب فهلا خفتي هذه العقوبة لأجل تخوفك من غيري

وروى صالح المروى عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال: إن الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله خلا وولده نجبا ؛ فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ما فعلتم بالشيوخ يعقوب ويوسف ؟ قالوا بلى قالوا فإن عفوا عنكم فكيف لكم بربكم ؟ فاستقام أمرهم على ان يأتيوا بالشيوخ فأتوه وجاسوا بين يديه ويوسف إلى جنب أبيه قاعد فقالوا يا أبانا أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط

والأنبياء أرحم البرية - فقال ما بكم يا بني ؟ فقالوا ألسنت تعلم ما كان منا إليك وإلى
أخيئنا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فلستما قد عفوتما عنا ؟ قالوا بلى قالوا فإن عفوكما
لأيعنى عنا شيئاً إذا كان الله تعالى لم يعف عنا قال - فأتريدون يا بني قالوا نريد أن
تدعو الله لنا فإذا جاءك الوحى من عند الله فسله هل عفا الله عنا فإن أجابك بأنه قد
عفا عنا قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا وإلا فلا قرت لنا عين في الدنيا أبداً فقام الشيخ
واستقبل القبلة وقام يوسف خلفه وقاموا كلهم خلفهما أذلة خاشعين فطبا يعقوب
وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريباً من عشرين سنة - قال صالح المري -
ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال إن الله تعالى بعثنى إليك بشرك بأنه قد
أجاب دعوتك في ولدك وأنه قد عفا عما صنعوا وإنهم قد انهدت مواثيقهم بعدك على
النبوة قالوا - فأقام يعقوب بمصر بعد موافاته بأهله وولده أربعة وعشرين سنة
بأحسن حال واهناً عيش وأنهم راحة وأدوم سلامة ؛ ثم حضرته الوفاة فلما احتضر
جمع بين بنيه - وقال (ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا تعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم
واسماعيل وإسحق) ثم قال (يا بني أن الله اصطفى لسلك الدين فلا تمون إلا وأنتم
مسلمون) ثم أوصى إلى يوسف أن يحمل جسده إلى الأرض المقدسة حتى يدفنه
عند أبيه إسمحق وجمده إبراهيم ففعل ذلك ونقله إلى بيت المقدس في تابوت من ساج
وخرج معه يوسف في عسكره وإخوته وعظماؤه وأهل مصر ووافق ذلك يوم وفاة
عيسى ثم دفنوا في يوم واحد وكان عمرهما جميعاً مائة وسبعاً وأربعين سنة لأنهما
ولدا في بطن واحد وقبرا في قبر واحد .

قال قتادة فلما جمع الله ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له نفسه برؤياه وكان
موسعاً عليه في ملك الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك لا يدوم له وأنه لا بد له من فراقه
فأراد نعيم الجنة إذ هو أفضل منه فتأقت نفسه إلى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن
قبى قبله ولا بعده الموت فقال (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل
الآيات) (الأحاديث) .

روى أن يوسف لما حضرته الوفاة جمع إليه قومه من بنى إسرائيل وهم ثمانون رجلاً وأعلمهم بحضور أجله ونزول أمر الله تعالى به - فقالوا يا نبي الله تحب أن أمرنا كيف نتصرف الأحوال بنا بعد خروجك من بين أظهرنا وإلى ما يؤل إليه أمرنا وديننا وملتنا - فقال لهم أمركم يستقيم على ما أنتم عليه وتستقيمون على دينكم إلى أن يبعث رجل جبار من القبط يدعى الربوبية فيقهركم ويذبح أبناءكم ويستحيى نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتمد أيامه مدة مديدة - ثم يخرج من بنى إسرائيل من ولد لاوى بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران رجل طويل جمع الشعر آدم اللون فينجيكم الله من أيدي القبط على يده قال فجعل كل من بنى إسرائيل يسمى ابنه عمران ويسمى عمران ابنه موسى .

ثم مات يوسف عليه السلام ، وكان قد أوصى إلى أخيه يهوذا واستخلفه على بنى إسرائيل فنوفاه الله طيباً طاهراً ودفن في النيل في صندوق من رخام وكان قبره في النيل إلى أن حمله موسى عليه السلام معه حين خرج من مصر ببني إسرائيل فنقله إلى الشام ودفنه بأرض كنعان خارج الصين حيث هو اليوم فذلك تنقل اليهود موتاهم إلى الشام من فعل ذلك فيهم .

وروى يونس بن عمران عن أبي موسى قال ؛ نزل رسول الله ﷺ بإعرابى فأكرمه فقال رسول الله ﷺ اكرمتنا فأحسنمت نزل حاجتك فقال ناقة نرحلها وعزة تحملها أهلى فقال رسول الله ﷺ أعجز هذا أن يكون مثل عجوز بنى إسرائيل فقالوا يا رسول الله وما أعجز بنى إسرائيل؟ فقال إن بنى إسرائيل لما خرجوا اضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا؟ فقال علماءؤهم إن يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبنى إسرائيل فبعث إليها موسى فأنته فقال دلينى على قبر يوسف فقالت وتعطينى حكى قال وما حكى قالت أفأكون معك فى الجنة فكبره أن يعطيها حكى فأوحى الله إليه إن أعطها حكى .

وروى من طريق أن هذه العجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم : فقال لا أخبرك حتى تعطينى أربع خصال تطلق رجلى وتعيد إلى بصرى وشبابى وتجعلنى معك فى الجنة فكبر ذلك على موسى فاوحى الله اليه أن أعطها ما سألت فإنك إنما تعطى على ففعل فانطلقت بهم إلى موضع عين فى مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطئ النيل فى صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه

قال أهل التاريخ : عاش يوسف بعد موت يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وهكذا تنتهى قصة يوسف فى روعتها وجلالها ، والحمد لله رب العالمين .

(مجلس فى قصة موسى بن ميثا بن يوسف عليه السلام)

وقال موسى الاول وقد ذكرنا فيما مضى ان يوسف عليه السلام ولد له ابنان أحدهما يقال له أفرايم والآخر ميثا وابنة يقال لها رحمة وهى امرأة النبى أيوب عليه السلام فولد لأفرايم ذون ولد لذون يوشع وهو فتى موسى بن عمران وخليفته على بنى إسرائيل وأما ميثا فولد له موسى فنبأه الله تعالى فزعم أهل التوراة أنه صاحب الخضر والعمامة أن العلماء أن صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ .

قال أهل العلم والتاريخ لما مات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الأمر إلى الأسباط كثروا ونموا وظهر فيهم ملوك ففقدوا مسيرتهم وأفسدوا فى الأرض وفشا فيهم السحر والسكاهة فبعث الله تعالى إليهم موسى بن ميثا رسولا يدعوهم إلى عبادة الله وأداء أمره وإقامة سنته وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتى سنة فطاعه قوم منهم وعصاه آخرون .

وقال وهب بن منبه وغيره كان مما أوحى الله إليه أن قل لقومك إني براء من
سحر أوسحر أو تسكن أو تسكنن له أو تطير تطير له من آمن به صادقاً وتوكل
على فإني كنت له كافياً ومثلها وكفيتها هم دينه ودنياه وكنت له خير معين وهاد
وكنت عند ظنه بى ومن عدل عني ووثق بخيري فأنا أغنى الشركاء عن الشرك أكله
إلى من وثق به دوني ومن وكلته إلى غيري فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباعد
عني كنت عنه أشد تباعداً ومن تقرب إلى كنت أشد تقرباً منه إلى وقل لعبادي
لا تغفلوا عن ذكرى وليكثروا ذكر الموت عند كل شهوة فإنه يبيت الشهوات
واللذات كلها قالوا قلبك فيهم ماشاء الله أن يلبث يقوم أمرهم ويصلح أحوالهم
ثم مات ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين والله تعالى أعلم .

(مجلس في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة إرم ذات العماد)
قال الله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد) الآية

روى سفيان عن منصور عن أبي وائل قال إن رجلاً يقال له عبد الله بن قلابه
خرج في طلب إبل له قد ضلت أي شردت فبينما هو في بعض صحارى عدن في تلك
الفوات إذا وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة وأعلام طواها
فلما دنا منها ظن أن فيها من يسأله عن إبله فلم ير فيها أحداً لا داخل ولا خارجاً فأنزل
عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فإذا هو ببابين عظيمين لم ير
في الدنيا أعظم منها ولا أطول وإذا خشبهما من أطيب عود وعليها نجوم من ياقوت
أصفر وياقوت أحمر ضوءها قد ملأ المسكان فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين
فإذا هو بمدينة لم ير الرادون مثلها قط وإذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد
وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت
والزبرجد على كل باب من أبواب تلك القصور مصراع مثل مصراع باب تلك المدينة
من عرد رطب قد قصدت عليه الأوقات وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق
المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم يرهناك أحداً أخذ الفرع ثم أنه نظر إلى الأزقة
فإذا في كل زقاق منها أشجار قد أثمرت وتحتها أنهار تجري في قنوات من فضة أشبه

بمياضاً من الثلج فقال هذه الجنة التي وصفها الله لعباده في الدنيا والحمد لله الذي أدخلني الجنة ثم إنه حمل لؤلؤة وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها شيئاً ولا من يواقتها لأنها كانت مشبعة في أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران منشورة بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف فأخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم إنه سار يقفو أثر ناقته حتى رجع إلى الين فأظهر ما كان معه وأعلم الناس بأمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ .

(قال) أرسل معاوية إلى كعب الاحبار فلما حضر قال يا أبا إسحق إنى دعوتك لأمير رجوت أن يكون علمه عندك ، فقال له أمير المؤمنين على الخبير سقطت سل عما بدا لك فقال له أخبرنا يا أبا إسحق هل بلغت أن في الدنيا مدينة بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد وباقوت وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهارها في الأزقة تجري تحت الأشجار فقال كعب والذي نفس كعب بيده لقد ظننت أنى سأسألك قبل أن يسألنى أحد عن تلك المدينة وما فيها . ولكن أخبرك بها يا أمير المؤمنين ولمن هي ومن بناها أما تلك المدينة فهي حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له وأما الذي بناها فشداد بن عاد وأما المدينة فهي لأم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فقال له معاوية يا أبا إسحق حدثنا بحدِيثها يرحمك الله فقال كعب يا أمير المؤمنين إن عاداً كان له ابنان سمي أحدهما شديد والآخر شداد فمك عاد وبقي ولداه بعده فليسا وتجهرا وقهرا كل البلاد وأخذها عنوة وقهراً حتى دان لها جميع الناس ولم يبق أحد في زمانهما إلا دخل في طاعتهما لا في شرق الأرض ولا غربها وأنهما لما صفا لهما ذلك وقر قرارهما مات شديد بن عاد وبقي شداد فلك وحده ولم ينازعه أحد وكانت له الدنيا كلها وكان مولداً بقرامة الكعب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعتة نفسه أن يجعل تلك الصفة لنفسه في الدنيا عتواً على الله تعالى وكفراً فلما وقر ذلك في نفسه أمر بصنع تلك المدينة التي هي لأم ذات العماد وأمر على صنعها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان ثم قال لهم انطلقوا إلى أطيب بقعة في الأرض وأوسعها واعملوا فيها مدينة من

(م ١١ - قصص الأنبياء)

ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف واغرسوا تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها وأجروا فيها الأنهار تحت الأشجار فإني أرى في الكتب صفة الجنة وإنى أحب أن أجد مثلها في الدنيا وأنعجل سكناها .

فقال له قهارته كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فنبني منها مدينة كما وصفت لنا ؟ فقال لهم شدد أستم تعملون أن ملك الدنيا كلها بيدي قالوا بلى قال فانطلقوا كل إلى موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأى بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم رجالا تخرج لكم ما في كل معدن من تلك الأرض ثم انطلقوا إلى ما في أيدي الناس من ذلك فخذوه سوى ما يأنبكم به أصحاب المعادن فإن معادن الدنيا فيها كثير من ذلك وفيها مما لا تعملون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة .

قال فخرجوا من عنده وكتب معهم إلى كل ملك في الدنيا كتاباً يأمره أن يجمع لهم ما في بلاده من الجواهر وأن يحفر معادنها فانطلق هؤلاء القهارمة وأعطوا كل ملك من الملوك كتاباً يأخذ ما يوجد في مملكته فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا كل ما يحتاجونه إلى إرم ذات النبال من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذوا موصداً كما أراد ووصف لهم قال فخرج عند ذلك الغملة والقهارمة فخرجوا في الصحاري ليتخذوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك إلا في أرض أبين من بلاد عدن فوقها بها على صحراء عظيمة نقيية من النلال والجبال وإذا هم بعيون مطرودة فقالوا هذه صفة الأرض التي أمرنا بها فأخذوا بقدر ما أمرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدوداً محدودة ثم عمدوا إلى مواضع الأذقة التي فيها الماء فأجروا فيها القنوات لتلك الأنهار ثم وضعوا الأساس من صخور الجوزع اليماني وعجنوا طين ذلك الأساس من دهن اللبان والمخاط فلما فرغوا من وضع الأساس وأجروا فيها القنوات أرسل الملوك إليهم الجواهر والذهب والفضة فنهض منهم من بعث بالعمد مضروبة ومنهم من بعث بالذهب والفضة مصنوعة

مفروغاً منها فدفعوا كل ذلك إلى أولئك القهارمة والوزراء فأقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد فقال له معاوية يا أبا إسحاق إنى لا حسبيهم أقاموا فى بنائها زماناً من الدهر قال نعم يا أمير المؤمنين إنى لا جد فى التوراة أنهم أقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قال كان عمره سبع مائة سنة فقال له معاوية يا أبا إسحاق لقد أخبرنا خبراً عجيباً فحدثنا فقال يا أمير المؤمنين إنا سمعنا الله تعالى إرم ذات العماد من أجل العماد التى تحتها من الزبرجد والياقوت وليس فى الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال (الذى لم يخلق مثلاً فى البلاد).

قال معاوية يا أبا إسحاق لقد ظهر فضلك على غيرك من العلماء واتقد أعطيت من علم الأولين والآخرين ما لم يعطه أحد فقال يا أمير المؤمنين والذى نفس كعب بيده ما خلق الله فى الأرض شيئاً إلا وقد فسره فى التوراة لعبيده موسى عليه السلام تفسيراً وإن هذا القرآن أشد وعيداً وكفى بالله شهيداً ووكيلاً.

قال الشعبي أخبرنا غفل الشيباني عن رجل من حضرموت يقال له بسام أنه وقع على حفيرة شداد بن عاد فى جبل من جبال حضرموت يطل على البحر وأخرج منها لوح مكتوب لا يوجد أحد يقرؤه حتى جاء رجل من أهل صنعاء حميرى وكان يحسن قراءة تلك الكتابة فأخرجنا إليه اللوح فقرأه فإذا فيه مكتوب هذه الآيات :

اعتبر فى أيها المفسرور	بالعمر المديد
أنا شداد بن عاد	صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبأ	ماء والملك الحشيد
دان أهل الأرض طراً	لى من خوف وعيد
وملك الشرق والغز	ب بسلطان شديد
ويفضل الملك والعدة	فيه والعديد
جاء هود وكنا	فى ضلال قبل هود

فدعا لو قباننا كان بالامر الرشيد
فمصيداه وناديننا ألا هل من محيد
فأثنا صيحة تهوى من الأفق البعيد
فتواقبنا كزرع وسط بيداء حصيد

قال دغفل : سألت علماء حمير عن شداد وقلت إنه أصيب وقد كان دنا من
أرم بذات العباد فكيف وجد في تلك المغارة وهي بحضرموت قالوا إنه لما هلك هو
ومن معه من الصبيحة على مرحلة من تلك المدينة ملك من بعده يزيد بن شداد وقد
كان أبوه خلفه على ملكه بحضرموت فأمر بحمل أبيه إلى حضرموت لحمل مطلباً
بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك
السرير الذي من الذهب والله أعلم .

(مجلس في ذكر قصة أصحاب الرس)

قال الله تعالى (وعاد وثمود وأصحاب الرس) اختلف العلماء من أهل التفسير
وأصحاب الأفاصيص فيهم فقال سعيد بن جبير والكلبي والخليل بن أحمد دخل كلام
بعضهم في بعض وكل أخبر بطائفة من حديث أصحاب الرس أن أصحاب الرس
بقية ثمود قوم صالح وهم أصحاب البشر التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله تعالى
(وبشر معطلة وقصر مشيد) .

(قال) وكان قوم لهم نهر يدعى الرس ينسبون إليه وكان فيهم أنبياء كثيرة
لا يقوم فيهم نبي إلا قتلوه وذلك النهر بمنقطع أذربيجان بينها وبين أرمينية فإذا
قطعته مديراً دخلت في حد أرمينية وإذا قطعته مقبلاً دخلت في حد أذربيجان
وكان من حولهم من أرمينية يعبدون الأوثان ومن إمامهم من أهل أذربيجان
يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجوارى العذاري فإذا تمت لإحدهن ثلاثون
سنة قتلوها أو استبدلوا غيرها وكان عرض نهرهم ثلاث فراسخ وكان يرتفع في
كل يوم ليلة حتى يبلغ أنصاف الجبال التي حوله وكان لا ينصب في بحر ولا بر

فإذا خرج من حدهم يقف ويدور ثم يرجع إليهم فبعث إليهم ثلاثين نبياً في شهر واحد فقتلهم جميعاً فبعث الله تعالى إليهم نبياً وأيده بنصره وبعث معه ولياً فجاهدهم في الله حق جهاده ثم بعث إليه ميكائيل حين غابذوه وكان في أوان وقوع الحب في الأرض وكانوا عند ذلك أحوج ما يكونون إلى الماء فحفر نهرهم في البحر وأنصب ما في أسفله وأتى إلى عيونهم من فوق فسددها وبعث الله إليه خمسمائة من الملائكة أعواناً له فحرفوا ما بقى في وسط نهرهم ثم أمر الله جبريل فنزل فلم يدع في أرضهم شيئاً ولا نهراً إلا أبيضه بإذن الله تعالى وأمر ملك الموت فأنطق إلى المواشي فأماها دفعة واحدة وأمر الرياح الأربع الجنوب والشمال والدبور والصبا فضمت ما كان لهم من متاع وألقى الله تعالى السبات .

ثم خفت الرياح الأربع بذلك المتاع أجمع فرمته في ردوس الجبال وبطون الأودية وأما ما كان من حلى وتبر وآنية فأبى الله تعالى أمر الأرض فابتلعتهم فاصبحوا لاشاة عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون إليه ولا ماء يشربونه ولا طعاماً يأكلون فأتى الله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله إلى غار في جبل له طريق من خلفه فنجوا وكانوا أحداً وعشرين رجلاً وأربع نسوة وصبيان وكان عدد الباقي من الرجال والنساء والذراى ستمائة ألف ماتوا عطشاً وجوعاً ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم إلى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فدعا القوم عند ذلك مخلصين لله أن يحييهم بماء وزرع وماشية ويجعله قليلاً لئلا يطغوا فأجابهم الله تعالى إلى ذلك لما علم من صدق نياتهم وإخلاصهم وقالوا إنه لا يبعث الله رسولا إلا من يليهم ويقاربهم إلا أعاونه وصدقه وعضده فعلم الله منهم الصدق فأطلق لهم نهرهم وزادهم على ما سألوه فأقام أولئك القوم في طاعة الله ظاهراً وباطناً حتى مضوا وانقرضوا فحدث من بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله في الظاهر وناقضوا في الباطن وأمر الله تعالى لهم وكان عليهم قادراً وكانت معاصيهم أكثر من طاعتهم وخالفوا أولياء الله فبعث الله عليهم من فارقم وخالفهم فأسرع فيهم القتل وبقيت منهم شرذمة فسارط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحد وبقي نهرهم ومنازلهم وما فيها مائى عام لا يسكنها أحد ثم أتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين .

وروى على بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن جده على بن أبي طالب رضوان الله عليهم أن رجلاً من أشراف بني تميم يقال له عمر أناه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس وفي أي عصر كانوا؟ وأين كانت منازلهم؟ ومن كان ملكهم؟ وهل بعث الله إليهم رسولا أم لا؟ وماذا أهلكوا؟ فإني أجد في كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم؟ فقال له أمير المؤمنين على رضي الله عنه لقد سألتني عن حديث ما سألتني عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدى كان من قصتهم يا أخا تميم أنهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شات ذرخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان وكانت نبعث لنوح عليه السلام بعد الطوفان وإنما سموا أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم في الأرض وذلك قبل سليمان ابن داود عليهما السلام وكانت لهم اثنتا عشر قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكاناً وعمراناً منها وكان أعظم منازلهم اسفنديار وهي التي كانت ينزلها ملكهم وكان يسمى تركون بن طابور بن نوش بن سارب ابن النروذ بن كنعان فرعون إبراهيم عليه السلام وفيها العين التي يسقون منها الصنوبر التي كانوا يعبدونها وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة فنبتت تلك الحبة وتصير شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والآنهار فلا يشربون منها لا هم ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هي حياة آلهم فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم ، وقد جمعوا في كل شهر من السنة عيداً يجتمع إليه أهلها ويضربون على تلك الشجرة مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يأتون بشياه وبقر فيذبجونها قرباناً للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فإذا سطع دخان تلك الذبائح ونارها وبخارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر للسماء خروا سجداً للشجرة ويكون ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم وكان الشيطان يحى فيحرك أغصانها ويصيح في ساقها صياح الصبي .

عبادى قد رضيت عنكم فطيعوا أنفساً وقروا عيتاً فيرفعون عند ذلك رءوسهم ويشربون الخمر ويضربون المعازف فيكونون على ذلك يومهم ولياليتهم ثم ينصرفون حتى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليه صغيرهم وكبيرهم فيضربون عند شجرة الصنوبر والعين سرادقاً من ديباج وعليه أنواع الصور له اثنا عشر باباً كل باب لأهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرية من خارج السرادق ويقربون إليها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم فيجىء إبليس عند ذلك فيحرك الصنوبرية تحريكاً شديداً ويتكلم من جوفها كلاماً جهورياً يهدم ويمينهم بأكثر مما وعدتهم الشياطين جميعاً فيرفعون رءوسهم من السجود ولهم من الفرح والسرور ما لا يفقهون ولا يتكلمون معه فيديمون الشرب والمعازف ويكونون على ذلك اثنا عشر يوماً وليلة بعدد أعيادهم في السنة ثم لأنهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله إليهم نبياً من بني إسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زمناً طويلاً يدعوهم إلى الله تعالى ويعرفهم بربوبيته فلا يقبلونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ما هم فيه من الفى والضلالة وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظمى وقال يا رب ابن عبادك أبوا تصديقي ودعوتى إليهم وما أرادوا إلا تكذيبى والكفر بك .

فبينما هم في عيدهم إذ غشيتهم ريح عاصف حراء فتعيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم إلى بعض ثم إن الأرض صارت من تحتهم كحجر كبير تتوقد وأظلتهم سحابة سوداء فألقت عليهم حجراً كالقبة يلتهب فأذاب أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار فنهوذ بالله من غضبه ودرك نقمته لأنه هو السميع العليم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والله أعلم .

(مجلس في قصة نبي الله أيوب عليه السلام)

قال الله تعالى (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه) الآية وقال تعالى (وأيوبه إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين).

قال وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتب كان أيوب رجلاً من الروم وكان رجلاً طويلاً عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين والساعدين وكان مكتوب على جبهته المبتلى والصابر وهو أيوب بن أموص بن تارخ ابن روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونباه وبسط عليه الدنيا وكان له الثنية من أرض الشام كلها مهلبها وجبلها وما كان فيها وكان له من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والخيل والحير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة وكان له بها خمسمائة فدان يلقبها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد وصال ويحمل آلة كل فدان أتان ولكل أتان ولد من الإثنين إلى فوق الخمسة وكان الله أعطاء أهلاً وولداً من رجال ونساء وكان أمراً تقياً راحياً بالمساكين يكفل الأراامل والأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكراً لأنعم الله تعالى مؤدياً لله قد امتنع من هدو الله إبليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من أهل بلاده يقال لأحدهما مالك وللآخر ظافر وكانوا كهولاً.

قال وهب إن لجبريل عليه السلام بين يدي الله مقاماً ليس لأحد من الملائكة مثله في القرية والفضيلة وإن جبريل هو الذي يتلقى السلام فإذا ذكر الله تعالى عبداً بخير تلقاه جبريل ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة المقربين والمحافظين من حول العرش فإذا شاع ذلك في الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فإذا صلت عليه ملائكة السموات هبط عليه بأصلاة إلى ملائكة الأرض وكان إبليس لا يحجب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حينما أراد

ومن هناك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد إلى السما حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربع وكان بعد ثلاث فلما بعث الله محمداً ﷺ حجب عن الثلاث الباقية فهو وجنوده محجوب عن جميع السموات إلى يوم القيامة .

(إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) قال فسمع إبليس أعقاب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدركه البغي والحسد وصعد سريراً حتى صعد في السماء موقفاً كان يقفه فقال يا إلهي نظرت في أمر عبدي أيوب فوجدته عبداً أتممت عليه فشكرك وعافيته حمدك ثم لم تخبره لاشك في ولا بلاه وما لك زعيم ابن ضربته بلاء ليكفرن بك ولينسبك فقال الله تعالى إني أطق إليه فأفقد سلطانك على ماله فانقض عدو الله حتى بلغ الأرض ثم جمع غلات الشياطين وعظماهم ، فقال ماذا كان عندكم من القوة والمعرفة فإني قد سلطت على مال أيوب وزوال المال هو المصيبة الفادحة والفقنة التي لا تحسب عليها الرجال فقال غلوت من الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت تحوكت لعصاراً من نار فأحرقت كل شيء فقال إبليس فأت الإبل فأحرقها ورعاتها فانطلق يوم الإبل وذلك حين وضعت رؤوسها وثبتت في مراعيها فما يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض (عصار من نار تنمخ فيه رياح السموم لا يدفون منها أحد إلا احترق فلم يزل يحرقها ونارها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل إبليس على قعود منها في صخرة راعياها ثم انطلق يوم أيوب حتى وجده قائماً يصلي فقال له يا أيوب قال لي بك فقال هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته يا مالك ورعاتها فقال أيوب إنها ماله إعارنيها وهو أولى بها إن شاء تركها وإن شاء أخذها وقد تحققت وطبقت النفس أني ومالي للفناء والزوال فقال له إبليس فإن ربك أرسل إليها ناراً من السماء فأحرقها كلها وصار الناس مبهورين وقوفاً عليها يتمحبون منها ففهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئاً وما كان إلا في غرور ومنهم من كان يقول لو كان إله أيوب بقدر على أن يصنع شيئاً لمنع وليه من حريق مواشيه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ما فعل

قشمت به عدوه ولجج به صديقه فقال أيوب الحمد لله الذى أعطانى وحيت شأه
نزع منى عريانا خرجت من بطن أمى وعريانا أعود إلى القبر وعريانا أحشر إلى
ربى ليس يذبغى لك أن تفرج حين أعارك الله وتجنز حين قبض عاريته فهو أولى
بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيراً لنقل روحك مع تلك الأرواح
وصيرك شهيداً مع الشهداء ولما كنه علم فيك شراً فأخرجك وخلاصك من البلاء
يخلص الزوان من القمح الخالص فرجع إبليس إلى أصحابه خائباً ذليلاً .

قال : وأيوب كلما انتهى إليه بهلاك مال من ماله حمد الله وأحسن الثناء عليه
ورضى بالتضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقى له مال فلما رأى إبليس
أنه قد أفنى ماله ولم يزل منه شيئاً ولا ينجح فى شيء من أفعاله شق عليه ذلك وصعد
سريعاً ووقف الموقف الذى كان يقفه وقال إلهى إن أيوب يرى أنك مهما متعتهم
نفسه وولده فأت معطيه المال فهل أنت مسيطرى على ولده فإنها الفتنة المضلة والمصيبة
التي لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد
سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى جاء بنى الله أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل
يزلزلهم حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل ينأطح بحداره بعضها بعضاً فرماهم
بالخشب والجندل حتى مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقابه فصاروا منكسين
ثم إن إبليس انطلق إلى أيوب متمشياً بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح
مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من دماغه فأخبروه بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت
بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر وكيف نكسوا على رؤسهم تسيل دماؤهم
وأدمعتهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم
لنقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردده حتى رق أيوب لذلك وبكى وقبض قبضة
من التراب فوضعها على رأسه فاغتم إبليس الفرصة منه لذلك فصعد سريعاً بالذى
كان من جزع أيوب مسروراً ثم لم يلبس أيوب أن أبصر فاستغفر وشكر فصعد
قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدروا إبليس وسبقوه إلى الله والله أعلم بما
كان فوق إبليس خاسماً ذليلاً فقال إلهى إنما هون على أيوب خطر المال والولد
أنه يرى أنك مهما متعته بنفسه وأنت تعبد له المال والولد فهل أنت مسيطرى على

نفسه وبدنه فإنك زعيم لشئ إبتليته في جسده لينسبكك وليكفرن بك وليجحدن
 نعمتك ، فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان
 على لسانه وقلبه ولا على عقله ، وكان والله أعلم به أنه لم يسأله عليه إلا رحمة ليعظم
 له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكري للعابدين في كل بلاء نزل بهم لينأسوا به
 في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله سريعاً فوجد أيوب ساجداً فقبل أن
 يرفع رأسه أتاه من قبل الأرض في موضع وجهه ونفخ في منخريه نفخة أشعل منها
 جسده فذهل وخرج به من قومه إلى نساء ليل مثل آليات الغنم ، ووقعت فيه حكة
 لا يملكها ولا يتماسك عن حكها فحكها بأظفاره حتى سقطت كلها ، ثم حكها بالمسوح
 الخشن حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع
 وتغير وأتت ، فأخرجته أهل القرية فجعلوه على كمناسة وجعلوا له عريشاً فرفضه
 خلق الله كلهم غير أسر أنه رحمة بذت افرايم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام ،
 وكانت تختلف إليه بما يصلحه وتكرمه فلما رأى أصحابه الثلاثة ما ابتلاه الله به
 اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا إليه وهو في
 بلائه ، فبكته ولاموه وقالوا له تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به .

قال وكان حاضر معهم في حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال لأنكم
 تسلمتم أيها السكحول وكنتم احق بالكلام لاسنانكم وليكنكم قد تركتم من القول
 أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الأمر أجمل من الذي
 أنتمم وقد كان لا يرب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم ، فهل تدرون
 أيها السكحول حق من أنتمم وحرمة ما أنهكتم ومن الرجل الذي عيتم وأنتمم ألم
 تعلموا أن أيوب نبي الله وحبيبه وخيرته وصفوته من أهل الأرض في يومكم هذا
 ثم لأنكم لم تعلموا ولا أطلعكم الله تعالى على أنه سخط شيئاً من أمره منذ أتاه ما أتاه
 إلى يومكم هذا ولا علمتم أنه نزع منه شيئاً من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا أن
 أيوب غير الحق في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا فإن كان البلاء هو الذي
 أنذرى به عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله تعالى يبتلي النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين ثم إن بلادهم ليس دليلًا على سخطه عليهم ولا هو انهم عليه
ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس هو من الله بهذه المنزلة إلا أنكم
آخيتموه على وجه لصحبه لكان لا يحمل بالحكميم أن يعدل أخاه عند البلاء ولا يعيره
بالمصيبة ولا يعلم وهو مكروب حزين ولكن به يرحمه ويبتلي معه ويستغفر الله له
ويحزن لحزنه ويدله على أرشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فآله الله
أيها السكول فقد كان لكم في عظم الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم
ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن الله عباداً أسكنتمهم خشيتهم من غير عى ولا بكم ولأنهم
لهم الفصحاء النبلاء الأولياء العالمون بالله وآياته وأسكنتمهم إذا ذكروا عظمة الله
أفقطت ألسنتهم وأقشعرت جلودهم وأنكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم أعظاماً
لله تعالى وإعزازاً وإجلالاً فإذا استفاقوا استبقوا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية
الصالحة يعدون أنفسهم مع الخاطئين الصالحين ولأنهم برآء ويعدون أنفسهم مع
المفترطين المقصرين ولأنهم لا كياس أقوياء ولأنهم لا يستكثرون الله الكثير ولا يرضون
له بالقليل ولا يذلون عليه بالأعمال ، فهم مروعون مفزعون خاشعون مستكينون
فقال أيوب إن الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة في قلب المؤمن الكبير والصغير فتى
نبتت في القلب أظهرها الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة من قبل السن
والشيب ولا طول التجربة فإذا جعل الله العبد حكماً في الصبا لم تسقط منزلته عند
الحكماء وهم يرون من الله تعالى عليه نور الكرامة ثم إن أيوب أقبل على الثلاثة
وقال : أتيتموني غصاً بأرهبتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم
قبل أن تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عني بأموالكم لعل الله يخلصني
وقربوا عني قرباناً لعل الله يتقبلها ويرضى عني ولأنكم فد أعجبتم أنفسكم وظننتم أنكم
قد عوفيتهم إحسانكم فبهائنكم بغيتهم وتعزتم ولو نظرتهم فيما بينكم وبين ربكم ثم
صدقتهم لو جدتم لكم عيوباً سترها الله عليكم بالعافية التي ألبستكم إياها وقد كنت
فيما نخل الرجال ترفرفني وأنا معروف كلامي معروف حتى منتصف من خصمي ؛
فأصبحت اليوم وليس لي رأى ولا كلام معكم فأنتم اليوم أشد على من مصيقتي
ثم أنه أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثاً متضرعاً إليه فقال : رب لاى شوم

خلفتني ليتني إذ كرهتني ما خلقتني يا ليتني كنت حيضة القنفذ أمي أو ليتني قد
عرفت الذنب الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتي وألحقني
بأبائي فالموت كان أجمل لي يا إلهي ألم أكن للفريب داراً وللمسكين قراراً ولليقيم
ولياً وللارملة قيمياً إلهي أنا عبد ذليل إن أحسنت فالمنة لك وإن أسأت فبيدك
عقوبتي جعلتني للبلاء عرضاً وللفتنة نصيباً لقد وقع على بلاء لو سلطته على جعل
لضعف عن حمله فكيف بحمله ضعفي ، إلهي تقطعت أصابعي فإني لا أرفع الأكلة
من الطعام إلا بيدي جميعاً فما يبلغان في إلا على الجهد مني ، إلهي تساقطت لهواتي
ولحم رأسي فما بين أذني من سداد بل إحداهما ترى من الأخرى ، وإن دماغى
ليسيل مني ، إلهي تساقط شعر عيني كأنما أحرق بالنار وجهي وحدقتايتان على
خدي وورم إساني حتى ملأ فمي فما أدخل فيه طعاماً إلا غصني وورمت شفاتي
حتى غطت العلياً أنفي والسفلى ذقني وتقطعت أمعائتي في بطني وإني لأدخل الطعام
فيخرج كما دخل ما أحسسه ولا ينفعني وذهبت قوة رجلي فسكأنهما قد يبستا
ولا أطيق حملها وذهب المال فصرت أسأل بكفي ويطعمني من كنت أعواله للقيمة
الواحدة فيمن بها على ويعيرني ، إلهي مالك أولادى ولوبقى واحد منهم أعانني على
بلائي ونفعي ، وقد ملئني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت لي معارفي ؛ ورغب عني
صديقي وقطعتني أصحابي وجحدت حقوقي ، ونسيت صنائعي ، أصرخ فلا
يصرخونني ، وأعتذر فلا يعذرونني دعوت غلامى فلم يجبني وتضرعت لأمتي فلم
ترحمني ، وإن قضائك هو الذى أذلني وأذناني وأهانني وأقامني وإن سلطانك
هو الذى أسقمني وأنحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدرى فأطلق
إساني لأتكم بملء فمي ولو كان ينبغى للعبد أن يحتاج عن نفسه لرجوت أن
يعاقبني عند ذلك بما بي واسكنه ألقائي وتخلي عني فبؤيراني ولا أراه ويسمعني
ولا أسمع ، ولا نظر إلي فرحمي ولا دنائتي ولا أدنائي فأنتكم ببراءتي وأخاصم
عن نفسي ؛ فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظلمانه غمامة حتى ظن أصحابه أنه
عذاب ثم نودي يا أيوب إن الله تعالى يقول لك ها أنا قد دنوت منك فلم أزل
منك قريباً فآدل بعذرِكَ وتسكلم ببراءتك .

وقال الله تعالى يا أيوب نفذ فيك حكمي وسبقت رحمتي غضبي إذا أخطأت فقد غفرت لك ما قلت ورحمتك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتسكون عبرة لأهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء ؛ وقرب عن أصحابك قرباناً واستغفر لهم فإنهم قد عصوني فيك ؛ فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل ؛ فأذهب الله ما كان فيه البلاء ؛ ثم إنه خرج وجلس فأقبلت امرأته فقامت تلمسه في مضجعه فلم تجده فقامت متكدرة كالواهلة فرت به فقالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه إذا رأيته ؟ فقالت نعم وكيف لا أعرفه فتبسم وقال ها أنا هو فعرفته لما ضحك فاعتقته .

وقال كعب - كان أيوب في بلاءه سبع سنين ؛ وقال وهب لبث في ذلك البلاء ثلاث سنين ولم يزد يوماً واحداً ؛ فلما غلب أيوب إبليس لعنه الله ولم يستطع له على شيء اعترض امرأته على هيئته ليست كهيئته بنى آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مركب الناس له عظم وبهاء وجمال ؛ فقال لها أنت صاحبة أيوب المبتلى ؟ قالت نعم قال فهل تعرفيني ؟ قالت لا قال أنا إله الأرض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك أنه عبد إله السماء وتركني وأغضبني ولو سجدت سجدة واحدة رددت عليك ما كان لكما من مال وولد فإنهم عندي ثم أراها إياهم في بطن الوادي الذي لقيها فيه .

قال وهب - وقد سمعت أنه قال لها - لو أن صاحبك أكل طعام لم يسم عليه لعوفي بما فيه من البلاء والله أعلم ؛ وأراد عدو الله يأتيه من قبلها ورأيت في بعض الكتب أن إبليس قال لرحمة ؛ وإن شئت استبدى لي سجدة واحدة حتى أرد عليك الأولاد والمال وأعافى زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراد فقال لقد أراد عدو الله أن يفتلك عن دينك ثم أن أيوب أقسم إن عافاه الله ليلضربنها مائة جلده فقال عند ذلك معنى الضرب من طمع إبليس في سجود

حرمتى . ودعائه لإياها وإيائى إلى الكفر قالوا أم إن الله تعالى رحم رحمة امرأة
أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها وأراد أن يبري بين أيوب فأمره أن
يأخذ جماعة من الشجرة مبلغ مائة قضيب خفافاً لطافاً فيضربها ضربة واحدة كما
قال تعالى (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تخف) الآية .

وقد كانت امرأة أيوب تتكسب وتعمل للناس وتجيئه بقوته ؛ فلما طال عليها
البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد التمس يوماً من الأيام ما تطعمه فما وجدت
شيئاً فزت قرناً من رأسها فباعته برغيف وأتمته به فقال لها أين قرئك ؟ فأخبرته
فقال عند ذلك مسنى الضر ؛ وقيل إنما قال ذلك حين قصدت الدود قلبه ولسانه
فتحشى أن يعيا عن الذكر والفكر ؛ وقيل إنما قال ذلك حين وقعت الدود من
فخذها فأخذها وردّها إلى موضعها وقال لها كلى فقد جعلنى الله طعامك فعضته
عضة زاد ألمه على جميع ما قاسى من عض الديدان .

وقال عبد الله بن عبيد بن عمير كان لايوب أخوان فأتياه فقاما من بعيد
لا يقدران على الدنو منه من تن ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم في
أيوب خيراً ما ابتلاه بما ترى .

قال فما وجع أيوب شيئاً كان أشد عليه من تلك السكلة وما جزع من شوق
أصابه جزع من تلك السكلة فعند ذلك قال مسنى الضر ثم قال اللهم إن كنت تعلم
لأنى لم أبت ليلة شعبان قط وأنا أعلم بما كان جائئاً فصدقنى فصدقه وهما يسمعان
ثم قال اللهم إن كنت تعلم لأنى لم أتخذ قيصاً قط وأنا أعلم بما كان عرياناً فصدقنى
فصدقته وهما يسمعان فخر ساجداً لله وقيل معناه مسنى الضر من شماتة الأعداء
يدل عليه ما روى أنه قيل له بعد ما عوفى ما كان أشد عليك في بلاءك ؟ فقال
شماتة الأعداء وأشد بعضهم فى معناه :

كل المصائب قد تمر على الفتى فتمون غير شماتة الحساد
إن المصائب تنقضى أيامها وشماتة الأعداء بالمرصاد

وقال الجنيدي في هذه الآية عرفه فافقه السؤال لين عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى (فلكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله) الآية .

واختلف العلماء في كيفية ذلك ؛ فقال قوم لما ابتلى الله أيوب في الدنيا مثل له أمه فأما الذين هلكوا فإنهم لم يردوا عليه في الدنيا وإنما وعد الله أيوب أن يؤتيه إياهم في الآخرة .

وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين ؛ وقال آخرون بل ردهم الله تعالى إليهم بأعيانهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكعب قالوا أحياهم الله تعالى وآتاه مثلهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية .

وذكر أن عمر أيوب كان ثلاثاً وتسعون سنة وأنه أوصى عند موته إلى لابنه حوسل وأنه بعث بعده بشر بن أيوب نبياً وسماه ذا الكفيل وأمره بالدعاء إلى توحيدته وأنه كان مقيماً بالشام طول عمره حتى مات وكان مبلغ عمره خمساً وتسعين سنة وأن بشراً أوصى إلى لابنه عبدان وأن الله تعالى بعث بعده شعبياً عليه السلام والله أعلم .

(مجلس في قصة ذي الكفيل عليه السلام)

هذا المجلس يأتي بعد في آخر الكتاب بعد قصة اليسع وما كتب ههنا زيادة في المجلس المذكور .

وروى الأعمش عن المنهال بن عمر عن عبد الله بن الحارث أن نبياً من الأنبياء قال من يكفل لي أن يقوم الليل ويصوم النهار ولا يغضب ؟ فقال شاب أما فقال له اجلس ثم إنه أعاد مثل قوله الأول فقال ذلك الشاب فقال أما فقال له اجلس ثم إنه أعاد قوله ثالثاً فقال الشاب أما فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب فقال نعم فأتى ذلك النبي فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس فكان لا يغضب فجاء الشيطان في صورة إنسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يضره فضرب الباب

ضرباً شديداً فقال من هذا ؟ فقال رجل له حاجة فأرسل إليه رجلاً فقال لا أرضى بهذا الرجل فأرسل معه آخر فقال لا أرضى فنخرج إليه فأخذ بيده وانطلق معه حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب فسمى ذا السكفل ؛ وقال بعضهم ذو السكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه الله بعد أبيه رسولا إلى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم إن الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشر إنا نحب الحياة ونكره المات ؛ ومع ذلك نكره أن نعصى الله تعالى ورسوله ؛ فلو سألت الله أن يطيل أعمارنا ولا يمتتنا إلا إذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه فقال لهم بشر لقد سألتوني عظيماً وكلفتهم شططاً ثم إنه قام وصلى ودعا وقال إلهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها وأمرتني أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم أني لا أملك إلا نفسي وإن قومي قد سألوني في ذلك ما أنت أعلم به مني فلا تؤاخذني بجزيرة غيري فأنا أعوذ برضائك من سخطك وبغفوك من عقوبتك قال فأوحى الله تعالى إليه ؛ يا بشر إني سمعت مقالة قومك وإني قد أعطيتهم ما سألوني طولت أعمارهم فلا يموتون إلا إذا شاءوا فكان كفيلاً لهم مني بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله إليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمى ذا السكفل .

ثم لأنهم توالدوا ونموا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنفست معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشر أن يدعو الله أن يردهم إلى آجالهم فأوحى الله تعالى إليه لبشر أما علم قومك أن اختياري لهم خير من اختيارهم لأنفسهم ثم لأنهم ردوا إلى أعمارهم فماتوا بأجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال إن الدنيا دار هم خمسة أسداسها للروم وسموا روماً لأنهم نسبوا إلى جددهم روم بن عيص بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام .

قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمى ذا السكفل مقبلاً بالشام حتى مات وكان عمره خمسين سنة وتسعين سنة والله أعلم .

(مجلس في ذكر قصة شعيب النبي عليه السلام)

قال الله تعالى (وإلى مدين أخاهم شعيباً) الآية اختلف العلماء في نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب بن صيفوان بن عيفا بن نابت بن مدين بن إبراهيم وقال محمد بن إسحق هو شعيب بن ميكائيل بن مدين بن إبراهيم لاسمه بالسريانية بطرون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أعمى فلذلك قوله تعالى لإخباراً عن قومه (ولما أنزلك فيها ضعيفاً) أى ضريراً وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وأن الله تعالى بعثه نبياً إلى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة الشجر المختلف .

وقال قتادة بعثه الله تعالى إلى أمتين - أهل مدين وأصحاب الايكة .

قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس للناس وتطيف في المسكيات والموازين وكان الله قد وسع لهم في الرزق وبسط لهم في العيش استدراجاً منه فقال لهم شعيب (يا قوم اعبدوا الله ما لکم من إله غيره ولا تنقصوا المسكيات والميزان) الآية ونظيرها في الأعراف (فأوفوا السكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم) الآية وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيخربون من قصد شعيباً ليقوم به أنه كذاب فلا يفتنك عن دينك وكانوا يتواعدون المؤمنين بالقتل ويخونونهم .

قال السدي وأبوروق كانوا عشارين ، وقال عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق ، وقال النبي ﷺ (رأيت ليلة أسري في خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب أحد إلا شقته ولا شيء إلا خرقته . فقلت ما هذا يا جبريل ؟ فقال هذه أقوام من أمتك يقطعون على الطريق فيقطعونه ثم تلا (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) الآية ، وكان من قول شعيب وجواب قومه إياه ما ذكر الله تعالى من سورة الأعراف وسورة هود وسورة الشعراء .

قال المفسرون ، وكان مما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لأجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى (وقالوا يا شعيب أصلناك تأمرک أن تترك ما يعبد آباؤنا) وقوله تعالى

(إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعوه وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) سورة الشعراء .

قال ابن عباس رضى الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثير فسادهم وقل صلاحهم دعا عليهم فقال (ربنا افزع بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) فأجاب الله تعالى دعا فيهم فأهلكهم بالرجفة وهى الزلزلة عن السكلى ويقال بالصيحة وبالعذاب الظلة .

قال ابن عباس وغيره وهى أن الله تعالى فتح عليهم باباً من أبواب جهنم فأرسل عليهم برداً وحرّاً شديداً فأخذ بأَنفُسهم فدخلوا فى أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فأضجعهم الحرف فخرجوا هرباً إلى البرية فبعث الله عليهم سحابة فأظلمتهم ووجدوا لها برداً وجاءت ريح طيبة فنأذى بعضهم بعضاً فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهمها الله عليهم ناراً ورجفت الأرض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد فى المقل فصاروا رماداً وذلك قوله تعالى (فأصبحوا فى دارهم جاثمين)

وقال تعالى (فأخذهم عذاب يوم الظلة لأنه كان عذاب يوم عظيم) .

قال ابن عباس بلغنى أن رجلاً من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى الظلة فيها العذاب اقتصر جلده وقال

يا قوم إن شعيباً مرسل فذروا عنكم شميراً وعمران بن شداد
إني أرى غيمة يا قوم قد طلعت تدعو بصوت على حنانة الوادى
فإنه لن يرى فيها ضحاً غد إلا الرقيم يمشى بين أنجاد
وشمير وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال أبو عبد الله البجلي أبو جاد
وحطى وهوز وكلن وسعفص وقرشت أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة فى
زمن شعيب كلن فقالت أخت كلن تبكيه حين ملك

كلن هدد ركنى هلكه وسط المحلة
سيد القوم أتاه الله متحف ناراً وسط ظله
جعلت ناراً عليهم دارهم كالمضمحلة

قال الله تعالى (الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين) أى لهم الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة .

(مجلس في ذكر ضفي الله ونبيه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على عدة أبواب)
(الباب الأول في ذكر نسب موسى عليه السلام)

قال الله تعالى (واذكر في الكتاب موسى لأنه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً) وهو موسى بن عمران بن يصر بن قاهت بن لاوى بن يعقوب عليه السلام .
قال أهل العالم باخبار الأولين وسير الماضين ولد ليعقوب لاوى وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ثم إن لاوى فكح نابتة بنت ماوى بن يشجب فولدت له غرسون ومرزى ومردى وقاهت ثم أن قاهت بعد أن مضى له من عمره ست وأربعون سنة فكح فاهى بنت مابين بن تنويل بن إلیاس فولدت له يصر بن قاهت فنكح يصر بن قاهت سميت بنت يتادم بن برکيا بن يشعان بن إبراهيم فولدت له عمران وقد مضى له من عمره ستون سنة وكان عمر يصر مائة وسبعة وأربعين سنة فنكح عمران بن يصر نجيب بنت شمويل بن برکيا بن يشعان بن إبراهيم فولدت له هرون وموسى واختلف في اسم أمهما فقال ابن إسحاق نجيب وقيل ناحية وقيل يوحايل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعاً وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقد مضى من عمره سبعون سنة والله أعلم .

(الباب الثانى في ذكر مولد موسى عليه السلام)

قال أهل التاريخ لمية مات الريان بن الوليد فرعون مصر الأول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذى ولى يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثانى فدعاه يوسف إلى الإسلام فابى وكان جبّاراً وقبض الله على يوسف فى ملىكه وطال ملىكه ثم هلك وقام بالملك بعده أخوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن أراشة بن شروان بن عمرو ابن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان أغنى من قابوس وأكبر وأجّر وامتدت أيام ملىكه وأقام بنو إسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد ائتشروا وكشروا وهم تحت العما لقة وهم على بقايا من دينهم بما كان يوسف ويعقوب وإسحق وإبراهيم شرعوا فيه من الإسلام متمسكون به حتى كان فرعون

وموسى الذى بعثه الله إليه وقد ذكر اسمه ونسبه ولم يكن فيهم فرعون أعق منه على الله ولا أعظم قولاً ولا أقسى قلباً ولا أطول عمراً في ملكه ولا أسوأ ملكاً لبني إسرائيل وكان يعذبهم ويستعبدهم وجعلهم خدماً ونحولا وصنفهم في أعماله فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الأعمال القذرة ومن لم يكن أهلاً للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى (يسومونكم سوء العذاب) وقد استنكح فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضى الله عنها من خيار النساء المهدودات ويقال هي آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول فاسلمت على يد موسى .

قال مقاتل ، لم يسلم من أهل مصر إلا ثلاثة ، آسية وحزقييل ومريم بنت ناموسى التى دلت موسى على قبر يوسف عليهم السلام قالوا فعمر فرعون فيهم وهم تحت يده عمراً طويلاً يقال إنه أربع مائة سنة يسوموهم سوء العذاب فلما أراد الله أن يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على ما ذكره السدى عن رجاله أن فرعون رأى في منامه كأن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها واحترقت القبط وتركزت بنى إسرائيل فدعا فرعون السكينة والسحرة والمهبرين والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا يولد فى بنى إسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وقد أظلك زمانه الذى يولد فى فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى إسرائيل فجمع القوابل من النساء من أهل ملكيته وقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام من بنى إسرائيل إلا قتلته ولا جارية إلا تركتها وكل بهن وكلاء فكن يفعلن ذلك .

قال مجاهد . لقد بانى أنه كان يأمر بالقصب فيشق ثم يجعل أمثال الشفار ثم يصف بعضه إلى بعض ثم يأتى بالحبالى من بنى إسرائيل فيوقفهم عليه فتخرج أقدامهم حتى إن المرأة منهم لتضع ولدها فيقع بين رجلها فتظل تطؤه وتمتق به حد القصب عن رجلها لما بلغ من جهدها .

وكان يقتل الغلمان الذين في وقته ويقتل من يولد بعدهم ويعذب الحبالي حتى يضمّن ما في بطونهم وأسرع الموت في مشيخة بنى إسرائيل فدخل رموس القبط على فرعون وقالوا له إن الموت قد وقع في مشايخ بنى إسرائيل وأنت صغارهم وتميت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون بذبح الولدان سنة وتركهم سنة فولدت هرون في السنة التي لا يذبح فيها أحد فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها قال فولدت هرون وأمه علانية آمنة .

فلما كان العام الذي أمر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه واشتد غمها فأوحى الله تعالى إليها (أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم) إلى قوله (المرسلين) فلما وضعت في خنية أرضعته ، ثم لأنها اتخذت له تابوتاً وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه .

قال مقاتل وكان الذى صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل أنه كان من بردى فأتخذت أم موسى التابوت وجعلت فيه قطناً ملحوجاً ووضعت فيه موسى وصرت رأسه ثم ألقته في النيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها أباهما الشيطان فوسوس إليها فقالت في نفسها لماذا صنعت يا بنى أو ذبح عندى أو رأيته وكفأته كان أحب إلى من أن ألقيه بيدي في البحر وأدخله إلى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين الأشجار عند دار فرعون إلى روضة هي مستقى جوارى فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير في دار فرعون داخل في بستانه فخرجت جوارى فرعون يغتسلن ويستقن فوجدن التابوت فاخذنه وظن أن فيه مالا فجعلنه على حالته حتى أدخلنه إلى آسية فلما فتحتة رأت فيه الغلام فالقى الله تعالى عليها محبة منه فرحمته آسية وأحبته حباً شديداً فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا على آسية بشغارهم لينجسوا الصبي فقالت آسية للذباحين الصرفوا فإن هذا لا يزيد في بنى إسرائيل فإنا آتى فرعون وأستوهبه إياه فإن وهبه لى كنتنم قد أحسنتم وإن أمركم بذبحه فلا ألوكم ثم إنها أتت به فرعون وقالت (قرّة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا) فقال فرعون قرّة عين لك

ما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله ﷺ « والذي يحلف به لو أقر فرعون ان يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله تعالى به كما هدى به امراته ولكن الله تعالى حرمه ذلك » قال فاراد ان يذبحه وقال لئنئى اخاف ان يكون هذا من بنى إسرائيل ان يكون هذا الذى هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى رهبه لها فلما آمنت آسية ارادت ان تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موسى لأنه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط هو الماء وشى للشجر فحرب فقيل موسى .

اخبرنا ابن فتحويه اخبرنا محمّد بن جعفر اخبرنا الحسن بن علوية اخبرنا إسماعيل بن عيسى اخبرنا ابن بشير اخبرنى جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال إن بنى إسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصى ووافق خيارهم اشرارهم ولم يأمرؤا بالمعروف ولم ينهؤا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاشتضعفوهم وساموهم سوء العذاب فذبحوا ابناءهم .

وفى بعض الروايات ، إنه كان يلعب بين يدي فرعون ويده قضيب صغير فضرب به على راس فرعون فغضب غضباً شديداً وتطير منه وقال هذا عدوى المطلوب فارسل إلى الذباحين ليذبحوه فباغ ذلك امرأة فرعون وقالت له ما بدا لك فى هذا الصبي الذى قد وهبته لي فاخبرها بما فعل موسى فقالت له إنما هو صبي لا يعقل ولأنما صنع هذا من صباه وانا اجعل فيه يدي وبنيك امر تعرف به الحق واضع له حلياً من الذهب والياقوت واضع له جمرأ فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وإن اخذ الجرة علمت انه صبي ثم انها وضعت له طستاً فيه الذهب والياقوت وطستاً فيه الجرة فعد موسى يده على ان ياخذ الجوهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده إلى الجمر فقبض على جمره ووضعها فى فيه فجاء على لسانه فاحرقته وذلك الذى قال فى قوله تعالى (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولى فقالت له آسية ألا ترى إلى فعله وانه صبي لا يعقل فكيف عن قتله وصرف الله عنه ذلك سوء فلم يزل عزيزاً مكرماً فى بيت فرعون وحبيباً لله إليه ولحمه اس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه .

ويروى انه سئل ليليس هل أحببت أحداً من العالمين قال لا إلا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له وكيف ذلك قال لأن الله تعالى قال (وألقيت عليك محبة مني) فلم أتمالك ان أحبيته .

(الباب الثالث في ذكر حلية موسى بن عمران عليهما السلام)

قال كعب الأحبار - كان هرون بن عمران نبي الله رجلاً فصيح اللسان بين السكلام إذا تكلم تكلم بتؤدد وعلم وكان أطول من موسى وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه أيضاً شامة سوداء وكان موسى بن عمران رجلاً آدم اللون جعداً طويلاً كأنه من رجال أزد شنوءة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان أيضاً على طرف لسانه شامة سوداء .

(الباب الرابع في قصة قتله القبطي وخروجه من مصر ووروده مدين)

قال أهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران أشده كان يركب مراكب فرعون ويلبس ما يلبس فرعون وكان يدعى موسى بن فرعون وامتنع به عن بني إسرائيل كثير من الظلم والسخرة التي كانت فيهم ولا يعلم الناس أن ذلك إلا من قبل الرضاة قالوا فركب فرعون ذات يوم مركباً وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل إن فرعون قد ركب فركب موسى في أثره وأدركه المقييل بأرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد أغلقت أسواقها وليس في طرقها أحد هو التي قال تعالى فيها (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها) فبينما هو يمشي في ناحية المدينة إذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه) الآية والذي من شيعته يقال له السامري والذي من عدوه رجل من القبط كان خبازاً لفرعون واسمه فاتون وكان قد اشترى حطباً للمطبخ فسخر السامري له حطباً

فامتنع السامري فلما مر به موسى استغاثه السامري على القبطى فقال موسى للقبطى :
دعه فقال الحناز لموسى إنما آخذه فى عمل أبىك وأبى أن يحل سبيله فغضب موسى
فبسط به وخلص السامري من يده فنازعه القبطى (فوكزه موسى ففضى عليه)
قال موسى (هذا من عمل الشيطان لأنه عدو مضل مبين) ثم قال (رب إني
ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له لأنه هو الغفور الرحيم)

وقال وهب : أوحى الله إلى موسى بن عمران وهزنى وجلالى : لو كانت
النفس التى قتلت أقرت لى طرفة عين أتى إله خالق رازق لأذقتك طعم العذاب
ولما عفوت عنك لأنها لم تقر لى ساعة واحدة إني إله خالق رازق قالوا ولما قتل
موسى القبطى لم يرها إلا الله تعالى والإسرائيلى فلما قتله أصبح فى المدينة خائفاً
يتربص الأخبار فأتوا فرعون وقالوا له إن بنى لإسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل
فرعون نفذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فى ذلك فقال فرعون اثبتوا بقائمه ومن
شهد عليه لأنه لا يستقيم أن يقضى بغير بينة ولا يثبت ملك على الاخذ بالظلم
فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك
لإسرائيلى يقاتل فرعونياً فاستغاثه الإسرائيلى على قتال الفرعونى فصادف موسى
وهو نادم على ما كان منه بالأمس فسكره الذى رآه فغضب موسى فدبده وهو
يريد أن يبسط بالفرعونى وقال للإسرائيلى (إنك لغو مبين) ففر الإسرائيلى من
موسى وظن أنه يبسط بالفرعونى وقال للإسرائيلى (إنك لغو مبين) ففر الإسرائيلى
من موسى وظن أنه يبسط به من أجل أنه أغاظ عليه فى الكلام وكان غضبان فلما
أقبل لنصره ومد يده ظن أنه يريد قتله فقال له (يا موسى أتريد تقتلنى كما قتلت
نفساً بالأمس) الآية إنما قال ذلك مخافة من موسى وظن أن يكون موسى أراد
إنما أراد الفرعونى فتنازعا فذهب الفرعونى فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلى
وذكر أن موسى هو الذى قتل الرجل بالأمس وهو المثل السائر ، العدو
العاقل أحرى عليك من الصديق الاحق وينشد فى معناه :

إن اللبيب إذا ترايد بغضه أحرى عليك من الصديق الاحق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه فإنه غلام لا يهتدى إلى الطريق فطلب موسى في ثنيات الطريق وكان موسى يسلك الطريق الأعظم فجاءه رجل من شيعته من أقصى المدينة يقال له حزقيل وكان بقية من دين إبراهيم وكان أول من صدق بموسى وآمن به .

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو أفضلهم ، قال فجاء حزقيل مؤمن آل فرعون فأخبر موسى بما أمر به فرعون من قتله واختصر طريقاً قريباً حتى سبق الذباحين إليه فأخبره الخبر لذلك قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين) فتحير موسى ولم يدر أين يذهب فجاءه ملك على فرس بيده عزة فقال له اتبعني فاتبعه فهداه الطريق إلى مدين .

وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر إلى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال ويقال نحو من السكوفة إلى البصرة فلم يكن له طعام إلا ورق الشجر فما وصل إليها إلا وقد وقع خف قدمه وإن خضرة البقول (ترى من بطنه .

﴿ الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب لابنته إياه ﴾

قال العلماء : لما انتهى موسى إلى أرض مدين في ثمان ليال نزل في أصل شجرة وإذا تحتها بئر وهي التي قال الله تعالى (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونها امرأتين تذودان) أي تحبسان أغنامهما فقال لهما (ماخطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء) لأننا امرأتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرعاء فإذا سقوا مواشيهم سقينا أغنامنا من فضول حاجتهم وما يبقى من حياتهم (وأبونا شيخ كبير) تعنيان شعيباً .

وروى حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال اسم أبي امرأة موسى الذي استأجره يبرون صاحب مدين ابن أخى شعيب النبي عليه السلام واسم إحدى

الجاريتين ليا ويقال حنونا والاخرى صفورا وهى امرأة موسى عليه السلام فلما
قالنا ذلك لموسى رحبهما وكان هناك بئر على رأسها صخرة عظيمة وكان النفر من
الرجال يجتمعون لايها حتى يرفعوها عن رأسها .

وحكى الاستاذ أبو سعيد عبد الملك بن أبى عثمان الواعظ أن تلك البئر غير
التي تسقى منها الرعاة وقد حضرتها ورأيتها قال فرفع موسى الصخرة عن رأسها
وأخذ دلوأ لهما وقال لهما قدما غنمكما فسقى لهما أغنامهما حتى أرواهما رجعتا إلى
أبيهما سرىة قبل الناس وتولى موسى إلى الظل ظل الشجرة (وقال رب إني لما
أنزلت إلى من خير فقير) قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء لإنسان
أن ينظر إلى خضرة أمعائه من شدة الجوع انظرها وما سأل الله تعالى إلا أكلة
وقال أبو جعفر محمد الباقر لقد قالها وإنه لمحتاج إلى شق ثمرة قالوا فلما رجعتا إلى
أبيهما قال لهما ما أعجلكما وأسرع رواحكما الليلة قالنا وجدنا رجلا صالحا فخرجنا
فسقى لنا أغنامنا فقال لإحداهما اذهبي فادعيه إلى (فجماعة لإحداهما) وهى التى
تزوجها موسى وهى (تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ايجزيك أجر
ماسقيت لنا) فقام موسى فقدمته وهو يليها أى يتبعها فهبت ريح فالصقت ثوب
المرأة بردفها فذكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشى خافى ودائى على
الطريق فإذا أخطأت فارمى قدامى بحصاة حتى أنهج نهجاً فإذا بنى يعقوب لا ينظر
إلى أعجاز النساء ففعلت له الطريق إلى منزل أبيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب
فسأل شعيب موسى عن حاله وقصته فاخبره الخبر فقال له (لا تخف نجوت من
القوم الظالمين فقالت لإحداهما) وهى التى كانت الرسول إلى موسى (يا أبت
استأجره إن خير من استأجرت القوى الامين) .

قال النبى ﷺ أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاها تفرستا فى موسى فأصابنا
إحداهما امرأة فرعون حين قالت قرّة عين لى ولك لا تقتلوه والاخرى بذت شعيب
حيث قالت (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوى الامين) ولما قالت القوى
الامين لانه أزال الحجر العظيم الذى لا يرفعه إلا أربعون رجلا ، فقال لها أبوها

كيفية أنك عرفت قوته فما أعلمك بأمانته فأخبرته بما أمرها موسى من استدبارها
إلياه في الطريق فازداد فيه شعيب رغبة فقال له (لاني أريد ان أنسحبك إحدى
ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمان حجج) إلى قوله (من الصالحين) أى في حسن الصحبة
معك والوفاء بشرطك فقال موسى (ذلك بيني وبينك أيما الاجلين قضيت) الآية .

روى عن رسول الله ﷺ أنه سئل : أى الاجلين قضى موسى قال : أكلهما
وأفضلهما وروى أنه قال قضى أوفاهما وتزوج بصفراهما .

(الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدء أمرهما)

اختلف العلماء في اسمها والمنافع التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها
تقوالوا ثم أن شعيباً أمر لابنته أن تأتية بعصا فيعطيهاموسى فيستعين بها في رعايته
لجأته بعصا وكانت تلك العصا وديعة عنده ودفعها إليه ملك على صورة رجل
فرددها عليها شعيب وأمرها أن تأتية بعصا أخرى فما زالت ترجع وتأتية بها بعينها
لأنها كانت كلها ردها إلى مكانها وأرادت أن تأخذ غيرها سقطت هى في يدها فما
زالت كذلك حتى أخذها شعيب وأعطاهاموسى فلما أعطاه إياه ندم على ذلك
لأنها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد على العصا فأبى أن يرددها عليه فتنازعا
إلى أن شرطاً على أنفسهما أن يرتضيا حكم أول رجل يدخل عليهما فأتاها ملك
يمشى فتحا كما إليه فقال ضمهما على الأرض فمن حملها فهو له ووضعها موسى على
الأرض فمالجها الشيخ فلم يطق حملها فأخذها موسى وقال لبث موسى عند شعيب
ماشاء الله ثم استأذنه في الإنصراف فأذن له وقال له : ادخل هذا البيت وخذ
عصى من العصى تكون معك ادراً بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصى
الانبياء عند شعيب فلما دخل موسى تدلت ووثبت إليه العصا فصارت في يده
نفرج بها فقال شعيب ردها وخذ غيرها وذلك أن شعيباً كان أخبر بأمر العصا
ولم يدرك شعيب أن صاحبها هو موسى فرددها موسى إلى البيت فألقاها وذهب
إلياًخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك مراراً فقال له شعيب ألم أقل

ذلك خذ غيرها فقال موسى قد رددتها مرات فكمكلم فعلت ذلك وثبت حتى نصير
في يدي فعلم شعيب أن ذلك أمر يزيد الله تعالى فقال له خذها .

قالوا ؛ وزوجه لبنته ورعى له موسى عشر سنين وولد لموسى أولاد من
لبنته شعيب قالوا لما خرج موسى من مدين ووافي مصر كان شعيب يزوره في كل
سنة فإذا أكل قام موسى على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقيه بين يديه ويقول له كل

(الباب السابع في صفة المآرب التي كانت فيها لموسى)

قال أهل العلم بأخبار الماضين كانت لعصا موسى شعبتان ومجمن في أسفل
الشعبتين وسنان حديد في أسفلها وكان موسى إذا دخل مغارة ليلا ولم يكن قر
القضى شعبتها كالشعبتين من نار تضئان له من البصر وكان إذا أعوزه الماء دلاها
في البئر فتمتد على قدر قعر البئر ويصير في رأسها شبه الدلو فيستقى بها وإذا
احتاج الطعام ضرب الأرض بها فيخرج بها ما يأكل يومه وكان إذا اشتبه فأكهة
من الفواكه أغرسها في الأرض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتبه بموسى
فأكبتها وأثمرت له ساعتها ويقال كانت عصا موسى من اللوز وكان إذا جاع
ركزها في الأرض فأورقت وأثمرت وأطعمت وكان يأكل منها اللوز وكان إذا
قابل بها عدوه يظهر على شعبتيها تذيئان يقاتلان وكان يضرب بها على الجبل
الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرح له الطريق وكان إذا أراد
عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانلق وبدأ له فيه طريق منفرج
وكان يشرب من إحدى شعبتيها العسل ومن الأخرى اللبن وكان إذا أعيأ في
طريقه ركبها فتحمله إلى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت
تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان إذا طاب منها الطيب فاح منها
الطيب فيطيب ويطيب ثوبه وإذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبيه
تسكبه العصا فتقول له خذ جانب كذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا
وكان يهش بها على غنمه ويدفع بها الشباع عنها والحشرات والحيات

وإذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلاعه وكساءه وطعامه وشرابه .

قال ابن حبان قال شعيب لموسى حين زوجه إبنته وسلم إليه أغنامه يراها
أذهب بهذه الأغنام فإذا بلغت مفرق الطريق غنذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك .
وإن كان السكّال بها أكثر فإن هناك تغنياً عظيماً أخشى عليك وعلى الأغنام منه .
فذهب موسى بالأغنام حتى إذا بلغ مفرق الطرق أخذت الأغنام ذات الدين
فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على ما تريد ثم نام موسى .
والأغنام ترعى وإذا التئمت قد جاء فقامت العصا لخاربه فقتلته وأنت فاستلقت
إلى جانب موسى وهى دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتئمت مقتولا
فعلم موسى أن فى تلك العصا قدرة وعرف أن لها شأناً فهدده مآرب موسى إذا
كانت فى يده . وأما إذا ألقاها فبرى أنها كانت تقلب حبة كأعظم ما يكون من
الشعابن سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم فتصير شعبتها فماً وفيه إثمنا عشر ناباً
وضرساً ولها صريف وضرير يخرج منها لهيب النار ويصير محجتها عرفاً لها
كأمثال النار تلتهب وعيناها تلمعان كما يلمع البرق تهب منها رياح السموم فلا
تصيب شيئاً إلا أحرقتة .

تمر بالصخرة مثل الناقة الكوماء فتبتلعها حتى أن الصخور فى جوفها لتقعقع
وتمر بالشجر فتقصمها بأنيابها وتحطمها وتبتلعها وجعلت تلبظ وتبرم كأنها
تتطلب شيئاً تأكله وكانت تسكون فى هظم الشعبان وفى خفة الجان ولين الحية
وذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى فى موضع (فإذا هى ثعبان
مبين) وفى موضع آخر : (كأنها جان) وفى موضع آخر . (فإذا هى
حية تسمى) .

(الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين)
وتسليم الله إياه في الطريق وإرساله إلى فرعون واستغاثته بأخيه هرون
وكيفية ذهابهما إلى فرعون لتبليغه الرسالة

قال الله عز وجل (فلما قضى موسى الاجل) الآية قالت العلماء بسير الانبياء
لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم وروده تسع سنين قال له شعيب
لاني وهبت لك كل بلقاء وأبلى من نتاج أغنامي التي تضمنها في هذه السنة يعني السنة
العاشره أراد بذلك مبرة موسى وصلته إبلته صفورا امرأة موسى ، قال فأوحى الله
إلى موسى ان اضرب بعصاك الماء في مستقى الاغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى
الاغنام من ذلك الماء ما أخطأت واحدة من تلك الاغنام الا وضعت حملها مرتين
ما بين أبلى وبلقاء ، فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى إلى موسى وأهله وفي
موسى بشرطه وسلم إليه الاغنام التي وهبها منه وقضى موسى أتم الاجلين وأوفاهما
(فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله) منفصلا عن أرض مدين وكان في أيام الشتاء
ومعه امرأته وأغنامه وهي في شهرها لا تدرى أن تضع ليلاً أو نهاراً فانطلق في برية
الشام عادلاً عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان أكبر همه
يومئذ طلب أخيه هرون وإخراجه من مصر إن استطاع إليه سبيلاً فسار موسى
في البرية غير عارف بطريقها فألجأه المسير إلى جانب الطور الايمن الغربي في عشيا
شائية شديدة البرد وأظلم الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر وأخذ امرأته
الطلق فعمد موسى إلى زنده فتدحجه فلم ينور فتحير وقام وقعد إذ لم يكن له عهد بمثل
ذلك في الزند وأخذ يتأمل ما قرب وما بعد تحيراً وضجراً ثم أخذ يتسمع طويلاً
هل يستمع حساً أو حركة فبينما هو كذلك إذا آنس من جانب الطور نوراً غسيبه
ناراً (فقال لأهله امكثوا لاني آنست ناراً لعل آتيكم منها بقبس أو أجد على النار
هدى) يعني من يدلني على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أتاها رأى نورا عظيماً
عموداً من عنان السماء إلى شجرة عظيمة هناك واختلعا في تلك الشجرة ما كانت فقيل
لهم وسجدة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى ناراً عظيمة ليس

لها دخان وهي تلتهم وتشتعل في جوف شجرة خضراء لاتزداد النار إلا عظماً ولا تزداد الشجرة إلا خضرة فلما دنا موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته إلى النار فرجع إليها ودنت منه فنودي من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة (أن يا موسى) فنظر فلم يرى أحداً فنودي (إني أنا الله رب العالمين) فلما سمع ذلك علم أنه ربه تعالى فداده ربه أن ادن وأقرب فلما قرب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت يديه وصار حياءً كهيئة الإنسان الروح الحية تتردد فيه من غير حراك وأرسل إليه ملكاً يشهد ظهوره ويقوى قلبه فلما ثاب إليه عقله تودى (فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى) وكان السبب فى أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الأصمباني قال حدثنا يحيى السدى قال حدثنا أحمد بن بريدة قال حدثنا الجعفى قال حدثنا عيسى بن يونس عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ فى قوله فاخلع نعليك قاله (كاتنا من جلد حمار ميت) وفى بعض الأخبار غير مدبوغ .

وقال مجاهد وعكرمة إنما قال (فاخلع نعليك) كي تمس راحة قدميه الأرض الطيبة فتنااله بركتها لأنها قدست مرتين ، وقال سعيد بن جببر إنما قال له ذلك لأن الحفوة من أمارات التواضع والاحترام فقبل له طأ الأرض خافياً كما تدخل السكينة لتحصل على بركة الوادى ، وقال أهل الإشارة النعل عبارة عن المرأة وذلك تأويله فى المنام فقبل له درغ قلبك من شغل أهلك ، ثم قال تعالى سكينة لقلبه وإذها بألدهشته (وما تلك يمينك يا موسى قال هى عصاى) الآية فقال الله تعالى (ألقها يا موسى فألقها فإذا هى حية تسمى) قدصارت شعبها فها وبهجتها فها فى ظهرها وهى تهتز لها أنياب وهى كما شاء الله أن تكون فرأى موسى أمراً عظيماً فولى موسى مدبراً ولم يعقب فداده ربه تعالى أن (يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين) (سنعيدها سيرتها الأولى) أى نردها عصا كما كانت ويقال إن الحكمة فى أمر الله تعالى لإياه بإلقاء العصا قبل أن يصل إلى فرعون لكيلا يفرغ منها موسى إذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما أقبل موسى قال له خذها إذ كانت عصا ولا تخف لأنه كان ادعى الملك فقال هى عصاى فنبه على ذلك . وكان على موسى جبة من صوف

فالف كنه على يده وهو لها هائب فنودى أن أحسر يدك خسر كنه على يده ثم أدخل يده تحت لحبيها فلما أدخل يده قبض فإذا هي عصاة في يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ثم قال له (أدخل يدك في جيبك تخرج بضاء من غير سوء آية أخرى) قالوا ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صار الجبل عتيقاً فلما نزل موسى عنه عاد إلى حالته الأولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولاً بولده وأراد أن يحتنه فأمر الله تعالى ملكاً فهد يده ولم تزل قدمه عن موضعه حتى جاء به الملك ملفوفاً في خرقه وناوله إلى موسى فأخذ حجراً فحكه أحدهما بالآخر حتى حدده كالسكين من الحديد فخن به لأنه ثم إن الملك حالج الملقطوع من المختون فنفل فيه فبرأ من ساعته بإذن الله تعالى ثم أن الملك رده إلى موضعه الذي جاء منه ولم يزل أهل موسى مقيمين في ذلك المكان لا يدرون ما فعل موسى حتى مر بهم راع من أهل مدين ففرقهم فاستملمهم وردهم إلى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فاق البحر وجاوزه بنى إسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب إلى مصر لموسى ، قالوا وخرج موسى من فوراً لما بعثه الله إلى مصر لعله به بالطريق ، وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حولة ولا صاحب له ولا شيء من الأشياء غير العصا ومدرة من صوف وقلنسوة صوف ونعلين وكان يظل صائماً ويبيت قائماً ويستعين بالصيد ويقول الأرض حتى ورد مصر فلما قرب من مصر أوحى الله تعالى إليه لا تخف ولا تجزع ثم أوحى الله تعالى إلى أخيه هرون يبشره بقدوم موسى ويخبره أنه قد جعله وزيراً له ورسولاً معه إلى فرعون وأمره أن يمر يوم السبت غرة ذى الحجة متذكراً إلى شاطئ النيل ليلته بموسى تلك الساعة ، قال فخرج هارون وأقبل موسى فالتقيا على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس ، ثم إن موسى وهرون انطلقا في تلك الغيضة حتى وصلا إلى باب المدينة الأعظم الذى هو أقرب أبوابها إلى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الإثنين بعد هلال ذى الحجة بيوم فأقاما عليه سمعة أيام فسكاهما واحد من الحراس وقال لهما أتدريان لمن هذا الباب ؟ فقال موسى إن هذا الباب

(م ١٣ - قصص الأنبياء)

والارض كلها وما فيها الرب العالمين وأهلها عبيد له فسمع ذلك الرجل كلاماً ولم
سمع مثله قط ولم يظن أحد من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما سمع أسرع
إلى كبارته الذين فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولاً وعابدت عجباً من رجلين هما عندى
أعظم وأشنع وأفظح مما أصابنا فى الأسد وما كانا يقدران أن يقدما على ما قدمنا
عليه بسره عظيم وأخبرهم بالقصة ، فلم يزل ذلك الخبر يتداول بينهم حتى انتهى
إلى فرعون .

قال السدى بإسناده سار موسى بأهله نحو مصر حتى أتاه ليلاً فتضيف أمه
وهى لاتعرفه فأتاه فى ليلة كانوا يأكلون الطنيل فنزل فى جانب الدار فجاءه هرون
(فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيفه فدعاه فأكل معه) فلما قعدا وتحدثا
سأله هرون من أنت ؟ فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما إلى صاحبه فاعتقه
فلما تمارفا قال له موسى يا هرون انطلق معى إلى فرعون فإن الله تعالى قد ارسلنا
إليه فقال هرون سمعاً وطاعة فقامت أمهما وصاحت وضجت وقالت أنشدكما الله
أن لا تذهبا إلى فرعون فيقتلكما فأبيا عليها ومضيا لأمر الله تعالى فانطلقا إليه ليلاً
فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلاً فقرعا الباب فمزج فرعون وفزع البواب
فقال فرعون من هذا الذى يضرب بابى فى هذه الساعة فأشرف عليهما البواب
وكلمهما فقال له موسى إناى أنا رسول رب العالمين ففزع البواب وأنى فرعون
وأخبره بما سمع وقال له ، إن هنا إنساناً مجنوناً يزعم أنه رسول رب العالمين .

قال ابن إسحق خرج موسى لما بعثه الله تعالى حين قدم مصر على باب فرعون
هو وأخوه هرون يلتمسان الإذن عليه وهما يقولان - إنا رسول رب العالمين ،
فمسكنا نحو سنتين يغدون إلى بابيه ويروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترىء
أحد أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطل يلعب معه ويضحك فقال أيها الملك ، إن
على بابك رجلين يقولان قولاً عجيباً يزعمان أن لهما إلهاً غيرك . فقال فرعون
دخولهما فأدخل موسى ومعه هرون عليهما السلام .

(الباب التاسع في ذكر دخول موسى وهرون على فرعون)
قال الله تعالى (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) وقال تعالى :
(فقولا قولاً لعلنا يتذكر أو يخشى) .

وروى عمرو بن عبيد عن الحسن البصري في هذه الآية قال قال لهما اعداز
إليه لعله يتذكر أو يخشى فقولا له إن لك رباً ومعاداً وإن بين يديك جنة ونارا
لعله عند ذلك يتذكر أو يخشى وعيدكما ، وهو عندى لا يتذكر ولا يخشى قاله
لسكيلا يقول أهلـاـكـتـه قبل أن أعذر إليه . قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون
دخلوا عليه فلما وقف عنده دعا موسى بدعاء وهو لا إله إلا الله الحليم الكبير
لا إله إلا الله العلي العظيم ؛ سبحان رب السموات والأرضين السميع وما فيهن
وما بينهما ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، اللهم إني
أدرك بك في نحره وأعوذ بك من شره وأستعين بك عليه فاكشفني بما شئت قال
فتحول ما في قلب موسى من الخوف أمناً ؛ وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو
سخائف آمن الله خوفه ونفس الله كربته وهون عليه سكرات الموت ثم أن فرعون
قال لموسى من أنت ؟ فقال أنا رسول رب العالمين فنامله فرعون فقال له (ألم تر بك
فيما وليدت ولبيئت فيما من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين)
معنا على ديننا هذا الذي هو الآن تعييه قال موسى (فعلتها إذأ وأنا من الضالين)
أى من المخطئين ولم أرد بذلك القتل (ففرت منكم لما خفتكم فوهب لي ربى حكماً
وجعلني من المرسلين) ثم أقبل موسى ينكر عليه ما ذكره له من يده عليه فقال
(وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل) أى اتخذتهم عبيداً تتزوع أبناءهم
من أيديهم فتسترق من شئت وتقتل من شئت أى إنما صيرني إليك ذلك (قال
فرعون وما رب العالمين ؟ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين)
قال فرعون (لمن حوله) من ملئه (ألا تستمعون) ؟ إنكاراً لما قال موسى ربكم
ورب آبائكم الأولين (قال فرعون) إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون (يعنى
ما هذا بكلام رجل صحيح العقل إذ يزعم أن إلهكم إلهاً غيرى) (قال موسى رب
المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون) ثم قال فرعون لموسى (ابن اتخذ

إلهاً غيرى لا جعلتك من المسجورين ه قال أولو جعلتك بشيء مبين (تعرف به صدق
وكذبك وحقى وباطلك) قال فرعون (فأت به إن كنت من الصادقين فألقى موسى
عصاه فإذا هي ثعبان مبين) فأتحة فها قد ملأت ما بين جانبي القصر واضعة لحبها
الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجاً من
مدينة مصر رأسها ثم توجهت لنحو فرعون تأخذته فانفض منها الناس وذعر منها
فرعون ووثب عن سريريه وأحدث حتى قام من بطنه في يومه ذلك أربعين مرة
وكان فيما ينعمون لا يعمل ولا يتمخط ولا يتصدع رأسه ولا تصدبه آفة ما يصيبه الناس
قالوا فلما قصدته الحية صاح باموسى أنشدك الله وحرمة الرضاع إلا ما أخذت
وأمسكنها عنى وأنا أومن بك وأرسل ملك بنى إسرائيل فآخذها موسى فحادثها
عصا كما كانت ، ثم إن موسى نزع يده من جيبه فأخرجها فقال له فرعون هذه يدك
فما فيها فأدخلها موسى في جيبه ثم أخرجها ولها نور ساطع في السماء تمكك عنه
الابصار قد أضاء ماحولها ودخل ضوءها البيوت ورقب من الكوى ومن وراء
الحجب فلم يستطع فرعون النظر إليها ثم ردها موسى إلى جيبه ثم أخرجها فإذا هي
على لونها الأول . قالوا فهم فرعون بتصديقه فقام إليه هاما وجلس بين يديه ، ثم
لأنه قال بينما أنت إله تعبد إذ أنت تابع لعبد ، فقال فرعون لموسى مهلنى اليوم وغداً
فأرحنى الله لموسى أن قل لفرعون إنك إن آمنت بالله وسعدت عمرتك في ملكك
ورددتك شاباً طرباً فـ تنظره فرعون فلما كان من الغد دخل إليه هاما وقال له
والله ما يعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوماً واحداً ونفخ في منخره ثم قال هاما أنا
أردك شاباً فأتى بالوشم نخضبه فهو أول من خضب بالسود فلذلك كرهه ^{بطل} ونهى
عنه فلما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحالة هاله ذلك فاوحى الله تعالى إليه
لا يمولك ما رأيت فإنه إن يلبث إلا قليلاً حتى يعود إلى حالته الأولى .

وفي بعض الروايات أن موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما
مطر في الطريق فأتيا على عجوز من أقرباء أهمما ركاز فرعون وجه الطالب في أثرهما
فلما دخل عليهما الليل ناما في دارها وجاء الطالب إلى الباب والعجوز منتبهة فلما أحسست
بهما خافت عليهما فخرجت القضا من جانب الباب والعجوز تنظر إليهما فقالت لهما
منتم سبعة أناس ثم عادت ودخلت الدار فلما أتته موسى وهرون أخبرتهما وأمنت

(الباب العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة)
(وخرجهم يوم الزينة إلى الفضاء للمغالبة)

قالت العلماء بأخبار الانبياء إن موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون صرهما وما أنياه من سلطان الله تعالى على السحرة فقال للملأ حوله إن هذان السحاحران علمان فإذا تأمرون ؟ قالوا اقتلهما فقال العهد الصالح حزن قليل مؤمن آل لرهون (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) إلى قوله تعالى (سبيل الرشاد) وقال غلام من قوم فرعون أرجئه وأخاه وابعث في المداين حاشرين يأتوك بكل ساحر عليهم وكانت لفرعون مداين فيها سحرة معدة للأمر إذا حزن به .

فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكباً على عصاه ومعه أخوه هرون حتى أتيا المجتمع وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم (وبلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحرتكم بهذا قد خاب من افتري) فتنأجوا فيما بينهم فقال بعضهم لبعض ما هذا يقول ساحر فذلك قوله تعالى (فتنأجوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى) فقالت السحرة لنا تدينك اليوم بسحر لم تر مثله (وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) وكانوا قد جاءوا بالعصى والحبال يحملها ستون بعيراً فلما أبوا إلا الإصرار على السحر قالوا لموسى (إما أن تلقى وأما أن نكون نحن الملقين) قال لهم موسى بل اقرا انتم حبالكم وعصيكم فالقوا فإذا هم حيات كماثال والحبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً تسهي فذلك قوله تعالى (يخيل إليهم من سحرهم أنها تسهي) إلى قوله (خيفة موسى) فقال موسى إنها كانت لهصايا في أيديهم ولقد عادت حيات وما عصاى هذه ؛ فلما حدث نفسه بذلك أوحى الله إليه (لا تخف إليك أنت الأعلى رأتني مافي يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) ففزع موسى ثم إنهلقى عصاه من يده فإذا هي ثعبان مبين كاعظم ما يكون من الشايعين اسود مدلهم يذب على أربع قوائم فصار غلاظ شداد وهو أعظم وأطول من تختى عظيم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة برأسه وعقله وكاهله لا يضرب بذنبه على شيء إلا حططه وقصمه ويكسر بقوامه الصخر الصلاب ويطحن كل شيء ويصرم الحيطان والبيوت نفسه فار ؛ وله

عينان تلتهمان ناراً ومنخراه ينفيخان سموماً وعلى معرفته شعر كأمثال الرياح وصارت
 القهقريتان له فاسعته إنا عشر ذراعاً وفيه أنياب وأضراس لها خيخ وكشيش
 وصريف وصريير فاستمرضت ما ألفت السجرة من حياهم وعصيمهم وهى نخيل فى
 أعين الناس وعين فرعون وإنما تسمى الخيمات تلفقها وتلبسها واحداً واحداً حتى لم
 ير فى الوادى لاقليلاً ولا كثيرأ عما ألقوا وانزى قوم فرعون هاربين منقلبين
 فتراحوا واتضاغطوا ووطىء بعضهم بعضاً حتى مات منهم يومئذ فى ذلك الزحام
 خمسة وعشرون ألفاً وانزى فرعون فيمن انزى منخوفاً صرعوباً ذاهباً عقله ، وقده
 استطلق عليه بطنه من يومه ذلك أربع مائة مرة فصار يحصل لذلك أربعين مره فى
 كل يوم وليلة على الدوام إلى أن هلك فلما انزى الناس وطاب السجرة ما طابوا
 قال لبعضهم لو كان ساحراً ما علمينا ولا نتقى علمنا أمره ولو كان سحراً فأين حبالنا
 وعصينا (فألقى السجرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون
 وكان فيهما اثنان وسبعون شيخاً قد انحمت ظمورهم من السكر وكانوا علماء ورؤساء
 وكان رءوس السجرة خمسة نفر ساجدوا وغادرو حفظ وخطط وصفاء وهم الذين آمنوا
 حين رأوا ما رأوا من سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك أسف وقال لهم متجلدة
 (آمنتم له قبل أن آذن ليكم إنه لكبيركم الذى علمكم السجرة) إلى قوله تعالى (أشد
 عذاباً وأبقى قالوا نؤثرك على ما جاءنا من البينات) الآية فقطع ايديهم وأرجلهم
 من خلاف وصلبهم فى جذوع النخل وهو أول من فعل ذلك فأصبحوا سحراً
 كفرة : وأهسوا شهداء بررة ورجع فرعون مغلوباً مهزوماً مكسوراً ثم أنى إلا
 الإقامة على الكفر والتأدى فى الشر فتابع الله عليه الآية وأخذ به وقومه بالسنين
 إلى أن أهلكهم ثم إن موسى عاد راجعاً إلى قومه والعصا على حالها حية تتبعه
 وتبصص حوله وتلذذه كما يلذ السحاب الألوف بصاحبه والناس ينظرون إليها
 ويتعجبون منها وقد ماشوا رعباً فلم تزل العصا على هيئة الحية والناس يتحدثون
 وينظرون إليها ويتصاعقون ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكر بني
 إسرائيل فأخذ برأسها فإذا هى دها كما كانت أول مرة وشقت الله على فرعون
 أمره ولم يجد إلى موسى سبيلاً واعتزل موسى مدينته ولحق بقومه وعسكره
 وكانوا مجتهدين إلى أن صاروا ظافرين .

(الباب الحادى عشر فى قصة حزقيل مؤمن آل فرعون)
(وامراته ومقتله وأولاده رضى الله عنهم أجمعين)

قالت الرواة : كان حزقيل من أصحاب فرعون نجاراً وهو الذى صنع لآم موسى الثابوت حين ولدته وألقته فى البحر . وقيل إنه كان خازناً لفرعون وقد خزن له مائة سنة وكان مؤمناً مخلصاً يكتنم لإيمانه إلى أن ظهر موسى على السحرة فأظهر حزقيل أمره فأخذه يومئذ وقتل مع السحرة صلباً وهو الذى ذكره الله فى القرآن قوله تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) وقال رسول الله ﷺ سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلى مؤمن آل محمد ﷺ وهو أفضلهم . وأما امرأة لحزقيل فإنها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة من إمام الله الصالحات لا لها كانت مع بنات فرعون تتخذهن وكانت من قصتها ما أخبرنا به بالأسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال (لما أسرى نى مررت برائحة طيبة فقلت لجبريل عليه السلام ماهذه الرائحة : قال هذه ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بذت فرعون فوق المشط من يديها فقالت بسم الله فقالت بذت فرعون أى ؟ قالت لا بل ربي ورب أبوك فقالت لها لا تخبرن بذلك أى فلما أخبرته دعا بها وبولدها وقال لها من ربك ؟ فقالت إن ربي وربك الله فأمر بتنوير من نحاس فاحمر وأمر بها وبولدها ان يلقوا فيه فقالت له إن لى إليك حاجة فقال وماهى قالت تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفننا قال ذلك لما لك علينا من الحق ثم أمر بأولادها فالتقوا واحداً واحداً فى التنور حتى إذا كانت آخر أولادها ولدأ صديقاً رضيها فقال اصبرى يا أماء فإنك على الحق فالقيت فى التنور مع ولدها .

فستل ابن عباس فيمن تكلم فى المهد فقال : تكلم فى المهد أربعة : عيسى بن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي .

(الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون)
(ومقتلها رحمها الله تعالى)

قال الله تعالى (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون) يقال إن امرأة فرعون آسية كانت تغال في قضاء حاجتها فتبزي فتصلي يومها في مئزرها خوفاً من فرعون وكانت على تلك الحالة إلى أن قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية متطاعة من كوة قصر فرعون تنظر إلى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتمتل فلما قتلت الماشطة طابت آسية الملائكة وقد عرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها من الخير فزادت يقيناً بالله وتصديقاً فبينما هي كذلك إذ دخل عايم فرعون وجعل يهزها بهز الماشطة امرأة حزقيل وما صنعها فقالت له آسية الويل لك يا فرعون ما أجراك على الله تعالى فقال لها لعلك قد أعتراك الجنون الذي اعتري صاحبك فقالت ما اعتراني جنون واسكني آمنت بالله ربي وربك ورب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها إن ابنتك قد أخذها الجنون الذي أخذ الماشطة ثم إنه أقسم لنذوقن الموت أو أن تكفرن بالله موسى نخلت بها أمها وسألته موافقة فرعون فما أراد فأبت وقالت تريدن أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك بها فأمر بها فرعون فدفنت بين أربعة أو ثمانية مازالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى (وفرعون ذى الأوتاد) .

عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين ابتدأ بها يعذبها لتدخل في دينه ففر بها موسى وهو يعذبها فشكت إليه بأصبعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألماً إلى أن ماتت في عذاب فرعون فقالت وهي في العذاب (رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني) الآية فأوحى الله إليها أن ارفعي رأسك ففعلت فرأت البيت في الجنة من در فضحكت فقال فرعون انظروا إلى الجنون الذي بها تضحك وهي في العذاب .

(الباب الثالث عشر في بناء الصرح)

قال الله تعالى (وقال فرعون يا هامان ابن لي عندك صرحاً) الآية قالت العلماء
كان الله تعالى قد أملى لفرعون في كل باب من أبواب التملك والتسلط والثروة
والتنعم والرفع والتمتع ما قد استخف به رعيته من أهل مملكته حتى استعبدوا
فعبده وادعى الربوبية فقبلوه مع ما أوتى من العمر الطويل والقوة والمنعة
والسعة والجود والشوكة والعدة والعدد .

قال سعيد بن جبير ملك فرعون أربع مائة سنة لا يرى مكروهاً ولو كان في تلك
المدة فأدرك جوع يوم أوحى ليلة ما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر
جسيم فلم يمسسه سوء ولا مكروه ولا تلقاه إلا محبوب ومرغوب وكان له قصر من
قصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله دابة من دوابه يركبها فيصعد
بذلك القصر عليها ، وكان يركبها صاعداً ونازلاً مع أنهم الله تعالى عليه استدرأها
منه فلما عين من أمر موسى ما عين لم يزد ذلك إلا عتوا واستكباراً وعلم من
قومه الرعب والخوف فخاف عليهم أن يؤمنوا بموسى ويحولوه مكانه فاحتمل لنفسه
وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه وبشيد أركانه فقال لوزيره (يا هامان ابن لي
صرحاً أعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى وإلى لآظنه كاذباً)
فأمر هامان ببناءه فجهد له العاقلة والفطنة ولم يترك أحداً يقدر عليه من يعمل البنيان
إلا جعله لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأنواع والأجرام من يطبخ
الأجر والخبز ويتخذ الخشب والأبواب والمسامير فلم يزل يبني الصرح ويسر الله
تعالى له أسرته استدرأها منه وأناه الأمر على ما يريد إلى أن فرغ منه في سبع سنين
فارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والأرض فشق
ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه أن دعهم وما يريد فإني مستدرجه وأخذته بغتة
ولأن مبطل كل ماعله في شناعة واحدة وكان ذلك الصرح إذا طاعت الشمس ضرب
ظله نحو المغرب وإذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يعلمه إلا الله تعالى
فلمّا أتى بنائه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فحضر بجانبه الصرح ضربة فقطعته

ثلاث قطع فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم أن حيله لم تغنى عنه شيئاً فعزم على قتال موسى وقومه فأمر أصحابه فنصبوا له الحرب ثم إن عسكر فرعون قالوا لموسى إنك لساحر وأنت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وتربيته ونسيت إحسانه إليك ومنته عليك حيث ألقته أمك في اليم قبلاً بك وبغضاً لك لما علمت ما أنت صائر إليه من سوء الحال فاستنقذك فرعون من الغرق واستدركك من الموت فآواك وكفلك ورباك واتخذك ولداً ثم فررت منه آبقاً كافراً وجنته عدواً محارباً فلما رأينا بممتنعين منك حتى نردك إلى عبادته وخدمته أو نذيبك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم أنه لا يغنى عنهم ما جاءهم به موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب وابتلاهم الله بالعذاب والآيات .

(الباب الرابع عشر في ذكر الآيات التي ابتلى بها فرعون وقومه)
(حين ذبحوا هلاكهم لظهار آقدرته وإلزاماً لحجته) .

قال الله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) قال المفسرون : هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفاق البحر فقال تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثروات) .

وقال قتادة : أما السنون فكانت بباديتهم ومواشيهم ، وأما نقص الثروات فكان في أمصارهم قال الله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) الآية . واختلف المفسرون في ذلك الطوفان ما هو .

قال ابن عباس كان أول الآيات الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء ، وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حرومهم فأهلكها ، وقال الضحاك هو الفرق ، وقال مجاهد وعطاء هو الموت الذريع الجارف ، وروى ذلك عن رسول الله ﷺ وقال وهب هو الطاعون بلغة أهل اليمن أرسل الله الطاعون على أبكار آل فرعون فافتضن في ليلة فلم يبق منهم باقية ، وقال أبو قلابة الطوفان الجدري فهم أول من عذب به فبقى في الأرض (والجراد والقمل) .

واختلفوا في القمل ما هو فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس
الذى يخرج من الحنطة ، وروى عن علي بن أبي طلحة أنه الدبا وقال مجاهد والسدى
وقنادة والسكبي وغيرهم الجراد الطيارة التى لها أجنحة والقمل الصغار التى لا أجنحة
لها وروى معمر عن قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن أسلم هو
البراغيث وقال عطاء هو القمل دليله قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وجزم الميم
وقال أبو عبيدة هو الخنثان وهو ضرب من القردان ؛ قال أبو العالية أرسل الله الخنثان
على دوابهم فأكلها حتى لم يبق منها شيء ولم يتدروا على المسير قال أمية بن أبي الصلت الثقفى
أرسل الذر والجراد عليهم وهذا باء فأهلكتهم دبور
(بلب فى صفة تنزيل الآيات تفصيلاً وكيفيتها)

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقاتادة ومحمد بن إسحق وغيرهم من أصحاب
الأخبار دخل حديث بعضهم فى حديث بعض ؛ لما أمنت السحرة وصلبهم عدو الله
فرعون ورجع عدو الله مغلوباً مقهوراً أنصرف موسى وهرون إلى عسكر
بنى إسرائيل فأمر فرعون قومه أن يكلفوا بنى إسرائيل مالا يطيقون فكان يقول
من القبط يحىء إلى الرجل من بنى إسرائيل يقول له انطلق معى فأكدس عشى
واعلف دوانى واستق لى وتجيء القبطية إلى الكريئة من بنى إسرائيل فتكلفها
حالا تطيق ولا يطعمونهم فى كل ذلك خبزاً فإذا انصرف النهار يقولون لهم اذهبوا
فأكدسوا لأنفسكم ما تأكلون فشكوا ذلك إلى موسى فقال لهم (استعينوا بالله
واصبروا إن الأرض لله يرثها من يشاء من عبادة وعلاقبة المعتقين) قالوا يا موسى
(أودينا من قبل أن يأتينا ومن بعد ما جهننا) كنا نطعمهم إذا استعملونا من قبل أن
تأتينا فلما جهننا استعملونا ولم يطعمونا فقال موسى (عسى ربكم أن يهلك عدوكم)
يعنى فرعون والقبط (ويستعطفكم فى الأرض) يعنى الشام ومصر فينظر كيف تعملون
فلما أبى فرعون وقومه إلا التحدى على المكفر والإقامة على الشر والظلم ودعا
موسى ربه فقال : يا رب عبدك فرعون قد طغى فى الأرض وبغى وعثا وإن قومه
يقضوا عهدك وأخلفوا وعهدك رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نعمة ولقومى عظة ولهم
يهدم من الأمم اعتباراً فتابع الله عليهم الآيات المفصلات وبعضها فى أثر بعض فأخذهم

بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط هتت بك مخالطة بعضهم في بعض فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم من جاس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه أراضيهم وركد فلم يقدروا على أن يحرثوا ولا يعملوا شيئاً حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فقالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فعدا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل وعادوا إلى أشركهم كما كانوا عليه فأثبت الله تعالى لهم في تلك السنة من السكك والزرع والثمار لم يثبت قبل ذلك فأعشبت بلادهم وأخصبت فقالوا هذا ما كنا نتمنى وما كان هذا الماء إلا نعمة لنا وما يسرنا أنا لم نمطر فأقاموا شهراً في عافية ثم بعث عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى إنها كانت تأكل الأبواب والشياب والآلثة وسقوف البيوت والخشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجويع فجعل لا يشبع وكان لا يدخل بيوت بني إسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فجعلوا وضجوا وقالوا (يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لأن كشفنا عن الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك في بني إسرائيل) فأعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت ويقال أن موسى برز إلى الفضاء فأشار إلى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كأن لم يكن.

(فصل في بعض ما ورد من الأخبار الغربية في الجراد)

أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن جابر وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه كان يدعو على الجراد يقول: اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم واهلك صغارهم وافسد بيضه وخذ بأفواههم عن معايشنا وازقنا لأنك أنت سميع الدعاء فقال له رجل من القوم كيف ذلك يا رسول الله تدعو على جند من جنود الله بهلاكه وقطع دابرهم؟ فقال إنما الجراد نثر سموت من البحر.

وقال ابن علائه : حدثني من رأى الخوت ينثره وبإسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (في صدر الجراد مكتوب جند الله الأعظم) وبإسناده عن جابر بن عبد الله قال : عدم الجراد في سنة من تنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم يخبر عنه بشيء فاضتم لذلك فأرسل راكباً إلى اليمن وراكباً إلى الشام وراكباً إلى العراق يسألون هل رأوا شيئاً من الجراد أم لا فأتاه الراكب الذي دخل اليمن بقبضة من الجراد فألقاه في يده فلما رآه كبير ثلاثاً ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول خلق الله أئمة أمة منها ستائة في البحر وأربعمائة في البر فأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد فإذا هلك الجراد يتابع مثل النظام إذا قطع سلسكته .

وبإسناده عن أنى أمانة الباهلي يحدث عن النبي ﷺ أنه قال « إن مريم ابنة عمران سألت ربها أن يطعمها لحماً لا دم له فأطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغرضاء وتابع بينه بغير شيايح » فقلت يا أبا المصنف ما الشيايح ؟ قال الصوت .

وبإسناده عن عبد الله بن ضميرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى إبليس من الجنة قال لا اتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً قال الله تعالى وأنا متخذ من خلقى جنداً هو الجراد فقال إبليس وأنا جندى النساء هي شبكى التى لا تخطئ أبداً .

أخبرنا الحسين بإسناده عن الأوزاعي يقول كان ببيروت رجل صالح يذكر أنه رأى رجلاً صالحاً راكباً على جراداة قال وعليه خفان طويلان أظنهما أحمرين وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها ويقول بيده هكذا فحيثما أشار اسنق الجراد إلى ذلك الموضع قبلنا أن ذلك الرجل ملك الجراد قال فأقام قوم فرعون شهراً في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك أن موسى أمر أن يمشى إلى كصيب أعقر قرية من قرى مصر تدعى عين شمس فشى موسى إلى ذلك الكصيب وكان مهلاً عظيماً فضر به بمصاه فأنهال عليهم القمل فقتلهم ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكلهم ولحس الأرض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ فلا يحق أن أحدهم ليبنى الاسطوانة بالجص ويلفها حتى لا يرتقى فوقها شيء ثم يرفع فوقها الطعام فإذا صعد إليه أياكله وجده مليء فلا فاعا أيديوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشفار

وحيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنها الجدرى عليها ومنعتهم للنوم والقرار ولم
 يستطيعوا لها حيلة وقال سعيد بن جبير النعمان السوسي الذي يخرج من الحبوب فمكّن
 الرجل يخرج عشرة أقفزة إلى الرحا فلا ترد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا
 إلى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر : أي أيها العالم إنا نتوب ولا ندع فادع
 لنا ربك بما عهدت عندك يكشف عنا هذا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم النعمان
 فانتشروا في أقطار الأرض وأطراف البلاد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت
 إلى السبت ثم نكسوا العهد وعادوا إلى أخبت أعمالهم وقالوا ما كنا أحق أن نستيقن
 أن موسى ساحر لنا إلا اليوم فيجعل الرمل دواب فعلى ماذا تؤمن ونرسل معه
 بني إسرائيل فقد أهلك زرعنا وحرثنا وأذهب أموالنا فما عسى أن يفعل أكثر مما
 فعل وعزة فرعون لا تصدق به أبداً ولا نذبحه فدعا عليهم موسى بعدما أقاموا
 شهر في عافية وقيل أربعين يوماً أوحى الله تعالى إليه وأمره أن يقوم على ضفة النيل
 فيخبر زعماء فيه ويشير بالعصا إلى أدناه وأقصاه وأعلاه وأسفله ففعل ذلك ففتنا بعث
 له الضفادع بالنميق من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضاً وأسمع أدناها أنصاها ثم
 لأنها خرجت من النيل مثل الليل الدامس سرعاً تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم
 في بيوتهم بغتة وامتلات منهم أفئدتهم وآنيتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوباً ولا إماء
 ولا طعاماً ولا شراباً إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع
 ويهم أن يتكلم فتنب الضفادع فيه وكان أحدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ
 وقد ركبته الضفادع ذراعاً بعضها فوق بعض وتصير عليه ركاباً حتى لا يستطيع
 أن ينصرف إلى شقه الأيمن ولا الأيسر وكان أحدهم يفتح فاه لا كلمته فتسبقه الضفدعة
 إلى فيه وكانوا لا يمجنون شيئاً من العجيب إلا انشدخت فيه ولا يطبخون قدرأ
 إلا امتلات منه وكانت تلب في غير أنهم فتطفئها وفي طعامهم فتفسده فلقوا منها أذى شديداً
 روى عكرمة عن ابن عباس قال : كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على
 فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تدور وفي التناير
 وهي مسحورة فأثابها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجوا إلى فرعون من
 ذلك وضاق عليهم أمرهم حتى كادوا يهلكون وصارت المدينة وطرقتها مملوءة جيفاً

من كثرة ما يطأونها بأقدامهم وأروحت البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا
 وشدوا إلى موسى وقالوا كشف عنا هذا البلاء فإننا نتوب هذه المرة ولا نعود
 فآخذ على هذا عهدهم ومواثيقهم ثم أن موسى دعا ربه فكشف عنهم الضفادع
 وذلك فيما يروى أن موسى أمر أن يهتف بهصاه ويميلها ففعل ذلك فانتشع ما كان
 منها حياً فالحق بالنيل وأرسل الله على النملة ريحا ففتحها عن مدينتهم بعد ما أقامه
 عليهم سبعة أيام من النسب إلى النسب فأقاموا شهراً في عافية وقيل أربعين يوماً ثم
 نقضوا العهد وعادوا إلى كفرهم وتمكذيهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم
 الدم وذلك أن الله تعالى أمر موسى أن يذهب إلى شاطئ البحر فيضربه بهصاه
 ففعل ذلك فسال عليهم النيل دما وسارت مياههم كلها دما وما يسقون من الأنهار
 والآبار إلا وجدوه دما أحر عبيطاً فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا إنا قد ابتلينا
 بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم إنه قد سحركم موسى فكان يجتمع الرجال
 على الإناء الواحد القبطى والإسرائيلى فيكون ما بلى الإسرائيلى ماء وما بلى القبطى
 دماً عبيطاً وكان القبطى والإسرائيلى يستقيان ماء واحد فيخرج ماء القبطى دماً
 وماء الإسرائيلى ماء عذباً وكان يقومان إلى الجرة التى فيها ماء فيخرج للإسرائيلى
 ماء وللقبطى دم حتى إن المرأة من آل فرعون أتت إلى المرأة من بنى إسرائيل حين
 يحمدنها العطش فنقول اسقىنى من مائك فتسكب لها من جرتها أو تصب لها من
 قربتها فتعود فى الإناء دماً قالوا والنيل على ذلك يسقى الزرع والشجر فإذا ذهبوا
 ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دماً عبيطاً وإن فرعون اعتراه العطش فى تلك
 الأيام حتى إنه اضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها صار ماءً ملحاً
 أجاباً ومرأز عاقاً فكشوا فى ذلك سبعة أيام لا يأكلون ولا يشربون إلا الدم .
 وقال زيد بن أسلم : كان الدم الذى سلق عليه الرعاف فلما ضجروا من ذلك
 قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك وترسل معك
 بنى إسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك أن موسى أمر أن يضرب
 النيل بهصاه ضربة أخرى فضربه فتحول ماء صافياً كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما
 عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان) الآيات قال نوف البكالى

هن امرأة كعب الاحبار مكث موسى في آل فرعون عشرين سنة بعد ما غلب السحرة يريهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع وقال أصحاب الأخبار لما ينس موسى من إيمان فرعون وقومه ورآهم لا يزدادون إلا الظفیان والمكفر والتأدى والكبر دعا عليهم وأمن فرعون عليهما السلام وهو (ربنا إناك آتيت فرعون وملائه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) فأجاب الله دعاءهما كما قال تعالى (قد أجيبتم دعوتكما فاستقموا ولا تتبغوا) الآية قالوا وكان لفرعون وأصحابه من أثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة والياقوت وأنواع الحلى والجواهر ما لا يحصىه إلا الله تعالى وكان أصل ذلك المال بما جمعه يوسف عليه السلام في زمانه أيام القمح فبقى ذلك في يد القبط فأوحى الله إلى موسى عليه السلام إلى مورث بنى إسرائيل ما في يد آل فرعون من العروض والحلى وجاعله لهم جهازاً وأعياداً إلى الأرض المقدسة ما جعل لذلك عيداً تعكف عليه أنت وقومك تشكرونى وتذكرونى وتعظمونى ذلك اليوم وتعبدونى فيه لما أرىكم من الظفر تجاه الأولياء وهلاك الأعداء واستعبروا لعيدكم من آل فرعون الحلى وأنواع الزينة فإنهم لا يمنعون عنكم بسبب الحمال بهم في ذلك الوقت لما قذف في قلوبهم لسكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما أمره الله تعالى فأمر فرعون بزينة أهله وولده وما كان في خزانته من أنواع الحلى فغيرت لبنى إسرائيل لما أراد الله بذلك أن يبق على موسى وقومه أفضل أموال أعدائهم بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا رجل لطفاً منه بهم وإفضالاً عليهم لما دعا موسى عليهم مستخ الله الأموال التى بقيت في أيديهم حجارة كلها حتى المنخل والدقيق .

قال محمد بن كعب القرظى : سألنى عمر بن عبد العزيز عن التسع آيات التى أراها الله فرعون وقومه فقلت : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والبيضة والطمس وقلب البحر فقال عمر لا يكون الفقه إلا هكذا ثم لانه دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصاب لعبد العزيز بن مروان إذ كان فيها بقايا أموال فرعون فأخرج البيضة مشقوقة نصفين ولما الحجر والجوزة مشقوقة ولما الحجر والحصى والعدسة

وروى محمد بن إسحق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال : قد رأيت نخلة
مصروعة وإنما الحجر وقال رأيت إنساناً وما شككت أنه إنسان وأنه الحجر وكان
ذلك المسخ في أرفاقهم دون أحرارهم إذ العبيد من جهلة أموالهم فلم يبق لهم مال إلا مسخه
الله تعالى ما خلا الذي بأيدي بني إسرائيل من الخلى والجواهر وأنواع الزينة .
وقال ابن عباس : أول آيات العصا وآخرها الطمس ؛ قالوا وبلغنا أن الدنانير
والدراهم صارت حجارة منقوشة كتب عليها أصحابها وأنصافاً وأثلاثاً وجعل سكرهم حجارة .
(الباب الخامس عشر في قصة إسراء موسى عليه السلام ببني إسرائيل)
(وخبر فلق البحر لهم)

(قالوا) لما سار موسى ببني إسرائيل من مصر وأرادوا أن يسيروا ضرب
الله عليهم النية فلم يدروا أين يذهبوا فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني إسرائيل
فسألهم عن ذلك فقالوا له إن يوسف عليه السلام لما مات بمصر أخذ على إخوته عهداً
أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيهضوه في الأرض المقدسة فلذلك نالنا
هذا الأمر فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادى أنشد الله كل من
يعلم موضع قبر يوسف ألا أخبرني ومن لا يعلم صمت أذنائه عن قول فكان يمر بين
الرجلين ينادى فلا يسمعان قوله حتى سمعت عجوز منهم فقالت له رأيتك إن دللتك
عليه أتعطيني ما سألته ؟ فإني عليها وقال استأذن ربى فأمره ربه أن يعطيها منها
فأعطاهما ذلك فقالت له : إني أريد أن لا تنزل غرفة من الجنة إلا نزلتها معك قال نعم
قالت فإني عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشي فاحملني فحملها فلما دنت من النيل قالت له
لأنه في جوف هذا الماء فادع الله أن يحبس عنه هذا الماء فدعا الله تعالى فحسره عنه
فقالت له احفر ههنا ففعل فاستخرجوه وهو في صندوق من مرمر فحمله معه ودفنه
في الأرض المقدسة .

قال عروة بن الزبير : وقد كان الله تعالى أمر موسى أن يسير ببني إسرائيل
إذ طالع الفجر فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ففعل ففطن ثم
تحمل اليهود موتاهم من كل بلد إلى الأرض المقدسة من فعل نبيهم ذلك .

(م ١٤ — قصص الأنبياء)

أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن ابن أبي موسى الأشعري عن أبيه عن النبي ﷺ قال : نزل النبي ﷺ بأعرابي فأكرمه فقال له عليه السلام : يعاهدنا فأتاه الأعرابي فقال له عليه السلام ما حاجتك ؟ قال له الأعرابي ناقة يا رسول الله يرحلها وأعز بحلبها أهلي فقال له رسول الله ﷺ ثمانية ما حاجتك فقال ما لي حاجة غيرها ، فقال عليه السلام إن عجوز بني إسرائيل كانت أحسن مسئلة من هذا وذكر الحديث الذي في قصة يوسف .

قال فلما انتهى موسى إلى البحر هاجت الرياح وعادت ترمى بموج كالجبال فقال يوشع بن نون يا كريم الله أين أمرت فقد غشيينا فرعون والبحر أمامنا فقال موسى ههنا نخاض يوشع بن نون الماء فجاز البحر ولم يوار حافر دابته الماء .

وقال الذي يكتم لإيمانه وهو حزين مؤمن آل فرعون يا كريم الله أين أمرت قال ههنا فسكب فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فارتسب في الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدرى كيف يصنع فاوحى الله إليه (أن اضرب بعصاك البحر) وكان الماء في ذلك الوقت في غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطعه فاوحى الله تعالى إليه أن كفيه فضربه ثانياً وقال . انقلب يا أبا خالد بإذن الله تعالى (فانقلب فسكر كل فرق كالطود العظيم) فلما انقلب البحر فإذا بالرجل الذي أقحم فرسه البحر واقف على فريسه لم يبتل مفرجه ولا لبده وظهر في البحر اثنا عشر طريقاً لإثني عشر سبطاً لكل سبط طريق وطريق وأرسل الله تعالى الرياح والشمس على قهر البحر حتى صار يابساً كما قال الله تعالى (فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى) .

قال سعيد بن جبير . أرسل معاوية إلى ابن عباس يسأله عن مكان لم تطالع فيه الشمس إلا مرة واحدة فأرسل إليه إنه المكان الذي انقلب عنه البحر ابن إسرائيل أخبرنا الحسن بن محمد بإسناده عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى إلى البحر قال . يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والسكان بعد كل شيء اجعل لنا فرجاً ومخرجاً فاوحى الله تعالى إليه (أن اضرب بعصاك البحر) فضرب بعصاه البحر (فانقلب فسكر كل فرق كالطود العظيم) .

وروى الأعمش عن شفيق عن عبد الله قال . قال رسول الله ﷺ : ألا أعلمكم
الكلمات التي تكلم بها موسى حين جاز البحر ببني إسرائيل ؟ قلنا بلى يا رسول الله
قال قولوا . اللهم لك الحمد وإليك المصير وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . قال عبد الله . فما تركنن منذ سمعن من رسول الله ﷺ
قالوا نخاض بنى إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعلى جانبه الماء كالجبيل
العظيم لا يدرى بعضهم بعضاً نخافوا وقالوا كل سبط قد قتل إخواننا فأوحى الله
إلى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء شبكات كهيمات الطبقات فنظر بعضهم بعضاً
فأخذوا بجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضاً ويسمع بعضهم بعضاً حتى عبروا
البحر سالمين فذلك قوله تعالى (ولذا فرقنا بكم البحر) أي فرقنا وميزنا لكم الماء
يميناً وشمالاً (فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) وذلك أنه لما خرجت
ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون إليه فاراد موسى أن
يدعو البحر ليرجع إلى حالته الأولى فأوحى الله إليه أن (اترك البحر رهوا) أي
سائداً على حاله . منهم جند مغرقون ، قلبا وصل جند فرعون إلى البحر رأوه
مفلقين . فقال فرعون . انظروا إلى البحر كيف انفلق لهيبتى حتى أدرك أعدائى
وعبيدى الذين أبقوا منى فاقنلهم فادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه ولم يكن
في خيل فرعون أنثى وإنما كانت ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس
له أُنثى وهى مشتمية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم ونخاض البحر فظن أصحاب
فرعون أن الفارس منهم قلبا شمت الخيول ريحها اقتعمت البحر أثرها حتى خاضوا
كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحشهم ويقول لهم الحقوا بأصحابكم
فلما أراد فرعون أن يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له إني قد أتيت
إلى هذا الموضع مراراً وما لى عهد بهذا الطريق وإنى أخاف ولا آمن أن يكون
مكرأ من الرجل ويكون فيه هلاكنا وهلاك أصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب
معاجلاً على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجاءه جبريل على رمحه بيضاء
فصهلت فمحمم إليها حصان فرعون فخاض جبريل البحر فتبعها حصان فرعون

-- ٢١٢ --

فأقبحه البحر فلما توافوا في البحر وهم أولهم أن يخرج من البحر أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالنظم عليهم ففرقهم أجمعين وذلك بمرأى من بنى إسرائيل فذلك قوله تعالى (وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) يعني إلى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما أدرك فرعون الغرق (قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) فقال له جبريل (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) ثم إن جبريل أراه فتياه وتوقيعه الذي فيه ، وقال إنما هذا فتياك الذي أفنيت به ، ثم جعل يدس في فيه من حمأ البحر مخافة أن يعيد تلك الشهادة .

وفي الحديث أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ ، ما أبغضت أحدا من الخلق ما أبغضت رجلاين ، أما أحدهما فن الجن وهو إبليس عليه لعنة الله حين أنى أن يسجد لآدم ، والآخر من الإنس ، وهو فرعون حين قال (أنا ربكم الأعلى) ولو رأيته يا محمد وأنا آخذ من حمأ البحر وأدسه فيه مخافة أن يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله تعالى بها .

أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن محمد بن قيس قال جاء يهودى إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا ؟ فقال بلى قد كان صبر وخير وليسكنكم ما كنتم أقدمكم من حمأ البحر حتى قلت يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فلما أغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بهت موسى جندين عظيمين من بنى إسرائيل كل جند اثنا عشر ألفاً إلى مدائن فرعون وهى يومئذ خالية من أهلها قد أهلكت الله علمائهم ورؤساءهم وقادتهم ومقاتلتهم ، فلم يبق منهم إلا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فأمر على الجنديين يوشع بن نون وكاب بن يوقنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكثروهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى (كم تركوا من جنات وعيون) إلى قوله تعالى (فاكهين كذلك أورثناهم قوماً آخرين) إلى آخر القصة ثم أن يوشع بن نون استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وعهد إلى موسى بمن معه من المسلمين غانمين شاكرين .

(الباب السادس عشر في ذهاب موسى إلى الجبل لملاقات ربه)
(وصفة إيتاء الله تعالى الألواح وإنزاله التوراة وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر) وقال في موضع آخر (وإذا واعدنا موسى أربعين ليلة)

قال العلماء بقصص الأنبياء وسير الماضين إن موسى كان واعد بنى إسرائيل وهو بمصر إذا خرجوا منها وهلك عدوهم أن ياتيهم بكتاب فيه ما ياتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون وقومه واستنقذ بنى إسرائيل من أيديهم وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب وكأ شريعة يذنبون إليها قالوا يا موسى أثبتنا بالكتاب الذى وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوماً ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويبقى طور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوماً فلما صعد الجبل أنكر خلوف فيه فأسوك بعود خروب

وقال أبو العالقة - أخذ من لحاء الشجر فصبه فقالت له الملائكة إنا كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدتها بالسواك . فأوحى الله تعالى إليه أن صم عشرة أيام آخر ، وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من رائحة المسك ؛ وكانت فتنتهم فى العشرة الأيام التى زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) ذى القعدة (وأتممناها بعشر) من ذى الحجة قال وهب - كان بين الله وبين موسى سبعون حجاً فأفرغها الله كلها لإحجاباً واحداً فنجلى موسى لكلام الله تعالى واشتاق إلى رؤيته وطمح فيها فقال (رب أرنى أنظر إليك)

واختلف العلماء فى معرفة النجلى قال ابن عباس ظهر نوره للجبل وقال الضحاك أظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ، ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل إلا كسم الخياط حتى صار دكاً دكاً

وقال السدى ما تجلى إلا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس عن النبي ﷺ أنه قرأ هذه الآية فقال (هكذا ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل يعنى غار

وقال الحسن أوحى الله تعالى إلى الجبل وقال هل تطيق رؤيتي فغار الجبل وساخ في الأرض وموسى ينظر إليه حتى ذهب أجمع

وقال السدى ما تجلى للجبل إلا قدر جناح بهوضة فصار الجبل دكا
وقال ابن عباس نرا بآ وقال سفيان ساح حتى وقع في البحر
قال عطية العوفي صار رملا هائلا

وقال الكلبي جله دكا أى مكسرا جبالا صفارا وبالإسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا)

(قال) فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الألواح فيلحمها موسى فلم يطيق حملها فقال يا رب من يطيق حمل هذه الألواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقاً يطيق حملها فأمده الله بملائكة يحملونها بعدد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا له الألواح على الجبل فانصدع لها الجبل وخشع ، وقال يا رب من يطيق حمل هذه الألواح بما فيها وضرب الله مثلاً في القرآن فقال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) كما أنزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها ، قال فلما وضعوها على الجبل بين يدي موسى وذلك عند صلاة العصر فقبض موسى على الألواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتى هون الله عليه حملها فحملها فذلك قوله (يا موسى إنى اصطفتك) الآية وقوله تعالى (وكنتبنا له في الألواح) الآية

(فصل في نسخة العشر الكلمات التي كتبها الله تعالى لموسى نبهيه وصفه)
(في الألواح وهي معظم التوراة وعليه مدار كل شريعة)

وهي بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار
لعبيده ورسوله موسى بن عمران أن سبحنى وقد سننى لا إله إلا أنا فاعبدنى
ولا تشرك بى شيئاً واشكر لى ولوالديك إلى المصير أحبك حياة طيبة ولا تقتل
النفس التي حرم الله عليك فاضيق عليك السماء باقطارها والأرض برحبها ولا تحلف بإسمى
كاذباً فإنى لا أظهر ولا أذكرى من لا يعظم إسمى ولا تشهد بما لا يعى سمعك
ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فإنى لا أوقف أهل الشهادات على شهادتهم
يوم القيامة وأسألمهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزق فإن
الحاسد عدو نعمتى ساخط لقسمتى ولا تزن ولا تسرق فاحجب عنك وجهى
وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ولا تدبح لغيرى فإنه لا يصعد إلى من
فربان أهل الأرض إلا ما ذكر عليه إسمى ولا تفجرون بحيلة جارك فإنه أكبر
مقمتاً عندى وأحب للناس ما تحب لنفسك وأكره لهم ما تكره لنفسك فهذه
نسخة العشر الكلمات وقد أعطاهما الله جميعاً لمحمد ﷺ في ثمان عشر آية وهي قوله
تعالى في سورة بنى إسرائيل (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) إلى قوله
(ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة) ثم جمعها في ثلاث آيات من سور
الأنعام وهي

قوله تعالى (أنل ما حرم ربكم عليكم) إلى قوله تعالى (ذلكم وصاكم به
لعلكم تتقون)

أخبرنا أبو عمر محمد الفريانى بإسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ
(لما أعطى موسى الألواح نظر فيها فقال يا رب لقد أكرمتنى بكرامة لم تسكرم
بها أحداً من العالمين قبلى) قال (يا موسى إني اصطفتك على الناس برسالاتى
وبكلامى نخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين)

اخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن نصير المكي قال أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المعافري عن أبيه أن كعب الاحبار رأى حبراً من اليهود يبكي فقال ذكرت بعض الامر فقال كعب الاحبار أنشدك الله لئن أخبرتك بما أبكاك فتصدقني قال نعم قال أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام أن موسى نظر في التوراة فقال - إني أجد أمة هم خير الأمم أخرجت للناس يأمرؤن المعروف وينهون عن المنكر وتؤمنون بالسكتاب الأول والآخر ويقاثلون أهل الضلالة حتى يقاثلوا الأعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم أمتي قال هم أمة محمد يا موسى قال له الحبر نعم .

قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال إني أجد أمة هم الخامدون رعاة الشمس هم المحكمون إذا أرادوا أمراً قالوا نفعل إن شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتي فقال هم أمة محمد يا موسى قال الحبر نعم .

قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال يارب إني أجد أمة يأكلون كماراتهم وصدقاتهم وكان الأولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير أن موسى كان يجتمع صدقات بني إسرائيل فلا يجد عبد أعموكاً ولا أمة إلا اشترأه من تلك الصدقة وما فضل يحضر له حنرة عميقة القعر وألقاه فيها ثم دفنه كي لا يرجعوا فيه وهم المسبحون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى يارب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الحبر نعم .

قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة فقال إني أجد أمة إذا اشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى وإذا هبط إلى واد حمد الله تعالى ، الصعيد لهم طور والأرض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من

الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غراً عجولين من آثار
لوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى قال الخبر نعم .

قال كعب أنشدك الله تجد في التوراة أن موسى نظر فيها فقال يارب لاني
أجد أمة إذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له - سنة وإذا عملها كتبت له
عشر إلى سبع مائة ضعف ، وإذا هم أحدهم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه وإذا
عملها كتبت عليه سيئة مثلاً فاجعلهم يارب أمتي ، قال هم أمة محمد يا موسى قال
الخبر نعم .

قال كعب أنشدك الله هل تجد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التوراة
فقال يارب لاني أجد أمة مرحومة أصفياء يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم إلا مرحوماً فاجعلهم
أمتي قال هم أمة أحمد يا موسى .

قال فلما عجب موسى من الخير الذي أعطاه الله لأمة محمد ﷺ وعليهم أجمعين
قال موسى يا ليتني من أصحاب محمد - فأوحى الله تعالى إليه بثلاث آيات يرضيه
بهن فقال تعالى (يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ
ما آتيتك وكن من الشاكرين) إلى قوله تعالى (دار الفاسقين) وقوله تعالى
(ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) قال فرضى موسى كل الرضا .

وقال ابن عباس : لما صار موسى إلى طور سيناء إلى الميقات - قال له ربه
ما تريدني ؟ قال جئت أبتغي الهدى قال ووجدته يا موسى قال موسى يارب أي
عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني ، قال فأى عبادك أقضى قال
الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى ، قال أي عبادك أعلم قال الذي يتبع علم الناس
إلى علمه فيسمع الكلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى .

وقال عبد الله بن مسعود لما قرب الله تعالى موسى إلى طور سيناء رأى عبد
فى ظل العرش جالساً قال يارب من هذا ؟ قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم
الله من فضله بر بوالديه ولا يمشى بالنعمة قال موسى يارب اغفر لى ما جرى من
خفى وما غبر وما بين ذلك وما أنت أعلم به منى أعوذ بك من وسوسة نفسى
وأعوذ بك من سوء عملى قال كفى ذلك يا موسى قال موسى يارب فأى الأعمال
أحب إليك أن أعمل به قال تذكرنى ولا تنسانى قال أى عبادك خير عملاً قال من
لم يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزنى فهو مؤمن فى خلق حسن قال أى عبادك
خير عملاً قال فاجر فى خلق سيء جيفة بالليل بطل بالنهار قال فلما رجع موسى
إلى قومه وقد آتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها من الأفعال
والأغلال التى كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله جبريل فقلع جبلا
على قدر عسكرهم وكان فرسخاً فى فرسخ فرمعه فوق رؤوسهم مثل الظلمة مقدار
قائمة الرجل وقال أبو صالح عن ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين
فانقلع من أصله حتى قام على رؤوسهم مثل الظلمة فذلك قوله تعالى (ولما أخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور) وقوله تعالى (ولما نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة)

وقال عطاء عن ابن عباس - رفع الله تعالى فوق رؤوسهم الطور وبعث ناراً
من قبل وجوههم وآتاهم البحر ملحاً من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة
واسمعوا فإن قبلتموه وفعلتم ما أمرتكم به وإلا رخصناكم بهذا الجبل وأغرقتكم فى
بحر البحر واحرقتم هذه النار - فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك
وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجدوا فصارت سنة فى اليهود
لا يسجدون إلا على انصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا وأطعنا
هلولا الجبل ما أطعناك .

واخبرنى أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى قال حدثنا محمد بن
بى شيبه قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله القزوينى قال حدثنا محمد بن

مرزوق البصري قال حدثنا هاني بن يحيى السلمي قال حدثنا الحسين بن أبو سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك ديبب الذلة في الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشر فراسخ .

وأخبرنا أبو عبد الله الثقفى قال حدثنا عبد الله بن سبيبة قال حدثنا أبو حامد المستعلى قال حدثنا إسحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه أن موسى كان إذا غضب اشتعلت قلوب سوته ناراً لشدة .

(باب ذكر قصة بنى إسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل إلهاً)

قال أهل السير وأصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى إني ذاهب إلى الجبل لملاقات ربي وأتيكم بكتاب فيه بيان ما أنأتون وما تذكرون وواعدتهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال لها فرس الحياة وهي بقاء أنثى لا تضيب شيئاً إلا حى فلم يره السامري على تلك الفرس عرفه وقال أن لهذه الفرس اسماً عظيماً وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدي .

قال السكيتي إنما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل العجل حين عبر البحر وبعث الله تعالى جبريل على فرس بقاء خطوتها مد البصر عليهما تركب الانبياء كلهم وخاض البحر وسمت خيول قوم فرعون ريجها فحاضت في أثرها قالوا وإنما عرف السامري جبريل دون بنى إسرائيل لأن فرعون حين أمر بذبح أولاد بنى إسرائيل جعلت المرأة إذا ولدت الغلام انطلقت به سرّاً في جوف الليل إلى صحراء أو واد أو غار في جبل فأخفته فيقضي الله ملكاً من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يخلط بالناس وكان الذي رب السامري جبريل عليه السلام فيجعل بمصر .

من أحد إلهاميه سمياً ومن الآخر عملاً فمن ثم عرفه ، ومن ذلك الوقت إذا جاع الطفل يمض لمهامه فيروى من المص لانه جعل فيه رزق .

وقال الحسن البصري لاسم عجل بنى إسرائيل الذى عبده بهوت قالوا فلمما رأوا العجل وسمعوا قول السامرى ففتنوا به غير لاثنى عشر ألفا وكان مع هرون ستمائة ألف ، فمكفوا عليه يعبدونه من دون الله وأحبوه حباً ما أحبوا شيئاً مثله قط ، فقال لهم هرون يا بنى إسرائيل (إنما فتنكم به ولئن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى قالوا ان نبرح عليه عاكمين حتى يرجع إلينا موسى) فأقام هرون قيعن معه من المسلمين وأقام من يعبد العجل على عبادته وتخوف هرون أن سار بمن معه من المسلمين إلى المفتوين الضالين أن يقول له موسى فرقت بين بنى إسرائيل وكان له هائباً مطيحاً وقال قنادة فى هذه القصة قد كره الصالحون الفرقة قبلكم .

أخبرنى الحسن بإسناده عن راشد بن سعيد قال ، لما واعد الله موسى أربعين يوماً قال الله تعالى يا موسى إن قومك قد افتنوا من بعدك قال يارب كيف يفتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم ، قال إنهم اتخذوا العجل إلها من دونى وهو عجل ذو جسد له خوار قال يارب من نفخ فيه الروح قال أنا ، قال أنت وعزتك فتنهم (إن هى إلا فتنك) الآية

عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ (ليس المعان كالخبر قال الله تعالى لموسى إن القوم قد فتنوا فلم يلق الألواح فلما عاين ألقى الألواح فمكسرها .

عن تميم الدارى قال - قالت يارسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قريبة من ساحل البحر ، فقال عليه الصلاة والسلام (تلك أنطاكية) أما إن فى غار من غيراتها رضا من الألواح موسى وما من صحابة شرقية ولا غربية تمر بها إلا ألقت عليها من بركاتها وإن تذهب الأيام والليالى حتى يسكنها رجل من أهل بيتى يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً) قالوا فلما رأى موسى ما صنع

قومه من بعده من عبادة العجل أخذ بشهر رأس أخيه هرون بيمينه وطيته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم في اثني عشر ألفاً (لم يعبدوا العجل) فقال لهرون (ما منعك إذ رأيتمهم ضلوا إن لا تتبعن أفهصيت أمري) هلا قاتلهم إذ علمت إنني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هرون (يا ابن أم) الآية قال المفلسون كان هرون أخا موسى لأبيه وأمه ولكن أراد بقوله يا ابن أم ترفيقه واستعطافاً عليه (لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) أي بذوائي (إنني خشيت) إن قاتلهم أن يصيروا حربيين يقتل بعضهم بعضاً فنقول (فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي) أي ولم تحفظ وصيتي حين قلت لك (اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفلسين) ثم أن موسى أقبل على السامري وقال (ما خطبك يا سامري) أي ما أمرك وما شأنك؟ فقال السامري (بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول) يعني أخذت تراباً من أثر فرس جبريل (فنبذتها) وطرحتها في العجل (وكذلك سولت لي نفسي) أي نبذت لي .

قالوا فما علم بنو إسرائيل إنهم قد أخطئوا وضلوا في عبادتهم العجل ندموا على ذلك واستغفروا الله تعالى كما قال الله تعالى (ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم ضلوا قالوا لنن لم يرحننا ربنا وينفر لنا لنكونن من الخاسرين) فقال لهم موسى (يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) قالوا له فأى شيء نصنع وما الحيلة؟ قال (توبوا إلى الله بارتكابكم) أي ارجعوا إلى خالقكم قال فكيف نتوب قال (فاقتلوا أنفسكم) أي ليقتل البريء المجرم (ذلكم) يعني القتل (خير لكم عند ربكم) قال ابن عباس أي الله أن يقبل توبة بني إسرائيل إلا بالحل التي كرهوا أن يقاتلوا حين عبدوا العجل .

وقال قتادة : جعل الله توبة عبدة العجل القتل لأنهم ارتدوا وكفروا والكفر مبيح الدم فلما أمرهم موسى بالقتل استسلموا لأمره وقالوا نصبر لأمر الله ، فجلسوا في الأفنية محتبين وأظلت عليهم القوم بالسيوف والخناجر فكان الرجل يرى أخاه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم يمكنه إلا إرضاء الله تعالى فقالوا يا موسى

كيف لصنع ؟ فأرسل الله ضبابه وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضاً ،
وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه إلى قاتله أو اتقاء بيد أو رجل فهو ملعون
مردودة توبته فكانوا يقتلونهم فلما كثر فيهم القتل وبلغ عدد القتلى سبعين ألفاً
دعا موسى وهرون ربهما جزعاً وتضرعاً وقال يارب هلكت بنو إسرائيل
البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم أن يرفعوا السلاح ويكفوا القتل فلما
انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى إليه :
أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة ؟ فكان من قتل منهم شهيداً ومن بقي
منهم مكافراً فذلك قوله تعالى (فتأب عليكم إنه هو الثواب الرحيم) .

وروى أنه اختار من كل سبط ستة نفر فصاروا لثنتين وسبعين رجلاً فقال
لنما أمرت بسبعين رجلاً فليتخلف منكم رجلان فقتلوا على ذلك فقال موسى إن
لن قعد مثل أجرة من خرج ففعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فامر موسى
السبعين أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا أثوابهم ثم خرج بهم إلى الطور لميقات
ربه وذلك قوله تعالى (واختار موسى سبعين رجلاً لميقاتنا) الآية ، وكان لا يأتيه
إلا بإذن منه فلما دنا موسى إلى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله
ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى إذا كلمه الله وقع على وجهه
نور ساطع لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه فضرِب دون الحجاب
ودون القوم حتى دخلوا في الغمام وخروا سجداً وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه
وتعالى يكلم موسى ويأمره وينهاه وأسمعهم الله تعالى إننى أنا الله لا إله إلا أنا
فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى ، فلما فرغ موسى من الكلام وانكشفت الغمام أقبل
إليهم فقالوا إن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهى نازجة من
من السماء فأحرقتهم جميعاً .

قال وهب بل أرسل الله عليهم جنوداً من السماء فلما سمعوا حسهم ماتوا يوماً
وليلة فذلك قوله تعالى (ولما قلتم يا موسى إن نؤمن حتى نرى الله جهرة فأخذكم)

الصاعقة وأنتم تنظرون) فلما ماتوا قال موسى (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا مما فعل السفهاء منا) يا رب كيف أرجع إلى بني إسرائيل ، وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسى ينادي ربه حتى أحياهم الله جميعاً رجلاً بعد رجل ينظر بعضهم بعضاً كيف يحيون فذلك قوله تعالى (ثم بعثناكم من بعد موتكم) الآية .

(باب في قصة قارون حين عصا ربه واستكبر وأورثه ماله الطغيان)
(والبطر حتى أهلكتهم الله تعالى)

قال الله تعالى (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) الآية قالت العلماء بأخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لأنه قارون بن يصهر بن فاهث بن لاوي ابن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن فاهث هذا قول أكثر العلماء :

وقال ابن إسحق تزوج يصهر بن فاهث سمين بنت ماريث بن بركياء بن يقشان ابن إبراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنسكح عمران بنحيت بنت شمويل بن بركياء بن يقشان فولدت هارون وموسى ابن عمران فموسى على قول ابن إسحق بن أخى قارون وقارون عمه لأبيه وأمه على قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ ، وكان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهرون وأفضلهم وأجملهم .

قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة منه ولم يكن عدو الله نفاق كما نفاق السامري فبغى على قومه كما قال الله تعالى (فبغى عليهم) واختلفوا في معنى هذا البغى .

قال ابن عباس رضى الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بني إسرائيل حين كانوا بمصر .

وأخبرني الحسن بإسناده عن المسيب بن شريك أن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال كان عاملاً لفرعون على بني إسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم . وقال عطاء الخرساني وشهر بن حوشب زاد عليهم في الشياطين شراً .

وروى شيبان عن قتادة قال بغى عليهم بالكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان أغنى أهل زمانه وأثرهم كما قال تعالى (وآتيناه من السكّنوز ما إن مفاتحه لتنوء) الآية .

(وفي الخبر) إن الله تعالى علم موسى الكيمياء ، فعلم موسى أخته فاعلمته قارون فكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى (إنما أوتيته على علم عندي) أو بالنصرف في التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالبي وقيل في سبب جمعه تلك الأموال ما أخبرنا الشافعي بإسناده عن أبي الخوارى قال سمعت أبا سليمان الداراني كان يقول تبنى إبليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل أربعين سنة يتعبد حتى إذا غلب جميع بني إسرائيل في العبادة بعث إليه إبليس شياطينه فلم يقدروا عليه فتقدم هو له وجعل يتعبد مع قارون وجعل إبليس يقهره بالعبادة ويفوقه فخنس له قارون وقال له إبليس يا قارون قد رضينا بهذا الذي نحن فيه ولا يشهد ابني إسرائيل جماعة ولا تهود لهم مريضاً ولا تشهد جنازة قال فاحذره من الجبل إلى البيعة فكانوا يؤتون بالطعام فقال له إبليس يا قارون قد رضينا أن نكون هكذا كلا على بني إسرائيل فقال له قارون فأى رأى عندك قال نكسب يوماً في الجمعة ونتعبد بقية الجمعة قال فتكسبها في يوم الجمعة وتعبدنا بقيتها فقال إبليس قد رضينا أن نكون هكذا قال قارون فأى رأى عندك قال نكسب يوماً ونتعبد يوماً فتصدق ونعطى ، قال فلمسا كسبها يوماً وتعبدنا يوماً كسب إبليس وتركه ففتحت على قارون أبواب الدنيا فبلغ ماله ما أخبرنا به ابن فتحويه بإسناده عن المسيب بن شريك قال ما أن مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت أربعمائة ألف في أربعين خزانة فصار في الثروة وكثرة الأمثال حيث يضرب به الأمثال أنشدني أبو العباس سهل بن محمد المروزي عن بعضهم :

وعدتني وعهدك حتى إذا أطعمتني من كنز قارون
جئت من الليل بغسالة تنسل ما قلت بصابون

فبغى قارون وطغى وتجبر حين استغنى وأثرى حتى هلك فصار عبرة للعابرين
وعظة للباقيين وكان أول طغيانه وعصيانه أنه تسكبر واستطال على الناس بكثرة
الأموال فكان يخرج في زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى (يخرج على قومه في
زينته) الآية .

قال مجاهد خرج على براذين ببض عليها سروج الأرجوان وعليها المعصفرات
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خرج في سبعين ألفاً عليهم المعصفرات .

قال وكان ذلك أول يوم ظهرت المعصفرات في الأرض فيما كان أبى يذكركلى
عن مقاتل أنه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليهم الأرجوان
ومعه ألف فارس عليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ستائة جارية بيض عليهم
الحلى والثياب الحمر على البغال الشهب فتمنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذى أوتيته
فقالوا (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) فأنكر عليهم أهل
العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به واتقوا عما نهاكم عنه فإن
(ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون) عن لذات الدنيا
وشمواتها قال الله تعالى (وما يلقاها إلا الذين صبروا) أى لا يوفق لهذه السكينة
إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا .

قال فلما قطع موسى بنى إسرائيل البحر جعلت الجبارة وهى رياسة المذبحة
وبيت القربان لهرون فكانت بنو إسرائيل يأتون يهديهم فيدفعونه إلى هرون
فيضعه على المذبح فينزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون فى نفسه من ذلك فأتى
موسى وقال يا موسى لك الرياسة والرسالة ولهرون الجبارة ولست أنا فى شيء
من ذلك وأنا أقرأ التوراة منكما ولا صبرلى على هذا . فقال موسى والله واجمعتهما
أنا فى هرون بل الله جعلهما له فقال له قارون والله لا أصدقك فى ذلك حتى تربى
(م ١٥ — قصص الانبياء)

نه . قال فجمع موسى رؤساء بني إسرائيل وقال ، هااتوا عصيكم فن أصبحت
عصاه خضراء فهو احق بالخبرة فجمعوا العصي وجاءوا بها وكتب كل واحد لاسمه
على عصاه فخرمها موسى وألقاها في القبة التي كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون
عصيتهم حتى أصبحتوا فأصبحت عصاه هرون قد اهتزت ولها ورق أخضر وكانت
من شجر اللوز فقال موسى : يا قارون ترى هذا من فعل فمأل قارون . والله
ما هذا بأعجب مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضباً واعتزل موسى باتباعه
وجعل موسى يدأريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم
لا عتواً وتجبراً .

(قال) جمع قارون بني إسرائيل وقال لهم يا قوم إن موسى قد أمركم بكل
شيء فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فغالوا له أنت كبيرنا وسيدنا
فمرنا بما شئت فقال أمركم أن تبيعوا بفلانة البغى فاجعل لها جعلاً على أن تقذف
موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو إسرائيل فرفضوه فاسترحنا منه
فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستاً من ذهب على
أن تقذف موسى بنفسك غداً إذا حضر بنو إسرائيل .

فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى موسى فقال إن بني إسرائيل
اجتمعوا ينظرون خروجك لتأمرهم وتنهأهم وتبين لهم أعلام دينهم وأحكام
شرعهم فخرج إليهم موسى وهم في راح من الأرض فقام فيهم خطيباً ووعظهم وقال
يا بني إسرائيل من سرق فطعننا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن
زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وإن كان له امرأة رجلاه حتى يموت .

فقال له قارون وإن كنت أنت ؟ قال وإن كنت أنا قال إن بني إسرائيل
يزعمون أنك فجرت بملائة قال أنا ؟ قال نعم . قال أدعوها فإن قالت فهو كما قالت
فدعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلاة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء . وعظم
عليها وألها بالذي فلق البحر لموسى وبني إسرائيل وأنزل النوراة على موسى
إلا صدقة .

فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت في نفسها لأن أحدث اليوم توبة
أفضل من أن أؤذي رسول الله فقالت . لا بل كذبوا ولكن جعل لي قارون
جعلا على أن أفذفك بنفسى فلما تسكمت بهذا الكلام سقط في يد قارون ونكس
رأسه وسكت الملا وعرف أنه قد وقع في مهادكة فخر موسى ساجداً لله يبكي ويقول
يا رب إن عدوك هذا قد آذاني وأراد فضيحتى وسببى اللهم إن كنت رسولك
فاغضب لي وساطنى عليه ، فأوحى الله تعالى إليه ان ارفع رأسك وأمر الأرض
بما شئت تطعمك فقال موسى : يا بنى إسرائيل إن الله تعالى قد بعثنى إلى قارون
كما بعثنى إلى فرعون ؛ فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معى فليعزل عنه
فاعزلوا عن قارون ولم يبق معه إلا رجلاان ثم قال موسى يا أرض خذنيهم
فأخذتهم إلى كعابهم ثم قال يا أرض خذنيهم فأخذتهم إلى ركبتهم ثم قال يا أرض
خذنيهم فأخذتهم إلى جنوبهم ثم قال يا أرض خذنيهم فأخذتهم إلى أحقابهم ثم قال
يا أرض خذنيهم فأخذتهم إلى أعناقهم وقارون وصاحبهاء في كل ذلك يتضرعون
إلى موسى ويناشده قارون بالله والرحم حتى روى في بعض الاخبار أنه ناشده
سبعين مرة وموسى في جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض
خذنيهم فانطابت الأرض عليهم وأوحى الله إلى موسى يا موسى ما أظفلك
استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغشهم ولم ترحمهم أما وعزتى وجلالى لو إياى دعوا
لوجدوني قريباً بجيباً .

قال قتادة ذكر لنا أن الله تعالى يخسف بهم في كل يوم قائمة وأنه يجبل بهم
فيها لا يبلغون قعرها إلى يوم القيامة .

أخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون بقراة عليه قال أحمد بن محمد بن الحسين
أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يونس قال أخبرنا عبد الرزاق
أخبرنا معمر بن راشد عن ممام ابن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول
الله ﷺ د بيننا رجل يتبختر في برديه وينظر في عطفه وقد أعجبته نفسه إذ خسف

الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ، قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الأرض أصبحت بنو إسرائيل يتماجون فيما بينهم لأن موسى إنما دعا على قارون ليستبد بداره وأمواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وأمواله الأرض وأوحى الله تعالى إليه لئى لا أعيد الأرض لأحد بعدك أبداً فذلك قوله تعالى (فخسفنا بداره الأرض فما كان له من فئة ينصروه من دون الله وما كان من المنتصرين) فلما حلت نعمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأس الله كما أخبر الله تعالى (إذ قال لقومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين) أى لا تبطل ولا تأثر (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالأمس وماله وحاله كما قال الله (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة ، وأهلك أعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى (وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض) الآيات .

(باب في قصة موسى حين لقي الخضر وما جرى بينهما من العجائب)
(إلى أن بلغ من أمرهما ما بلغ)

قال الله تعالى (ولإذ قال موسى لفتاه لأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقياً) قال الاستاذ الإمام : اختلف العلماء في السبب الذى قصد موسى لأجله الخضر فروى الحسن بن عماره عن الحكم بن عتيبة عن سعد بن جبير قال : جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس إن نوحاً ابن امرأة كعب يزعم عن كعب أن موسى عليه السلام الذى طلب العالم إنما هو موسى بن ميثم ، قال ابن عباس كذب نوح حدثني أنى بن كعب عن رسول الله ﷺ أن موسى بنى إسرائيل سأل ربه ، فقال يارب إن كان فى عبادك أحد

هو أعلم مني فدلني عليه ، فقال الله عز وجل نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم همت له مكان الخضر عليه السلام وأذن له في لقائه .

وروى هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه فقال يارب أى عبادك أحب إليك ؟ فقال الذى يذكرنى ولا ينسانى ، قال فأى عبادك أقضى ؟ قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى ، قال يارب أى عبادك أعلم ؟ قال الذى يتبعنى علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه إلى هدى أو ترده عن ردى ، قال فهل فى الأرض أحد أعلم منى ؟ قال نعم قال يارب من هو قال الخضر قال فأين أطلبه ؟ قال على الساحل عند الصخرة التى يفلت عندها الحوت وجعل الحوت عالماً له ودليلاً ، وقال إذا جئى هذا الحوت فإن صاحبك هناك ، وكان قد تزود سمكاً مملحاً .

وروى عطية العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر واستقرت بهم الدار أنزل الله عليهم المن والسلوى فخطب موسى قومه فذكروهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة إذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم فى الأرض ؛ قال وكلم الله نبيكم تسليماً واصطفاه لنفسه واتقى عليه محبة منه وأنا كم من كل ما سألتوه ، فنيبكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرأون التوراة فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم إلا ذكرها وعرفهم إياها ؛ فقال له رجل منهم من بنى إسرائيل قد عرفنا الذى تقول فهل على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله ؟ قال لا قال فمتب الله عليه حيث لم يرد العلم إليه فبعث إليه جبريل عليه السلام ، فقال له يا موسى ما يدريك أين أضع علمي بل إن لى عبداً بمجمع البحرين أعلم منك فسأل موسى ربه أن يريه إياه فأوحى الله إليه أن اتب البحر فإنك تجد على شاطئ البحر حوتاً فخذوه وادفعوه إلى فتاك ثم ألزم شاطئ البحر فإذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح .

قال فخرج موسى وفتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما
حوت مالح فذلك قوله تعالى (ولما قال موسى) يعنى ابن عمران (لفتاه) أى
لصاحبه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام (لا ابرح) أى لا أزاله
أسير (حتى أباغ مجمع البحرين) يعنى ببحر فارس والروم وما إلى المشرق ، قاله
قنادة وقال أبى بن كعب ذو الأرقمة وقال محمد بن كعب طنجة (أو أهضى حقياً)
دهراً وزماناً طويلاً فذهبا ومعهما الخبز والسمك المملوح وسار حتى انتهيا إلى
الصخرة عند مجمع البحرين ليلاً فذلك قوله تعالى (فلما بلغا) يعنى موسى وفتاه
(مجمع بينهما) يعنى البحرين (نسيا) تركا (حوتهما) وإنما كان الحوت مع يوشع
وهو الذى نسيه يدل عليه قوله تعالى (لئن نسيت الحوت) ولكنه صرف النسيان
اليهما والمراد به أحدهما كما قال تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وإنما
يخرجان من المالح دون العذب (فاتخذ) الحوت (سبيلاً إلى البحر سرباً) أى مذهباً
ومسلكاً واختلعا في ذلك .

فروى أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ قال : أنجابه الماء عن مسلك الحوت
فصار كوة لم يلتهم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر عليه السلام
وقال ابن عباس رأى أثر جناحيه في الطين حين وقع في الماء وجعل الحوت
لا يمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى يصير صخرة .

وروى ابن عباس عن أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ قال لما انتهيا إلى
الصخرة وضعا رءوسهما فناما فاضطرب الحوت في المسكن فخرج منه وسقط في
البحر هاباً فاتخذ سبيلاً في البحر سرباً فأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء
فصار عليه مثل الطلق فلما استيقظ موسى عليه السلام لى صاحبه أن يخبره بالحوت .
فاتلعا بقية يومهما وابتلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه (آتيا غداً)
الآية وقنادة رد الله إلى الحوت روحه فسرب حتى أفضى إلى البحر ثم سلكه جعل
لا يسلك منه موضعاً إلا صار ماء جامداً طريقاً يبساً .

قال الحكماء كان لموسى عليه السلام خمسة أسفار : الأول سفر البحر وهو قوله تعالى (ففررت منكم لما خفتكم) الآية . والثاني سفر الطور وهو قوله تعالى (فلما أتاها نودى أن بورك من في النار ومن حولها) الآية وقوله تعالى (فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن) الآية . والثالث سفر الطلب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى (وأوحينا إلى موسى أن أسر ببعبادى) والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى لإخبارا عن قول قومه (فاذهب أنت وربك فقاتلا) الآية والخامس سفر النصب وهو قوله تعالى (لقد أقمنا من سفركم هذا نصبا) وذلك لما ألقى على موسى الجوع بعد ما جاز الصخرة يتخذ كالحوت ويرجع إلى موضع مطالبه فقال له فناه وأذكر (أرايت إذا أوتينا إلى الصخرة فإني نسبك الحوت) أى تركته وفقدته . وقيل فيه اضمار تقديره فإني نسبك أن أذكر أمر الحوت (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا) قال عبد الرحمن بن زيد أى شئ أعجب من حوت كان دهرأ من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتى حشر في البحر قال وكان شق حوت .

وقال وهب بن منبه ظهر في الماء من أثر جرى الحوت أخذود شبه نهر حيث دخل إلى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهى إلى مجمع البحرين وإذا هو بالخضر فذلك قوله تعالى (قال ذلك ما كنا نبغ) أى لطالب (فارقد) (فارجد) (على آثارهما) (الذى جاءا منه) (قصصا) (أى يقصان الأثر) (فوجدا عبدا من عبادنا) يعنى بالخضر عليه السلام .

(فصل فى ذكر جهل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله)

واسمه بليما بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وإنما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد بن عبد الله حمدون بقراءتى عليه قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين الشرقى ، قال حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا عبد الله بن حامد الوراق

قال أنبأنا مكى بن عبيدان قال أنبأنا أبو الأزهر قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا
معمّر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ
(إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء)

أخبرنا أبو نصر محمد بن علي بن الفضل الخزاعي قال أنبأنا أبو بكر محمد
الحسن القصار قال أنبأنا أحمد بن يوسف السلمي قال أنبأنا محمد بن يوسف
الفرباني قد ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال : إنما سمي الخضر لأنه
صلى أخضر حوله .

(فصل في بدء أمر الخضر عليه السلام)

يرى أن رسول الله ﷺ (لما أسرى به إلى السماء بينا هو على البراق وجبريل
يمر به إذ وجد رائحة طيبة ، فقال له يا جبريل ماهذه الرائحة الطيبة ؟ قال لأنه كان
ملك في الزمان الأول له سيرة حسنة في أهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره
قال أصحاب الأخبار وكان أبوه ملكا عظيما فسلمه إلى المؤدب يؤدبه وكان يختلف
إليه وكان منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فأعجبه حاله فألّفه وكان يجلس
عنده والمعلم يظن أنه في المنزل وأبوه يظن أنه عند المعلم حتى شب ونشأ وأخذ من
العابد شمائله وعبادته ، فقالوا لأبيه ليس لك ولد غيره يرث مملكك فلو زوجته
لعله يرزق أولادا فمرض عليه أبوه التزويج فأبى ثم عاوده فمرض عليه فمرض
فزوجته جارية من بنات الملوك فزفت إليه .

فلما بقيت عنده قال لها إني مخبرك بأمر إن أنت سمعته صرف الله عنك شر
الدنيا وعذاب الآخرة وإن أفشيت سرى عذبك الله في الدنيا والآخرة : قالت
وماذا ؟ قال إني رجل مسلم لمست على دين أبي وليس النساء من حاجتي فإن
رضيت أن تقيمي معي على ذلك وتتابعيني على ديني فذاك لإيالك وإن أنت أبيت
لحقت بأهلك فقالت المرأة بل أقيم معك فلما أنت عليها مدة قالوا لأبيه ما نظن

إلا عاقر لا يولد له ولد ففسأله أبوه فقال ما الذى بيدى وإنما ذلك بيد الله
يقوته من يشاء فدعا المرأة وسألها فردت عليه مثل ما ردد عليه الخضر .

فبكث أبوه زمانا ثم دعا ابنه إليه فقال له أحب أن تطلق امرأتك هذه
وأزوجه امرأة غيرها ولودا ربما ترزق منها ولدا فذكره ذلك الخضر وألح عليه
أبوه حتى رق بينهما وزوجه امرأة غيرها ولودا ثيبا فعرض عليها مقاتلته الأولى
عرضيت وقالت أقيم معك فلبيتا زمانا ثم إن أباه استبطأ الولد سنة فدعاه وقال له
ليس يولد لك فقال ليس ذلك بيدى ولكن الله بيد الله ثم إنه دعا امرأته وقال له
أنت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند غير ابنى ولست تلدين عند ابنى
فقال ما معنى منذ صحبتك وكذلك المرأة الأولى فدعاه وسألها ؟ فقالت مثل ذلك
فدعا ابنه وعيره وعنفه ؛ ففزع من أبيه ولم يأمن على نفسه منه فخرج من عنده
فهام على وجهه ولم يدر أحد من خلق الله تعالى أين توجه فندم أبوه على ما فعل
فأرسل فى طلبه مائة رجل من طرق شتى مخلفة فأنطلقوا فى طلبه فأدركه منهم
عشرة فى جزيرة من جزائر البحر فقال لهم إني أقول لكم شيئا واحداً فاكتموه
عنى فإن كتمتموه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وإن أبيتم ذلك
وأفشيتم سرى عذبكم الله فى الدنيا وفى الآخرة قالوا له قل ما شئت قال هل بعث أبى
نبي طلبى أحدا غيركم ؟ قالوا نعم ، فقال لهم إذا فاكتموا أمرى ولا تخبروا أبى
أنكم رأيتمونى وقولوا مثل قول نظائركم الذين لو أرسلهم فى طلبى فلم يرونى
لأنكم إن أخبرتموه بى وذهبتم بى إليه قتلتى وصرتم أنتم مواخذين بدمى
فخجلوا عنى وانصرفوا .

فلما دخلوا على أبيه قال تسعة منهم قد وجدناه وقال لنا كيت وكيت فخلينا
عنه وقال العاشر ما لنا به علم ومالى به خبر والتسعة قالوا بلى ظنرنا به وإن شئت
أبتنا به فقال لهم ارجعوا فى طلبه وأنونى به وإن الخضر خاف أن يظنرنا به
فألتاح من ذلك الموضع إلى موضع آخر فأنوا إليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم
نره فقتلهم أبوه .

قال وإن أباه دعا بالمرأة الثيب وقال لها أنت صنعت هذا بالبنى حتى هزيت
فقتلها وسميت المرأة الأولى بذلك فهربت مخافة القتل وقال العاشر الذى أنكر
رؤيا الخضر ما يؤمننى أن يقتلنى كما قتل التسعة فهرب حتى أتى قرية فإذا المرأة
الهاربة أيضاً فى تلك القرية فمكثت تحتظب : فقالت يوماً باسم الله فسمعها الرجل
الهابى فقال لها من أنت ؟ فأخبرته خبرها فقال يا هذه أنا العاشر خرجت خوفاً
القتل فهل لك أن أتزوجك ونعبد الله حتى نموت . فقالت نعم ثم إنهما انطلقا حتى
أتيا قرية فيها بعض من القراعة فاتخذوا بيتاً من قصب وهكشا فيه ورزقا فيه لثامته
أولاد فقال لها الرجل إذا أنا مت فادفنينى فى هذا البيت وكذلك كل من مات
منكم فإنى لا أحب أن تسكون قبورنا مع هؤلاء فإذا كان آخرنا موتاً أو وصى أن يهدم
عليه البيت فأت الرجل فدفنته امرأته :

ثم أنه بلغ فرعون زمانهم أنهم يوحدون الله ويعبدونه فجاء بالمرأة إلى
حضرتة فأمرت أن ترجع عن دينها فأبى فأمر بقدر من نحاس فأتت ماء وغلى
عليها شديداً وأمر بالمرأة وولدها ، فلما أحضروا قال لها إرجعنى عندك وإلا
ألقيتك أنت وأولادك فى هذا القدر فأبى عليه فأمر بولدها الأكبر وألقى فيه
وكذلك الثانى وكان فى خبرها ابن رضيع فأرادوا إلقاءه فرقت المرأة
ونازعتهم فى رأيه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها اصبرى فإننا جميعاً فى الجنة فلما
أرادوا أن يلقوها فى القدر قالت لهم لى لى ليكم حاجة يسيرة قالوا وماهى . قالت
إذا رميتونى فى القدر فادفنوها بما فيها من عظامنا فى بيتنا واهدموه علينا
ففعلوا ذلك فلما أسرى برسول الله ﷺ وجدوا رائحة طيبة فقال ما هذه يا جبريل
فأخبرهم بقصتهم وقال هذه رائحتهم ..

ويروى أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ إن قوماً من أهل تلك
المدينة ركبوا البحر فى تجارتهم فضربتهم الأمواج فتكسرت بهم سفينةهم فانقلبت
منهم رجلان على لوح من ألواحها فضربتهم الأمواج حتى استندتهم إلى جزيرة من

جزائر البحر فتخرجنا يجرولان بالجزيرة فإذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو قائم يصلي فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت إليهما وقال لهما من أنتم؟ قالوا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا في هذا البحر لطلب التجارة قال فانكسرت بنا هذه السفينة ودفعنا إلى هذه الجزيرة فقال اختارا إن شئنا أن نقيم في هذا الموضع فبعد أن الله تعالى وقائكم أرزاقكمما وإن شئنا أردنا إلى منزلكما قالوا بل نردنا إلى منازلنا فقال لهما على أن تعطيانى عهد الله وميثاقه على أنكما لا تخبران بشيء مما ترياناه فأعطياه العهد والميثاق على السكمان فإذا سمعنا بتم فداهاهن وسألن فقات كل واحدة منهن أريد بلد كذا وكذا فدعا الذى تريد بلادهما فقال لهما احملى هذين حتى تضعيهما فسقطت السحابة وانثرت لهما ثم رفعتهما ومضت حتى وضعتهما على سطحيهما فمزم أحدهما على السكمان ونزل إلى منزله وعزم الآخر على إذا عته فنزل من سطحه وخرج من بابه وانطلق إلى باب المدينة ونادى بالصيحة فأدخل على الملك فقال له ما نصيحتك؟ فقال رأيت ابنك فى موضع كذا وكذا وصنع بى كذا .



فقال له من يعلم ذلك فقال له فلان كان رفيقى فبعث إليه وسأله عما قال؟ فقال أما ركوب البحر فقد وكبنا جميعاً وقد انكسرت السفينة وصرنا على لوح من ألواحها فلم نزل الأمواج تضر بنا حتى صرنا إلى الساحل فخرجننا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الأرض والتمر ترفعنا الأرض وتضعنا أخرى حتى لا نتمينا إلى منازلنا فقال له الغادر ابعت معى رسلك حتى أدفعه إليك وتعلم أن هذا قد كذب فأمر بالرجل الذى كذب وتوعده بالصلب إن وفى صاحبه بما قال وأوعده الغادر بالصلب إن هو كذب ولم يأت به فبعث معه رسلاً فركبوا البحر حتى انتهوا إلى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيئاً فرجعوا بالرجل إلى الملك وقالوا هذا أ كذب بخلق الله ما رأينا بما قال شيئاً فصلبه وخلي عن الآخر .

ثم إن أهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المعاصى حتى غضب الله عليهم وقال بغيريل عليه السلام فبعثنى الله تعالى إليهم فأدخلت جناحي تحتها واقتلعتها فرفعتها

حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرني فقلبعتهما فجاءت تهوى
 بمن فيها حتى انتهيت إلى وجه الأرض فبقى الرجل السكاتم والمرأة السكاتمة من
 جانب سالمين ثم انطبقت الأرض بمن فيها فلم ينج منهم غيرهما فجعلتا يدوران في
 حدود المدينة فلا يلقى كل واحد منهما غير صاحبه فلما ان كثر ذلك قال الرجل
 أيتها المرأة قد رأيت ما أصاب القوم ولأنه لم يفلت غيري وغيرك فبأى شيء نجونا
 فأخبريني وأنا أخبرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على السكنان فتصادقا فاجدا
 قصتهما واحدة وإنما نجاهما السكتان ، فقال لاهل لك أن تزوجيني نفسك ونخرج
 إلى مدينته من هذه المدائن فاكسب عليك وتسكتسبين على حتى يقضى الله
 من أمرنا ما يشاء ففعلت فذهبا إلى مدينة فرعون من الفراعنة فاتخذ لهما
 بيتاً وولدا لهما أولاد وتلطف المرأة لآل فرعون وصارت ماشطة لهن
 فخطت عندهم .

فبينما هي ذات يوم قاعدة تسرح رأس بنت الملك إذ سقط المشط من يدها فقالت
 باسم الله تعس من كفر بالله فقزعت الجارية من ذلك وقالت لها من الله ؟ قالت ربي
 فقالت لها إن لك ربا غير أبى ؟ فقالت نعم هو ربي ورب أبيك ورب كل شيء ففبطت
 الجارية ودخلت على أبيها وقالت تعلم أن فلانة تقول قولاً عجيباً تقول كذا وكذا
 فأرسل إليها فحضرت ، فقال لها ما هذا الذي بلغني عنك ؟ فقالت ما بلغك قال فهل أحد
 يقول بقولك ؟ قالت نعم بعلي وصليتي فبعث إليهم وامتنعهم فاذا هم يقولون قولاً واحداً
 فقال لهم إنما لا نقركم على ما أنتم عليه حتى ترجعوا إلى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت
 صانع فأمر بقدر من نحاس عظيمة فملئت ماء ثم أشعل تحتها حتى اضطرب الماء ثم
 دعا بالصبية فعرض عليهم واحداً ليكفروا فأبوا أن يكفروا فأخذهم وطرحهم
 في القدر ثم لأنه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فأبى فالقاء في القدر ثم دعا بالمرأة
 وقال لها إن علينا حقاً فإن أنت رجعت إلى ديننا وإلا القييناك في القدر فقالت له
 اصنع ما أنت صانع إنما قالت لي إليك حاجة : قال وما هي ، قالت إذا صنعت
 ما أنت صانع فرب بيتنا ان يحفر فيه حفرة ، ثم تأمر بالقدر فتكمل بما فيه ثم

يأتون بها منزلاتا فيسكب ما في القدر في الحفرة ثم يعاود علينا التراب ثم يهدم علينا البيت ففعل ذلك .

وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ في حديث أبي كعب أن صاحب موسى ابن عمران الذي أمر بطلبه وبالاقتباس منه هو الحضرة عليه السلام ورسول الله ﷺ أعام الخاق بالآهور الماضية والباقية وموسى بن عمران إنما نبي في عصر منوشر الملك وكان منوشر الملك مالك بعد جده أفريدون فذل هذا على خطا من قال أنه أرميا بن خلفيا لأن أرميا كان في أيام بختنصر وبين عهد موسى وبختنصر من المدة ما لا يحصى على أهل العلم .

رجعنا إلى حديث موسى وفتاه - قالوا فانتبى موسى وفتاه إلى الحضرة وهو قائم يهلى دلى طنفسة خضراء على وجه الماء وهو يشعشع بثوب أخضر فسلم عليه موسى فقال الحضرة وأنى بارئك السلام ؟ فقال أنا موسى بنى إسرائيل قال نعم قال ياه موسى لقد كان فى بنى إسرائيل شغل قال موسى إن ربى أرسانى إليك لا تبعك وأتعليم من علمك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحام بمنقارها من الماء فقال الحضرة ياه موسى خطر ببالك أنك أعام أهل الأرض ما علمك وعلمى وعلم جميع الأولين والآخرين فى جنب علم الله تعالى إلا أقل من الماء الذى حملاه الخطافة بمنقارها فذلك قوله تعالى (فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا) أى تبوءه وحكمته (وعلمناه من لدنا علماً)

وقال ابن عباس كان الحضرة يعلم عام الغيب فقال موسى (هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً قال إنك أن تستطيعن صبرا) لأنى أعام علم الباطن عام علمه الله تعالى (وكيف أصبر على ما لم تحط به خبراً) يعنى على ما لم تعلمه (قال) موسى (ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً) قال فإن أتبعتهنى فلا تسألنى عن شئ) عامته بما تنكره (حتى أحدث لك منه ذكراً) وأبين لك شأنه (فانطلقا) لهما سفينة يركبها فمرت بهما سفينة جديدة وثيقة فركبها فقال أصحاب

السفينة هؤلاء اصوص وأمرهم بالخروج منها فقال صاحب السفينة ما هؤلاء بلصوص ولكنى أرى وجوههم وجوه أنبياء .

وقال أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ انطلقا يمشيان على ساحل البحر إذا مرت بهما سفينة فكلّموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نوال فلما دخلوا البحر أخذ الخضر عليه السلام فأساً فخرق لوحاً من السفينة قال موسى (أخرقتها لتفريق أهلها) وقد حملونا وأحسنوا إلينا فخرقت سفينتهم ما هذا جزاؤهم منا (لقد جئت شيئاً لأمرا) أى عجباً منكراً قال الخضر (ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبراً) قال موسى (لا تأخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى - عسرا) يعنى لا تمكّننى ولا تضيق على أمرى .

ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن حنبل الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا يحيى أخبرنا قيس عن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (كان الغلام الذى قتله الخضر طبيع كافراً) فقال الخضر لموسى (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبراً قال إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذراً) أى فى فراقى .

أخبرنا عبد الواحد بن حامد الوزان أخبرنا مكي بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن ابن بشير أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى كعب قال كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أحداً بدعائه بدأ بنفسه فقال ذات يوم ، رحمة الله علينا وعلى أحرى موسى لو لبثت مع صاحبه لأبصر العجب العجائب ولكنه قال إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذراً) فاطلعا يمشيان حتى أتيا أهل قرية

واختلفوا فى القرية قال ابن عباس ، هى انطاكية وقال محمد بن سيرين هى ايلة وهى أبعد ارض الله من السماء وقيل هى قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة ولأهلها

ينسب النصارى قالوا فوافياها قبل غروب الشمس ، فاستطاعوا أهلها واستضافهم فأبوا ان يضيفوها قالوا كانوا أهل قرية لثاما وقال قتادة في هذه الآيات شر القرى النى لا تصيف الضيف ولا تعرف لابن المسبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة في تلك القرية قرى ولا ماء ولا مأوى وكانت ليلة باردة فالتجشوا إلى حائط على شارع الطريق (يريد أن ينقض) أى يكاد ينهدم ويسقط ولم يكن يمر به أهل القرية ولا غيرهم من الناس إلا خوف منه وكان قد بناه رجل صالح .

وقال ابن عباس هدمه وبناه ، وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه يده ومنكبیه فاستقام فقام له موسى (لو شئت لاتخذت عليه اجراً) ليكون لنا بقوتنا وبلغه على سفرنا إذ استصفناهم فلم يضيفونا ، فقال الحضر (هذا فراق يدنى وبينك سائبك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) ثم أخذ يفسر له فقل (أما السفينة فمساكين لمساكين يعملون في البحر) الآية .

ويروى عن عكرمة قال ، قلت لابن عباس في قوله (أما السفينة فمساكين لمساكين) كانوا مساكين والسفينة تساوى ألف دينار ، فقال إن المسافرين مساكين وإن كان معه ألف دينار ولهذا قيل إن المسافرين وماله على قلة إلا ما وقى الله تعالى (فأردت أن أعيبها) قطعاً اطمع الطامعين فيها ودفعاً لشركهم (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) ووراءهم أى أمامهم قال الله تعالى (من وراءهم جهم ومن وراءهم برزخ إلى يوم يبعثون) أى أمامهم وقيل خلفهم لأنه كان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون خبره فأعلم الله تعالى الحضر خبره وكان يأخذ كل سفينة صالحة غصباً ، وكذلك كان يقرأها ابن عباس فخرقتها وعبتها كيلا يتعرض لها ذلك الملك .

واختلفوا في اسم ذلك الملك ، فقال أكثر العلماء إن اسمه جلندى وكان كافراً وقال ابن إسحق ، كان اسمه منواه بن جلندى الاردنى ، وقال شعيب الجبائى كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان لهذا الملك ثلثمائة وستون قصرأ في كل قصر امرأة ، قال فلما جاوز الملك سد الحضر خرق للسفينة ورمها (وأما الغلام فمساكين

أبواه مؤمنين ، فخشينا (أى فعلينا) أن يرهقهما) يغشاهما (طغيانا و كفراً)
فمهلكهما وقيل خشى أن يدرك فيدعو أبويه إلى الكفر فيجيباه ويدخلا معه
في دينه لفرط محبتهم له .

وقيل خشيا على الغلام أن يعمل عمل الفساق فيتغافل أبواه فيدخلان النار
(فأردنا أن يبذلهما ربهما خيراً منه زكاة) وصلاة (وأقرب رحماً)
(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) واسمهما أصرم وأصرم وكان
تحت كنفهما) .

واختلفوا في ذلك الكنز ما هو ؟ فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان
صحفاً مدفونة تحته فيها علم ، وقال الحسن وجعفر بن محمد كان لوحاً من ذهب
مكتوب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم عجباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، وعجباً لمن
يوقن بالرزق كيف يتعب ، وعجباً لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجباً لمن يؤمن
بالحساب كيف يجمع وعجباً لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن إليها ، لا إله
إلا الله محمد رسول الله ﷺ)

وقال آخرون كان ذلك الكنز مما لا يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الحشادى المراكى
أخبرنا أبو الحسن أحمد بن قيدوس الطرائفى أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا صفوان
ابن صالح الدمشقى أخبرنا يزيد بن مسلم الصنعائى عن يزيد عن مكحول عن أبى
الدرداء قال قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (وكان تحته كنز لهما) قال كان
ذهباً وفضة وكان أبوهما اسمه كاشح وكان صالح تقياً أميناً لحفظاً لصلاح أبيهما
ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الأب الذى حفظاً به سبعه آباء .

أخبرنا عبد الله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدى
أخبرنا سفيان أخبرنا محمد بن سوفة عن محمد بن المنكدر قاله (إن الله عز وجل
ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقمته التى هو فيها والدويرات التى حوله
فأيزالوا في حفظ الله . وستره)

وعن سعيد بن المسيب أنه كان إذا رأى ابنه قال : يا بني لا زيدن من صلاتي
هن أجلك لعل أحفظ فيك ، ويتلو هذه الآية .

أخبرنا يحيى بن إسماعيل بن سلمة قال كانت لي أخت أسن مني فاختلفت وذهب
عقلها فتوحشت وكانت في غرفة في أقصى سطوحنا فلبثت كذلك بضع عشرة سنة
وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور فبينما أنا نائم ذات ليلة إذا
أنا بباب بيتي يدق في نصف الليل فقلت من هذا ؟ فقالت بحة فقلت أختي ؟ قالت
أختك فقلت لبيك ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها في البيت أكثر من
عشرين سنة ، فقلت : يا أختي خيراً فقالت خيراً يا أختي بت الليلة فأتاني آت في
منامي فقال لي السلام عليك يا بحة فقلت وعليك السلام ، فقال لي : إن الله قد حفظ
أباك إسماعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك وحفظك بأبيك إسماعيل فإن شئت
دعوت الله لك فيذهب ما بك وإن شئت صبرت ولك الجنة فإن أبا بكر وعمر
رضى الله عنهما قد تشفعا لك إلى الله تعالى لحب أبيك وجدك إياهما فقلت إن كان
ولا بد من اختياري أحدهما فأصبر على ما أنا فيه والجنة وإن الله لو أوسع الفضل
لخالقه لا يتعاطمه شيء في حكمه ولو شاء لجمعهما لي فقلت فقيل لي قد جمعهم الله لك
ورضى عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر فانزلي فإن الله أذهب ما كان بك .

ويحكى عن بعض العلوية أنه دخل على هارون الرشيد وتدهم بقتله فلما دخل
عليه أكرمه وخلق سبيله فقيل له بم دعوت حتى نجاك الله .

قال قلت : يا من حفظ السكين على الصيدين لصالح أبيهما احفظني منه لصالح
أبيهما احفظني منه لصالح آباءى (فأراد ربك أن يملأ أشدهما ويستخرج
كسنيهما) المدفون تحت الجدار (وما فعلته عن أمرى) وإنما فعلته بأمر الله تعالى
(ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) :

ويقال لما عاب موسى على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام وإقامته الجدار
مختسباً بما قال له يا موسى أتلو منى على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك

حين ألقنتك أمك وأنت صغير في اليم ضعيف خفطك الله وتلومنى على قتل الغلام
السكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطى بغير أمر ؟ وتلومنى على ترك أخذ
الاجر فى إقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسباً لاجل
الملك الجبار .

قال بعض أهل الاخبار هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر
حيث كانوا فى التيه فلما فارق موسى الخضر رجع إلى قومه وهم فى التيه ،
وروى أبو أمامة الباهلى عن النبى ﷺ أنه قال (ألا أحدثكم عن الخضر ؟)
قالوا بلى يا رسول الله قال : بينما الخضر يمشى فى سوق من أسواق بنى إسرائيل
إذ اقيه مكاتب فقال له تصدق على بارك الله لك ، فقال آمنت بالله وما يقضى من
أمر سيكون ما معى شيء أعطيكمه ، فقال له الرجل تصدق على بارك الله عليك
فإنى أرى الخير فى وجهك فرجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله
وما يقضى الله من أمر سيكون ما معى شيء أعطيكمه فقال له السائل أسألك بالله لما
تصدقت على ؟ فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضى من أمر سيكون ما معى شيء
أعطيكمه إلا أن تأخذ بيدى وتدخلنى السوق فتبيعنى قال الرجل وهل يكون مثله
هذا ؟ قال الحق أقول إنك سألتنى بعظم سألتنى بوجه رى وقد أجبتك فخذ بيدى
وأدخلنى السوق فبعنى فأخذ بيد الخضر فأدخله السوق فباعه بأربعمائة درهم فلبث
عند المبتاع أياماً لا يستعمله فى شيء فقال له الخضر استعملنى فقال لك شيخ كبير
وأكره أن أشق عليك قال لا يشق على ذلك قال فقم فانقل هذه الحجارة من ههنا
إلى هناك وكانت الحجارة لا ينقلها إلا ستة نفر فى يوم تام فقام ونقلها فى ساعة
واحدة وأمره الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فمحبب الرجل منه وقال أحسن
ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر إنى أراك أميناً صالحاً ناصحاً فأخلفنى فى أهلى
قال نعم إن شاء الله تعالى فاستعملنى فى شيء قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق
ذلك على فقال اضرب لى لبناً أريده لقصر لى ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى
ساحته ورجع من سفره إذا هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما أراد
فازداد تعجباً منه وقال له من أنت ؟ قال أنا المملوك الذى كنت اشتريتنى فقال له

سألتك بوجه الله أن تخبرني من أنت ؟ فقال الخضر إن هذا القسم هو الذي أوقعتني في العبودية ، أما أنا فساخرتك أنا الخضر سألتني سائل بوجه الله رب أن أعطيه ولم يكن ممى شيء أعطيه فأمكننته من نفسه حتى باعني وبلغني أن من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء حاجته وقف يوم القيامة بين يدي ربه وليس عليه لحم ولا جلد إلا عظم يتقهقح . قال فبكى ذلك الرجل وانسكب عليه يقبله ويقول له بأبي أنت وأمي شفقت عليك ولم أعرفك فأحكم على في مالي وأهلي وإن أحببت أن أخلى سبيلك فعلت قال نعم بل أحب أن تخلى سبيلي لأعبد ربى وكان الرجل كافراً فأسلم على يديه وأعطاه أربع مائة دينار وخلق سبيله فأوحى الله إليه قد نجيتك من الرق وأسلم الكافر على يديه وأعطاك مكان كل درهم ديناراً لتعلم أن لا يخسر أحد في معاملتي فهذه آخر قصة الخضر وموسى وقتادة والله أعلم .

(باب في ذكر قصة عاميل قتيل بنى إسرائيل وقصة البقرة)

قال الله تعالى (وإذا قال موسى لقومه إن الله تعالى يأمركم أن تذبحوا بقرة) قال المفسرون : وجد قتيل في بنى إسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلوا في قتله وسبب قتله فقال عطاء والسدى : كان في بنى إسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه .

وقال بعضهم : كان تحت عاميل ابنة عم ما لها في بنى إسرائيل مثل في الحسن والجمال فقتله ابن عم لها لينكحها فلما قتله حمله من قرية إلى قرية أخرى فألقاه هناك قال عكرمة : وكان لبنى إسرائيل مسجده لئنا عثر بأباً لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جر إلى باب سبط آخر فاختم فيه السبطان .

وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثأره ودمه ويدعيه عليه وقيل ألقاه بين القريتين فاختم أهلها وجاء أولياؤه إلى موسى وأتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوه القصص فسألهم موسى عن ذلك فوجدوا ولم يكن لهم يدنة فاشتبه أمر القاتل على موسى ووقع بينهم قتال

واختلاف وذلك قبل نزول القسامة في التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليعين لهم أمر ذلك القتل فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أنتخذنا هزواً) جئناك لنسألك عن القتل فتأمرنا بذبح بقرة وإنما قالوا ذلك لتباعد الأمرين والظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) أى من المستهزئين المؤمنين فلما علم القوم أن ذبح البقرة أمر من الله تعالى قد ألزمهم سألوه الوصف فقال (ادع لنا ربك يمين لنسأله) ولوأ أنهم عمدوا إلى أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم لكنهم شددوا الأمر على أنفسهم فشهد الله عليهم وإنما كان تشديدهم تقديراً من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدى وغيره أن رجلاً في بني إسرائيل كان باراً بأبيه وبلغ من بره أن رجلاً أتاه بلوآة فابتاعها بخمسين ألفاً وكان فيها فضل ورجح فقال البائع اعطني ثمن اللوآة فقال إن أبى نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأمناني حتى يستيقظ وأعطيك الثمن فقال أيقظ أباك واعطني المال فقال ما كنت لأفعل ولكن أزيدك عشرة آلاف وانتظرنى حتى ينتبه أنى فقال الرجل أنا أدفع عنك عشرة آلاف إن أيقظت أباك وعجلت للنقد فقال أنا أزيدك عشرين ألفاً إن انتظرت انتباهه فقال قبلت ففقد ولم يوقظ أباه فلما استيقظ أبوه أخبره بذلك فدما له وجزاه خيراً وقال له أحسنت يا بنى وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله ﷺ في هذه القصة انظروا ما صنع الله به لأجل البر .

وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من أهل السكتب كان في بني إسرائيل رجل صالح وله ولد طفل وكان له عجلة فأتى بالعجلة إلى غيضة وقال اللهم إنى أستودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ثم مات الرجل وشبت العجلة والغيضة حتى صارت عواناً وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الإبن وكان باراً بوالده وكان يقسم الليل إلى ثلاثة أثلاث يصلى ثلثاً وينام ثلثاً ويجلس عند رأس أمه ثلثاً فإذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأت به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثمنه ويأكل ثمنه ويهطى والدته ثمنه .

قالت له أمه يوماً يا بنى إن أباك ورثك عجلة وذهب بها إلى غبطة كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق إليها وعزم عليها بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحق أن يردّها عليك وعلامتها أنك إذا نظرت إليها يتخيّل لك أن شمع الشمس يخرج من جلدّها وكانت اسمها المذنبه لحسن خلقها وصداء لونها وصفرتها فألقى الغبطة فرآها وهى ترعى فصاح بها الفتى وقال لها أعزم عليك بإله إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب أن تردى على فأقبلت تسمى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتسلّمت البقرة بإذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبني فإن ذلك أهون لك فقال إن أمى لم تأمرني بذلك وإنما قالت خذ بعنقها فقالت البقرة وإله بنى إسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر على أبدأ فانطلق فإنك لو اشرت إلى الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق لفعل لبرك بوالدتك فانطلق الفتى بها فاستقبله عدو الله إبليس في صورة راع فقال له أيها الفتى لاني راع من رعاة البقر اشتقت إلى أهلي فأخذت ثوراً من ثيراني وخملت عليه زادي ومتاعى حتى إذا بلغت شطر هذه الطريق ذهبت لأفوضى حاجتي ففقدت وسط الجبل وما قدرت عليه ، وإنى لأخشى على نفسي الهلكة فإن رأيت أن تحملني على بقرتك هذه وتنجينى من الموت وأعطينك يقرتين مثل بقرتك ، فلم يفعل الفتى وقال اذهب فتوكل على الله لو علم الله منك اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحله فقال له إبليس لعنه الله إن شئت فبعنيتها بحكمك وإن شئت فأحملني عليها وأعطينك عشرة أمثالها فقال له الفتى إن أمى لم تأمرني بهذا .

فبينما الفتى كذلك إذ طار طائر من بين يدي البقرة ؛ ففرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعى فدعاها الفتى وقال باسم الله إله إبراهيم فرجعت إليه البقرة وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر إلى الطائر الذى طار فإنه إبليس عدو الله اختلسني أما أنه لو ركبتني لما قدرت على أبدأ فلما دعوت بإله إبراهيم جاءني ملك انتزعني من يد إبليس وردني إليك لبرك بأمك وطاعتك لها .

فجاء بها الفتى إلى أمه فقالت له إنك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالتمار والقميص بالليل فانطلق فبيع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها ؟ فقالت

بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضا ومشورتي ، وكان ثمن البقرة في ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها إلى السوق فبعث الله تعالى إلى الفتى ماسكاً ليرى خلفه وقدرته وليختبر الفتى كيف يره بوالدته وكان الله به خبيراً .

فقال له الملك : بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير واشترط عليه رضا والدتي فقال له الملك إذا أعطيتك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتني وزنها ذهباً لم آخذه إلا برضا أمي فردها إلى أمه فأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضا فانطلق الفتى بالبقرة إلى السورق فأتى الملك فقال له استأمرت والدتك ؟ فقال الفتى نعم أمرني أن لا أنقصها عن ستة دنانير هل أن استأمرها فقال له الملك إنني أعطيتك اثنا عشر ديناراً على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع إلى أمه فأخبرها بذلك فقالت إن ذلك الرجل الذي يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك في صورة آدمي ليختبرك فإذا أتاك فقل له أنا أمرني أن أبيع هذه البقرة أم لا ففعل الفتى ذلك ، فقال له الملك اذهب إلى أمك وقل لها امسكي هذه البقرة فإن موسى بن عمران يشتريها منك لثقل يقتل في بني إسرائيل ولا تبيعها إلا بملء مسكها دنانير .

فأمسك البقرة وقدر الله على بني إسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على يره بوالدته فضلاً منه ورحمة فذلك قوله تعالى (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) وما سمعها قال موسى أنه يعني الله يقول (لأنها بقرة لا قارض ولا بكر) أي لا كبيرة ولا صغيرة وعان بين ذلك نصف بين السنين (فافعلوا ما تؤمرون) من ذبح البقرة ولا تمكثوا السؤال (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) قال إنه يقول (لأنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) إليها وتعجبهم من حسناتها وصفاتها لأن العين تسر وتوابع بالنظر إلى الشيء الحسن .

وقال علي بن أبي طالب من لبس نعلاً صفراء قل همم لأن الله تعالى يقول : صفراء فاقع لونها تسر الناظرين (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أسائبة أم حامله (إن البقرة تشابه علينا وإنما إن شاء الله لمهتدون) إلى وصفها .

قال رسول الله ﷺ (وأيم الله لو لم يستثنوا لما بينت منهم إلى آخر الأبد)
(قال إنه يقول لإنها بقرة لا ذلول) مذلة بالعمل (تشير الأرض) تقلبها للزراعة
(ولا تسقى الحرت مسلمة) بريئة من العيوب (لا شية فيها) قال عطاء لا عيب
فيها ، وقال قتادة لا بياض فيها أصلاً ، وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف
معظم لونها .

قال فلما قال موسى هذا (قالوا الآن جئت بالحق) أى بالوصف الثابت التام
البين فطلبوها فلم يجدوها بكال وصفها إلا عند الفئ البار بأمه فاشتروها منه بملء
مسكها ذهباً ، وقال السدي اشتروها بوزنها عشر مرات ذهباً (قذبوها
وما كادوا يفعلون من غلو ثمنها) .

وقال القرطبي : وما كادوا يذبحونها باجتماع أوصافها ؛ وذلك قوله تعالى
(وإذا قتلتم نفساً) يعنى عاميل وهذه الآية أول القصصة (فأدرأتم فيها) أى
فاختلتم فيها (والله يخرج) أى مظهر (ما كنتم تكتمون) أى تخفون (فقلنا
اضربوه) يعنى القتل (ببعضها) أى بعض البقرة واختلفوا في بعضها البعض ما هو .

قال ابن عباس ؛ ضربوه بالعظم الذى يلى المنصرف وهو المقتل .

قال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل ، وهذا أولى الأقاويل لأن المراد من
لحياء القتل كلامه واللسان آلة وقال سعيد بن جبير بعجب ذنبها .

قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لأن عجب الذنب أساس البدن
الذى ركب عليه الخلق وأول ما يخلق الله وآخر ما يبلى .

(باب في ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة)
(وصفة النار التي كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك)

قال الله تعالى (الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا تؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار) الآية .

أنبأنا محمد بن حمدويه بإسناده عن وهب بن منبه قال ؛ وأوحى الله إلى موسى أن يتخذ مسجداً لجماعتهم وبيتاً للثوراة والتابوت والسكينة وقباً للقربان وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود الملبسة عليها ، وأن تسكون تلك الجلود جلود ذبائح القربان وحبالها التي تمد بها من أصواف تلك الذبائح وعهد إليه أن لا تزال تلك الحبال حاتض ولا يدمغ تلك الجلود جنب ن وأمره أن ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها أربعون ذراعاً ويجعل فيها اثني عشر قسماً مسرجاً ؛ فإذا انقضى وصار اثني عشر جزءاً ، جعل على كل جزء بما فيه من العمد سبطاً من أسباط بني إسرائيل وأمره أن يجعل سعة تلك السرادقات ستمائة ذراع وأن ينصب فيه سبعة قباب ستة منها مشبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منها منصوبة على عمود من فضة طوله أربعون ذراعاً .

وأوحى الله إلي أني منزل عليكم من السماء ناراً لا دخان لها ولا تحرق شيئاً ولا تطفأ أبداً لتأكل القربان المتقبلة وتسرج القناديل التي ببيت المقدس وهي من ذهب معلفة بسلاسل من الذهب منظومة من اليواقيت واللآلئ وأنواع الجواهر وأمره أن يصنع في وسط القباب صخرة عظيمة من الرخام وينقر فيها نقرة لتكون كأنهم تلك النار التي تنزل من السماء فدعا موسى أخاه هرون وقال له : إن الله قد اصطفاني بنار تنزل من السماء تأكل القربان المتقبلة وتسرج منها القناديل وأوصاني بها ؛ وإني قد اصطفيتك بها وأوصيتك بها .

فدعا هرون لإبيه وقال لها ؛ إن الله تعالى قد اصطفاني بأمره وأوصاه به .
إني قد اصطفاني له وأوصاني به وإني قد اصطفيتكما له وأوصيتكما به وكان أولاد

هرون هم الذين يلون سدنة هذا البيت وأمر القربان والنار فشرّبوا ذات ليلة حتى ثملوا ثم دخلوا البيت وأسرجوا القناديل من هذه النار التي في الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فأحرقتهما وموسى بن هرون يدفعان عنهما النار فلم يغنيا عنهما من أمر الله شيئاً فأوحى الله تعالى إلى موسى وهكذا أفعل بمن عصاني ممن يعرفني فكيف أفعل بمن لا يعرفني من أعدائي وهذا آخر النصّة والله أعلم .

(باب في ذكر مسير بنى إسرائيل إلى الشام حين جاز البصر)
(وصفة حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك)

قال الله تعالى (ولذا قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً) الآيات اختلفت عبارات المفسرين في الأرض المقدسة ما هي :

فقال مجاهد هو الطور وما حوله ؛ وقال مقاتل هي إيلياء وبيت المقدس ؛ وقال عبد الله بن عمر الحرم محرم بمقداره من السموات والأرض والبيت المقدس مقدس بمقداره من السموات والأرض ؛ وقال عكرمة والسدي هي أريحاء ؛ وقال السكبي هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن ؛ وقال الضحاك هي الرملة والأردن وفلسطين ؛ وقال قتادة هي الشام كله .

(فصل في فضل الشام وأهله)

قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ نولف القرآن من الرقاع إذ قال (طوبى لأهل الشام) قيل يا رسول الله ولم ذلك قال (إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتهم عليهم) .

عن عبد الله بن خولة قال ؛ كنا عند النبي ﷺ فقال (والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى يفتح الله لكم أرض فارس والروم وأرض حمير حتى تكونوا أجناداً ثلاثة ؛ جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن ، فقلت يا رسول الله اختل

إِنْ أَدْرَكْنِي ذَلِكَ ؛ فَقَالَ اخْتَارِ لَكَ الشَّامَ فَإِنَّهَا صَفْوَةُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ بِلَادِهِ وَلِأَهْلِهَا
يَجْتَبَى صَفْوَتُهُ مِنْ عِبَادِهِ يَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ فَإِنَّ صَفْوَةَ اللَّهِ مِنَ الْأَرْضِ
الشَّامُ وَكَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ تَكَسَّفَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ؛ حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ (قَسَمَ اللَّهُ الْخَيْرَ عَشْرَةَ
أَجْزَاءَ فَجَعَلَ مِنْهُ تِسْعَةً أَجْزَاءَ فِي الشَّامِ وَوَاحِدًا فِي الْعِرَاقِ) وَقَسَمَ اللَّهُ الشَّرَّ عَشْرَةَ
أَجْزَاءَ فَجَعَلَ مِنْهُ تِسْعَةً فِي الْعِرَاقِ وَوَاحِدًا بِالشَّامِ .

وَدَخَلَ الشَّامَ عَشْرَةَ آلَافٍ عَيْنَ رَأَتْ النَّبِيَّ ﷺ وَنَزَلَ حِمَى تِسْعِمَائَةَ مِنْ
أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَهُمْ سَبْعُونَ يَدِيًّا

وَقَالَ السَّكَلَبِيُّ صَعِدَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَبَلَ لُبْنَانَ وَقِيلَ لَهُ انْظُرْ فَا أَدْرَكَ
بَصْرَكَ فَهُوَ مَقْدَسٌ وَهُوَ مِيرَاثٌ لِدُرَيْتِكَ مِنْ بَعْدِكَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (يَا قَوْمِ
ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) يَعْنِي كَتَبَ اللَّهُ فِي اللَّوْحِ الْحَفُوظِ
أَنَّهَا لَكُمْ السَّاكِنُ ، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَهَبُهَا اللَّهُ لَكُمْ مَسَاكِنَ ، وَقَالَ السَّيْدِي أَمَرَكُمْ
أَنْ تَدْخُلُوهَا

(ذَكَرَ قِصَّةَ بِلْعَامَ بْنِ بَاعُورَاءَ)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) الْآيَةَ وَاخْتَلَفُوا
فِيهِ فَقَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ هُوَ بِلْعَامُ بْنُ بَاعُورَاءَ . بْنُ بَاعُورَاءَ بْنُ أَيْدَ بْنِ مَارِثَ بْنِ لُوطَ
وَكَانَ مِنَ الْكِنَعَانِيِّينَ مِنْ مَدِينَةِ بِلْقَاءَ وَهِيَ مَدِينَةُ الْجَبَارِينِ وَسُمِّيَتْ بِبِلْقَاءَ لِأَنَّ
مَلِكَهَا رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ بَالِقُ بْنُ صَافُورَاءَ

وَكَانَتْ قِصَّةُ بِلْعَامَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ إِسْحَاقَ وَالسَّيْدِي وَالسَّكَلَبِيُّ
وغيرهم أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا قَصَدَ حَرْبَ الْجَبَارِينِ وَنَزَلَ أَرْضَ بَنِي كِنَعَانَ
مِنْ أَرْضِ الشَّامِ أَتَى قَوْمَ بِلْعَامَ إِلَى بِلْعَامَ وَكَانَ عِنْدَهُ لِسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فَقَالُوا لَهُ إِنْ
مُوسَى رَجُلٌ حَدِيدٌ وَمَعَهُ جُيُودٌ كَثِيرَةٌ وَإِنَّا قَدْ جَاءَ لِيُخْرِجَنَا مِنْ بِلَادِنَا وَيَقْتُلَنَا
وَيَحْلُلَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَإِنَّا قَوْمُكَ وَبَنُو عَمِّكَ وَجِيرَانُكَ وَلَيْسَ لَنَا مَنْزِلٌ وَأَنْتَ
رَجُلٌ بِحَابِ الدَّعْوَةِ فَأَقْدَمَ إِلَيْنَا وَأَشْرَ عَلَيْنَا فِي هَذَا الرَّجُلِ الْعَدُوِّ الَّذِي قَدْ أَرْهَقْنَا

فادع الله أن يرد عنا موسى وقومه فقال لهم بلاءهم ؛ ويلكم هذا نبي الله ومعه
الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم ولاني إن فعلت
ذلك ذهبت دنياي وآخرتي - فلم يزلوا حتى قال لهم اصبروا حتى أستأمر ربي ،
وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فتأمر في الدعاء عليهم في المنام فقيل
له لا تدع عليهم فقال لقومه ، لاني قد أمرت ربي في الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك
فراجعوه فقال حتى أوامر ثانياً فأمر فلم يجب فقال له أمرت فلم يجب لي شيئاً
فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم إننا لكافعل في المرة الأولى فام يزلوا يرفقون
به ويناشدونه ويتضرعون إليه حتى فتنوه فافتن فقالوا لبعضهم اهدوا إليه فيقال
لأنهم اهدوا إليه هدية فقبلها

ويقال إن بلعام بن باعوراء لما أبى أن يدعو على موسى وقومه اجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيئاً إلى امرأته وقالوا إنها فقيرة وإنه يصغى إلى رأيها فأطلق ششرة من عظامهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب مملوءة ورقاً فأهدوها له فأقبلت على صاحبها وألحت عليه حتى قالت له ارجع إلى ربك فاسأله أن يأذن لك في موازرتهم والدعاء على عدوهم فلم تزل به حتى استجاب فلم يجب إليه بشيء فقالت له إنه قد خيرك في الدعاء عليهم فلولا يأذن امحك قالوا فركب أناثاً له متوجهاً إلى جبل يطافه على عسكري بنى إسرائيل يقال له حسان وكانت مراكب العباد الأولين الاتن ؛ فلما سار عليها غير بعيد ربضت به فنزل عنها وضربها حتى أزلفها فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به فضربها حتى أزلفها فأذن الله تعالى لها في الكلام بحجة عليه فقالت له ؛ ويحك يا بلعام أين تذهب ألا ترى أن الملائكة أمامي ترذني عن وجهي هذا أنذهب إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم ؟ فلما سمع ذلك خر ساجداً فلم يزل باكياً متضرعاً حتى غابت عنه الملائكة

قال مقاتل : إن ملك البلقاء قال لبعلم ادع الله على موسى وإلا قتلته فقال إنه من أهل ديني ولا أدعو عليهم فجاءه بخشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على

أتان له ليدعو عليه فلما عين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضرها فقالت له لم تضربني وأنا مأمورة فلا تظلمني وهذه نار أمامي قد منعني أن أمشي فرجع فأخبر الملك فقال له لندعون عليه ولا صلبتلك فدعا على موسى بالإسم الأعظم أي لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل في النيه بدعائه فقال موسى يا رب بأي ذنب وقمنا في النيه ؟ قال بدعاء بلعام فقال موسى يا رب كما سمعت دعاءه على فاسمع دعائي عليه أن تنزع منه الإسم الأعظم والإيمان فسلخه الله عما كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كحمامة بيضاء وأنزل الله تعالى هذه الآية وقال عبد الله بن عمرو وزيد بن أسلم وأبو روق أنزلت هذه الآية في أمية ابن أبي الصلت الثقفي كانت قصته أنه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد ﷺ حسده وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر بقتلى بدر فسأل عنهم ف قيل له قتلهم محمد ؛ فقال لو كان نبياً ما قتل أقرباه

فلما مات أمية أنت أخته فارعة رسول الله ﷺ فسألها عن وفاة أخيها فقالت بينما هو راقد إذ أتاه رجلان فسكسطا سقف البيت ونزلا فقعده أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى ؟ قال وعى ، قال أركا ؟ قال زكا ، قالت فسألته عن ذلك فقال خير أريد بي ؛ ثم قطرت عيناه ، ثم غشى عليه فلما أفاق قال :

كل عيش وإن تطاول دهرأ صائر أمره إلى أن يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي في تلال الجبال أوعى الوعولا
إن يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الصغير يوما ثقيلا
ثم قال لها رسول الله ﷺ ما أطيبه من شعر سألتك بالله أن تمشدى شعر أخيك فأنشدته :

لك الحمد والثناء والفضل ربنا فلا شيء أعلى منك جدأ وأجد
ملك على عرش السماء مهيمن لهزته تمنو الوجوه وتسجد

-- ٢٥٣ --

وهي قصيدة طويلة وأنشدته حتى أتت على آخرها ثم أنها أنشدته قصيدته
ثالثي يقول فيها :

عند ذى العرش يعرضون عليه يعلم الجبر والكلام الخفية
يوم تأتيه وهو رب رحيم لأنه كان وعده مأثيا
يوم تأتيه مثل ما قال فرداً لم يذر فيه رشداً وغوياً
أسعید سعادة أنا أرجو أم ممان بما كسبت شقيا
رب إن تعف فالمغافاة ظنى أو تعاقب فلم تعاقب برياً
إن أوأخذ بما اجترمت فإنى سوف القى من العذاب قويا
فقال عليه السلام (آمن شهره وكفر قلبه) فانزل الله تعالى فيه (واتل عليهم نبأ
آتيناه آياتنا) الآية .

قال سعيد بن المسيب نزلت في أنى عامر بن النعمان بن صيفى الراهب الذى
سماه النبي عليه السلام الفاسق ؛ وكان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة ؛
فقال النبي عليه السلام ما هذا الذى سميت به ؟ قال سميت بالحنيفية دين إبراهيم قال فانا
عليها فقال النبي عليه السلام لست عليها ولمكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر
أما والله الكاذب منا فى مناظرته طريداً فريداً فخرج إلى الشام وارسل إلى
المنافقين أعدوا القوة والسلاح وابنوا لى مسجداً فإنى ذاهب إلى قيصر وآتى
بجند لنخرج محمداً وأصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى (وإرصاداً لمن حارب
الله ورسوله من قبل) يعنى انتظاراً لمحبيته فمات فى الشام طريداً وحيداً فريداً ؛
ومنه من قال لإنها نزلت فى البسوس ؛ وكان رجلاً قد أعطى ثلاث دعوات
مستجابات ؛ وكان له امرأة وله منها ولد ، فقالت له اجعل لى منها واحدة ،
فقال لك منها دعوة فتريدى ؟ قالت ادع الله أن يجعل لى امرأة فى
بنى إسرائيل فدعا فجعلت أجمل امرأة فى بنى إسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم
مثلها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نباحه فذهب فيها دعوتان
فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت آمنة كلبة نباحه ؛ وان
الساس يعبروننا بها فادع الله أن يردها إلى الحالة التى كانت عليها فدعا الله فصارت
كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها .

(باب في ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم)
(حين بعثه إياهم إلى أرض كنعان جواسيس له ولقومه)

قال الله تعالى (ولقد اخذنا ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً)
الآية وذلك أن الله تعالى وعد موسى أن يورثه قومه الأرض المقدسة وهي الشام
وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم العاقلة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام
ابن نوح ووعد الله أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن لبني إسرائيل فلما
نزلت ببني إسرائيل الدار أمرهم الله بالمسير إلى أريحا من أرض الشام وهي
المقدسة فقال يا موسى إن قد كتبته لك داراً وقراراً فاخرج إليها
سباً من العدو فإني ناصركم عليهم فتخذ من قومك اثنا عشر رجلاً من
أهلهم يكون كفلاء على قومه بالوفاء بما أمروا به فاختر موسى من كل
سبيباً وأمره عليهم وهذه أسماءهم من سبط روبيل شمعون بن ذكور ومن
سبط شمعون شوقط بن حوري ومن سبط يهوذا كالب بن يوقنا ومن سبط جاد
ابن يوسف ومن سبط رايالون حدي بن سوري ومن سبط اشير شايون بن
مليكيك ومن سبط يافا حي بن وقسي ومن سبط دان حنن بن وكييل ومن سبط
يوسف لاوي حولا بن مليكا ومن سبط يوسف افرايم ومن سبط افرايم
يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن سبط ميسا حي بن موسى ومن سبط
بنيامين ناظم بن زقون .

ثم إنه سار ببني إسرائيل قاصداً أريحا فبعث إليها هؤلاء النقباء يتجسسون
الاخبار له ويعلمون حالها وحال أهلها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج
ابن عنق .

(فصل في ذكر أخبار جمل من أخبار عوج بن عنق وأحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرون ألف ذراع وثمانمائة وثلاثة وثلاثين ذراعاً بالذراع الأول وكان عوج يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ؛ ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بهين الشمس يرفعه إليها ثم يأكله

ويروى أنه أتى نوحاً في أيام الطوفان فقال له احملني معك في سفينةك فقال له اذهب يا عدو الله فأني لم أؤمر بك فطبق الماء الأرض من مهل ومن جبل ؛ وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى اهلكه الله على يد موسى وكان لموسى عسكر فرسخ في فرسخ فجاء عوج ونظر إليهم ثم جاء إلى الجبل وقدر منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدد ومعه الطيور فجعلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقلت فوقعت في عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فاقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز إلى فوق عشرة أذرع فما أصاب منه إلا كعبه وهو مصروع في الأرض فقتله قالوا فاقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه فلما قتل وقع على نيل مصر فحسره سنة قالوا وكانت أمه عنق هي إحدى بنات آدم من صلبه ويقال إنها كانت أول من بغى على وجه الأرض وكان كل أصبع من أصابعها طوله ثلاثة أذرع في عرض ذراعين كل أصبع ظفران حادان مثل المنجلين وكان موضع مقعدها خربة من الأرض ولما بلغت الله إليها أسودا كالغيلة وذئاباً ونموراً كالإبل ونسوراً كالخمر وسلطهم عليها فقتلواها وأكلوها

قال تعالى (قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين) الآية قال قتادة كان لهم اجسام وخلق عجيب ليس لغيرهم مثله (وإنما إن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون) قال موسى ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم فإن الله سيفتحها عليكم وإن الذي أنجاكم من آل فرعون وفلق لكم البحر

هو الذى يبلغكم ويظهركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه أمرق وهموا بالانصراف إلى مصر فخرج يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وهما اللذان أخبرتهما بالتوفيق والعصمة فى قوله تعالى (قال رجلان من اللذين يخافون أنعم الله عليهما) بالتوفيق والعصمة (ادخلوا عليهم الباب) يعنى باب مدينة الجبارين فإذا دخلتموه فإنكم غالبون لأن الله منجز وعده فإنما رأيناهم وخبرناهم فسكنات جسمهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوه وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فأراد بنو اسرائيل أن يرجعوا بالحجارة وعصوها وقالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون وروى أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوم الحديدية حين صد عن البيت إلى ذاهب بالهدى فنأحره عند البيت فاستشار أصحابه فى ذلك

فقال المقداد بن الأسود السكندرى إنا والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا لقاعدون ولسكننا نقول إنا معك مقاتلون والله لنتقاتلن عن عييك وشمالك وبين يديك ولو خضعت بحرا لخصفناه ولو تسنمت جبلا لعلواناه ولو ذهبت بنا إلى برك العماد يعنى مدينة بالحديثة لتبعناك فلما سمع أصحاب النبى ﷺ تابعوه على ذلك فاشرق لذلك وجه النبى ﷺ

قال ابن عباس لأن أكون صاحب هذا المشهد أحب إلى من الدنيا وما فيها قال فلما فعلت بنو اسرائيل ما فعلت من معصيتهم نبيهم ومخالفتهم أمر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال (رب إني لأملك إلا نفسى واخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) أى العصاة وكانت عجلة عجلها موسى فظفر الخمام على باب فيه موسى وإوحى الله تعالى إلى موسى (إلى متى يهيننى هذا الشعب وإلى متى لا يصدقون بهذه الايات لأهلكهم جميعاً ولاجعل لك شعباً اقوى وأكبر منهم) فقال موسى ؛ إلهى لو انك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد لقالت الأمم الذين سمعوا ذلك إنما قتلت هذا الشعب من أجل أنه لم

يستطع أن يدخلهم الأرض المقدسة فقبلهم في البرية وإنك طويل صبرك كثيرة نعمتك وأنت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء من الأبناء وأبناء الأبناء فأغفر لهم ولا توبخهم .

(استجاب الله لموسى وغفر لهم)

فقال الله تعالى لموسى (لى غفرت لهم بكلمتك ولكن بعد ما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم ؛ حلفت بعزى لآحر من عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدى يوشع بن نون وكاب ولآتينهم فى هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الأيام التى تحبسوا فيها سنة) وكانت أربعين يوماً وليأتينهم حتفهم فى هذه القفار .

وأما بنوهم الذين لم يعصونى ولم يعملوا الخير ولا الشر فإنهم يدخلون الأرض المقدسة .

فذلك قوله تعالى (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض) متحيرين (فلا تأس على القوم الفاسقين) .

فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة ونشأت النواشء من ذرايرهم ساروا إلى حرب الجبارين وفتح الله لهم .

(باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها على بني إسرائيل في النية وخصمهم بذلك)
(ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام)

قال الله تعالى (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) الآية كقوله
تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) والعد لا يقع على الواحد (التي أنعمت
عليكم) أي على أجدادكم وأسلافكم .

وذلك أن الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم
وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وأنزل عليهم النوراة فيها بيان كل شيء
يحتاجون إليه وأعطاهم ما أعطاهم في النية وذلك أنهم قالوا لموسى أهلكتنا
وأخرجتنا من العمران والبيان لم مفاضة لا ظل فيها ولا كون فأنزل الله تعالى
عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل أرق وأطيب وأبرد منه فأظلمتهم
وكانت تسير بسيرهم إذا ساروا وتدور عليهم من فوقهم إذا نزلوا وذلك قوله
تعالى (وظلمنا عليهم الأنعام) يعني في النية يقيكم بحر الشمس ومنها أنه جعل لهم
عموداً من نور يضئ لهم بالليل إذا لم يكن ضوء القمر ، فقالوا هذا الظل والنور
قد حصل فأين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن .

واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شيء كالصمغ يقع على الأشجار وطعمه كالشهد
وقال الضحاك هو البر يختبر ، وقال وهب هو الخبز الرقاق ، وقال السدي كان غسل
يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه ، وقال عكرمة هو شيء أنزله الله عليهم مثل
الربو الغليظ ، وقال الزجاجي المن ما يمن الله به بما لا تحب فيه ولا نصب ،
وقال النبي ﷺ (السكامة من المن وماؤها شفاء للعين) .

قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الأشجار مثل الثلج لكل إنسان
منهم صاع كل ليلة .

فقالوا يا موسى قتلنا هذا المني بحلواته فادع الله ربك لنا يطعمنا اللحم فدعا موسى فأنزل الله عليهم السلوى .

واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر الناس هو طائر يشبه السمان .

وقال أبو العالمة ومقاتل هو طير أحمر بعشه الله عليهم فأمطر به السماء في عرض ميل وقدر رمح في السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك ، وقيل إنه كان طيراً مثل فراخ الحمام طيباً سميناً قد تمتع ريشه وزغبه وكانت الريح تأتي به إليهم فيصبحون وهو في معسكرهم .

وقيل إنه كان يأتهم فيستمرسل إليهم فيأخذونه بأيديهم ، وقال عكرمة هو طير يكون بالهند أكبر من الدصفور ، وقال البورخ هو الحسل بلغة كنانة قال شاعرهم وقاسمها بالله جهداً لأنتم ألد من السلوى إذا ما نشورها فكان الله ينزل عليهم المني والسلوى ، وكان أحدهم يأخذ ما يكفيه يومه وإيلته فإذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى (وأنزل عليكم المني والسلوى كلوا) أى فلما لهم كلوا من طيبات حلال ما رزقناكم ولا تدخروا لغد نخبأوا لغد فدود وفسد ما أدخروا وقطع الله عنهم ذلك .

قال الله تعالى (وما ظلمونا) أى أضرونا بالمعصية ومخالفة الأمر (ولما كن كانوا أنفسهم يظلمون) باستصحابهم الغذاء وقطع عنهم مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا مشقة في الدنيا ولا حساب ولا تبعه في العقب .

أخبرنا شعيب بن محمد قال أخبرنا مكي بن عبدان قال أخبرنا محمد بن الأزهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا عون بن عبد الله عن جلاس بن عمر عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (لولا بنو إسرائيل لم يخزن اللحم ولم يخبث الطعام ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها) ومنها أنهم عطشوا في الزبية فقال يا موسى من أين نشرب ؟ فاستسقى لهم موسى فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك الحجر فقالوا

كيف بنا إذا مضينا إلى الرمل وإلى الأرض التي ليس فيها حجارة فأمر موسى أن يحمل معه حجراً حينما نزل ألقاه .

وقال آخرون : كان حجراً مخصوصاً بعينه ، والدليل عليه قوله تعالى الحجر فادخل الآلاف والالام للتعريف والاختصاص كقوله : رأيت الرجل .

ثم اختلفوا في ذلك الحجر ما هو ؟ فقال ابن عباس كان حجراً خفيفاً مربهاً مثل رأس الرجل أمر أن يحمله فحمله فسكران يضعه في محلاته فإذا احتاجوا إلى الماء أخرجه وضربه بعصاه فبفجر عيوناً كما ذكرنا فستقام .

وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذي وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل ففر الحجر بثوبه ، فلما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال يا موسى أن الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله تعالى عما قالوا) الآية وهو ما أخبرنا به الحسن بن أحمد الخلدی بإسناده عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سواة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمع في أثره موسى يقول ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر حتى نظر بنو إسرائيل إلى سواة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس قال فقام الحجر بعد ما نظر إليه بنو إسرائيل فأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضرباً فقال أبو هريرة والله إن أثر ضرب موسى بالحجر سنة أو سبعة .

قال عبد المزين السكتاني كان موسى ضرب الحجر لثنتي عشرة ضربة فسكران يظهر في كل موضع ضربة مثل ثدى المرأة ، ثم ينفجر بالانفجار المطردة فذلك وله تعالى « فأنفجرت منه اثنتا عشر عينا » .

ومنها أنهم قالوا لموسى في آتية من أين لنا اللباس فخلد الله تعالى ثيابهم التي عليهم حتى لا تزيد على الأيام ومرور الأعوام إلا جدة وظرافة ولا تخلق ولا تبلى وتموا على صلبانهم كما تنموا فسكرانوا على ذلك زماناً طويلاً والله أعلم .

(باب فتح أريحاء ونزول بنى إسرائيل الشام)

الختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم
نما فتح أريحاء موسى بن يوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى إليهم بمن
بني من بنى إسرائيل في التيه ولم يمت في التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين
بنين كانوا بها فدخلها موسى ببني إسرائيل فقام فيها ما شاء الله أن يقيم ثم قبضه
له تعالى ولم يعلم أحد قبره من الناس وهذا أولى الأقاويل بالصدق وأقربها إلى
الحق لإجماع العلماء بأخبار الأنبياء .

أن عوج بن عنق قتله موسى ، وقال آخرون : ما قاتل الجبارين إلا يوشع
بن قون ولم يسر إليهم بعد موت موسى وهلاك من كان أبي المسير إليهم
قالوا مات موسى وهرون عليهما السلام في التيه .

(قصة وفاة هرون عليه السلام)

قال السدي أوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام : إني متوف
هرون فأت جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل وإذا هما
بشجرة لم ير مثلها وببيت مبني وفيه سرير آ عليه فرش وإذا فيه ريح طيبة فلما نظر
هرون إلى ذلك أعجبه وقال يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير فقال نعم
عليه فقال إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي فقال موسى لا تخف أنا
كفنيك رب هذا البيت فم قال يا موسى نعم معي فإن جاء رب هذا البيت غضب
علينا جميعاً فنام موسى وأخذ هرون الموت .

وقال عمرو بن ميمون : مات موسى وهرون في التيه ومات هرون قبل موسى
وكان خرجا في التيه إلى بعض الكهوف فأت هرون ودفنه وانصرف إلى بنى إسرائيل
فقال أين هرون ؟ قال مات قالوا كذبوا ولكنك قتلتهم لحبنا إياه وكان محبباً في
بنى إسرائيل فنضرع موسى إلى ربه وشكا إلى ربه ما لقي من بنى إسرائيل .
فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى قبره فإني باعثه حتى يخبرهم أنه مات ولم
تقتله فانطلق بهم إلى قبر هرون فناداه يا هرون اخرج من قبره ينفض التراب عن
رأسه فقال له أنا قتلتك قال لا والله ولكني مت فعاد وانصرفوا والله أعلم .

(ذكر وفاة موسى عليه السلام)

قال ابن إسحق : كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كرهه أراد أن يحبب إليه الموت ويكره إليه الحياة ، وكان يوشع بن نون يغدو إليه ويروح فيقول له موسى يا نبي الله ما أحدث الله إليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله إليك حتى تسكون أنت الذي تبتدىء به وتذكره ولا يذكر له شيئاً ، فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت .

قال الأستاذ بإسناده ؛ حدثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهباً يقول : وذكر من كرامة موسى عليه السلام أنه ضاق ببني إسرائيل ذرها لما كثروا عليه فبعث الله إليه ألف ملك يكرنون أعواناً له ، فلما مال الناس إليهم وجد موسى في نفسه غيرة فأماهم الله لكرامته في يوم واحد .

واختلفوا في صفة موت موسى عليه السلام .

حدثنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون بإسناده عن أبي عن رسول الله ﷺ قال : جاء ملك الموت إلى موسى فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففققها قال فرجع ملك الموت إلى الله عز وجل فقال يا رب إنك أرسلتني إلى عبد لا يزيد الموت وفقاً عيني فرد الله عينه وقال ارجع إلى عبدى وقل له الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعر فانك تعيش بعدد كل شعرة من ذلك سنة قال ثم ماذا ؟ قال ثم تموت ، قال فالآن من قريبه قال يا رب فادفني من الأرض المقدسة رمية حجر .

قال رسول الله ﷺ . لو كنت عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند المشيب الأحمر .

قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول : سمعت أبا حامد الشرفي يقول : سمعت
نند بن يحيى يقول قد صحح هذا عن رسول الله ﷺ يعني قصة ملك الموت وموسى
عليه السلام لا يردّها إلا كل مبتدع ضال .

وفي حديث آخر : أن رسول الله ﷺ قال : أن ملك الموت كان يأتي الناس
عياً فأبى حتى أتى موسى ليقبضه فلطمه ففقد عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خيفة .
ويروى أن يوشع بن نون رآه بعد موته في المنام فقال : كيف وجدت الموت
يا نبي الله ؟ قال : كشاة تسليخ وهي في الحياة .

ويروى أن موسى لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفى الله موسى
ابن عمران فمن الذي يطمع في البقاء ، وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة وعشرون
منها في ملك أفريدون ومائة سنة في ملك منوجهر .

قال الاستاذ : رجعنا إلى قصة حرب أريحا وخبر الفتح ، قال : فلما انقضت
أربعون سنة ومات موسى بعث الله يوشع بن نون نبياً فأخبرهم أنه نبي الله وأن
الله قد أمره بقتل الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه بني إسرائيل إلى أريحا
ومعه تابوت الميثاق فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر ،

فلما كان في الشهر السابع نفخوا في القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط
سور المدينة فدخلوها وقتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم وجعلوا يقتلونهم
فكانت العصاة من بني إسرائيل يجمعون على علق الرجل يضربونها ولا يقطعونها

وكان القتال يوم الجمعة فبقي منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة
السيبت فخشى يوشع أن يعجزوه فقال : اللهم اردد الشمس هلي ، أو أنه قال للشمس
إليك في طاعة الله وأنا في طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى
ينتقم من أعداء الله قبل غروب الشمس فردت له الشمس وزيد له في النهار ساعة
واحدة حتى قتلهم أجمعين .

أخبرنا أحمد بن عبد الله بن حامد الأصفهاني بإسناده عن عروة بن عبد الله قال : دخلت على فاطمة بنت علي رضوان الله عليهما فرايت في عنقها خرزاً ، ورأيت في يدها مسكنتين غليظتين وهي عجوز كبيرة ، فقلت لها ما هذا ؟ فقالت إنه يكره للمرأة أن تشبهه بالرجل .

ثم حدثتني أن أسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان مع نبي الله وقد أوحى الله إليه فجعله بشوبه ولم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس تقول غابت أو أرادت أن تغيب ثم إن نبي الله سري عنه فقال : أصليت يا علي ؟ قال لا ، فقال النبي ﷺ اللهم اردد عليه الشمس ، فرجعت حتى بلغت نصف المسجد .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ غزا نبي من الأنبياء فقال القوم : لا يتبعني رجل كان قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولا آخر قد بنى له بيتاً ولم يرفع سقفه ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر أولادها قال فدنا من القوم صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقالت الشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه .

قال ثم وضعت الغنيمة فجاءت النار فلم تأكلها فقال إن فيكم غولاً فليجأ يعني من كل قبيلة منكم رجل فبأيهم فالتصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغول أتم غلاتم .

قالت : فأخرجوا مثل رأس البقرة من ذهب فألقوه في الغنيمة وهي بالصبيح فجاءت النار فأكلتها .

قال النبي ﷺ (لم تحل الغنائم لأحد قبلنا ، وذلك أن الله تعالى رأى عجزاً وضعفنا فوهبها لنا) .

قالوا ثم أمرهم الله أن يدخلوا أريحا متواضعين مستغفرين خائفين رءوسهم
في ذلك قوله تعالى (وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية فمكبوا منها سجدة شئتم رغد
و ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة) وكان لهم سبعة أبواب سجداً أى منجنين
متواضعين وقولوا حطة أى حط عنا خطايانا .

قال وهب : إنهم أذنبوا بآبائهم وكان توبتهم إذا أذنبوا دخلوا أريحا ؛
فلما فصلوا من النبيه أحب الله أن يستغفرهم من الخطيئة .

قال ابن عباس حطه قول لا إله إلا الله سميت بذلك لأنها تحط الذنوب
(فقهر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين إحساناً . فبدل الذين ظلموا قولاً غير
الذى قيل لهم : وذلك أنهم دخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حطاً سميئاً يعنى
حطه حمراء استخفافاً بأمر الله تعالى : فأنزلنا على الذين ظلموا رجواً من السماء)
أى عذاباً من السماء بما كانوا يفسقون .

وذلك أن الله تعالى أرسل عليهم طاعوناً وظلماً فهلك منهم سبعون ألفاً في ساعة
واحدة ثم رفعه الله عنهم ورحمهم :

قالوا فلما استقرت بنو إسرائيل بالشام وصفت لهم توفي الله نبيه يوشع
ودفن في جبل أفرائيم وكان عمره مائة وعشرين سنة وتديره أمم بني إسرائيل
بعد موت موسى سبعة وعشرين سنة .

(مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بأمر بني إسرائيل)
(بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام)

قالت العلماء بأخبار الماضين وأمر الأمم السالفين لما حضرت الوفاة
يوشع بن نون استغاف على بني إسرائيل كالب بن يوقنا .

قال الله تعالى (قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما) فأحسن الخلافة
حتى قبضه الله عز وجل واستخلف على بني إسرائيل لابنه يوسافوس .

وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء ؛
وكانوا يفتنون به ؛ وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون إليه ويقولون له :
أيها العبد الصالح جئنا لنسلم عليك وهو يستحي أن يردهم فلما أكتروا خافه
الفتنة فسأل الله أن يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فأصابه الجدري
فصار مجدوراً ملوجاً فلبث فيهم مائة وأربعين سنة ثم قبضه الله إليه والله أعلم .

(ذكر خبر حزقيل عليه السلام)

قالت العلماء بأخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب ولابنه بعث
الله تعالى حزقيل إلى بني إسرائيل نبياً ؛ وهو حزقيل بن بوري ؛ ولقب بابن
العجوز ؛ وإنما لقب بابن العجوز لأن أمه سألت الله تعالى الولد وهي عجوز ؛
وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها ؛ وهو الذي أحيا الله تعالى به
القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأحياهم الله تعالى به
موتهم بدعوته في قوله تعالى (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف
حذر الموت) الآية .

قال أكبر المفسرين : كانت قرية يقال لها (داوردان) قرية قبل واسط
وقع بها الطاعون فخرج منها طائفة هاربين من الطاعون ؛ وبقيت طائفة فهلك

أكثر من بقى في القرية وسلم الذين خرجوا ؛ فلما رجع الطاعون رجعوا سالمين ، فقال الذين بقوا : إن أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا وأن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن إلى الأرض التي لا وباء فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا وادياً أفيح فلما نزلوا المسكان الذي يبتغون فيه النجاة والحياة إذا هم بملك من أسفل الوادى وآخر من أعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فأتوا جميعاً .

وروى عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله ﷺ أنه قال : (إذا سمعتم بالوباء في بلدة فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه .

وقال الضحاك ومقاتل والكلبي : إنما فر هؤلاء من الجهاد ؛ وذلك أن ملكاً من ملوك بني إسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلى قتال عدوهم فخرجوا فمسيكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا للملكهم : إن في الأرض التي نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها ؛ فأرسل الله عليهم الموت ؛ فلما رأوا الموت قد كثرت فيهم خرجوا من ديارهم فراراً من الموت ، فلما رأى الملك ذلك قال : اللهم رب يعقوب وإله موسى ؛ قد ترى معصية عبادك ؛ فأرهم آية في أنفسهم حتى يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك .

فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فأتوا جميعاً وماتت دوابهم كموتهم وموت رجل واحد فما أتى عليهم إلا ثمة أيام حتى انفجروا وأروحو وأروحت أجسادهم ففرج إليهم الناس فمجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلّفوا في مبلغ هدمهم .

فقال عطاء الخراساني : كانوا ثلاثة آلاف ، وقال ابن عباس وروى
كانوا أربعة آلاف .

وقال مقاتل والكلبي : ثمانية آلاف .

وقال أبو روق : عشرة آلاف .

وقال أبو مالك . ثلاثين ألفاً .

وقال السدي : بضعا وثلاثين ألفاً .

وقال ابن جريج : أربعين ألفاً .

وقال عطاء بن أبي رباح : سبعين ألفاً .

وقال فأني على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت
أوصالهم فر عليهم حز قيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكراً متعجباً
فأوحى الله تعالى إليه يا حز قيل تريد أن أريك كيف أحي الموتى ؟ قال نعم
يارب فأحياهم الله جميعاً .

وروى منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحبوا سبحانه الله
ربنا وبمحمدك لا إله إلا أنت فرجوهوا إلى قومهم وتناسوا بعد ما أحياهم الله
وعاشوا دهرأ لا يعرفون أبهم كانوا موتى سخنة الموت على وجوههم لا يلبسون
وبأ إلا عادوا رميا مثل السكفن حتى ماتوا لآجالهم إلقى كتب الله لهم .

قال ابن عباس : فإنه لا يوجد في ذلك السبط من اليهود تلك الريح .

قال قتادة : مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم في الجهاد فأماهم الله عقوبة لهم بعثهم لبقية آجالهم ليوفوها ولو كانت آجال القوم جاءت ما بدشوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى أمرهم بالجهاد وقال (وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم) .

(باب في قصة إيلياس عليه السلام)

قال الله تعالى (وإن إيلياس لمن المرسلين) إلى آخر القصة .

قال ابن إسحق والعلماء من أصحاب الاختبار : لما قبض الله تعالى حزقييل عليه السلام عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله إليهم في التوراة حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله إليهم نبياً وهو إيلياس بن يس بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران

ولما كانت الأنبياء بعد موسى يبعثون إليهم بتجديد ما نسوا وضيّعوا من أحكام التوراة وبني إسرائيل يومئذ متفرقون في أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح أرض الشام وملكها بوأها بني إسرائيل وقسمها بينهم فأخذ سبط منهم بعلبك وتواحيها هم سبط إيلياس فبعث الله تعالى إليهم نبياً وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل وأضل قومه وجبرهم على عبادة الأصنام وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعاً وكان له أربعة وجوه

وقال ابن إسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل إلا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى (إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين)

قال فجعل إيلياس يدعوهم إلى الله ولا يطيعونه ولا يجيبونه إلى ذلك إلا ما كان من أمر لاجب الملك الذي كان بعلبك فإنه آمن به وصدقه : وكان إيلياس يقوم أمره ويسدده ويرشده ، وكان لللاجب امرأة يقال لها أرييل

وكان يستغلها على رعيته إذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها فمكثت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب وتجلس كما يجلس في مجلس القضاء ؛ وتقضى بين الناس وكانت قتالة للأنبياء وكان لها كاتب رجل حكيم يكتسب إيمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت في نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الأرض أفحش منها وهي مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من بني إسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتيال وكانت معمرة ويقال إنها ولدت سبعين ولداً

قال وكان للاجسب هذا جار من بني إسرائيل رجل صالح يقال له مزدكى وكانت له جنية يعيش منها ويقبل على عمارتها ويزينها وكانت الجنية إلى جانب قصر الملك وامرأته وكان يشرفان على تلك الجنية ويتزهران فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها حيناً وكان لاجسب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكى وامرأته أربيل تحسده على ذلك لأجل تلك الجنية وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنية من حسنها ويقولون ما أخرى أن تكون هذه الجنية لأهل القصر ويتعجبون من أمر الملك وامرأته كيف لم يغصبها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكى في أن تقتله وتأخذ جنيته والمملك ينهاها عن ذلك فلا تجد إليه سبيلاً ثم إنه اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد فلمّا طالت غيبته اغتمت امرأته أربيل أن تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكى في أن تقتله وتأخذ جنيته وهو غافل عما تريد فقبل على عبادة ربه وإصلاح معيشتة فجمعت أربيل جهماً من الناس وأسرتهم أن يشهدوا على مزدكى بالزور أنه يسب الملك لاجب فأجابوها إلى ما سألنهم من الشهادة بالزور

وكان حكمهم في ذلك الزمان على من يسب الملك القتل إن قامت البينة فأحضرت مزدكى وقالت له بلغنا أنك شتمت الملك واغتبطته فأنتكر مزدكى ذلك فأقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فأمرت بقتله فقتل وأخذت جنيته غضباً فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح

فلما قدم الملك من السفر أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت ولا وفقت ولا أرى
أنا نفلح بعدها أبداً وإنما كنا على جنيته لا غنياء وقد كنا نتنزه فيها وقد جاورنا
وتحرم بنا منذ زمن طويل فأحسننا جواره وكففنا عنه الأذى لوجوب حقه علينا
فصبحت بنا الجوار وما حملك على اجتراكك عليه إلا سفهك وسوء رأيك وقلة
تفكيرك في العواقب

فقلت إنما غضبت لك وحكمت بحكمك فقال لها ما كان يسمع حلمك وعظيم
خطرك العفو عن رجل واحد فتحفظين جواره فقال قد كان ما كان
فبعث الله تعالى إلياس عليه السلام إلى لاجب وقومه وأمره أن يخبرهم أن الله
تعالى قد غضب عليه لوليه حين قتلوه بين أظهرهم ظلماً

وقد آل على نفسه أنهما لم يتوبا من صنعهما ويرد الجنة على ورثة مزدكي
والإلهيهما يعني لاجب وأمراته في جوف الجنة أشر ما يكون يسفك دمهما ثم
يدعهما جيفتين ملقائين حتى تتعري عظامهما عن لحومهما ولا يتمتعا إلا قليلاً

قال فجاء إلياس وأخبر الملك بما أوحى إليه في أمره وأمر امرأته والجنة
فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا إلياس والله ما أرى ما تدعونا
إليه إلا باطلاً والله ما أرى فلاناً وفلاناً وسمى ملوكاً منهم عبدوا الأوثان
إلا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ويتمتعون بملكين ما ينقص من
دنياههم ولا من أمرهم الذي نزعهم أنه باطل شيء وما ترى لكم علينا من فضل
قال ثم هم يتعذّب إلياس وقته فلما سمع إلياس ذلك وأحسن بالشر رفضه
وخرج عنه فالحق بشواهد الجبال وعاد الملك إلى عبادة بعل فأوثق إلياس إلى
أصمب جبل وأشمخه فدخل مغاراً فيقال إنه بقي فيه سبع سنين شريداً وحيداً
فريداً خائفاً يأوى إلى الشجاء والكهوف يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر
وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العميون يتوقعون أخباره ويحمدون في أخذه والله
تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه البلاء

فلما تم له سبع سنين أذن الله تعالى في إظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فأمرض الله تعالى ابن الملك لاجب وكمان أحب أولاده إليه وأعزهم عليه وأشبههم به فأذنف حتى يئس منه فدعا صنمه بهلا وكانوا قد فتتوا بعمل فعظموه حتى أنهم سموا مدينتهم به فقالوا لها بعليك وجعلوا له أربعمئة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أمناء وجعل الشيطان يدخل في جوف الصنم ويكلمهم بأنواع الكلام والأربعمئة يصغون بأذانهم إلى ما يقول الشيطان ويوسوس لهم شريعة من الضلال فيكتبونها للناس ويعملون بها ويسمونهم الأنبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب الملك أن يشفعوا له إلى بل ويطلبوا منه لابنه الشفاء والعافية فدعوه له فلم يجبههم ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج في جوفه ولا الكلام وهم يحتدون في التضرع إليه والمريض لا يزداد بذلك إلا ألماً وجهداً

فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب أيها الملك إن في ناحية الشام آلهة أخرى وهى في العظم مثل إلهك فابعث إليها الأنبياء يشفعون لك إليها فعلامها أن تشفع لك إلى بل فإنه غضبان عليك ولولا غمسه عليك لكان قد أجابك وشفى مرض ابنك فقال لاجب لآى شىء غضب على وأنا أطيعه وأطلب رضاه ولم أسخطه ساعة قط

قالوا من أجل أنك تقتل لإلياس وفرطه فيه حتى نجى سالماً وهو كافر بإلهك يعبد غيره فذلك الذى أغضبه عليك

قال لاجب وكيف لى أن أقتله في يومى هذا وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابنى وليس لإلياس مطلب ولا يعرف له موضع فبقه صدق فلو عوفى لابنى تفرغت لطلبه ولم يكن لى هم ولا شغل غيره حتى آخذه وأقتله وأريح لى منه وأرضيه قال ثم إنه بعث لأربعمئة نبي إلى الآلهة التى بالشام يسألوها أن تشفع لصنم الملك ليشفى ابنه فانطلقوا إلى الأصنام فكلموها فنع الله عز وجل الشيطان من

اللولوج في الاصنام ولم تسلكهم فرجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك . فقال الملك وكيف لي أن أقتل إلياس في هذا اليوم . قال نخرج أربعمائة حتى إذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه الياس أوحى الله اليه أن يهبط من الجبل ويمارضهم ويستوقفهم ويكلمهم وقال له لا تخف فإنني سأصرف عنك شرهم وألقى الرعب في قلوبهم فنزل إلياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم إن الله أرسلني إليكم وإني من وراءكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوها أصحابكم أرجعوا إليه وقولوا له إن الله تعالى يقول لك أنت تعلم يا لاجب إنني أنا الله لا إله إلا أنا إله بني إسرائيل الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فلا يحملك جهلك وقلة عقلك على أن تشرك بي وتطلب الشفاء لابنك من غيري من لا يملكون لأنفسهم شيئاً إلا ما شئت وإن آليت باسمي لأغيظنك في ابنك ولأميتنه من فوره هذا حتى تعلم أن أحداً لا يملك لهم شيئاً دوني .

فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملئوا منه رعباً فلما صاروا إلى الملك ووصلوا إليه قالوا له ما قال لهم الياس وأخبروه بأن الياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد قشف وقمل وتمشط شعره ويدس جلده وعليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا . فلما وقفنا صار معنا فقذف له في قلوبنا الرعب والهيبة وتقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكثير . وهو واحد فلم نقدر أن نكلمه ونراجعه وملاً أعيننا منه حتى رجعنا إليك .

ثم لأنهم قصوا عليه كلام الياس فقال لاجب لا أنفع بالحياة مادام إلياس حياً ما الذي منعكم أن تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتونى به . وأنتم تعلمون أنه طلبني وعدوى ؟ وقالوا قد أخبرناك بالذي منعنا عنه ومن كلامه والبطش به .

فقال لاجب إذا ما نطلق إلياس إلا بالمسكر والخديعة فقبض له خمسين رجلاً من قومه من ذوي القوة والبأس وعهد إليهم عهده وأمرهم بالاحتياط عليه وأن يطعموه بأنهم قد آمنوا به ومن وراءهم ايطمن إليهم ويتر بهم ويمكنهم من نفسه فيأتون به مأسكهم فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذي فيه إلياس عليه السلام ثم أنهم تفرقوا فيه وهم ينادون بأعلى أصواتهم ويقولون يا نبي الله ابرز لنا وأشرف علينا بنفسك فإننا قد آمنّا بك وصدقناك وما سكنا لاجب وكذلك جميع قومنا مقرون بذلك ويقرون عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت وآمنّا بك وأجبتناك إلى ما دعوتنا إليه فلم لإينا فأت نبينا ورسول ربنا فأقم بين أظهرنا وأحكم بيننا فإتنا تنقاد إلى ما تأمرنا وننتهي عما نهيتنا وليس يسعك أن تتخلف عما بعد لإيماننا بك وطاعتنا لك فتداركننا وارجع لإينا وكل هذا مكرآ منهم وخديعة .

فلما سمع إلياس مقاتلتهم وقع في قلبه لإيمانهم وخاف الله وأشفق من سخطه إن هو لم يظهر إليهم يحجبهم بعد الذي سمع منهم فلما صمم على البروز إليهم رجع إلى نفسه وقال لو إني دعوت الله تعالى فسألته أن يعلمني ما في نفوسهم ويطلعني على حقيقة أمرهم .

وكان ذلك لإلهاماً من الله تعالى وتوفيقاً له فقال اللهم إن كانوا صادقين فاجعلوا يقولون فإئذن لي في البروز إليهم وإن كانوا كاذبين فاكفهم وارمهم بنار تحرقهم جميعاً فما استم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فأحرقوا جميعاً .

قال وبلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتد عن ضمير السوء واحتمل ثانياً في أمر إلياس فقبض له فئة أخرى مثل عدد أولئك وأقوى منهم وأمكن في الحيلة والرأى فأقبلوا حتى وافوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا ينادون يا نبي الله إنا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسخطه إنا اسنا كالذين أتوك قبلنا أولئك فرقة بافقوا وخالفوا .

فصاروا إليك ليمكروا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم لفتلناهم والآن قد كسفك الله أمرهم وأهلكهم بسوء نياتهم وانتقم لنا ولك منهم .

فلما سمع إيلياس مقاتلهم دعا الله بدعوته الأولى فأمر الله عليهم ناراً فأحرقوا جميعاً عن آخرهم كل ذلك وابن الملك في البلاء الشديد من وجهه كما وعدده الله تعالى على لسان نبيه إيلياس لا يقضى عليه فيموت ولا يخفف عنه من عذابه .

فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانياً ازداد غيظاً إلى غيظه وأزاد ان يخرج في طلب اليباس بنفسه إلا أنه شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحو اليباس المكاتب للمؤمن الذي هو كاتب امرأته رجاء أن يأمن إلهه فينزل معه وأظهر المكاتب أنه لا يريد بإيلياس سوءاً ولا مكروها وإنما أظهر له ذلك لما طلع عليه من إيمانه .

وكان الملك مع اطلاعه على إيمانه مغضباً عنه لما هو عليه من الكفاية والأمانة والحكمة وسداد الرأي والبصيرة بالأمور .

فأوحى الله تعالى إلى اليباس أن كل ما جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وأن لا يجب أن أخبرته رسلك لأنك لقيت هذا الرجل ولم يأت بك إلهية فإنه يتهمه ويعرف أنه قد داهن في أمرك ولم يأمن أن يقتله فانطلق معه فإن الطلاق معه عذرة وبرائة عند لا يجب وإن شغله عنك وأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فإذا مات هو فارجع أنت ولا تقم عنده قال فانطلق إيلياس معهم حتى قدموا على لا يجب فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه الوجع وأخذ الموت بكظمه فشغل الله بذلك لا يجب وأصحابه عن اليباس ورجع اليباس سالماً إلى مكانه .

فلما مات ابن لاجب وفرغوا من أمره قد جرحه انتبه لإلياس وسأل عنه
المكاتب المؤمن الذي جاء فقال له ليس لي به علم وذلك أنه قد شغلني عنه موت
ابنك والجرح عليه ولم أكن أحسبك إلا قد استوثقت منه فأطرق عنه لاجب
وترد لما كان به من الحزن على ابنه .

فلما طال الأمر على إلياس من المسكن في الجبل والمقام به واشتاق إلى
العمران والناس فنزل من الجبل وانطلق حتى نزل بأمرأة من بني إسرائيل وهي
أم يونس بن متى ذى النون فاستخفي عندها ستة أشهر ويونس ابنها يومئذ مولود
رضيع وكانت م يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تندخر عنه
كرامة تقدر عليها .

قال ثم إن إلياس عليه السلام سم ضيق البيوت بعد قعوده في الجبال وأوحشها
فأحب اللحق في الجبال فعاد إلى مكانه في الجبال فجرت أم يونس لمرافقه وأوحشها
فقده ثم لم يلبث إلا قليلاً حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها
فخرجت في طلب إلياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه ووجدته
فسلمت عليه وقالت له إنى فجعت بعدك بموت ابني وعظمت به مصيبتى واشتد
لفقدته بلائى وليس لي ولد غيره فأرحمنى وادع ربك تعالى أن يحيى لي ابني ويحجب
مصيبتى فإنى قد تركته مسجى لم أدفنه وقد خفيت مكانه .

فقال لها إلياس عليه السلام ليس هذا مما أمرت به وإنما أنا عبد مأمور أعمل
بما أمرني ربي به ولم يأمرني بهذا فجرت المرأة وتضرعت فعظف الله قلب إلياس
عليها فقال لها وهى مات ابنك ؟ فقالت منذ سبعة أيام .

فانطلق إلياس عليه السلام معها وسار سبعة أيام حتى أتى إلى منزلها فوجد
ابنها يونس ميتاً منذ أربعة عشر يوماً فتوضأ إلياس وصلى ودعا فأحيا الله يونس
ابن متى فلما عاش وجلس وثب إلياس وانصرف وتركه وعاد إلى موضعه

قال ، فلما طال عصيان قومه ضاق إلياس بذلك ذرعاً وأجهد به البلاء فأوحى الله إليه بعد سبع سنين وهو خائف مذعور بمجود يا إلياس ما هذا الحزن والجزع الذى أنت فيه أأنت أمين على وحي وحجتى فى أرضى وصفوتى من خلقى فأسألك أعظمك فإنى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم .

قال إلياس عليه السلام : تميمتى وتلحقتى بأبائى فإنى قد مللت بنى إسرائيل وملونى وأبغضتهم فيك وأبغضونى ، فأوحى الله إليه يا إلياس ما هذا اليوم الذى عرى منك الأرض وأهلها وإنما قوامها وصلاحتها بك وأشباهك ولكن سألنى أعطك قال إلياس : فإن لم تمتنى يا إلهى فأعطى ثأرى من بنى إسرائيل .

فأوحى الله تعالى إليه فأى شئ تريد أن أعطيك يا إلياس قال ممكننى من خزائن السماء سبع سنين فلا تثنى عليهم سحابة إلا بدعوتى ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة إلا بشفاعتى فإنهم لا يذلم إلا ذلك قال الله تعالى يا إلياس أنا أرحم بعبادى من ذلك وإن كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك ، وإن كانوا ظالمين قال خمس سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين قال فأربع سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وإن كانوا ظالمين ولكن أعطيك ثأرك منهم ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ولا أشعر عليهم سحابة إلا بدعوتك ولا أنزل عليهم قطرة إلا بشفاعتك قال إلياس فأى شئ أعيش ؟

قال أسخر لك جيشاً من الطير تنقل اليك طعامك وشرا بك من الريف والأرض التى لم تقبض قال إلياس قد رضيت فأمسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشى والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهداً شديداً وإلياس على حاله مختلف من قومه بموضع يذساق له فيه الرزق ويأنيه حيثما كان وقد عرفه بذلك قومه ؟ فكانوا إذا وجدوا ريح الخبز فى بيت قالوا لقد دخل إلياس هذا المكان فيطالبونه ويلقى منهم أهل ذلك المكان شراً .

قال ابن عباس ، أصاب بني إسرائيل القحط ثلاث سنين متواليات فرأى إيلياس
يهجرون فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل فجاءته
شيء من الدقيق والزيت فدعا فيهما بالبركة ومسمما فبارك الله في ذلك حتى ملأت
سراجهما دقيقاً وملأت خوابيها زينة فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عندما قالوا لها
من أين لك هذا ؟ قالت مرني رجل من حالة كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه
وقالوا لها ذلك إيلياس ثم إنهم طلبوه فوجدوه فحرب منهم إلى الجبال والله أعلم .

(قصة اليسع عليه السلام)

ويروى أن إيلياس أتى إلى بيت امرأة من بني إسرائيل لها ابن يسمى اليسع
ابن أخطوب وكان به ضر فآثرته وأخفت أسرته فدعا له فعوفي من الضر الذي كان
به واتبع اليسع إيلياس وآمن به وصدقته ولزمه فساكن يذهب معه حيثما ذهب .

وكان إيلياس قد أسن وكبر وكان اليسع غلاماً شاباً ثم إن الله تعالى أوحى إلى
إيلياس عليه السلام إنك أهلكك كثير من الخلق ممن لم يهتدوا سوى بني
إسرائيل من البهائم والدواب والحوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بني
إسرائيل فيزعمون والله أعلم أن إيلياس قال يارب دعني أكون الذي أدعوا لهم
وآتيهم بالفرج ما هم فيه من البلاء الذي أصابهم لعلمهم يرجعون عما هم عليه من
عبادة غيرك فقبل له نعم فجاء إيلياس إلى بني إسرائيل وقال لهم ويلكم إنكم قد
هلكتم جوعاً وجهداً وهلكت البهائم والدواب والطيور والشجر والنبات بحبس
المطر عنكم بخطاياكم ولأنكم على باطل وغرور فإن كنتم تهتدون أن تعملوا أن
أصنامكم التي تدعونها من دون الله لن تنقذ عنكم شيئاً فاخرجوا بأصنامكم هذه فإن
استجابات لكم فذلك كما تقولون وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل وغرور فزعتم
عنها ودعوت الله تعالى أن يفرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنهضت فخرجوا
ومعهم أوثانهم فدعواها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء .

فقالوا يا الياس إنا هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياس و معه اليسع عليهم السلام بالفرج مما هم فيه وأن يسقوا بخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون إليها فأقبلت نحوهم وطبقت عليهم الأفق ثم أرسل الله عليهم المطر فأغاثتهم وأحيت بلادهم .

قالوا فشهكوا إلى الياس هدم الجدران وعدم البذر ، وقالوا ليست لنا حبوب . فأوحى الله تعالى إليه أن يأمرهم بأن يبذروا الرمل فأنت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله تعالى عنهم الخضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالهم وأقاموا على أخبت ما كانوا عليه .

فلما رأى الياس ذلك دعا ربه أن يرسله عليهم فقبل له انتظار يوم كذا وكذا فأخرج لى موضع كذا كذا فإذا جاءك شيء فاركبه ولا تبعه فخرج الياس و معه اليسع بن أخطوب حتى إذا كان بالموضع الذى أمر بالخروج إليه أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرنى به فقذف إليه كساءه من الجو الأعلى فكان ذلك علامة على استخلافه إياه على بنى إسرائيل وذهب الياس وكان ذلك آخر العهد به .

ونبأ الله تعالى بفضله اليسع عليه السلام وبعثه نبياً ورسولاً إلى بنى إسرائيل وكانوا يعظمونه ويقتنون إلى رأيه وأمره وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقم اليسع .

أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن أبى داود قال : إن الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببית المقدس ويوافيان الموسم فى كل عام .

وأخبرنى ابن فتحويه عن رجل من أهل عقلا أن كان يمشى بالأردن عند نصف النهار فرأى رجلاً فقال يا عبد الله من أنت ؟ فقال أنا إلياس قال فوقعت

على رعدة شديدة فقلت له ادع الله أن يرفع عني ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل
عنك قال قد دعا لي بئان دعوات وهن : يا رب يا رحيم يا منان يا حنان يا حي
يا قيوم ودعوتين بالسرائية لم أفهمهما - وقيل هما باهيا شراهما فرفع الله عن
ما كنت أبعد ووضع كفه بين كفتي فوجدت بردها بين يدي فقلت له أيوحى
إليك اليوم ؟ فقال منذ بعث محمد ﷺ رسولاً فإنه لا يوحى لي ، قال فقلت له كم
من الأنبياء اليوم أسياء ؟ قال أربعة لائذان في الأرض ولئذان في السماء أما اللذان
في السماء فعيسى وإدريس عليهما السلام - وأما اللذان في الأرض فالناس والحضر
عليهما السلام .

قلت كم الأبدال ؟ قال ستون رجلاً خمسون منهم من لدن عرش مصر إلى
شاطئ الفرات ورجلان بالصبصة ورجلان بمسقلان وسبعة في سائر البلدان كلها
أذهب الله واحداً منهم جاء بآخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاد وبهم يمحطرون
قلت فالخضر اين يكون ؟ قال في جزائر البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت أين
قال بالموسم قلت فما يكون حديثك ؟ قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره .

قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحنك وبين أهل الشام القتال قلت
فما تقول في مروان ابن الحنك ؟ قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول
والشاهد في النار قلت : فأني قد شهدت ولم أطمع برح ولا رحمت بسهم ولم أضرب
بسيف وأنا أستغفر الله من ذلك المقام أن أدعو إلى مثله أبداً قال أحسنت
فهم كذا تمكون .

قال فبينما أنا وإياه قاعدان إذا وضع بين يديه رغيمة أشد بياضاً من الثلج
فأكلت أنا وهو رغيمة وبعض الآخر ثم رفعت رأسي وقد رفح باقي الرغيمة الآخر
فأريت أحداً وضعه وأريت أحداً رفعه ؛ قال وله نقاة ترعى في وادي الأردن
تفرع رأسه إليها فلما دعاها جاءت ويركت بين يديه فركبها فقلت له إني أريد أن

أصبحك قال ولما نك لا تقدر على صحبتي قال فقلت له إني خلو لازوجتي ولا عيال .
قال تزوج وإياك والنساء الأربع الناشرة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج .
مابدا لك من النساء قال فقلت إني أحب أن ألقاك قال فإذا ، أيتنى فقد لقيتني إني .
أعتسكف في بيت المقدس في شهر رمضان ثم حالت بيني وبينه شجرة فولله ما أدري .
كيف ذهب وهذه آخر القصة .

(مجلس في قصة ذى السكفل عليه السلام)

قال الله تعالى (وإسماعيل وإدريس وذا السكفل كل من الصابرين) قال بجاهد
لما كبر اليسع قال : لو إني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى
أنظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يكفل لي بثلاث استخلفته يصوم النهار
ويقوم الليل ولا يغضب ، فقام إليه رجل شاب تزدريه العيون فقال أنا فردّه
ذلك اليوم وقال مشلها في اليوم الثمانى فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال : أنا
أعمل ذلك فاستخلفه .

قال فلما رأى إبليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم فقال
دعوني وإياه فأثاه في صورة شيخ كبير فقير حين أخذ مضجعه للقائه وكان لا ينام
بالليل والنهار إلا تلك النومة فدق إبليس الباب فقال من هذا ؟ فقال شيخ كبير
مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول أنا بنى وبين قومي خصومة
ولهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهب .
للقائلة فقال له إذا رحت فإنى آخذ لك بحقك فانطلق وراح إلى مجلسه فلما جلس
جعل ينظر ليرى الشيخ فلم يره وقام يتبعه .

فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينظره فلم يره فلما رجع إلى القائلة وأخذ
مضجعه أثاه فدق الباب فقال من هذا ؟ فقال أنا الشيخ المظلوم ففتح له ؛ وقال .
ألم أقل لك إذا قعدت فأتني فقال لمنهم أخبرت قوم إذا عرفوا إنك قاعد يقولون .
نحن نعطيك حقك وإذا قتت جحدوني قال فانطلق فإذا رحت فأتني وفاته القائلة .

فراح وأقبل وجعل ينظره فلا يراه فشق عليه الناس فقال ابعض أهله لا تدعى أحداً يقرب هذا الباب حتى أقوم فإنه قد شق على عدم النوم .

فلما كانت الساعة جاء فلم يأذن له أحد فلما أعياه نظر فإذا كوة في البيت فتسور منها فإذا هو في البيت وإذا به يدق الباب من الداخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان ألم أمرك أن لا تأذن لأحد على فقال أما من قبلي فما أتى فالنظر من قبل من أتى ، فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه وإذا الشيخ معه في البيت فقال له ؛ أتنام والخصوم يبوابك فمر فله فقال له يا عدو الله ما ألجأك إلى هذه الفعلة؟ فقال له إنك أعيتيتني في كل شيء أردت بك ففعلت بك ما ترى لأغضبك فعصمتك الله مني فسمى ذا السكفل لأنه تسكفل بأمر فوفى به .

أخبرنا ابن فتحويه ، قال حدثنا عمر بن الفضل عن أبي هاشم أخبرنا ابن الفضل قال أخبرنا الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الداري عن سعيد بن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يحدث حديثاً لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين لم أحدث . سمعته منه أكثر من سبع مرات يقول (كان في بني إسرائيل رجل يقال له ذا السكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن تعطيه نفسها فلما قعدت منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت فقال لها ما يبكيك فقالت من هذا الفعل فأني ما فعلته قط ، فقال لها أكرهتك ؟ قالت لا ولكني حملتني عليه الحاجة فقال لها اذهبي فبى لك) .

ثم إنه قال والله لا أعصى الله بعد ما قط أبدأ فوات من ليائه فقيل مات ذوالسكفل فوجدوا باباً دونه مكتوباً (إن الله تعالى قد غفر لذي السكفل)

وقال أبو موسى الأشعري : إن ذا السكفل لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً تسكفل به رجل صالح وكان يصلي لله تعالى في كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عليه النساء ، وقيل هو إيلياس ؛ وقيل هو زكريا والله اعلم بالصواب .

(مجماس في قصة عيل وشمويل وهو إسماعيل بالعبرانية وقصة التابوت)
وخبير طالوت وجمالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على أبواب كثيرة ؛

قال الله تعالى (ألم تر إلى الملاء من بنى إسرائيل) الآية

(فصل في سياق ومقدمة القصة) قال وهب بن منبه ؛ لما نبأ الله تعالى اليسع بعد الياس عاينهما السلام واستخلفه على بنى إسرائيل وكان فيهم ما شاء الله أن يكون ثم قبضه الله تعالى إليه وخلف فيهم الخلوفا وعظمت فيهم الخطايا ؛ وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر ، فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت ويرحفون به معهم إلا هزم الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد بارك لهم في أرزاقهم فسكان أحدهم فيما يذكرون يسمع التراب على صخرة ثم يهذر فيه الحطب فيخرج الله ما يأكل منه هو وعياله ويكون لأحدهم الزيتون فيعصر منها ما يأكل هو وعياله سنة

فلما كثرت أحداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا عبد الله اليهم ساط الله عليهم العما لفة وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين وكان جالوت المالك فيهم فظفروا على بنو إسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثير من ذرائعهم وأسروا من أبناء ماو كهم أربعمائة وأربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توارثهم وبقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من خالهم يتجادون أحياناً في غيهم وضلالهم فسلب الله تعالى عليهم من ينقسم له منهم ليرجعوا إلى التوبة أحياناً ويكفيهم الله شر من بنى عليهم حتى بهت الله فيهم طالوت ملكا ورد عليهم توارثهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون التي آل أمر بنى إسرائيل في إلى السلاطنة منهم وفي بعضهم

إلى غيرهم من يقرهم ويتملك عليهم إلى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة إليهم .
بشمويل النبي عليه السلام أربعائة وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة
رجل يقال له إيلاف وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلي الكاهن
كان حبرهم وصاحب قربانهم وكان ينتهون إلى رأيه فلما مضى مضى من وقت قيام
بأمرهم مدة بعث الله شمويل نبياً .

(القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبيتنا وعليه وسلم)

قال وهب بن منبه - كان لآلئ شمويل امرأتان أحدهما عجوز عاقرة لم تلد له
ولداً وهي أم شمويل ؛ والآخرى قد ولدت له عشرة أولاد .

قال وكان لبنى إسرائيل عيد من أعيادهم أقاموا فيه شرائطه وقربوا القرابين
فخضر أبو شمويل وامرأتان وأولاده العشرة ذلك العيد .

فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيباً وكان لأم الأولاد عشرة أنصباء
وللعجوز نصيب واحد ؛ فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد
والبغى ، فقالت أم الأولاد للعجوز الحمد لله الذي كثر لي بولدي وقلبك فوجعت
العجوز وجوماً شديداً ، فلما كان عند السحر عمدت إلى متعبدها فقالت ؛ اللهم
بعلمك وسمك كانت مقالة صاحبتي واستطالتها على بنعمك التي أنعمتها عليهما وأنت
ابتدأتها بالنعمة والإحسان فأرحم ضعفي وارزقني ولداً تقياً راضياً واجعله لي
ولك ذخراً في مسجدك يعبدك ولا يكفرك ويطيعك ولا يحمدك فإذا
رحمت ضعفي ومسكني وأجبت دعوتي فأجعل لي علامة أعرف بها قبول دعائي
فلما أصبحت حاضت وكان قبل ذلك يئست من الحيض فجعله الله علامة لما
سألته فآلم بها زوجها فحملت وكنت أمرها ولقي بنو إسرائيل في ذلك الوقت
من عدوهم بلاداً وشدة ولم يكن لهم نبي يدير أمرهم فكانوا يسألون الله تعالى أن
يبعث لهم نبياً يشير عليهم ويجاهدو عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم

يبقى منه إلا تلك المرأة الحبيلى ، فلما علموا بحملها تهيجوا من أمرها ، وقالوا حملت إلا نبي ؛ لأن اليائسات لا يحمن إلا الأنبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت بإسحاق وإشاع امرأة زكريا حملت يحيى عليه السلام فأخذوها وحبسوها فى بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بنى إسرائيل فى ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها ولداً ذكراً فولدت غلاماً وسمته شمويل نقول سمح الله دعائى فلما شب الغلام أسلمته ليعلم التوراة فكملة الشيخ عيل وتبناه .

فلما بلغ الغلام الوقت الذى يبعثه الله فيه نبياً أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم إلى جانب الشيخ ديلى السكاهن وكان لم يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل فقال الشيخ يا شمويل فقال الغلام مرعوباً إلى الشيخ وقال يا أبتاه ادعوتنى فذكره الشيخ أن يقول لا فيفرزع الغلام ، فقال يا بنى ارجع فم فرجع الغلام فنام ثم دعاه جبريل ثانياً فأتته الغلام وقال ادعوتنى يا أبتاه فقال الشيخ ما شأنك ؟ قال أما ادعوتنى ؟ قال لا فقال شمويل فإنى سمعت صوتاً فى البيت وليس فيه غيرنا فقال الشيخ ارجع فتوضأ وصل فإنك أن دعيت بإسمك فأجب وقل لبيك أنا طوعك فأمرنى بما شئت أفعل ما تأمرنى به ففعل ذلك الغلام فنودى ثالثاً ، فقال لبيك أنا طوعك فأمرنى بأمر أفعل ما تأمرنى به فظهر له جبريل عليه السلام ؛ فقال له اذهب إلى قومك فبلغهم رسالة ربك فإن الله سبحانه عز وجل قد بعثك فيهم نبياً وإن الله قد ذراك يوم ذراك للنبوّة ورحم وحده أمك ذلك اليوم الذى تهاجت عليها ضررتها فيه فلا أحد اليوم أشد منها عضداً ولا ملاذاً فانطلق إلى الشيخ عيل فقال له إنك كنت خليفة الله على عباده ودينه فقامت زمانا بأمره كما يكتب به محافظاً على حدوده .

فلما امتدت مدتك ودق عظمك وذهبت قوتك وفنى عمرك وقرب أجلك وصرت أفقر ما يكون إلى الله تعالى ولم تزل فقيراً إليه عطلت الحدود ووجرت بين

لخصوم وعملت بالرشا والمصانعات وأضعفت حكم الحق عن الباطل وأهله
وذل الحق وحزبه وظهر المنكر وخفى المعروف وفشا الكذب وقل الصدق
وما كان الله عاهداً في هذا ولا عليه استخلفك فبئسما ختمت به عملك ؛ والله
لا يحب الخائنين .

قال وهب بن منبه - بعث الله شمويل نبياً فلبثوا أربعين سنة في أحسن حال
كان من أمر جالوت والعماقة ما كان فسألوا شمويل عليه السلام أن يبعث لهم
ملكاً فذلك قوله تعالى (ألم تر إلى الملائكة من بنى إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا
لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) يعنى شمويل وهو بالبرانية اسماعيل
ابن إلهي بن علقمة بن ماجد بن عموصا بن النهر بن صون بن علقمة صاحب عموصا
ابن عوريا وقال مجاهد هو شمويل بن هلفافا ولم ينسبه أكثر من ذلك .

وقال مقاتل - هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم - هل عيتكم
ان كسب عليكم القتال ألا تقاتلوا فأجابوا بما قص الله في كتابه (قالوا وما لنا
ألا نقاتل في سبيل الله وقد خرجنا من ديارنا) الآية فلما أخذ شمويل عليهم
الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا .

(ذكر قصة الملك طالوت واثنيان الثابوت وحرب جالوت وما يتعلق به)

قال الله تعالى (وقال لهم نبيهم أن الله قد بعث لكم طالوت ملكا) الآية .

قال المفسرون - أن شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله
سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكاً فأتى بعصا وقرن فيه دهن القوس وقيل له إن
صاحبكم الذي يكون ملكاً طوله طول هذه العصا وانظر إلى القرن الذي فيه الدهن
فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بنى إسرائيل فادهن
به رأسه وملكه عليهم ثم انهم قاموا بأنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها وكان طالوت

وطولها واسمه بالسريانية سادل وبالعبرانية شاول بن قيس بن أفييل بن صارون بن نحورث بن أفييج بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم الخليل عليه السلام وكان رجلاً دباغاً يعمل الآدم .

قال وهب بن منبه (كان يدبغ الجلود) وعكرمة والسدي يقولان كان سقاء يستقي على حمار له من الثيل فضل حماره يخرج في طلبه .

قال وهب بن منبه : بل ضاعت حمر لابن طالوت فأرسله وغلاماً له يطلبانها فترا ببيت شمويل عليه السلام فقال الغلام اطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه ر ليرشدنا ويدعو لنا فيها بخير فقال له نعم فدخل عليه .

فبينما هما عنده يذكران له خبر الحمر إذ نش الدهن في القرن فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طول له فقال له شمويل قرب رأسك إلى فدهنه بدهن القدس ثم قال له . أنت ملك بنى إسرائيل وقد أمرني ربي أن أملكك عليهم فقال طالوت أنا فقال نعم قال أو ما علمت أن سبطي أدنى أسباط بنى إسرائيل قال بل قال أو ما علمت أن أدنى بيت في بنى إسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك الحمر فكان كذلك ثم أن شمويل قال لبنى إسرائيل، أن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً .

قال مجاهد أميراً على الجيش (فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) وإنما قالوا ذلك لأنه كان في بنى إسرائيل سبطان سبط نوبة وسبط مملكة وكان سبط النوبة سبط لاوى بن يعقوب ومنهم موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النوبة ولا من سبط المملكة وإنما كان من سبط بنيامين ابن يعقوب وكانوا عملوا ذنباً عظيماً كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهاراً فغضب الله عليهم ونزع النوبة والمملكة منهم .

قال ابن كيسان وكان طالوت أجمل رجل في بني إسرائيل وأعلمهم (والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم) قالوا فما آية ذلك قال لهم نبيهم إن آية ملكه أن ياتيكم التابوت التابوت الآية


(قصة التابوت وصفته وابتداء أمره إلى انتهائه)

قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار - إن الله تعالى أهبط تابوتاً على آدم عليه السلام من الجنة حين أهبط إلى الأرض فيه صور الانبياء من أولاده وفيه بيوت بعدد الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد ﷺ من ياقوتة حمراء وإذا هو قائم يصلي وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من أمته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن يساره الفاروق وعلى جبهته مكتوب قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم ، ومن ورائه ذو النورين أخذ بحجرته مكتوب على جبهته بار من البررة ومن بين يديه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوب على جبهته هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله وحوله عمومته والخلفاء والنجباء والسيكبة الخضراء أنصار وأنصار رسوله نور حوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا

وكان التابوت نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذي يتخذ منه الامشاط مملوءة بالذهب وكان عند آدم عليه السلام إلى أن مات ثم عند شيث إلى أن مات ثم نوارثه أولاد آدم إلى أن بلغ إلى إبراهيم عليه السلام فلما مات كان عند إسماعيل لأنه أكبر ولده فلما مات إسماعيل كان عنده ولده قيثار فنانعه فيه ولد إسحق وقالوا له إن النبوة صرقت عنكم وليس لكم إلا هذا النور الواحد يعني نور محمد ﷺ فاعطنا التابوت فمكنا يتمتع عليهم ويقول أنه وصية أبي ولا أعطيه لاحد من العالمين

قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فمسر عليه فتخذه فناداه مناد من السماء مهلاً يا قيذار فليس لك إله يفتح هذا التابوت سبيل أنه وصية نبي ولا يفتحه إلا نبي فادفعه إلى ابن عمك يعقوب إسرائيل الله لحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما قرب قيذار صر التابوت صرة سمعها يعقوب عليه السلام فقال لبنيه أقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا نحووه فقام يعقوب وأولاده جميعاً فلما نظر يعقوب إلى قيذار سعى إليه باكياً وقال يا قيذار مالي أرى لوني متغيراً وقوتك ضعيفة أرهقك عدو أم أتيت بمعصية بعد أبيك إسماعيل؟ قال ما أرهقني عدو ولا أتيت بمعصية واسكن أثقل ظهري نور محمد ﷺ فلذلك تغير لوني وضعف ركني .

قال يعقوب أفي بنات إسحق؟ قال لا واسكن في العربية الجرهمية وهي العامرية فقال يعقوب بنح شرفاً لمحمد ﷺ لم يكن الله ليخرجه إلا في العربيات الطاهرات يا قيذار وأنا مبشرك ببشارة قال وما هي؟ قال أعلم أن العامرية ولدت لك البارحة غلاماً قال قيذار وما عليك يا ابن عمي وأنت بأرض الشام وهي بأرض الحرم؟ قال يعقوب قد علمت ذلك لأنني رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر المدور بين السماء والأرض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلت أن ذلك من أجل محمد ﷺ ثم أن قيذار دفع التابوت إلى ابن عمه يعقوب ورجع إلى أهله فوجدوها قد ولدت غلاماً فسماه حملاً وفيه نور محمد ﷺ .

قالوا كان التابوت في بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعاً من متاعه وكان عنده إلى أن مات ، ثم تداولته أنبياء من إسرائيل إلى وقت شمويل عليه السلام فوصل إلى شمويل وقد اكتمل أمر التابوت بما فيه وكان فيه مما ذكر الله في كتابه (فيه سكينتان من ربكم) 

(م ١٩ - قصص الانبياء)

واختلفوا في السكينة ما هي فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ؛ السكينة ربح خجوج هفاقة لها رأسان ووجهان كوجه الإنسان .

وقال بجاهد لها رأس كراس الهرة وذنب وجناحان .

وقال محمد بن إسحق بن وهب بن منبه عن بعض علماء بني إسرائيل في السكينة رأس هرة وكانت إذا صرخت في التابوت صرخة أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح .

وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال ؛ هي طست من ذهب الجنة يغسل فيه قلوب الأنبياء .

وكانت قصة ذلك التابوت أن القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها أردن وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الأعظم فأصبحوا من الغد وإذا الصنم تحته فأخذوه وجعلوه فوقه وسعروا قدمي الصنم على التابوت فأصبحوا من الغد وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت فأصبحت الأصنام كلها منكسة فأخرجوه من بيت الأصنام ووضعوه في مكان قريب بقرية في ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع في أعناقهم حتى ملك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم أن هذا التابوت لا يقوم له شيء فأخرجوه من مدينتكم قال فأخرجوا إلى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك القرية فأرا بيت الرجل صحيحاً فيقرضه الفار فيصبح ميتاً وقد أكلت مافي جوفه فأخرجوه منها إلى الصحراء ودفنوه في مجرى لهم فكان كل من تبرز هناك أخذ الباسور والقولنج فأخرجوه ووضعوه في بيت فككت فيه عشرين وسبعة أشهر لا يدنو أحد منه إلا احترق وأصابهم في المدينة الآفات والعاهات وفي مواضعهم الموت وفي نساءهم الطاعون فتحيروا وكانت عندهم امرأة من بني إسرائيل من أولاد الأنبياء فقالت إنكم لاتزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فاتوا بمجلة بإشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم علقوها

على ثورين وضربوا جنوبيهما فأقبل الثوران يسيران ووكل بها أربعة من الملائكة يسرفونها فلم يمر التابوت بأرض إلا كانت مقدسة فأقبلوا حتى وقفا على أرض فيها حصاد ابني إسرائيل فكسمر برئتتهما وقطع حبا لهما ووضع التابوت فيها ورجع الثوران إلى أرضهما فلم تدرك بنو إسرائيل إلا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى (تحملة الملائكة) أى نسوقه الملائكة.

وقال ابن عباس : جهات الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعت في دار طالوت فأقروا بملكه قال الله تعالى (إن في ذلك لآية لکم إن کستم مؤمنین) قال ابن عباس : أن التابوت وعصا موسى فى بحيرة طبرية وأنهما يخرجان قبل القيامة والله أعلم .

(باب فى قصة شمويل حين أوحى اليه أن يأمر طالوت بالمسير إلى قتال جالوت)
(مع بنى إسرائيل وصفة نهر الابتلاء)

قال الله تعالى (فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر) الآية .

قال فلما أوحى الله إلى شمويل عليه السلام أن يأمر طالوت بالمسير إلى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه إلا كبيرهم أو مريض لمرضه أو ضربه لضره أو معذور لعذره ، وذلك لأنهم لما رأوا التابوت قالوا قد أتانا التابوت وهو نصر لملك فيه ، فسارعوا إلى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لى فيما أرى لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ؛ ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بأمرأة ولم يدخل بها ولا يتبعنى إلا الشباب النشط الفارغ فاجتمع ثمانون ألفا على شرطه فخرج بهم وكان فى حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم وبين هدومهم ، وقالوا أن المياه لا تحملنا فادع الله تعالى أن يجري لنا نهر ، فقال لهم طالوت بأمر شمويل عليه السلام أن الله مبتليكم بنهر ، مخترع كما يرى طاعتكم وهو أهمل بكم وهو نهر بين الأردن وبين فلسطين عذب يقال له آدمى فمن شرب منه فليس

منى ، أى من أهل دينى وطاعتى ، ومن لم يطعمه ، لم يشربه ، فإنه منى ، ثم استثنى فقال : إلا من اغترف بيده ، وهو ملء الكف ومن فتح القين أراد المرة الواحدة فشربوا منه إلا قليلا منهم .

قال السدى : كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلثمائة وبضع عشر رجلا

وهو الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال : قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر : أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبروا النهر وما جاوز معه إلا مؤمن ، قال وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فن اغترف غرفة بيده كما أمر الله تعالى قوى قلبه وصح ورجع إيمانه وعبر النهر سالماً وكفنه تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودرا به ، والذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى أسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شاطئ النهر وجبنوا على لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح .

فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعنى الذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون أى يعملون ويوقنون أنهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت (لم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) الآية وسروا قاصدين الجهاد

(باب فى ذكر أمر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله)

قال الله تعالى (ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا) إلى قوله تعالى (وقتل داود جالوت) قال المفسرون واخبرون بالفاظ مختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر إيشا أبو داود ومعه ثلاثة عشر إنساً له وكان داود أصغرهم وأحقهم فأنى ذات يوم أباه فقال يا أبتاه ما قذفت قلاعى هذه شيئاً إلا أصابته وصرعته فقال ابشر يا بنى فإن الله قد جعل رزقك فى قذافتك يعنى فى مقلعك ثم قاه يوماً آخر فقال : يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فرأيت سداً رابضاً فركبته

وقبضت بأذنيه فلم يهمني فقبضت على كفيه ففطرتما برأسه وعنقه إلى ليته بيدي من غير مسكين ولا ضرب بحديد وتراه هناك مقتولا فقال له أبوه : أبشر يا بني فإن هذا خيرا أعطاك الله .

ثم أتاه يوماً آخر وقال يا أبتاه : إني لأمشي بين الجبال فأصبح فإبقي جبل إلا أصبح معي ، قال أبشر يا بني فإن هذا خيرا أعطاك الله وسيكون لك شأن عظيم . قال فلما وصلت غزاة بني إسرائيل مع طالوت إلى عسكر جالوت أرسل جالوت إلى طالوت ان ابرز إلى أو أبرز إلى من يقاتلني ؛ فإن قتلتني فلكم ملكي وإن قتلتني فلي ملككم فشقى ذلك على طالوت فنأدى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكتي فهاب الناس قتال جالوت فلم يجبه أحد .

فسأل طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى في ذلك فأتى بقرن فيه دهن المقدس ويشبه تنور من حديد وقيل له أن الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيخلى الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون عن رأسه كهيئة الإكليل ويدخل في هذا التنور فيملأه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت أشداه بني إسرائيل وأقوياءهم فخرجهم فلم يوافقهم منهم أحد .

فأوحى الله إلى شمويل عليه السلام إن في ولد إيشا من يقتل جالوت وإني أريد أن أجعله خليفة في الأرض من بعدك أعلمه فصل الخطاب وهو راعي الغنم فقتل لإيشا يعرض عليك بذبه واحداً واحداً فدعا لإيشا وقال له اعرض علي بذبك فأخرج له اثنا عشر ولداً أمثال السوارع وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلا يرى شيئاً فقال له لذلك الجسم أرجع فيردده على التنور فأوحى الله تعالى إليه أما لا تأخذ الرجال على صورهم ولست أكنأ تأخذهم على صلاحهم وقلوبهم فقال لإيشا : بل بقي لك ولد غيرهم ؟ قال لا ، قال شمويل : رب قد زعم أنه له ولد غيرهم فقال كذب ، فقال شمويل يا إيشا إن ربي كذبك قال صدق الله يا بني الله إن لي ابناً صغيراً يقال له داود استحييت أن يراه الناس أقصر قامته وحقارته

وخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا ، وكان داود عليه السلام قصيراً
سقيماً مصفراً أذرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج اليه فوجد الوادي قد حال
بالماء بينه وبين الزريبة التي كان يتروح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين يعبر
بهما السيل ولا يخوض بهما الماء .

فلما رآه شمويل قال ، هذا هو لاشك فيه هذا يرحم البهائم فهو أرحم بالناس
فدعاه فوضع القرن على رأسه ففاض وأجلسه في التنور فغلاه .

فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك لبنتي وأجري
حكمتك في مملكتي قال نعم ، قال فهل لقيت من نفسك شيئاً تنقوى به على قتله
قال نعم أنا راعى الغنم فيجئني الأسد والنمر والذئب ليأخذ شيئاً فأقوم إليه وأقبضه
وأفتح لحبيه عنها واحرقها إلى قفاه ؛ فلما سمع طالوت منه ذلك رده إلى عسكره
فر داود عليه السلام في الطريق بحجر فناداه يا داود احملني فأبى حجر هارون الذي
قتل به ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته . ب

ثم مر بحجر آخر فناداه يا داود احملني فأبى حجر موسى عليه السلام الذي
قتل به ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته .

ثم مر بحجر آخر فقال احملني فأبى حجر الذي تقتل به جالوت وقد خبأني
الله لك فوضته في مخلاته ؛ فلما تصافوا للقتال برز جالوت وسأل المبارزة فانتدب له
داود وكان طالوت أعطاء فرسا ودرعاً وسلاحاً فرس ولبس السلاح وسار
قليلاً فوجد في نفسه زهواً فأنصرف وعاد سريعاً إلى الملك فقال من حو له حجر الغلام
فجاء حتى وقف على الملك فقال له ما شأنك ؟ فقال له داود أن الله تعالى لم ينصرني
فا يغني عني هذا السلاح شيئاً فدعني أقاتل كما أريد ؛ فقال طالوت أفعل ما تريد .

فأخذ داود عليه السلام مخلاته فقتلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت
وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضا
وزنها ثلثمائة رطل حديد وكان له فرس أبلق مثله في الشدة والقوة وعظم الخلق .

فلما برز جالوت إلى داود ألقى الله تعالى في قلبه الرعب فقال له أنت تبرز إلى ، قال نعم وكان جالوت راكباً على فرس أبلق وعليه السلاح النمام فقال له يا بني تأتيني بالحجر بالمقلاع كما يؤتى الكلب بالحجر؛ قال نعم أنت أشر من الكلب قال لا جرم لأقسم لحك بن سباع الأرض وطير السماء فقال داود باسم الله ويقسم الله لحك بن سباع وطير السماء وأخذ حجراً منها وقال باسم إله إبراهيم ووضعه في مقلاعه ثم أخرج ثانياً وقال باسم الله إله إسحق ووضعه في مقلاعه ثم خرج ثالثاً وقال باسم الله إله يعقوب ووضعه في مقلاعه .

قال فصار له الأحجار الثلاثة كلها حجراً واحداً وأدار المقلاع ورمى به فسمخر الله الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه أو قتل من ورثته ثلاثين رجلاً .

ويقال إنه من بعد ما خرج من قفاه تسكمر وتفتت بإذن الله تعالى حتى هم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم أحد إلا وقد أصابته منه قطعة ومثل ذلك صاع كرامة للنبي ﷺ يوم بدر حين حشا الحشوة من التراب فانهمز الجيش وخر جالوت قتيلاً وأسرع داود عليه السلام إليه فحز رأسه واتزع من يده خاتمه وأقبل برأسه يجره حتى ألقاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحاً شديداً وانصرفوا إلى مدینتهم سالمين غانمين بحمد الله رب العالمين .

(ذكر بقية قصة طالوت وما كان من داود عليه السلام بعد قتل جالوت)
قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم في أنفسهم ؛ فجاء داود إلى طالوت وقال له : انجز إلى ما وعدتني واعطني امرأتی فقال له طالوت : أتريد ابنة الملك بغير صداق يجعل صداق ابنتي وشانك بها . فقال داود اطالوت . ما شرطت على صداقاً وليس لي شيء فتحكم في الصداق بما تريد وأقرضني مهرها وعلى الأداء والوفاء لك به ؛ فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو إسرائيل لا نطلمه وأنجز ما وعدته ، فلما رأى طالوت ميل بني إسرائيل إلى داود أحسن ثناءه عليه وقال : لا حاجة لابنتي في المال ولا أكلفك مالا تطيق

أنت رجل جريء وفي جبالنا أعداء من المشركين فانطلق فجاهدهم فإذا قتل منهم ما أتى رجل وجثتي برءوسهم روجنك ابتلى .

فأتاهم داود عليه السلام وجعل كلما اقترب منه رجلاً احتز رأسه ونظمه في خيط حتى نظم رؤوسهم ثم جاء بهم إلى طالوت وألقاهم بين يديه وقال له . ادفع لي امرأتى فزوجه امرأته وأجرى خاتمه في ماسكه قال الناس إلى داود عليه السلام وأحبه بنو إسرائيل وأكثروا من ذكره فوجد طالوت من ذلك في نفسه فأراد قتله .

قال وهب بن منبه : كان الأنبياء والملوك يومئذ يتوكفون على العصي ويفرزون في أطراف العصي أزبجة من حديد وكان داود عليه السلام جالساً في ناحية البيت فدخل طالوت فرماه بالعصى بغتة ليقظه فلما أحس داود بذلك حاد عن رميته وأمال نفسه من غير أن يبرج مكانه فارتسكت مكازة في الجدار فقال له داود ؛ أردت قتلي قال له طالوت لا بل أردت أن ألق على يمينك عند الطماز وربط جاسك للأقران ، فقال له داود عليه السلام أفلق يمينه على ما قدرته في ؟ قال نعم ولا يكس لك فرعت ، قال معاذ الله أن أخاف إلا الله ولا أجال إلا إليه لا يدفع الشر إلا هو

ثم أن داود انتزعها من الجدر وهزها هزة النكرة ؛ وقال له اثبت لي كما ثبت لك فأيقن طالوت بالهلاك فقال له ، أنشدك بالله وبحرمة البصاهرة التي بيني وبينك ولا كان هذا القول من داود عن قصد قتل طالوت ولا يكن كان مقال تخويف وتحذير ؛ فقال داود لطالوت : إن الله قد كتب في التوراة جزاء السيئة سيئة مثلها واحدة والبادى أظلم .

قال طالوت : أفلا تقول قولها بيل (لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بساط يدى إليك لأقتلك) إني أخاف الله رب العالمين فقال داود قد عفوت عنك لوجه الله تعالى .

فلبث طالوت زماناً يريد قتل داود عليه السلام فعزم على أن يأتيه ويقتله في داره فأخبرت بذلك بنت طالوت زوجة داود أخبرها رجل يقال ذو العينين فقالت له

لداود إنك المقتول الليلة قال ومن يقتلني ؟ قالت أبي قال وهل أجرت جرماً ؟ قالت حدثني من لا يكذب ولا عليك بأس أن تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال أين كان أراد ذلك لا يستطيع خروجاً ولكن لأتني بزق من خمر فأنته به فوضعتنه في مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير ؟

قال فدخل طالوت نصف الليل وأراد أن يقتل داود فلم يجده فقال لابنته أين بهلك ؟ فقالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف فسال الحمر فلما وجد ريح الحمر قال رحم الله داود ما كان أكثُر شربه للخمر وخروج فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيئاً فقال لمن رجلاً طالبت منه ما طلبت لخليق أن لا يدعي حتى يدرك ثأره مني ؛ ثم أنه استتر بحجابه وحراسه وأغلق دونه الأبواب .

قال فأتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب وفتح الله له الأبواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهماً عند رأسه وسهماً عند رجليه وسهماً عن يمينه وسهماً عن شماله ثم خرج .

فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرفها فقال ؛ رحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكشف عني لو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما أنا بالذي آمنه

ووضع الله في قلب طالوت النوبة فندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي ويتأذى أشد الله عبداً يعلم لى توبة إلا أخبرني بها فلما كثر عليهم بكاء ناداه مناد من القبور يا طالوت أما ترضى إنك قتلنا أحياء حتى تؤذينا أمواتاً فازداد حزنأ وبكاء فرحم الحبايز وقال له مالك أيها الملك ، فقال له هل تعلم في الأرض عالماً أسأله هل لى من توبة فقال له الحبايز أيها الملك هل تدري ما مثلك ؟ قال لا ، قال ما مثلك إلا كمثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه ؛ فقال لا تركوا في هذه القرية ديكاً إلا ذبحتموه فلما أراد أن ينام قال لأصحابه إذا صاح الديك فأيقظونا حتى ندلج فقبل له وهل تركت ديكاً يسمع صوته ؛ وأنت هل تركت عالماً في الأرض فازداد حزنأ وبكاء

فلما رأى الخباز ذلك ، قال أرأيت إن دلتك على عالم لملك تقتله قال لا فتوثق منه الخباز بالإيمان فأخبره أن المرأة العالمة عنده ، فقال له انطلق بنا إليها أسألك هل لي من توبة وكانت تعلم الاسم الأعظم وكان إنما يعلم هذا الاسم أهل بيت لها فنيت رجالهم وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب ، قال له الخباز إنها إن رأتك فرعت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال : لست أعظم الناس عليك منه أجيبتك من القتل وأوثقتك عندي ؟ قالت بل ، قال ليك حاجة هذا طالوت يسأل هل له من توبة ؟ فلما سمعت بكراهة غشى عليها من الفرق فلما أفادت قال لها إنه لا يريد قتلك ولكن يسألك هل من توبة ؟ قالت لا والله ماله من توبة .

ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام ، قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا إلى قبره ، فلما وصلوا إليه صلت عنده ركعتين ثم لأنها نادى يا صاحب القبر . فخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن راسه فلما نظر إلى الثلاثة المرأة والخباز والملك ، فقال لهم ، أقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل من توبة ؟ فقال له شمويل ما فعلت يا طالوت بعدى ؟ قال لم أَدع شيئاً من الشر إلا فعلته ، وقد جئت أطلب التوبة .

قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة إلا أن تتخل عن مملكتك وتخرج أمك وولدك تجاهد في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ؛ ثم إنك تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم رجع شمويل عليه السلام إلى القبر فسقط ميتاً ورجع طالوت أحزن ما يكون وخاف أن لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهبت أشعار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم أرأيتم لو دفعتم إلى النار أكنتم تنفذوني قالوا نعم فنقدك بما قدرنا عليه قال فإنها النار إن لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فأعرض علينا مقالك فذكر لهم القصة فقالوا إنك لمقنول بعدنا ؛ قال نعم قالوا لاخير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت فتجز بأولاده إلى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بدمهم فقاتل حتى قتل فجاء قائله إلى داود يبشره بقوله قد قتل عدوك فقال داود ما كنت بالذي يحيا بعده فضرب عنقه .

(مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها)

قال الله تعالى (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) الآية : قالت العلماء بأخبار الأنبياء لما استشهد طالوت أتى بنو إسرائيل أي داود فاعطوه خزنة طالوت وملكوه على أنفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون إلا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل (وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة) الآية .

(باب في ذكر نسبته)

هو داود بن إسماعيل بن عوفيز بن بو عزة بن سلمون بن يحنون بن عيمو ذب بن دم بن حصروم بن بارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين .

(باب في ذكر صفته وحليته)

أخبرني الحسن بن محمد الدينوري بإسناده عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ (زرقه للعينين يمن) وكان داود عليه السلام أزرق العينين أحمر الوجه دقيق الساقين سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية فيها جمودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب نقي .

(باب في ذكر ما خص الله تعالى به داود عليه السلام من الفضل)

(والكرامة حين أعطاه الله النبوة والملك)

فمنها أنه أنزل عليه الزبور بالهبرانية مائة وخمسون سورة ؛ وفي خمسين منها ذكر ما يكون من مختصر وأهل بابل وفي خمسين منها ذكر ما يلقون من الروم من أهل إيران ، وفي خمسين منها موعظة وحكمة ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى (وآتينا داود زبوراً) ومنها الصوت الطيب والنخمة الطيبة اللذيذة والترجيع والألحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين

لحناً بحيث يهرق المحموم ويفيق المغمى عليه ؛ وكان إذا قرأ الزبور برن إلى البرية فيقوم وتقوم معه علماء بنى إسرائيل خلفه وتقوم الفاس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنو الوحوش والسباع ويؤخذ بأعناقها وتظله الطيور مضحية ويركد الماء الجاري ويسكن الريح وما صنعت المزامير والأراغيل والصنوج إلا على صوته ، وذلك أن إبليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال له فاريتك ألا ترون ماذاكم ؟ فقالوا له مرنا بما شئت فقال إنه لا يصرف الناس عن داود إلا ما يضاد ويحاده في مثل حاله . فحيثوا المزامير والميذان والآوتار والملاهي على أجناس أصوات داود فسمعها سقماء الناس فالوا إليها وأغثروا بها .

ويقال إن داود عليه السلام كان إذا قرأ الزبور بعد ما قارف الذنب لا يقف له الماء ولا تصغي له الوحوش ولا البهائم ولا الطيور كما كانت وتفصت نغمته فقال إلهي ما هذا ؟

فأوحى الله تعالى إليه ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية يا داود إن المعصية هي التي غيرت صوتك وحالك ، فقال إلهي أو ليس قد غفرتها لي قال بلى ولسكن ارتفعت الحالة التي بينك من الود والقرب فلن تدركها أبداً .

أخبرنا أبو سعيد بن أحمد بن حمدون عن وهب بن منبه ، قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال خفف الله على داود القرآن فكان يأمر بدأوبه أن تسرج فكان يقرأ القرآن قبل أن أن تسرج دابته وكان لا يأكل إلا من عمل يده . قال الأستاذ الإمام أراد بالقرآن الزبور .

وبالإسناد أخبرنا أبو بكر الجوزقي عن أبي موسى الأشعري قال : قال لي رسول الله ﷺ (لقد أعطيت مزامراً من مزامير آل داود فقلت أما والله يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحميراً) .

وأخبرنا أبو بكر قال أخبرنا أبو العباس باسناد عن البراء بن عازب قال : (سمع النبي ﷺ صوت أبي موسى فقال كان صوت هذا من صوت آل داود)

ومنها تسخير الجبال والطير له يسبحون معه إذا سمح كما قال الله تعالى (ولقد آتينا داود منه فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد) وقوله تعالى (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق)

ويقال إن داود عليه السلام كان إذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال في نفسه أليه من اللبالي لأعبدن الله تعالى عبادة لم يعبد أحد بمثها ، فصعد الجبل فلما كان جوف الليل داخلته وحشة فأوحى الله تعالى إلى الجبال أن أنسى داود فاصطكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهايل فقال داود في نفسه كيف يسمع صوتي مع هذه الأصوات ، فمبط عليه جبريل عليه السلام وأخذ بهضده حتى انتهى به إلى البحر فوكر برجله فانفلق له البحر فأنتمى به إلى الأرض فوكرها برجله فانفجرت له الأرض فأنتمى به إلى الحوت فوكره برجله فأنتمى به إلى الصخرة فوكر الصخرة برجله فانفلقت فخرج منها دودة نذش فقال له جبريل إن ربك يسمع شيش هذه الدودة في هذا الموضع قوله تعالى (يسبحن بالعشى والإشراق) قال المفسرون معنى صلاة الضحى وصلاة الآوابين بين العشاءين .

قال ابن عباس : وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر .

ومنها أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب بالحكمة هي الإصانة في الأمور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعنى على الحكيم والنظر في القضاء كان لا يتتبع في القضاء بين الناس وقال علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه هو البيعة على من ادعى واليمين على من أنكر

قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاء يستردها أنكرها فتمحا كما إلى السلسلة فلم الرجل الذي كانت عنده الجوهرة أن يده لا تنال السلسلة فحمد إلى عكازه فتمرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر معه غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة لمن لي عندك وديعة فقال خصمه ما أعرف

لك وديعة فإن كنت صادقاً فتناول السلسلة فتناولها بيده : ثم قيل للمنكر قم أنت أيضاً فتناولها فقال لصاحب الجوهرة الزم أنت عكازي هذه فاحفظها حتى أتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم إن كنت تعلم أن هذه الوديعة التي يدعيها قد وصلت إليه فقرب مني السلسلة ففد يده فتناولها فتعجب القوم وتكروا فيها فأصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا اشتبه عليه الأمر بين الخصمين اللذين يشعرا كما إليه يقول : ما أحوجكم إلى سلسلة بنى إسرائيل كانت تأخذ بعنق الظالم فتجره إلى الحق جرأ .

ومنها القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى (واذا ذكر عبدنا داود ذا الأيد) يعنى القوة في العبادة إنه أواب يعنى تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً يصوم النهار ويقوم الليل وما أمرت به ساعة من الليل إلا وفيها من آل داود قائم يصلى ولا يوم من الأيام إلا وفيها منهم صائم ومنها قوة المماسكة كما قال الله تعالى (وشددنا ماسكة) أى قويناه وقرأ الحسن وشددنا ماسكة بالتشديد ،

وقال ابن عباس ؛ كان أشد ملوك الأرض سلطاناً وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثمائة وثلاثون ألف رجل وقال السدى كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل . أخبرنا عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس : أن رجلاً من بنى إسرائيل

تعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعوا على داود عليه السلام فقال المعتدى إن هذا قد غصبني بقرتي فسأل داود الرجل عن ذلك فجحد وسأل الآخر البيعة فلم يكن له بيعة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده فأوحى الله تعالى إليه في منامه أن يقتل الرجل الذى تعدى فقال هذه رؤيا وليست أعجل حتى أتبين فأوحى الله تعالى إليه مرة أخرى أن يقتله فقال هذه رؤيا فأوحى الله تعالى إليه مرة ثالثة أن يقتله فأرسل داود إلى الرجل فقال له إن الله تعالى فدأوحى إلى أن امتلك فقال له الرجل قتلنى بغير ذنب ولا بيعة فقال داود: نعم والله لا نفذن أمر الله

فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لا تمجّل على حق أخبرك إني والله ما أخذت بهذا الذنب والسكنى كنت اغتلت ولد هذا فقتلته فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبته بنى لإسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى (وشددنا ملكه) ويقال كان داود إذا جلس للحكم كان على يمينه ألف رجل من الأنبياء وعلى يساره ألف رجل من الأجناد .

ومنها شدة البطش فيروى أنه ما فر ولا انحاز من عدو له قط
ومنها لإلانة الحديد له وكان سبب ذلك ما روى في الأخبار : أن داود عليه السلام لما ملك بنى إسرائيل كان من عادته أن يخرج إلى الناس متنكراً فإذا رأى رجلاً لا يعرفه تقدم إليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليكم هذا أي الرجل هو فيثني عليه ويقول خيراً فيبينما هو كذلك يوماً من الأيام إذ قبض الله له ملكان في صورة الأدميين فلما رآه تقدم داود على عادته فسأله فقال له الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه قراع داود فقال ما هي يا عبد الله ؛ قال أن داود يأكل ويطعم عياله من بيت المال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سبباً يستغنى به عن بيت المال فينق ويطعم عياله فالان له الحديد فصار في يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير إدخال نار ولا ضرب بحديد وعله الله تعالى صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع وهو أبل من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فيقال أنه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف درهم فيأكل كل ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين فذلك قوله تعالى (وعلمناه صنعة لبوس لكم) وقوله تعالى (وألنا له الحديد أن يعمل سبائح) أي دروعاً وكوامل وأساعات (وقدّر في البرد) أي لا يجعل المسامير دقاً فيعلق ولا غلاظاً فتكسر الحلق فيسكن يفعل ذلك حتى أعته من ذلك مالا .

وروى أن لقمان الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعاً فتمعجب من ذلك ولم يدر ما هو فأراد أن يسأله فسكت حتى فرغ داود من نسج الدروع فقام ولبسه وقال نعم القميص هذا للرجل المحارب فعلم لقمان ما يراد به فقال .
الصمت حكمة وقليل فاعله

(باب في قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك)

قال الله تعالى (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم) الآيات

اختلف العلماء بأخبار الأنبياء في سبب امتحان الله تعالى نبيه داود عليه السلام بما امتحنه الله من الخطيئة ، فقال قوم ؛ كان سبب ذلك أنه تمنى يوماً من الأيام على ربه تعالى منزلة آباءه إبراهيم وإسحق ويعقوب وسأله أن يمتحنه بمثل الذي كان يمتحنهم ويعطيه من الفضل مثل الذي أعطاهم فروى السدي والكلبي ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا : كان داود عليه السلام قد قدم الدهر ثلاثة أيام : يوماً يقضى فيه بين الناس ويوماً يخلو فيه بنفسه ، ويوماً لعبادة ربه وقرأة الكتب ، وكانت يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم السلام فيقول يارب أرى الخير قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأوحى الله تعالى إليهم أنهم ابتلوا ببلايا لم تبطل بها أحد فصبروا عليها ؛ ابتلى إبراهيم عليه السلام بنار التمرود وبذبح ولده ؛ وابتلى إسحق بالذبح ؛ وابتلى يعقوب بالحزن وقها بصره على يوسف وإنما لم تبلى بشيء من ذلك

فقال داود عليه السلام يارب فابتلني كما ابتليتهم واعطني كما أعطيتهم فأوحى الله تعالى إليك مبتلي في شهر كذا في يوم كذا فاحترس على الصبر ؛ فلما كان اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابيه وجعل يصلي ويقرأ الزور فبينما هو كذلك إذ جاء الشيطان وتمثل في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه ليأخذها .

وفي بعض الروايات ليدهمها إلى ابن له صغير فلما أهوى إليها طارت غير بعيد من غير أن تمسكته من نفسها فامتد إليها ليأخذها فتفتح فتبعتها فطارت فوقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من السكوة فنظر داود أين تقع فبيعت إليها من يصيدها فنظر إلى امرأة في بستان على شط بركة تغتسل هذا قول الكلبي

وقال السدي : رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أحسن الناس خلقاً فنهجب داود من حسنها وحانت منها النفاة فأبصرت ظل داود عليه السلام فنشرت شعرها فغطى بدنهما كله فزاد بذلك إعجاباً بها فسأل عنها فقيل له هي سابع بنت شائع امرأة أوريا بن حنان وزوجها في غزاة البلقاء مع أيوب بن صوريا بن أخت داود فمكتب داود إلى ابن أخته أيوب صاحب بعثة يلقاه أن ابعت أوريا إلى موضع كذا وكذا وقدمه على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع إلى ورائه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففتح له فمكتب إلى داود بذلك فمكتب إليه داود أيضاً أن ابعتي إلى غزوة كذا وكان رئيسها أشد منه بأساً فبعثه فقتل في المرة الثانية فلما انتقضت عدتها تزوجها داود فهي أم سليمان عليه السلام وقال آخرون : إنما سبب امتحانه أن نفسه حدثته أن يطيق قطع يوم بغير مفارقة سيدة .

وعن الحسن أخبرنا شعيب بن محمد قال إن داود عليه السلام جزأ الدهر أربعة أجزاء : يوماً لنفسائه ويوماً لعبادة ربه ويوماً لقضاء حوائج المسلمين ويوماً لبني إسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ويسألهم ويسألونه . فلما كان يوم بني إسرائيل ذكروا ، فقالوا هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً فأخبر داود في نفسه أنه سيطبق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو يقرأ إذ هو بجحامة من ذهب فيها كل شيء . حسن قد وقفت بين يديه فأهوى إليها ليأخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله في الأرض جعلت جسدها بشعرها فزاده ذلك إعجاباً بها وكان قد بعث زوجها في بعض جيوشه فمكتب إليه أن سر في مكان كذا وكذا مكاناً إذا وصل إليه قتل ولم يرجع ففعل فأصيب بخطفها داود وتزوجها وقال بعضهم في سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن بن محمد إن داود عليه السلام قال لبني إسرائيل حين ملك والله لأعدن فيكم ولم يستثن فابتلى .

وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق : كان سبب ذلك أن داود عليه السلام كان كشير العبادة فأعجب بعمله فقال هل في الأرض أحد يعمل عملي فأناؤه جبريل عليه السلام فقال إن الله تعالى يقول : أعجبت بعبادتك والعجب يأكل العبادة فإن أعجبت ثانياً وكنك إلى نفسك فقال داود يا رب كفى لي نفسي سنة فقال إنها لكشيرة قال فشرأ قال فإنه لكشير قال فأسبوعاً فقال إنه لكشير قال فيوماً قال إنه لكشير قال فساعة قال فشأءك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزهور بين يديه فبينما هو في نسكه وعبادته إذ وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة ما كان قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله تعالى ملكين في صورة رجلين فطلباً أن يدخلوا عليه فوجداه في يوم عبادته فنهما الحراس أن يدخلوا عليه فقتلوا المحراب وهو يصلي فما شعر إلا وهما بين يديه جالسان فذلك قوله تعالى (هل أتاك نبي الخصم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود ففزع منهم) حين هجما عليه في محرابه بغير إذنه (قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أي لا تجر ولا تفرط (واهدنا إلى سواء الصراط) أرشدنا إلى وسط الطريق المستقيم (إن هذا أخى له تسع وتسعون نجمة ولي نجمة واحدة) وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالمعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كشيراً توري عن النساء وتمكنى عنها بألقاب كالطبباء والنماج والبقر وهو كشير فاش في أشعارهم فقال اكفليهما وعزقي في الخطاب .

قال الضحاك اعطينيها وتحول لي عنها واجعلها كملى أي نصيبي وعزني في الخطاب قال الضحاك يقول إن تسكلم كان أفصح منى وإن حارب كان أبطش منى فقال داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) .

قال السدي بإسناده : إن أحدهما لما قال هذا أخى له تسع وتسعون نجمة قال داود للآخر ما تقول ؟ قال إن لي تسعاً وتسعين نجمة وله نجمة واحدة فأريد أن أخذها منه وأكمل نعاجي مائة قال وهو كاره قال نعم ، قال إذا لا ندعك وإن رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا يعني طرف الأنف وأصل الجبهة فقال

الرجل يا داود أنت أحق بضرب هذا مني حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريا إلا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية إلا أن داود حكم قبل أن يسمع كلام الخصم الآخر .

قالوا ثم أن داود نظر فلم ير أحداً فعرف ما قد وقع فيه وذلك قوله تعالى (وطن داود إنما فتناه) أي ابتليناه وقال سعيد بن جبير: إنما كانت فتنة داود بالنظر وقال القائلون بتنزيه المرسلين في هذه القصة: أن لا ذنب إنما كان تمنى أن تكون له امرأة أوريا حلالاً وحدث نفسه بذلك فاتفق له غزوة فأرسل أوريا فقدمه أمام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يحزع عليه ولم يتوجع عليه كما كان يحزع على غيره من جنده إذا هلك ووافق قتله مراده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة عند الله .

وقال بعضهم: كان ذنب داود أن أوريا قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا غمًا شديدًا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخطبها الأول .

وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة ولذلك قال النبي ﷺ لا يبيع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ، وما يصدق ما ذكرناه ما قيل عن المفسرين والمقدمين ما أخبرنا به عقيل بن محمد الفقيه المفاخرى عن ذكرى عن أنس أن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة قطع على بني إسرائيل بعثاً وأوصى صاحب البلاغ إذا حضر العدو فقدم فلاناً بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملسكان ليقصا عليه قصته ففطن داود وسجد فمكث أربعين ليلة ساجداً يبكي حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الأرض من جبينه وهو يقول في سجوده ذلي داود ذلة هي أبعد مما بين المشرق والمغرب رب إن لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه وجمعت ذنبه حديثاً في الخلائق من بعده .

جاء جبريل عليه السلام بعد أربعين ليلة فقال يا داود إن الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود قد علمت أن الله قادر على أن يغفر الهم .

وإذا جاء أورياه يوم القيامة فقال يا رب دمي الذي عند داود ؟ قال جبريل ما سألت هممت به فكيف بفلان يعني ربك عن ذلك وإن شئت لأفعلن قال نعم ؟ فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فسكت ما شاء الله ثم نزل فقال قد سألت يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال الله تعالى قل لداود إن الله يجمعك يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فأقول أن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضاً عن دمك .

أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه، قالوا جميعاً إن داود عليه السلام لما دخل عليه الملائكة وقضى على نفسه تحولا في صورتها فمرجا وهما يقولان قضى للرجل على نفسه وعلم داود أنما فتناه فخر ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا الحاجة لا بد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه تعالى ويسأله التوبة .

وكان يقول في سجوده : سبحان الملك الأعظم الذي يتلى الخلائق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الخائل بين القلوب إلهي خطيت يدي وبين عدوى ليليس فلم ألقه لغتته إذ زل بي قدمي ، سبحان خالق النور إلهي تبكي الشكلى على ولدها إذا فقدته ويبكي داود على خطيئته ، سبحان خالق النور يغسل الثوب فيذهب دونه ووسخه ، والخطيئة لازمة لي لا تذهب عني ، سبحان خالق النور إلهي لم أنظ بما وعظت به غيري ، سبحان خالق النور إلهي أمرتني أن أكون للقيم كالأب الرحيم والأرملة كالزوج العطوف فندسيت عهدك ، فسبحان خالق النور إلهي خلقتني وفي سابق عليك كان ما أنا صائر إليه سبحان خالق النور إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطيء ، سبحان خالق النور إلهي بأي قدم أقوم أمامك يوم تزل أقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب سبحان

خالق النور إلهى مضت النجوم وكنت أعرفها بأسمائها فتؤنسني فتركتني والخطيئة
لازمة لي سبحانه خالق النور إلهى أمطرت السماء ولم تمطر حولي وأعشبت
الأرض ولم تعشب حولي بخطيئتي سبحانه خالق النور إلهى أنا الذي لا أطيق حر
شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحانه خالق النور إلهى أنا الذي لا أطيق
صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهم سبحانه خالق النور إلهى كدنت تسير
الغاطسين بخطاياهم وأنت شاهد حيث كانوا سبحانه خالق النور إلهى رق القلب
وجمدت العيان من مخافة الحريق على جسدي سبحانه خالق النور إلهى الطير تسبح
لك وأنا العابد الغاطس الضعيف الذي لم أرفع وصيكت .

سبحان خالق النور إلهى الويل لداود من الدنب العظيم الذى أصاب ولا علم
له بذلك سبحانه خالق النور إلهى أنا المستغيث وأنت المغيث فمن يدعو المستغيث
إلا المغيث سبحانه خالق النور إلهى أنا أسألك بإبراهيم وإسماعيل وإسحق
ويعقوب أن تعطيني سؤلي سبحانه خالق النور . اللهم برحمتك اغفر لي ذنوبي
ولا تباعدني من رحمتك لهواني فإنك أرحم الراحمين

سبحان خالق النور إلهى إلى أعوذ بك من دعوة لا تستجاب وعلالة لا تقبل
وذنب لا يغفر وعذاب لا يفتر سبحانه خالق النور إلهى إلى أعوذ بنور وجهك
الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحانه خالق النور إلهى فررت إليك من ذنوبي
واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القاطنين ولا تحزنني يوم يبعثون .

سبحان خالق النور إلهى فغ الحنين وفرغت الدموع وتناثر الدود من
ركبتى وخطيئتي ألزم لي من جلدي سبحانه خالق النور .

قالوا فأتاه النداء : أجامع أنت فتطعم أو ظمآن أنت فتسقى أو مظلوم أنت
فتنصر ولم يجبه في ذكر خطيئته بشئ . فصاح صيحة فهاج منها ما سواه ثم نادى
يا ربى الذنب الذى أصبته فتودى يا داود ارفع رأسك قد عفرت لك فلم يرفع
رأسه حتى أتاه جبريل عليه السلام فرفعه .

قال وهب بن منبه أن داود عليه السلام أتاه النداء إلى قد غفرت لك فقال يارب
اعف وأنت لا تظلم أحداً فقال اذهب إلى قبر أوريا فناداه وأنا أسمعه نداءك فدخل
منه قال فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد لبس المسوح فجلس عند قبره ثم
ناداه يا أوريا فقال لبيك من هذا الذي قطع على لذتي وأيقظني قال أنا داود فقال
ما جاء بك يا نبي الله قال جئت أحمل بما كان مني لإليك ، قال وما كان منك إلي ؟
قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة وأنت في حل فأوحى الله تعالى إلى داود عليه
السلام ألم تعلم أني حكم عدل لا أفضي إلا بالحق ألا أعلمته أنك تزوجت امرأته ؟
قال فانطلق داود إليه فناده يا أوريا فأجابه فقال من هذا الذي قطع على لذتي ؟
فقال أنا داود فقال يا نبي الله ما حاجتك أليس قد عفوت عنك ؟ قال نعم لكن
أنا ما فعلت بك ذلك إلا لما كان امرأتك وأنى قد تزوجتها .

قال فسكت أوريا ولم يحسه فدعاه ولم يحبه فقام عند قبره وحشا التراب على
رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لداود سبحة خالق النور الويل لداود ثم الويل
الطويل لداود سبحة خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له إذا نصبت
الموازن القسط ليوم القيامة سبحة خالق النور الويل لداود ثم الويل الدائم له
حين يؤخذ برقبته ثم يدفع إلى المظلوم .

سبحة خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه
مع الخاطئين إلى النار سبحة خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين
تقربه الزانية مع الظالمين إلى النار .

سبحة خالق النور قال فاتاه النداء من السماء : يا داود قد غفرت ذنبك
ورحمتك ورثيت أطول مكائك واستجبت دعائك وأقلت عثرتك قال يارب كيف
له أن تعفو عني وصاحبي لم يعفو عني قال يا داود وأن يعف أو لم يعف فأنا أعطيه
يوم القيامة ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه فأقول له قد رضيت عبدي فيقول يارب
من أين هذا ولم يبلغه عمل فأقول هذا عوض من أجل عبدي داود فأستوهبك منه
فيمك لي فقال داود يارب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لي فذلك قوله عز وجل
(فاستغفر ربه وستره) وأجاب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزاني وحسن مآب)

قال وهب بن منبه : أن داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة ولا ترفاً له دمة ليلاً ولا نهاراً .

وكان أصحاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعني أربعة أيام فجعل يوم للقضاء بين الناس ويوماً لنفسه ويوماً يسبح في القياض والجبال والقفار والسهول ويوماً يخوض في داره فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع إليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدون على ذلك .

فإذا كان يوم سمياحته يخرج إلى القياض فيرفع صوته كالزمير ويبكى فيبكي معه الشجر والندر والطير ولوحش حتى تسبل دموعه مثل الأنهار .

ثم يهجر إلى الجبال فيرفع صوته كالزمير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل الأودية من بكائهم .

ثم يهجر إلى الساحل فيرفع صوته كالزمير فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر والطير والماء والسباع فإذا أمسى رجع فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه أن اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده قال فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيسقط له ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف ليجلس عليها وتجيء الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وعليهم المسوح وفي أيديهم العصي ثم يجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء فيرفع الرهبان معه أصواتهم .

فلا يزال يبكي حتى يفرق الفرش دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ وهو يضطرب فيجهر لونه سليمان عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكه ثم يمسح وجهه ويقول يا رب اغفر لي ما ترى فلو عدل بكاء داود ودموعه بكاء أهل الأرض ودموعهم لعدلها .

أخبرنا ابن فتحويه عن عثمان بن أبي طاتكة أنه قال : كان من دعاء داود عليه السلام : سبحانك إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحمتي وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلي روعي إلهي أتيت أطباء عبادك ليدأوني فمكلمهم عليك دلوني .

وقال عليه السلام : د خد الدمع في وجه داود مثل خد الماء في الأرض ، .

وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : كان الناس يعودون داود عليه السلام فيظنون أنه مريض وما به إلا الحياء والخوف من الله تعالى ، .

قال وهب بن منبه : لما تاب الله على داود كان يهدأ إذا دعا فيستغفر للخطائين قبل نفسه فيقول : اللهم اغفر للخطائين فمساك أن تغفر لداود معهم .

وعن قتادة عن الحسن قال : كان داود بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخطائين ثم يقول تعالوا إلي داود الخطي . ولا يشرب شراباً إلا وهو ممزوج بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته ولا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يدر عليه الملح والرماذ فيأكل ويقول هذا أكل الخطائين .

قال وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله .

أخبرنا عبد الله بن حامد عن ثابت قال : كان داود عليه السلام إذا ذكر عقاب الله تعالى تخلفت أوصاله ولا يشدها إلا الآنين ، فإذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت .

وعن أبي عبد الله البجلي قال ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه إلى السماء قط حتى مات وصلى الله على نبيينا محمد وعليه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

(باب في ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما)

قال وهب وغيره من أهل السكتاب أن داود عليه السلام لم يزل قائماً بالملك بعد طالوت إلى أن كان من أمره وأمر امرأة أوريا. ما كان فلما واقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنو إسرائيل واستضعفوه واجتمع أهل الزبج من بني إسرائيل وذهبوا إلى ابن لداود من ابنه طالوت يقال له شالون وقيل إيشا وقالوا له قد كبر أبوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت حقوق الناس وضمف أمر الملك فلم يزالوا به حتى بايعوه وخلعوا داود وعهدوا عنه ودعا هذا الإبن إلى نفسه ، فلما رأى ذلك داود خرج من بين أظهرهم مع ابن أخ له يقال له ثواب وتوغل في الجبال فأشار قومه على ابنه أن يقتل أباه فلما بلغ ذلك داود أرسل إليه رفيقه وقال له هل سمعت يا ابن قتل أباه قال له الإبن وهل سمعت أنت بني أذن لم تقبل توبته فمال له الرسول إن كان الله تعالى قد أذن لك في هلاكه فلا تباشره أنت فإنه لا يجعل في الآخرة حدوده منك فقبل منه ذلك فكشف عن قتل أبيه وبقي لابنه ملكاً سنين .

فلما تاب الله على داود صارت الناس تأتيه فحارب ابنه فهزمه ووجه في طلبه قائداً من قواده وأوصاه أن يتوقى حنقه ويتلطف في أسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره إلى شجرة فربض بها وكان الغلام ذا جمعة فنهلق غصن من أغصانها بشعره فحبسه ولحقه القائد فقتله محالفاً لأمر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزناً شديداً وتكرر للقائد وكان له بأس شديد في ملاقاته العدو فمكره داود أن يقتله فتركه لأجل مجاهدة العدو .

فلما حضر داود الموت أوصى ولده سليمان عليهما السلام يقتل القائد فقتله حين فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحي إلى أن قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع إلى قومه سنين .

(باب في قصة أصحاب السبت)

قال الله تعالى (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت) الآية .

قال ابن عباس ووهب بن منبه : أن قوماً من بني إسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال لها أيله حرم الله عليهم صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وأمرهم أن يتفرغوا لعبادته ذلك اليوم وذلك في زمان داود عليه السلام فكان إذا خلا يوم السبت لم يبق حوت في البحر إلا اجتمع هناك ويخرجون من الماء خراطيمهم حتى لا يرى الماء من كثرتهم حتى إذا مضى السبت تفرقوا ولزق مفر البحر لا يرى منهم إلا القليل فذلك قوله تعالى (إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يستطيعون ولا تأتيتهم كذلك فنبههم) الآية

سمعت أبا القاسم ، قال سمعت أبي يقول : مثل الحسن بن الفضل هل تجد في كتاب الله الحلال لا يأتيك إلا فوتاً ، والحرام يأتيك جزافاً ؟ قال نعم في قصة داود عليه السلام وأهل أيلة إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يستطيعون لا تأتيتهم قال فعمد رجال منهم فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا إليها من الأنهار فإذا كانت عشية الجمعة فنحوا تلك الأنهار فيقبل الموج بالحيتان إلى الحياض فلا تطيق الخروج منها لبعدها عمقها وقلة الماء فإذا كان يوم الأحد أخذوها وقيل لأنهم كانوا ينصبون الحبال والشيوخ يوم الجمعة ويخرجونها يوم الأحد .

قال وكانت الحيتان تأتيتهم يوم السبت كثيراً وفي غير يوم السبت لا تأتيتهم حوت واحد

فأخذ رجل منهم حوتاً وربط في ذنبه خيطاً ثم ربطه إلى خشبة في الساحل ثم تركه في الماء إلى يوم الأحد فأخذه فسواه فوجد جدار له ريح الحوت فقال له يا فلان إنني أجد في بطنك ريح الحوت فأبكره فأطلع الجار في تنوره فإذا هو في

بيته فقال له إني أرى الله سيعذبك ، فلما رأى العذاب لم يأخذه أخذ في السبوت الآخر حوتين فلما رأوا العذاب لا ينزل عليهم أخذوا وملحوا وأكلوا وباعوا فأثروا وكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة ففست قلوبهم وتجزؤا وتجرؤوا على الذنب وقالوا ما نرى السبوت إلا قد أحل لنا ؛ وإنما حرم ذلك على آبائنا لأنهم قتلوا أنبياءهم

فلما فعلوا ذلك صار أهل تلك القرية وكانوا نحواً من سبعين ألفاً ثلاثه أصناف صنف أمسك ونهى وصنف أمسك ولم ينه وصنف اتهمكوا الحرمة ؛ فكان الذين نهوا اثني عشر ألفاً فلما أبى المجرمون قبول النصيحة ، قال الناهون الممسكون : والله لنخرجن من هذه القرية ولا نساكنكم في قرية واحدة ثم قسموا القرية بينهم بمحذار ومكشوا على ذلك سنين فلعنهم الله على لسان داود عليه السلام وغضب عليهم لإصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطئوا تسوروا عليهم الحائط فإذا هم جميعهم قد مسخوا قردة فذلك قوله تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به أنجيناهم من يهود عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس) أى شديد بما كانوا يفسقون ، فلما غتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة نخاسين أى صاغرين نظيره قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود)

وروى أبو نصر عن أبي سعيد الخدري قال ؛ قال رسول الله ﷺ : د ما أهلك الله قوماً ولا قرناً ولا أمة بعذاب من السماء بعد ما أنزل الله التوراة على وجه الأرض غير أهل القرية التي كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قردة ألم تسمع قول الله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب بعد ما أهلكنا القرون الأولى) الآية

(باب في قصة داود وسليمان عليهما السلام في الحرث)

قال الله تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين)

قال ابن عباس وقتادة : كان الحرث زرعاً ، وقال ابن مسعود وشريح : كان الحرث كرماً قد تدلت عناقيده إذ نفشت فيه غنم القوم رعيته إيلافاً فسدت والتفتش بالليل والهمل النهار وهو جميعاً الرعي بلا راعي وكنا لحكمهم شاهدين ولا يخفى علينا منه شيء

قال ابن عباس وقتادة : إن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال صاحب الحرث إن هذا انفلتت غنمه إيلافاً فوقعت في حرثي فلم تبق منه شيئاً قال له داود اذهب فإن الغنم لك فأعطاه رقاب الغنم بالحرث ففرا على سليمان فقال لهما كيف قضى بينهما ؟ فأخبراه فقال سليمان لو رأيت أمركما لتقضيت بغير هذا فأخبرا بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع في القضاء بينهما ؟ قال كنت أدفع الغنم إلى صاحب الحرث سنة فيسكون له نساها وصوفها ومنافعها ويبيذ صاحب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم فإذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع إلى أهله ويأخذ صاحب الغنم غنمه

وقال ابن مسعود وشريح : إن راعياً نزل ذات ليلة بجانب كرم فدخلت الأغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضايا وأفسدت السكرم فصار صاحب السكرم من الغد إلى داود فقاضى بالأغنام لصاحب السكرم لأنه لم يكن يبرئ من الأغنام وثمان السكرم فتفاوت قال فرا سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة فقال لهما ما قضى بينكما داود فقضا عليه القصة فقال سليمان غير هذا أرفق بالفريقين فعادا إلى داود فأخبراه بذلك فدعا سليمان وقال له بحق النبوة والآبوة إلا ما أخبرني بالذي هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الأغنام إلى صاحب السكرم لينتفع بنسائها وصوفها ومنافعها ويعمل الراعي في إصلاح السكرم إلى أن يعود كهيئته ثم يتسلمه صاحبه وترد الأغنام إلى صاحبها فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فذلك قوله تعالى (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً) قال الحسن كان الحكم ما قضى به سليمان ولم يعنف الله داود في حكمه قال الأستاذ وهذا يدل على أن لكل مجتهد نصيب

(باب في قصة استخلاف داود لابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء الخاتم)
 قال أبو هريرة رضي الله عنه : أنزل الله تعالى كتاباً من السماء على داود عليه
 السلام محتوماً بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشر مسألة فأوحى الله تعالى إليه أن سل
 عنها إريك سليمان فإن هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلام
 سبعين قساً وسبعين حبراً وأجلس سليمان بين أيديهم وقال : يا بني الله إن الله تعالى
 أنزل على كتاب من السماء فيه مسائل وأمرني أن أسألك عنها فإن أخرجتها فأنت
 الخليفة من بعدى فقال سليمان : ليسألني نبي الله عما بدا له وما توفيقي إلا بالله .
 قال داود يا بني ما أقرب الأشياء وما أبعدا ؟ وما آنس الأشياء وما أوحشا ؟
 وما أحسن الأشياء وما أقبحها ، وما أقل الأشياء وما أكثرها ، وما القائمان وما
 الساعيان ، وما المشتركان وما المتباغضان ، وما الأمر الذي إذا ركبته الرجل حمد
 آخره ، وما الأمر الذي إذا ركبته الرجل ذم آخره ، فقال سليمان عليه السلام أما
 أقرب الأشياء فالآخرة ، وأما أبعد الأشياء فما فارك من الدنيا ، وأما آنس الأشياء
 فحسد فيه روح ، وأما أوحش الأشياء فحسد لاروح فيه ، وأما أحسن الأشياء
 فالإيمان بعد الكفر ، وأما أقبح الأشياء فالكفر بعد الإيمان ، وأما أقل الأشياء
 فاليقين ، وأما أكثر الأشياء فالشك ، وأما القائمان فالسما والأرض ، وأما الساعيان
 فالشمس والقمر ، وأما المشتركان فالليل والنهار ، وأما المتباغضان فالموت والحياة
 وأما الأمر الذي إذا ركبته الرجل حمد آخره فالعلم عند الغضب وأما الأمر الذي
 إذا ركبته الرجل ذم آخره فالحق عند الغضب .

قال ففكروا الخاتم فإذا جواب المسائل سواء على ما نزل من السماء فقال
 القسيسون والرهان لارضى حتى نسأله عن مسألة فإن أخرجها فهو الخليفة من
 بعدك فقال سليمان به السلام سلوني وما توفيقي إلا بالله فقالوا له ما الشيء الذي
 إذا صلح صلح به من الإنسان وإذا فسد فسد كل شيء من الإنسان فقال هو
 القلب فقال داود سعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ، إن الله تعالى أمرني
 أن استخلف عليكم سليمان قال فضجت بنو إسرائيل وقالوا غلام حديث يستخلف
 علينا وفيما من هو أفضل منه وأعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء أسباط
 بني إسرائيل وقال لهم ، إنه قد بلغني مقالكم فاروني عصيكم فأى عصا أثمرت فإن

صاحبها ولي هذا الامر بعدى ، قالوا قد رضينا فجاهوا بعصيمهم فقال داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ، ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم أدخلت بيتاً واغلق عليها الباب وسد بالاقفال وحرسه روس أسباط بني إسرائيل فلما أصبح صلى الغداة ثم أقبل ففتح الباب فاخرج عصيمهم كما هي وأما عصا سليمان فقد أورقت وأثمرت قالوا فسلموا الامر في ذلك لداود عليه السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به في بني إسرائيل فقال إن هذا خليفتي عليكم من بعدى ، قال وهب بن منبه لما استخلف داود لابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال ، يا بني إياك والهزال فإن نفقه قليل ويهيج العداوة بين الإخوان وإياك والغضب فإن الغضب يستخف بصاحبه' وعليك وتقوى الله وطاعته فإنهما يغلبان كل شيء وإياك وكثرة الغيرة على أهلِكَ من غير شيء فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس وإن كانوا برآء أقطع طمعك عن الناس فإن ذلك هو الغنى وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وإياك وما يتعذر منه القول والفعل وعود نفسك وإسائك الصدق والوم الإحسان فإن استطعت أن يكون يومك خيراً من أمسك فافعل وصل صلاة مودع ولا تجالس السفهاء ولا ترد على عالم ولا تماره في الدين وإذا غضبت فاصق نفسك بالأرض وتحول من مكانك وارج رحمة الله فإنها وسعت كل شيء.

قالوا ثم أن سليمان بعد أن استخلف اخفى أمره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس وأقبل على العلم والعبادة ثم أن امرأته قالت له ذات يوم يا ابن أمي ما أكمل خصالك وأطيب رائحتك ولا أعلم خصلة أكرها إلا أنك في مؤنة أنى قلو دخلت السوق فتمرضت لرزق الله لزجوت أن لا يخيبك الله فقال سليمان إني ما عملت عملاً قط ولا أحسنه ثم أنه دخل السوق صبيحة يوم ذلك فلم يقدر على شيء فرجع فاخبرها فقالت غدا يكون إن شاء الله فلما كان اليوم الثاني مضى حتى انتهى إلى ساحل البحر فإذا هو بصياد فقال له هل لك أن أعينك وتعطيني شيئاً قال نعم قال فاعانه فلما فرغ أعطاه الصياد سمكتين فاخذهما وحمد الله تعالى ثم أنه شق بطن أحدهما فإذا هو بخاتم في بطنها فاخذه وصره في ثوبه وحمد الله عز وجل واخذ السمكتين وجاء بهما إلى منزله ففترحت امرأته بذلك فاخرج الخاتم ولبسه في إصبعه فحكف عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك ثم لم يلبث أبواه أن ماتا حمل المرأة وإياها إلى اصطخر والله أعلم

(باب في ذكر وفاة داود عليه السلام)

قال الشيخ أبو زيد ، سمعت الشيخ أباعمر والفارسي يروى أن داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق الأبواب كل ليلة تأتيه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على ورده في العبادة ، فاغلقت ذات ليلة الأبواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلاً قائماً وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فإن صاحبها رجل خفيور خذ حذرك ، فقال لها أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير إذنه

قال فلما سمع داود ذلك وكان في المحراب واقفاً يصلي فزع واضطرب وقال لها على به فقال له داود ما أدخلك هذه الدار في هذا الوقت بغير إذن ، فقال أنا الذي أدخل الدور على الملوك بغير إذن ، فقال له إذا فانت ملك الموت قال نعم قال أفجئت داعياً أم ناعياً ، فقال ناعياً ؛ فقال داود عليه السلام ، فهلا أرسلت إلي قبل ذلك وأذنني لاستعد للموت ، فقال كم أرسلت إليك فلم تنتبه

قال ومن كانت رسلك التي أرسلت إلي ، فقال يا داود أين أبوك إيشاء وأين أمك وأين أخوك ، وأين جارك ، وأين قهار منك ، وأين فلان وفلان ، فقال ما نوا كلهم فقال أما علمت أنهم رسلي إليك وأن التوبة تبلغك

قال الأستاذ رضي الله عنه وفي هذا المعنى قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لا يزال المرأ ينمى أخاه حتى يكونه وقد يرجو الرجا فيحول الموت دونه وقد نظم بعض الشعراء فقال :

وإذا حلت إلى القبور جنازة فاعلم بانك بعدها محمول
وإذا وليت أمور قوم مدة فاعلم بانك عنهم معزول

قال أهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه أربعين سنة ، وقد مضى في قصة آدم وما وهب لداود من عمره عليهما السلام

﴿مجالس في قصة سليمان عليه السلام وما يتعلق به﴾

قال الله تعالى د وورث سليمان داود ، يعني نبوته وحكمه وعلمه وملكوته دون
سائر أولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابناً .

وقال مقاتل ، كان سليمان عليه السلام أعظم ملكاً من أبيه داود وأقضى
منه وكان داود عليه السلام أشد تعبداً من ابنه سليمان ، وكان سليمان حين أتاه
الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكاً ما بين الشام إلى اصطخر وقيل
إليه ملك الأرض كلها

وروى مجاهد عن ابن عباس ، قال ملك الأرض بعد أربعة . مؤمنان وكافران ،
فأما المؤمنان ، فسليمان عليه السلام وذو القرنين ، وأما الكافران فالنمرود
ابن كنعان ويختصر

(باب في صفة جليلة عليه السلام)

قال وهب بن منبه وكتب الأخبار ، كان سليمان أبيض جسيماً وضيئاً
جميلاً كثير الشعر يلبس من الثياب البيض ، وكان خاشعاً متواضعاً يخالط
المساكين ويجالسهم ويقول مسكين يجالس مسكيناً ، وكان أبوه في أيام ملكه
يشاوره في كثير من أموره مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه . صلى الله على
سليمان وعليه وسلم .

(باب فيما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه)

(من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك)

قال الله تعالى (وقد آتينا داود وسليمان علماً وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) وقال الله تعالى لإخباراً عنه (رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بهدي أنك أنت الوهاب) فأجاب الله دعاءه وأكرمه بخصائص لم يكرم بها أحداً من خلقه قبله ولا بعده فمنها تسخير الله له الريح كما قال عز وجل (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) أي أراد بآفة حمير.

قال محمد بن إسحق وغيره من أصحاب الأخبار ، كان سليمان عليه السلام رجلاً غزاه لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بك في ناحية من الأرض إلا أنه حق يذله ويقهره وكان إذا أراد الغزو أمر بعسكره فيضطرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف على الريح فيدخل تحت تلك الخشب فتحملها حتى إذا أفلتها أمر الرعاء فرت به شهراً في غدوته وروحته إلى حيث أراد كما قال الله تعالى (وسليمان الريح غدوها شهراً ورواها شهراً) .

وقال ابن إسحق ذكرى أن رجلاً نزل منزلاً من ناحية الدجلة فوجد فيه كتاباً مكتوباً كتبته بعض أصحاب سليمان إما من الجن أو من الإنس نحن نزلنا وما بنينا ومبنيها وجدناه غدونا من إصطخر فقلنا ونحن رائحون إن شاء الله تعالى فأثمون الشام قال وكان فيما بلغني تمر بعسكر الريح الرعاء تهوى به إلى حيث أراد لها تمر بالمزرعة فلا تحركها .

وأخبرنا الحسن بن محمد بن فتحويه بإسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال أن سليمان عليه السلام ركب الريح يوماً فرت بحراث فأنظر إليها الحراث وقال لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً فحملت الريح كلامه وألقته في أذن سليمان عليه السلام فنزل حتى أتى المحراث وقال له لقد سمعت قولك وإنما نزلت إليك لثلاثين

(م ٢١ -- قصص الأنبياء)

ما لا تقدر عليه أن تسبيحها واحدة يقبلها الله منك خير مما أوفى آل داود فقال له الخرائث أذهب الله همك كما أذهبت همي .

وقال مقال ؛ نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطاً فرسناً في فرسخ ذهباً في إبريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاث آلاف كرسي من الذهب والفضة فيقعد الإنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحوطهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلمهم الطير بأجنحتها لئلا تقع عليهم الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومسييرة شهر من الرواح إلى الصباح .

أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن محمد بن كعب القرظي قال : بلغني أن عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها الإيس وخمسة وعشرون منها للججن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطيور وكان له ألف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلثمائة سرير وسبع مائة امرأة فيأمر الريح العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى إليه وهو سائر بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت به الريح إليك فأخبرتك به .

ومنها تعليم الله له كلام الطير حتى النمل كما قال الله تعالى (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) الآية .

قال ابن فتحويه بإسناده عن كعب الأحبار قال : صاح رشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا فقال إنه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول ؟ قالوا لا قال إنها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول كاتدين تدان وصاح همد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول استغفروا الله يامذنبون فمن ثم نهي رسول الله ﷺ عن قتله قال صاح الطيوري فقال أتدرون ما يقول ؟

قالوا لا قال إنه يقول كل حي ميت وكل جديد بال ، قال وصاح خطاف فقال :
أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول قدموا خيرا تجدوه ، فمن ثم نبى رسول الله
ﷺ عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول سبحان رب
الاعلى ملء سمائه وملء أرضه ، وصاح قرى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه
يلعن العشارين ، والهدأة تقول كل شيء هالك إلا وجهه ، والقطا تقول من سكت
سلم ، والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه ، والبازي يقول سبحان ربى الاعلى وبحمده
والضفدع يقول سبحان رب القدوس والصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان .
وأخبرنا ابن ميمون بإسناده عن مكحول قال : صاح دارج عند سليمان عليه
السلام فقال أتدرون ما يقول ؟ قالوا لا قال إنه يقول الرحمن على العرش استوى
وإسناده عن صالح المروى عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ : «الديك إذا صاح
يقول اذكروا الله يا غافلون» .

وروى عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن على عليهم
السلام أنه قال إذا صاح النسر يقول - يا ابن آدم عش ماشئت فإن آخرك الموت
وإذا صاح العقاب قال فى البعد عن الناس أنس ، وإذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغض
آل محمد وإذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمدها القارىء .
وقال فرقد السنجي مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه ويميل ذنبه
فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال إنه
يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العناء .

قال ومر سليمان بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان الله العظيم ما أعظم ما أوتى
آل داود فتبسم سليمان من قولها وفسر قولها الجنوده ، ثم قال ألا أنبئكم بخبر هو
أعجب من هذه النملة ؟ قالوا بلى قال تقول اتقوا الله فى السر والعلانية والقصد فى
الغنى والفقر والعدل فى الغضب والرضا .

وروى أن سليمان عليه السلام خرج يوماً يستسقى ومعه الإنس والجن فر
بنملة عرجاء ناشرة جناحيها رافعة يديها وهى تقول اللهم إنا خلقنا من خلقك لاغنى

لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا ؛ فقال سليمان لمن معه ارجعوا
فذلك سقيم بدعوة غيركم .

وحكى أن نملة دبت على سليمان لحملها ورمى بها فوقعت النملة فقالت ما هذه
الصولة وما هذا البطش أما علمت إني أمة من أنت عبده فغشى على سليمان فلما آفاق
قال اتبوني بها فسألها فقالت له جلدى رقيق وبدنى ضعيف وأخذتني ورميتني فقال
لها سليمان اجعليني في حل فإنى لم أقصد ذلك فقالت بشرط أن لا تنظر إلى الدنيا
بعض الشهوة ولا تستغرق في شهواتك وضحكك ولا يستعين أحد بجاهك إلا بذلته
له قال قد فعلت ذلك قالت فأنت في حل .

ومنها قصة وادى النمل قال الله تعالى (وحشر اسليمان جنوده من الجن والإنس والطير
فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم (حتى إذا أتوا على وادى النمل) الآية .

قال الشعبي وكعب وغيرهما من أهل الكتب : إن سليمان عليه السلام كان
إذا ركب حمل أهله وحشمه وخدمه وكتابه في موكبه الذى يملأه وقد اتخذ فيه
مطابخ ومخابض يحمل فيها تنانير الحديد وقدوراً عظيماً يسمع كل قدر عشرة من
الجزر وقد اتخذ ميادين للدواب أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجري
الدواب بين يديه بين السماء والأرض والريح تهوى بهم فسار من اصطخر إلى اليمن
وتوغل في البادية فسلك على مدينة الرسول ﷺ فقال سليمان هذه دار هجرة تبي
يبعث في آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ، ثم أتى أرض الحرم فرأى حول
البيت أصناماً تعبد من دون الله لحاوز البيت فلما جاوزه سليمان بكى البيت فاحسب
الله تعالى إلى البيت ما يبكيك ؟ فقال يارب هذا نى من أنبيائك وقوم من أوليائك
مروا على فلم يبطروا نى ولم يصاوا عندى ولم يذكروك بحضرتى وهذه الأصنام
تعبد حولى من دونك قال فأوحى الله تعالى إليه : لا تبك فإنى سوف أملكوك
وجوهرها سجداً لى وأزل فيك قرآناً جديداً وأبعث منك فى آخر الزمان نبياً هو
حب الأنبياء إلى واجمل فيك عباداً من خلقى يعبدونى وأعرض فى عبادى فرجة
ينفون بها إلى البيت زفا مثل زفيف المنسور إلى أوكارها ويحنون إليك حنين الناقة

إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهره من الاوثان وعبد الشيطان ، ثم أمر الله سليمان عليه السلام أن ينزل عليه ويصلي فيه ويقرب عنده قرباناً ففعل ذلك قال فذبح عند السمكة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف مور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضر من أشرف قومه إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي ويعطي النصر على جميع من نأواه ويكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيئته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لا تأخذه في الله لومة لائم فطوب لمن أدركه وصدقه قالوا فكم بيننا وبين خروجه يا نبي الله ؟ قال قريب من ألف عام قال ثم إن سليمان مضى حتى أتى على وادي السدير واد من الطائف أتى على وادي النمل فقامت نملة تمشي وكانت هرجاء تتكاسر وكانت مثل الدب العظيم ، وقال الشعبي كانت ذات جناحين ،

واختلفوا في اسمها ، فأخبرني ابن ميمونة بإسناده عن الضحاك قال - كان لمنم نملة سليمان طاخية وقيل خرمي فنادت لما رأت سليمان في موكبه (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) وكان لا يتكلم خلق إلا حملته الريح وألقته في مسامح سليمان ، قال مقاتل فسمع سليمان كلامها من نملة أميال فتبسم ضاحكاً من قولها وقال (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) الآية .

وفي بعض الاخبار ، أن سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال اتوني بها فأتوه بها ، فقال لها لم حذرت النمل هل سمعت مني ظالم ؟ أما علمت إنني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده ؟ قالت النملة يا نبي الله أما سمعت قولي وهم لا يشعرون هج إن ما أردت حطم الذنوس وإنما أردت حطم القلوب خضيت أن ينمين ه أعطيت فيفتن ويشغلن بالنظر إليك عن التسبيح فقال لها عطيني فقالت لها النملة هل علمت لم سمى أبوك داود ؟ قال لا . قالت لأنه داوى جراحه قلبه ثم قالت هو هل تدري لم سميت سليمان ؟ قال لأنك لا تبال لأنك سليم وكنت إلى ما أوتيت بسلامة صديقك وحنك أن تلاحن بأبوك داود ، ثم قالت أن تدري لم سخر الله تعالى لك الريح ؟

قال لا ، قالت ليخبرك أن الدنيا كلها ربح . فتبسم ضاحكاً من قولها ؛ متعجباً وقال (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي) الآية .

أخبرني ابن ميمون بإسناده عن ابن عباس قال نبى رسول الله ﷺ عن قتل أربعة من الدواب : المدهمة والصراد والنحلة والنملة .

ومنها قصة العنقاء في إثبات القضاء والقدر ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد بإسناده عن محمد بن جعفر الأصم قال . عاتب سليمان الطير في بعض عتابه فقال لها إنك لتأتين كذا وتفعلين كذا فقالت والله رب السماء والثرى إنا لنحرص على الهدى ولسكن قضاء الله يأتى إلى منتهى علمه وقدره ، قال صدقت لاحيلة في القضاء فقالت العنقاء لست أومن بهذا فقال لها سليمان ألا أخبرك بأعجب العجب قالت بلى قال لانه ولد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالمشرق هذا ولد ملك كبير وهذه ابنة ملك والجارية والولد يجتمعان في أمتع المواضع بقدره الله تعالى وأهوالها على سماح في جزيرة في وسط البحر فقالت العنقاء يابى الله أوقد ولدهذان الولدان المذكوران قال نعم الليلة قالت فهل أخبرت بهما من هما وما لاسمهما واسم أبيهما قال بلى لاسمهما كذا وكذا واسم أبيهما كذا وكذا فقالت العنقاء يابى الله أنا أبطل القدر وأفرق بينهما فقال لها سليمان إنك لاتقدرين على ذلك .

فأشهد سليمان عليها الطير وكفها . ثم فرت العنقاء وكانت في كبر الجبل عظماً ووجهها وجه إنسان ويدها يد إنسان وذئباها ذئب امرأة وأصابعها كذلك فحملت في الهواء حتى أشرفت على الدنيا فأبصرت كل دابة وما فيها وكل إنسان وأبصرت الجارية وهي في مهدها وقد أجلسوها فاختلست الجارية من المهد وطارت بها حتى انتهت إلى جبل شاهق في السماء في جوف البحر وسط جزيرة وفي الجزيرة شجرة حالية لا ينالها ظائر إلا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على ألف غصن كل غصن كأعظم ما يكون من شجرة الأرض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرأني وسط الشجرة عجيباً واسعاً مضيقاً وطيباً وأرضعتها وحضنت الجارية تحت جناحها وصارت تأتيها بأنواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتونسها بالليل لا تخبر أحداً بشأنها كي يتم أمرها وهي تفقد إلى سليمان وتروح إلى وكرها ففعلهم

معلمان بذلك ولم يبد له فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكاً من ملوك الدنيا
وكان يلهو بالصيد ويحبّه ويطلبه فصار لا يقرأ ليلاً ولا نهاراً وكان أبوه ملكاً عظيماً .
فلما رأى الملك ولده لاهياً بالصيد ولم ينجره عنه حتى نال منه مالا طويلاً
وأمر عظيمًا فقال يوماً لأصحابه كل صيد البر وفلوانه ومفازته قد تلت منه فقد
ركبت البحر فأنا من صيده فإنه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون
من وزرائه نعم ما رأيت وهو أكثر من خلق الله سيداً وعجائب فأمر الغلمان
بتجهيز ما يحتاجون إليه وهيا السفن وجمل يأخذ من كل شيء يملكه ويأخذ من
الوزراء والمشيرين والغلمان والحواري والطباخين والخبازين والدواب والبزاة
والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون إليه مما يريد ويستحب من المملأى
وركب السفن ومن في البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شيئاً من
غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فأرسل الله تعالى على سفينته ريحاً خفيفة فضربتها
وساقها حتى قربت من العقاء والجارية وهى مسيرة خمسين ليلة كل ليلة مسيرة سنة
ثم ركبت سفينته بإذن الله تعالى وأصبح الغلام رأى سفينته راكدة فأخرج رأسه
من ناحية ونظر فإذا هو بجبل شاهق في وسط جزيرة في البحر في لون الزعفران
طويلة لا يدرى أين منتهى ولا عرضها وإذا هو بشجرة خضراء في رأس الجبل
ملتفة كثيرة الأغصان والأوراق ورقة في عرضها في الفيلة تقوح بريح الأفحوان
وليس لها تمر بيضاء الساق فقال لأصحابه إنى أرى عجبا أرى جبلا شاهقا في وسط
جزيرة لم أر مثله ولا مثل طول ولا عرضه وأرى شجرة فيها كل حسن قد أعجبنى
منظرها ثم أنه حرك سفينته وجاء بها إلى الجزيرة التي فيها الجبل وأرساها عندها .
وقال لأصحابه - أقيموا ههنا حتى أمضى وأبصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذى
بنى وسطها هل عمارة أو أثر آدمى فى تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم إنه نزل من
السفينة ورفقته وداروا فى الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبر بها آدمى
فلم يله ثم إنه صعد إلى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت إلى
السفينة وهى جارية فلم تعرف ما هى لأنها أخذت صغيرة ولم تدر ما السفن فبقت
متهجبة وليس عندها أحد تسأله عن ذلك .

فبينما هي متفكرة في أمر السفينة إذا حس حديث الآدميين فأخرجت رأسها من الوكر فظرت يميناً وشمالاً فلم تر أحداً فنظرت في أصل الشجرة فإذا بالغلام ورفقته فتمعجت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا إلى ذلك الموضع وأن الغلام لما بلغ أصل الشجرة نظر يميناً وشمالاً متعجباً من عظم تلك الشجرة ورفعها إلى السماء وصار ينظر إلى أغصانها وكانت الجارية قد أخرجت رأسها تنظر إلى السفينة فحانت منه التفاته إلى أصل الشجرة فوقعت عينها في عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجباً من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بالسان فصيح أجنبية أنت أم إنسية قالت لا والله أنا من خيار الإنس فن أنت فأفهمها لغته فقالت لا أدري ما تقول وما أنت إلا أنى أرى وجهك كوجهي وكلامك ككلامي وإنى لا أعرف شيئاً غير العنقاء وهي أمى التى ربتنى وحضنتى وهى تأتينى كل ليلة وتسبحننى بغيرها فقال لها الغلام وأين العنقاء فقالت هى فى نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تغدو كل يوم إلى ماسكتها سليمان فسلم عليه وتقيم عنده إلى الليل ثم تجيئنى وتحدثنى بكل ما يحكم به سليمان ولأنه ملك عظيم على ما تصفه أمى العنقاء عن ماسكه ولأنها تخبرنى لأنه أحسن الناس وجهاً وأتم خلقاً منى قال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذى قتل أبى وسبى دولته وإنى لمن طلائقه ومن يؤدى إليه الخراج وقد سخر الله الطير والرياح ثم بكى الغلام ساعة فقالت له الجارية وما يبكيك؟ قال وجدتكم فى مثل هذا الموضع الذى لا بأس فيه ولا أحد وإن مثلك فى الدنيا عدد الشجر والدر كلهم فى مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنىء والرغد واللذة الحسنة مع الأزواج يتعاقبون ويتعممون ويتوالدون والأولاد مثل خلقك وخلقى رأيت إن حاجت الريح فأنجحتك من وكرك ومن يمنعك أن تقعى فى البحر وإن وقعت فى البحر فن ذا الذى يخرجك قال ففزعته الجارية من قوله وقالت وكيف يكون معى إنسى مثلك يتحدثنى بمثل حديثك ويحفظنى بما ذكرت فقال لها الغلام أو لا تعلمين أن الله اتخذ سليمان نبياً وسخر له الريح والطير وهو الذى رحمى وساقنى إليك لا كون لك إيقناً وصاحباً وإنسية وإنى لمن أولاد الملوك فقالت له الجارية وكيف تصير لى وأصير إليك وإن العنقاء

هذه تروح وتجي وتخصني إلى صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين جزعك ووحشتك وبكائك على العنقاء ليلتك هذه فإذا جاءت إليك وقالت ماتحين وما تريدن وما شأنك فأخبريها بوجدتك في نهارك ثم انظري ما يكون من ردها عليك فأخبرني بذلك ففعلت وإن العنقاء رجعت إليها فوجدتها باكية حزينة ، فقالت لها يا بنية مالك - فقالت الوحدة والوحشة قتلتي وإني لمنزوجة على نفسي من ذلك ، فقالت لها يا بنية لا تخافي ولا تحزني فإني استأمر سليمان عليه السلام أن آتيه يوماً ويوماً لا آتيه فيكون ذلك أنساً

فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها . فقال لها أوتصبرين على ذلك لا ولكني سأفكر دوابي هذا فرساً وأبقرب بطنه وأخرج ما فيه وأطيبه بطيب معي وأدخل أنا في جوفه وألقيه على رأس سفينة هذه فإذا جاءتك العنقاء تقولين لها أرى عجيباً أرى خلقة ملقاة على كوثل هذه السفينة فلو اخطفتها وحملتها إلى مكانت معي في وكري فانظر إليها وآنس بها كان أحب إلي من كونك عندي نهاراً ولما سألك عن أخبار سليمان وأخبار المسلمين .

فإذا رجعت العنقاء وجدتتها على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل إليه في استئذانها ليأيه في المقام يوماً والغدو يوماً ، فقالت لها يا بنية أن نبي الله قد اشتغل عنى اليوم بالحكم بين الأدميين فلم أصل إليه قالت لها إني لا أريد أن تتخلفي عنه نهاراً لمكان أخبار سليمان وأخبار المسلمين ، وإني أرى عجيباً في البحر أرى بشيئاً مرتفعاً فاهو ؟ قالت له العنقاء هذه سفينة قوم سيارة راكبين في البحر قالت فما الذي أراه ملقى على رأس هذه السفينة قالت دابة ميتة القوها قالت فاحتملها إلى لاستأنس بها وأنظر إليها فانقضت العنقاء فاخطفقت الفرس وكان الغلام في بطنها فحملتها إلى عشا فقالت الجارية يا أماء ما أحسنه وضحكك ففرحت العنقاء بذلك وقالت يا بنية لو علمت لكنت أتيك بمثل هذا منذ حين .

ثم لما طارت إلى نوبتها عند سليمان فخرج الغلام من بطن الفرس فلاحها ولا مسها وانفضها وأحبلها من ساعتها وفرح كل واحد منهما بصاحبه واستأنس به

وكان سليمان عليه السلام قد جاءه الخبير باجتماعهما من قبل الريح وأن العنقاء واحدة .
وكان مجلس سليمان يومئذ بمجلس الطير وحكمهم لمجلس سليمان عليه السلام للطير في .
مرتبته ودها بعرفاء الطير وأمرها أن لا تدع طيراً إلا حشرتة إليه فحشرت إليه
جميع الطيور ثم أمر عرفاء الجن أن يحشروا قبائل الجن من سكان البحار وسكان
الجزائر والهماء والمغازات والقفلات والامصار فحشروا إليه وأمر الشياطين .
فأحضرت كذلك ، وكذلك الإنس كهيئتهم ثم كل دابة تدب على وجه الأرض
فاشدت الخوف وقالوا في أنفسهم نشهد بالله أن نبي الله قد أمره أمر عظيم فأولسهم .
قد خرج في تقديم الطير سهم الحداة وكانت الطير لا تقدم إلا بالسهم وكذلك
الجن والشياطين فتقدمت الحداة تدهى على زوجها وكان قد جحد ولدها فقالت .
يا نبي الله إنه سفدنى حتى احتضنت بيضى وأخرجت ولدى جحدنيه فقال سليمان .
لذلك ما تقول فقال يا نبي الله إنها لا تمنع من الطير وهى تحوم البرارى فلا أدري .
هل هو منى أو من غيرى .

قال . فأمر سليمان بولدها فجىء به فوجد الشبيه فألحقه بالذكر ثم قال لها
لا تمكثيه من السفاد حتى تشهدى عليه بذلك الطير بالصراخ فإنه لا يجحدك بعدها .
ابداً إلى يوم القيامة فمى إذ سفدها ذكرها صاحته وقالت يا طيور سفدنى اشهدوا
معاشر الطيور اشهدوا .

ثم يخرج سهم العنقاء فتقدمت إليه فقال سليمان ما قولك فى القدر فقالت
يا نبي الله لى من القوة والاستطاعة ما أدفع الشر وأفعل الخير فقال لها سليمان .
فأين الشرط الذى بينى وبينك زعمت أنك تفرقين بقوتك واستطاعتك بين الجارين
والغلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله أكبر فانتنى بها الساعة والخلق شهود لأعمالهم
صدق قولك ثم أمر عريف الطير أن يكون معها لا يفارقها حتى تأتى بها فرتت
العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت الجارية إذا قربت منها العنقاء تسمع خفيف
أجنحتها فيبادر للغلام ويدخل جوف القرس .

فلما رأتها البنت قالت لها كالفزعة أن لك شأننا إن رجعت من ساعتك قالت لها
اى لعمرى أن لى شأننا هذا سليمان قد أمر بإحضارك الساعة لأمر كان بينى وبينه

بني أمرك وإني لأرجو نصرتي اليوم فيك قالت كيف تحمليني قالت على ظهري
قالت وهل أستقر على ظهرك وإني أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزال فأسقط
وأهلك قالت في منقاري قالت فكيف أصير في منقارك قالت لها وكيف أصنع ولا بد
لي من إحضارك عند سليمان وهذا عريف الطير معي وقد دعا بكفيلتي البومة .

فقالت لها ادخل في جوف هذا الفرخ ثم ترفعيه على ظهرك أو في منقارك فلا أرى
شيئاً ولا أسقط ولا أفزع من شيء قالت أصبت قال فدخلت في جوف الفرس
 واجتمعت مع الغلام ، وحملت العنقاء الفرس في منقارها وطارت حتى وضعت
الفرس بين يدي سليمان عليه السلام .

فقال - يا بني الله الآن في جوف الفرس فأين الغلام ؟ فتبسم سليمان طويلاً
ثم قال لها أتؤمنين بقضاء الله وقدره وأنه لا حيلة لأحد في دفع قضائه وقدره
وعليه السابق السكان من خير وشر فقالت أو من بالله وأقول إن المشيئة إلى العباد
والقوة فمن شاء فليفعل خيراً أو شراً قال سليمان كذبت ماجمل الله من المشيئة
للعباد شيئاً ، ولكن من شاء الله أن يكون سعيداً كان سعيداً ومن شاء الله أن
يكون كافراً كان كافراً ولا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا يفعل
ولا يعلم أن الغلام الذي قد ولد بالمغرب مع الجارية التي ولدت بالمشرق وقد
اجتمعا الآن في مكان واحد على سفاح ، وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت
العنقاء لا تقل يا بني الله هذا فان الجارية معي في جوف هذا الفرس فقال سليمان
لله أكبر أين البومة الماكفلة بالعنقاء ؟ قالت ها أما يا بني الله ، قال سليمان أنت
على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق أخرجهما
على قضائه ومشيشته قال فأمر البومة ففتحت جوف الفرس وأخرجتهما جميعاً من
جوف الفرس ، فأما العنقاء ففرغت وطارت وآمنت بالقضاء والقدر ، وهذا
ما كان من شأن العنقاء والبومة في القضاء والقدر والله أعلم بالغيب .

ويروى أن سليمان سار من أرض العراق غادياً فقام بمدينة مرو وصلى العصر
بمدينة بلخ تحمله الريح وأظله الطير بخيله وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متخلاً

بلاد الترك ثم جازها إلى أرض الصين ثم عطف بعينه على مطالع الشمس على ساحل
البحر حتى أتى أرض الهند ثم خرج منها إلى مكران كرمان ثم جاوزها حتى أتى
أرض فارس فبذلها أياما ثم غدا منها فقام بكسركر ثم رجع إلى الشام وكان مستقره
مدينة تدمر وكان قد أمر الشياطين قبل خروجه من الشام إلى العراق أن يبنيوا له
تدمر فبنوها بالصفائح والعمد والرخام الأبيض والأصفر وفي ذلك يقول الشعراء

واذكر سليمان إذ قال للمليك له قم في البرية فاحدها عن الفند
وجيش الجيوش إنى قد أبحت لهم بناء تدمر بالأحجار والعمد

قال ووجدت هذه الآيات منقورة في صخرة بأرض كسركر أنشأها بعض
صحاب سليمان بن داود عليهما السلام :

ونحت ولا حول سوى حول ربنا تروح إلى الأوطان من أرض تدمر
إذا نحن رحنا كان أمر رواحنا مسيرة شهر والفدو لآخر
أناس سروا والله طوع نفوسهم لنصرة دين النبي المطهر
لهم في معاني الدين فضل وزأفة وإن نسبوا يوما فن خير معشر
من ركبوا الريح المطيعة أسرعت مبادرة عن شهرها ولم تقصر
تظلمهم طير صفوفا عليهم متى رفرقت من فوقهم لم تفر

(رجعنا إلى القصة) وقال قوم من العلماء - معنى قوله تعالى - فطفق مسجعا
بالسوق والأعناق - حبسها في سبيل الله وكوى سوقها بميسم الصدقة وقال الزهري
مسح سوقها وأعناقها من الغبار .

وقال وهي رواية الواقدي عن ابن عباس قال - وقال علي بن أبي طالب كرم
الله وجهه ثم إن الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان وصلى
العصر في وقتها .

ومنها تسخير الله تعالى له الجن والإنس والطير والوحوش والشياطين يعملون له ما يشاء كما قال الله تعالى (ومن الجن ومن يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه عذاب السعير) وذلك أن الله تعالى وكل إليهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقتة ، فاعلمت له الشياطين بأمره وأحدثوا له الحمامات والطواحين والقوارير والصابون وأشياء كثيرة واحتفروا له نهر الملك والقوا ترابه بين خاتنين وقصر شيرين وعما عملوا له الغياصة كما قال الله تعالى (ومن الشياطين من يغوصون له) الآية وقال تعالى (والشياطين كل بناء وغواص) وكانوا يغوصون في البحار ويستخرجون أنواع اللؤلؤ والدر وسائر الجواهر البحرية . وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرد وأنواع الجواهر الثمينة من المأادن وهم أول من فعل ذلك .

(حديث القبة)

قال وهب بن منبه - يئنا سليمان عليه السلام على ساحل البحر والرياح من تحت الإنس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله إذ نظر إلى أعظم أمواج البحر فدعته نفسه أن يعلم ما في قعر البحر فأمر الريح فسكنت من تحته ، ثم قعد على كرسي ملكه ثم دعا رأس الغواصين فقال له اختر لي من أصحابك مائة رجل فاختر له مائة رجل فقال له اختر لي من المائة ثلاثين فاختر له ثلاثين فقال اختر لي من الثلاثين عشرة فاختر له عشرة فقال اختر لي من العشرة ثلاثة فاختر له ثلاثة فقال لو احدى منهم غص حتى تنظر إلى قاع البحر وأنا أئذي بالخبر فقال له سمعاً وطاعة لك يا نبي الله فغاص في البحر وأبعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذي رأيت ؟

قال : يا نبي الله ما رأيت إلا أمواجاً وحيتانا غير أني رأيت ملكاً عظيماً فقال لي أين تريد ؟ فقلت له إن نبي الله سليمان أرسلني أنظر له قعر هذا البحر فقال ارجع إليه فأقرأ عليه مني السلام وقل له إن قوماً ركبوا هذا البحر منذ

أربعين عاما فغاب عليهم مركبهم فخرجوا يصلحونه فسقط من أحدهم قدوم فهو يتجملجل في البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع اليه وأخبره بالخبر فتعجب نبي الله سليمان عليه السلام من ذلك ولها عما كان قصد .

قال - فبينما هو على الشاطئ إذ رأى قبة من زجاج تضربها الأمواج في لجة البحر فعارضها وقال للغواصين غوصوا في أثرها فذاصوا فأخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل البحر انفتح له بابان بمصرعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب أبيض من اللبن وكان رأسه تنقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدي سليمان فقال له سليمان يا فتى من الجن أنت أم من الإنس ، قال بل من الإنس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك ما أرى فقال يا نبي الله كانت لي والدة وكنت من أبر الناس بها أطعمها وأسقيها بيدي ولا أترك شيئا من صنائع البر إلا صنعتها بها فلما حضرته الوفاة سألتها أن تدعو لي فرفعت رأسها إلى السماء وقالت - يارب قد عرفت بر والدي بني فأرزه العباد في موضع لا يكون لإبليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفتها فخرجت يوما إلى ساحل البحر فإذا أنا بهذه القبة فدعنتي نفسي أن أدخلها فلما دخلتها انطبقت على أبوابها وتناخرت الأمواج وكان آخر عهدى يا نبي الله

فقال له سليمان فمن أين مطعمك ومشربك ؟ فقال يا نبي الله إذا كان الليل جاءني طائر أبيض في منقاره شيء أبيض فيدفعه إلى فمأكله فهو يقيمنى من الطعام والشراب فقال له سليمان - فمن أين تعرف الليل والنهار وأنت في ظلمة هذا البحر قال يا نبي الله في القبة خيطان خيط أبيض وخيط أسود فإذا رأيت الخيط الأبيض زائدا علمت أنه النهار وإذا رأيت الخيط الأسود زائدا علمت أنه الليل .

فقال له سليمان هل لك في صحبتنا رابعة ؟ قال لا يا نبي الله إن تشأناذن لي أن أعبد إلى قبتي فأذن له فأنطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتناخرت به الأمواج فكان آخر العهد به

(قصة مدينة سليمان عليه السلام التي كان يسافر بها في الهواء)

وعما عملوا له مدينة من قوارير عشرة آلاف ذراع في عشرة آلاف ذراع فيها ألف سقف مابين كل سقفين عشرة أذرع في كل سقف جميع ما يحتاج إليه من المساكين والقياب والمرافق أسفلها أغاظ من الحديد وأعلاها أرق من الماء يرى من داخلها ما وراء خارجها من صفائه ونقاته والشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى السقف الأعلى قبة بيضاء عليها علم أبيض يستضيء به في الليل الداجي العسكر كله يتلألأ شعاعه مد البصر وبها من الأركان ألف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه وأولياؤه علواً وسفلاً تحملها الريح إلى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرأ يا كل ويشرب وينام ويتمتع بها وفي أسفلها مرابط واصطبلات وأواري وأواخي لحيلة ودوايه وعما عملوا له كرسى ملكه .

(صفة كرسى سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) يروي أن نبي الله سليمان عليه السلام أمر الشياطين باتخاذ كرسى يقعد عليه للفضاء وأمر أن يعمل بديعاً مهنولاً بحيث لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وبهت فعملوا له كرسياً من أنياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع نخلات من الذهب شماليها الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الاخيرتين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسي أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الأخضر وقد عقدوا على النخلات أشجار السكرم من الذهب الأحمر واتخذوا عناقيد من الياقوت الأحمر بحيث يظل عريش السكروم والفنخل الكرسي قالوا وكان سليمان إذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي ورجله فيها ويدور دوران الرمح المسرعة وتشر تلك النور

وخطرا ويس أجنحتهما ويدسط الاسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذناهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعدا سليمان فإذا استوى بأعلاه أخذ الذسران اللذان على النخلتين المسك والعنبر يفتتا بهما عليه ثم تناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جواهر من أعمدة الكرسي التوراة ففتحا سليمان فيقرؤها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء ؛ قال وتجلس عظماء بني إسرائيل على كرسي الذهب والفضة المنصصة بالجواهر وهي ألف كرسي على يمينه وتجيء عظماء الجحش يجلسون على كراسي الفضة عن يساره وهي ألف كرسي حافين به جميعاً ثم تظلم الظلم وتقدم الناس إليه للقضاء فإذا دعا بالبينات وتقدمت الشهود لإقامة الشهادات دار الكرسي بجميع ما فيه وما حوله دون الرحى المسرعة

قال معاوية لوهب بن منبه ما الذي كان يدير ذلك الكرسي ؟ قال بلبلان من ذهب وذلك الكرسي مما عمله صخر الجنى قالوا فإذا دار الكرسي بسط الاسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذناهما ويذشر الذسران والطاوسان أجنحتهما فتفرع منه الشهود ويدخلهم من رعب شديد فلا يشهدون إلا بالحق ، فهذا شأن كرسي سليمان عليه السلام وعجائب ما كان فيه

فلما توفي سليمان عليه السلام بعث بختنصر فاخذ ذلك الكرسي وحمله إلى أنطاكية فأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بأحواله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الأسد يده اليمنى فضرب ساقيه ضربة شديدة دقها ورماء فحمل بختنصر فلم يزل يعرج ويتوجع منها حتى مات وبقي الكرسي بأنطاكية حتى غزاها ملك من الملوك يسمى كداس بن سداس فهزم خليفة بختنصر ورد الكرسي إلى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع فوضع تحت الصخرة قعاب ولم يعرف خبره ولا يدري أين هو والله أعلم ، ومنها بيت المقدس .

(صفة بنيانه وبده أمره)

قال الله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) الآية وقال تعالى (ونجيناه ولو طأ إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) تعالى بالماء والأشجار والثمار وقيل إن كل ماء عذب يخرج من تحت أصل للصخرة التي بميت المقدس يهبط من السماء إليها ثم يتفرق في الأرض وذلك قوله تعالى (باركنا فيها للعالمين) .

وروى خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ :
صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من أنهار الجنة . وعلى ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضى الله عنهما ينظمان حلى أهل الجنة إلى الإنعام .

وأما بده بناء بيت المقدس ، وصفة بنيانه على ما ذكره أهل البصيرة بالسيرة هو أن الله تعالى بارك في نسل إبراهيم حتى جعلهم في السكثرة غاية لا يحصون .

فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بأرض فلسطين وهم يزيدون كل يوم كثرة فأعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بني إسرائيل كم هم فأمر بعدهم وبعث بذلك عرفاء ونقاء وأمرهم أن يرفعوا إليه ما يبلغ من عددهم فكانوا يعدون زماناً من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل عليه السلام وأوحى إليه يا داود قد علمت إني وعدت أباك إبراهيم يوم أمرته بذبح ولده فصبر وأتم أمرى بأبى أبارك له في ذريته حتى يصيروا بعدد نجوم السماء وأجعلهم بحيث لا يحصى عددهم فأردت أن تعلم عددهم إنه لا يحصى عددهم غيرى وإني قد أقسمت لأتلقينهم ببليّة يقل منهم عددهم ويذهب عنك إعجابك بهم وبكثرتهم فاخترتوا لما أن أتيتكم بالجوع والقهط ثلاث سنين أو أسلط عليكم عدوكم ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام فجمع داود بني إسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى وخبرهم فيه فقالوا أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا فانظر لنا غير أن الجوع لا يصبر

(م ٢٢ - - قصص الأنبياء)

لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح فإن كان ولا بد فالموت لأنه بيده لا بيد غيره
فأمرهم داود أن يشهروا للموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الأكفان وبرزوا إلى
صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذراري والأهلين وأمرهم أن يضجوا إلى
الله تعالى ويتضرعون إليه لعله أن يرحمهم فأرسل إليهم الطاعون فأهلك منهم في
يوم وليلة ألوفاً كثيرة لا يدرى عددهم ولم يفرغوا من دفنهم إلا بعد موتهم بشهر
فلما أصبحوا في اليوم الثاني خسر داود عليه السلام ساجد الله تعالى يتهل إلى
الله تعالى ويقول يا رب أنا آكل الخبز والخامض وبنو إسرائيل يضرسون يعني
اذنبت وبنو إسرائيل يعاقبون فما كان من شيء أوفى أنزله واعف عن بني إسرائيل
فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون ورفع عنهم الموت فرأى داود عليه
السلام الملائكة ساين سيوفهم فغمدوها وارتقوا في سلم من ذهب في صخرة بيت
المقدس إلى السماء فقال داود لبني إسرائيل إن الله تعالى قد قدم عليكم ورحمكم فسجدوا
له شكراً وقالوا كيف تأمرنا قال أمركم أن تتخذوا في هذا الصعيد الذي رحمكم فيه
مسجداً لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذا كر الله تعالى فأخذ داود في بناءه .

فلما أرادوا أن يبتدئوا بالبناء جاء رجل صالح فتيمم يختبرهم ليعلم كيف لإخلاصهم
في بنائهم فقال لبني إسرائيل إن لي فيه موضعاً أنا محتاج إليه ولا يحل لكم أن
تجيبوني عن حقي فقالوا يا هذا ما من أحد من بني إسرائيل إلا وله في هذا الصعيد
حق مثل حقك فلا نسكن أبخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال أنا أعرف حقي وأنتم
لا تعرفون حقكم فقالوا له أما ترضى وتطيب نفسك إلا أخذناه منك كرها فقال
لهم أنجدون هذا في حكم الله وحكم داود ، قال فرجع خبره إلى داود عليه السلام
فقال أَرْضَوْهُ فقالوا بكم نأخذه منه يابني الله قال خذوه بمائة فقال الرجل زدني يابني
الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدني قال بمائة بعير قال زدني يابني الله فأنما
نشتريه لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال داود حيث قلت هذا فاحتكم أعطيك قال
تشتريه بجاط مثله زيتونا ونخلا وعنباً قال نعم فقال أنت تشتريه لله تعالى فلا تبخل
قال سل ما شئت قال أكرم على الله مني ولسكن ابن لي حوله جداراً مشرفاً ثم تملؤه
ذهباً وإن شئت ورقاً قال داود هذا هين فالتفت الرجل إلى بني إسرائيل وقال لهم

هذا هو التائب المخلص ثم قال داود يا نبي الله لأن يغفر الله لي ذنباً واحداً أحب إلى من كل شيء وهبت لي ولكن كنت اختبرتكم فجدوا في بناء بيت المقدس ، وكان ذلك فيما قيل لإحدى عشرين سنة مضت من ملك داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك أختبار بني إسرائيل حتى رفعوه قائمة وعجزوا فأوحى الله تعالى إليه أن هذا بيت مقدس وأنت رجل سفك الدماء ولست ببنائه ولكن ابن لك أملاً بهدك اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء ، وأفضى إتمامه على يديه ويكون صيته وأجره لك باقياً فصلوا فيه زماناً إلى أن توفي داود عليه السلام واستخلفه سليمان فأمره الله تعالى بإتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والإنس والشياطين وقدم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها وأرسل الجن والشياطين في تحصيل عمل الرخام والبلمور الأبيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها لاثني عشر ربضاً لكل ربض منها سبط من الأسباط وكانوا لاثني عشر سبطاً

فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقاً فريق منها يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق يغوصون في البحر ويستخرجون أنواع اللد وفريق يقطعون أنواع الرخام وفريق يغوصون على الجواهر وفريق يأتون المسك والعنبر وأنواع الطيب من أماكنها فأتى بشيء من ذلك لا يحصى إلا الله تعالى ، ثم أنه أحضر الصناعات وأمرهم بنحت تلك الحجارة وتنصيدها وإصلاح تلك الجواهر ونقشها فمكثوا بها ليلاتها فنصوت صوتاً شديداً تصلايتها فكره سليمان تلك الأصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة في نحت هذه الجواهر من غير تصدعت فقالوا يا نبي الله ليس في الجن أكثر تجارب ولا أكثر علماً من صخر العفاريث فأرسل إليه من يأتيك به فطبع سليمان بخاتم طابعاً وكان يطبع للشياطين بالنحاس وأسائر الجن بالحديد وكان إذا طبع بخاتم لمع ذلك كابرق الخاطف فكان لا يراه أحد من جن ولا شيطان إلا انقاد إليه بإذن الله تعالى فأرسل الطابع مع عشرة من الجن فأنوه به وهو في بعض جزائر البحر فأروه الطابع فلما نظر إليه كاد أن يصعق خوفاً فأقبل مسرعاً مع الرسل حتى

دخل على سليمان فسأل سليمان رسله عما أحدث العفريت في طريقه فقالوا يا نبي الله إنه كان يضحك بعض الأحياء من الناس فقال سليمان ما رضى بتمردك على و ترك الحجى إلى طاعنى صرت تسخر من الناس .

فقال يا نبي الله إني لست أسخر منهم غير أن ضحكى كان تعجباً مما كنت أسمع وأرى في طريقى فقال له سليمان وما ذاك ، قال مررت على شط نهر فوجدت رجلاً ومعه بغلة يريد أن يستمها و حرة يريد أن يستقى بها فسقى البغلة وملاً الجرة ثم أراد أن يقضى حاجته فشدد البغلة بأذن الجرة فنفرت البغلة وكسرت الجرة فضحك من حق الرجل حيث توهم أن الجرة تحبس البغلة ، ومررت برجل آخر وهو جالس عند إسكاف يستعمله في إصلاح خفله فسمعتة يشترط عليه أن يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين ونسى نزول ملك الموت من قبله فضحك من قلة عقله وجمله .

ومررت بناس قد جلسوا يبتلون إلى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة فل منهم قوم فقاموا وجاء آخرون فجاسوا فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم وأخطأت الذين كانوا من قبل وغشيت الذين جاءوا فضحك تعجباً للقضاء والقدر فقال له سليمان هل علمت من كثرة تجاربك وجولاتك في البحار شيئاً ينحت لى هذه الجواهر فتلين ويسهل نحتها وثقبها بلا صوت ؟ قال نعم يا نبي الله أعرف حجراً أبيض كاللبن يقال له الساموار غير إني لا أعرف معدنه الذى هو فيه ، وليس فى الطير شيء أحيل ولا أهدى من العقاب فأمر بفراخه أن تجمل فى صندوق من تلك الجواهر فإنه يأت بذلك الحجر فيضرب به الصندوق حتى يثقبه ليصل إلى أولاده قال فأمر سليمان بفراخ العقاب أن تضم فى صندوق من حجر منها يوماً وليلة فحجب عن أفرأخه فر مسرعاً وجاء بالحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل إلى أفرأخه فوجه سليمان مع العقاب نفرأ من الجن حتى أتوه منه بقدر ما علم أن فيه السكفاية واستعمل ذلك فى أدوات الصنائع فسهل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجر يستعمل فى نقش الخواتيم وثقب الجواهر إلى اليوم وهو ثمين عزيز قالوا فبنى

سليمان المسجد بالرخام الأبيض والأصفر وجمعه من المهابضاني وسقفه بألواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللائم والياقوت وأنواع الجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروز لم يكن يوجد يومئذ في الأرض أبهى ولا أنور من ذلك المسجد وكان يضئ في الليل كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع إليه أخبار بني إسرائيل وأعلمهم أنه بناء لله تعالى وكل شيء منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً لم يتخذ في الأرض قط أعظم عيد ذلك اليوم ولا أطعمه أكثر منه فذبح فيه من الجزر ألف جزور من البقر خمسة وعشرين ألفاً معلوفة ومن الغنم أربعة آلاف شاة قالوا ومن عجائب ما اتخذ سليمان بيت المقدس أنه بنى بيتاً وطين حائطه بالحصص وصقله ، فكان إذا دخله الباراستبان خياله في ذلك الحائط الأبيض وإذا دخله الفاجر استبان خياله في ذلك الحائط الأسود فازدع من ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة ونصب في زاوية من زوايا المسجد عصا أبوس فكان من مسها من أولاد الأنبياء لم يضره منها شيء ومن مسها من غيرهم احترقت يده.

فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قرباناً على الصخرة ثم قال اللهم أنت وهبت لي هذا الملك منأ منك على وجهك خليفتك في أرضك وأكرمته به من قبل أن أكون شيئاً فلك الحمد ، اللهم إني أسألك أن تدخل هذا المسجد خالصاً أن لا يدخله أحد يصلي فيه ركعتين مخلطاً فيهما إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ولا يدخله مذنب إلا نبت عليه ولا خائف إلا أمنت به ولا سقيماً إلا شفيته ولا مجذب إلا أخصته وأغنيته ، وإذا أجبته دعوتي وأعطيتني طلبتي فاجه لي غلامته أن تقبل قرباني ، قال فتزلت نار من السماء فسدت ما بين الخافقين ثم امتد منها عنق فاحتمل القربان وصعد به إلى السماء .

وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام إلى أن غزا بختنصر بن إسرائيل شرب بيت المقدس وألقى فيه الخيف وكبسه بالتراب ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر والآثمة إلى أرض بابل ، وكان يبني المقدس خراباً إلى أن بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأمره والله أعلم .

(باب في قصة بلقيس ملكة سبأ والهدهد وما يتصل به)

قال الله تعالى (وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين)
الآية ، قالت العلماء بأخبار القدماء : إن نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام
لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى الحرم فتجهز للمسير واصطحب
معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ عسكرة مائة فرسخ
وأمر الريح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم وقرب
القرابين وقضى المناسك وبشر أهله بخروج نبينا محمد ﷺ وأخبرهم أنه سيد
الأنبياء وخاتم النبيين وإن ذلك مثبت في زبورهم .

ثم أحب أن يسير إلى أرض اليمن فخرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن يقوم
نجم سهيل فوافوا صنفاً وقت الزوال ، وذلك مسيرة شهر فرأى أرضاً بيضاء حسنة
تزهو بخضرتها فأحب النزول بها ليصلي ويتغذى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد
دليله وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى أحدكم كأسه بيده فينقر الأرض
حتى يعرف موضع الماء وعمقه ، ثم تجيء الشياطين فيسألهونه كما يسألخ الإهاب
فيسخر جون الماء .

قال سعيد بن جبير : لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع بن الأزرق
كيف يبصر الماء من تحت الأرض ، ولا يبصر الفخ إذا غطى بقدر أصبع من
التراب ؟ قال ويحك إذا جاء العذر عمى البصر .

وروى قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « انها كم عن قتل
الهدهد فإنه كان دليل سليمان على الماء ، فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعدوه
ثم إن الهدهد لما جاء قال « وجهتك من سبأ بنياً يقين إني وجدت امرأة تملككم
الآية ، وذلك أنه لما نزل سليمان قال الهدهد في نفسه إن سليمان قد اشتغل بالنزول
رتفع إلى نحو السماء ونظر إلى طول الدنيا وعرضها ونظر يميناً وشمالاً فرأى
مستان بلقيس فقال إلى الخضره فوقع فيها فإذا هو بهدهد اليمن فهبط عليه وكان اسم

هدهد سليمان يعفور واسم هدهد الين عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت ؟
 وإلى أين تريد ؟ قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام ،
 فقال له الهدهد : ومن سليمان بن داود ؟ قال مالك الجن والإنس والشیاطین
 والوحوش والرباح ، فمن أين أنت ؟ قال أنا من هذه البلاد ، قال ومن ملكها ؟
 قال امرأة ، قال فما اسمها ؟ قال يقال لها بلقيس ، وإن لصاحبكم سليمان ملكاً
 عظيماً ، ولكن ليس ملك بلقيس دونه فإنها ملكة الين كله وتحت يدها اثنا عشر
 ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل . والقيل هو القائد بلغة أهل الين قيل أنت
 مطلق معي حتى تنظر إلى ملكها ؟ قال فإني أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت
 الصلاة إذا احتاج إلى الماء فقال الهدهد اليماني إن صاحبك ليس له أن تأتبه بخبر
 هذه الملكة فانطلق معه حتى أتى بلقيس ونظر ملكها ، وما رجع إلى سليمان
 إلا وقت صلاة العصر ، قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب
 الهدهد ، وذلك أنه نزل على غير ماء فسأل الإنس عن الماء فقالوا لا نعلمه ،
 فسأل الجن والشیاطین فقالوا لا نعلم فتمتد ذلك الهدهد فلم يجد فزعه .
 وروى عن عكرمة عن ابن عباس قال : كل سلطان في القرآن حجة ، قال :
 دعا العقاب سيد الطيور فقال على الهدهد الساعة ؛ فرفع العقاب نفسه دون السماء
 حتى انتصب بالهواء فنظر إلى الدنيا كالقصة بين يدي أحدكم فنظر يمناً وشمالاً .
 فإذا بالهدهد مقبلاً من نحو الين فانقض العقاب نحوه يريد .
 فلما رأى الهدهد أن العقاب يريد بسوء ناشده وقال بحق الذي قواك وأقدرك
 على إلا رحمتي ولا تتعرض لي بسوء ، قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك إن نبي
 الله سليمان خلف أن يذهبك أو يذبحك ثم طارا متوجعين نحو سليمان فلما انتهيا
 إلى المعسكر تلقاهم الذسر والظير كله وقالوا له أين غبت في يومك هذا فقد توعدك
 نبي الله سليمان وأخبروه بما قال ، فقالوا الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بل إنه قال
 أو ليأتيني بسلطان مبین ، فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قائداً على
 كرسيه ، فقال العقاب قد أنيتك به يا نبي الله ، فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه
 وألقى فيه وجناحيه حتى يجرهما على الأرض تواضعا للسليمان فدس سليمان يده

إلى رأسه فجندها ، وقال أين كنت ؟ لا عذبتك عذاباً شديداً فقال الهدهد : يا نبي الله أذكر وقوفك بين يدي الله ، فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه .

أخبر الحسين بن محمد الثقف بإسناده عن عكرمة فقال : إنما صرف سليمان عن شبح الهدهد به بوالديه ثم سأله ما الذي أبطأك عنى قال الهدهد ما أخبر الله به ، أحطت بما لم يحط به ، أى علمت ما لم تعلم به ، وجشك من سبأ بنياً يقين لى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ، ولإسمها بلقيس بنت البشرخ وهو الهذهاذ ، وقيل هى بلحمة بنت شراحيل بن ذى جدن بن البشرخ بن الحارث بن قيس بن صنها بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وكان أبو بلقيس الذى يسمى البشرخ ويلقب بالهذهاذ ملكاً عظيماً وكان ملك أرض اليمن كلها : وكان يقول للملوك الأَطراف ليس أحداً منكم كفواً لى وأنى أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت الشكر ، وكانت الإانس إذ ذاك ترى الجن وتخاطبهم فولدت له بلحمة وهى بلقيس ولم يكن له ولد غيرها ، وتصديق ذلك ما أخبر به ابن ميمونة بإسناده عن أنى هريرة عن النبي ﷺ أنه قال (كان أحد أبوى بلقيس جنياً) قالوا فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف بولداً غيرها طلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعوها وتمت المبايعة .

وروى ابن ميمونة بإسناده عن الحسن بن على عن أنى بكر ، قال ذكرت بلقيس عند رسول الله ﷺ فقال (لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) قالوا فلما لمكنت بلقيس اتخذت قصراً وعرشاً .

(صفة القصر الذى بنته بلقيس)

قال الشعبي : روى أن بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فحمل إليها خمس مائة أسطوانة من رخام حاول كل أسطوانة خمسون ذراعاً فأمرت بها فنصب على تل قريب من مدينة صنعاء وجعلت بين كل أسطوانتين عشرة أذرع ، ثم جعلت فيها سقف منظومة بالواج الرخام واللحم بعضها إلى بعض بالرصاص حتى صارت كأنها

لوح واحد ، ثم بنيت فوق ذلك قصراً مربعاً من آجر وجص في كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة في الهواء ، وفيما بين ذلك مجالس محيطها من ذهب وفضة مرصعة بالوان الجواهر المربعة ؛ وجهلت فيه أى في باب ذلك القصر مما يلي المدينة برجاً من الرخام الأبيض والأخضر والأحمر ، وفي جوانبه حجر الحجاب ونوابها وحراسها وخدمها وحشمها على قدر مراتبهم .

(صفة عرشها)

كان مقدمه من ذهب مفصص بالياواقيت المحر والزمرد الأخضر ومؤخره من فضة مكل بالوان الجواهر ، وله أربع قوائم ؛ قائمة من ياقوت أخضر ، وقائمة من زمرد أخضر ، وقائمة من درأصفر وصفائح السري من الذهب وعليه سبعون بيتاً وعلى كل بيت باب مغلق ، وكان طوله ثمانين ذراعاً في الهواء فذلك قوله عز وجل : وأوتيت من كل شيء ، مما يحتاج إليه في الملك من الادلة والعدة ، ولها عرش عظيم ، أى سرير ضخم حسن ، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، وذلك أنها قالت لوزرائها ما كان يعبد آباءى الماضون ؛ قالوا كانوا يعبدون إله السماء ، قالت وأين هو ؟ قالوا فى السماء وعلمه فى الأرض ، قالت فكيف أعبده وأنا لا أراه ولست أعرف شيئاً أشد من نور الشمس فهى أولى بما يذبحى لنا عبادته فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها إذا طلعت وإذا غربت .

قال : فلما قال ذلك الهدهد لسليمان قال له سليمان ؛ سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ؛ ثم أن الهدهد دلم على الماء فاحتفروا فى الزكاياء وهى الآبار التى تطو بطن كل واد فروى الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتاباً ؛ من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ ؛

(بسم الله الرحمن الرحيم ؛ السلام على من اتبع الهدى . أما بعد : أن لا تعملوا على وائتوني مسلمين) .

قال ابن جريج وغيره ولم يزد سليمان على ما قص الله تعالى في كتابه شيئا وكان أبلغ الناس في كتابه وأقله إملأه ، وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جملا ولا يطيلون كتاباً ولا يكتبون ، قالوا فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ، وقال للهدد ؛ اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم قول عنهم وكن قريباً منهم ؛ فانظر ماذا يرجعون ، أى يردون من الجواب فاخذ الهدد الكتاب وأتى به إلى بلقيس وكافت بارسى يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام فوافاها في قصرها ؛ وقد غلقت الأبواب ، وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب وأخذت المعانيج فوضعتها تحت رأسها ومضت إلى فراشها فأناها الهدد وهي نائمة مستلقية على ظهرها فالتقى المكتاب على نحرها هذا قول قتادة .

وقال وعب بن منبه ؛ كانت الزاكوة . معنى طاقة مستقبله للشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها سجدت لها فجاء الهدد إلى تلك الزاكوة فسددها بجناحيه فارتعدت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظرها فرمى الصحيفة في وجهها قالوا فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عربية من أصل تبع ابن شراحيل الحميري ، فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل هذا الكتاب هو أعظم ملكاً منها ، وقالت أن ملكاً تكون رساله الطير لملك عظيم فقرأت الكتاب وتأخر الهدد غير بعيد ، ثم أتيا جاءت حتى فعدت على سرير ملكها وجمعت المال من قومها وهم اثنا عشر قبيل تحت يد كل قبيل منهم مائة مقاتل وكانت تسلمهم من وراء الحجاب فإذا حز بها أمر أسفرت عن وجهها ، فلما جاءوا وأخذوا بجالسهم قالت لهم بلقيس ؛ إني ألقى إلى كتاب كريم ، أى شريف لشرف صاحبه .

وقال الضحاك ؛ سمته كريماً لأنه كان مخزوماً يدل عليه ما أخبرني به أبو حامد الوراق بإسناده عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال (كرم الكتاب ختمه) وقيل ؛ سمته كريماً لأنه مصدر بيسم الله الرحمن الرحيم ، فذلك قوله تعالى (إنه من سليمان) ولأنه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعملوا على واثقون مسلمين) ثم قالت ؛ يا أيها

الملا أفتوني في أمري ، وأشيروا على فيما عرض لي ، ما كنت قاطعة ، في بحر كذا
تشهدون أي تحضرون ، فقالوا بجهين لها ، نحن أولوا قوة وأولوا بأس سابعه
عند الحرب والامر إليك فانظري ماذا تأمرين ؛ تجدينا لامرك طائعين ، فقالت -
لهم بلقيس حين عرضوا أنفسهم للحرب (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها
وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أي أهانوا أشرافها وكبرائها لكي يستقيم لهم الامر -
فصدق الله قولها فقال (وكذلك يفعلون) أنشدني أبو القاسم الجنيد في هذا المعنى .
قال أنشدني أبي في معناه ؛

إن الملوك بلاء حيشما حلوا فلا يكن لك في أكثافهم ظل
ماذا تأمل من قوم إذا غضبوا جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا
وإن مدحتهم خالوك تخدعهم واستثقلوك كما يستثقل السكل
فاستن بالله عن أبوابهم كرماً أن الوقوف على أبوابهم ذل

قال الله تعالى مخبراً عنها (ولإني مرسله إليهم بهدية) وذلك أن بلقيس كانت
امراًة لبينية عاتلة قد سامت الملا عن قومها وجربت الامر وسامته ، ولإني مرسله
إليهم إلى سليمان وقومه بهدية أصانعه عن ملكي وأختبره بها أملك أم نبى فإن
يك ملكاً قبل الهدية والصرف ، وإن يك نبياً لم يقبل الهدية ولم يرض منا إلا أن
تدبجه على نبيه ، ثم أمدت إليه وصفاء ووصائف ، قال ابن عباس ؛ ألبستهم لباساً
واحداً حتى لا يكون يعرف الذكر من الأنثى ؛ وقال - ألبست الغلمان
لباس الجوارى ، وألبست الجوارى لباس الغلمان ؛ واختلفوا في عددهم ؛ فقال
السكى عشرة جوار وعشر غلمان ، وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة ، وقال
مجاهد مائتا غلام ومائتا جارية . وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية
وأرسلت إليه أيضاً بصفائح الذهب واختلفوا في - بها وعددها .

أخبرتني ابن ميمونة أيضاً بإسناده عن ثابت - بنى في قوله تعالى (ولإني
مرسله إليهم بهدية) قالت أهدت له صفائح من الذهب في أوعية الديباج ، فلمسا
بأن ذلك سليمان أمر الجن فوهوا له الآخر بالذهب ثم أمر به فالقى في كل مكان .

مظلم جاءوا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان ، قالوا قد جئنا نحمل شيئا نراه
ههنا ملقى لا يلتفت إليه فصرخ في أعينهم ما جاءوا به ، وقيل كانت أربع لبنات
من ذهب .

وقال وهب بن منبه وغيره من أهل الكتاب عمدت بلبقيس إلى خمسمائة
جارية وخمسمائة غلام فاللبست الجوارى لباس الغلمان والاقبيه والمناطق ،
وأللبست الغلمان لباس الجوارى ؛ وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي
أعناقهم أطواقا من ذهب وفي آذانهم أقراطا وشنوقا مرصعات بأنواع الجواهر
وحملت الجوارى على خمسمائة فرس والغلمان في خمسمائة برذون على كل فرس
سرج من ذهب مرصع بالجواهر غواشيها من الديباج الملون وبعثت إليه أيضا
خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت
المرتفع وأرسلت إليه أيضا بالمسك والعنبر والعود والألنجوج وعمدت إلى حقة
فجعلت فيها درة ثمانية غير مثقوبة وجزع خزرقة مثقوبة معوجة الثقب ودعت
رجلا من أشرف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضعت إليه رجلا من قومها
أصحاب الرأس والعقل وكتبت معهم كتابا بدمسخة الهدية وقالت في الكتاب ؛ إن
كنت نبييا فين بين الوصائف والوصفاء واخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها وثقب
الدرة ثقباً مستويا وادخل خيطا في الخزرقة ثم امرت بلبقيس الغلمان فقالوا لهم ؛
إذا كنتم سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث وتقديث يشبه كلام النساء وامرت
الجوارى أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم لأنها قالت للرسول ؛
انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظرك إليك نظرة غضب فاعلم أنه ملك فلا
يحولك منظره فأنا أعز منه ؛ وإن رأيته رجلا بشاشا لطيفا فاعلم أنه نبي مرسل
فتقدم كلامه وردته ابواب فأنطق للرسول بالهدايا .

فأما رأى الهمد ذلك أقبل مسرعا إلى سليمان واخبره بالخبر كله فأمر سليمان
الجن أن يصنعوا له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ، ثم أمرهم أن ينسجوا له
عن موضعه الذي هو فيه إلى تسع فراسخ ميدانا واحداً بأنماط الذهب والفضة
وأن يجعلوا حول الميدان حيطانا مشرفة من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم

إن الدواب أحسن مما رأيتم في البر والبحر فقالوا ؛ يا بني الله إنا رأينا في بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص فقال سايمان ؛ على بها الساعة فأتوه بها ؛ فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره عن لبتات الذهب والفضة والقوا لها علوفة فيها ، ثم قال للجن على بأولادكم فاجتمع خاق كثير فأقامهم فيها عن يمين الميدان وعن يساره . ثم قعد سايمان في مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومشاها عن يساره ، وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفاً فراسخ ، وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطيور فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره ، فلما أقبل القوم ودنوا من الميدان ونظروا إلى ملك سايمان ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم مشاهة تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت إليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا .

ثم رد سايمان الهدية كلها وقال (اتمدون بمال فأتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) لأنكم أهل المفاخر والمكاثرة في الدنيا ولا تعرفون غير ذلك وأدست الدنيا من حاجتي لأن الله تعالى قد مكّنني منها وأعطاني ما لم يعط أحداً من العالمين فيها ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى أكرمني بالنبوة والحكمة ثم أنه قال للمنذر بن عمرو أمير القوم (ارجع إليهم بالهدية فليأتينهم بجنود لا قبل لهم ولنخرجنهم منها أفلة وهم صاغرون إن لم يأتوني مسلمين) قالوا فلما رجعت رسل بلقيس إليهما من عند سايمان وأخبروها قالت ؛ والله ما هذا بملك وما لنا به من طاقة ، فبعثت إلى سليمان عاينه السلام إنني قادمة بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعون إليه من دينك ثم إن بلقيس أمرت بعرشها فجعل في سبعة أليات بعضها داخل بعض في آخر قصر من قصورها ثم أغاقت دونه الأبواب ووكّلت به حراساً يحفظونه ثم أنها قالت لمن خاف على سلطانها احتفظ بما قبلك عسرير ما لكى فلا تخص إليه أحداً ولا يراه حتى آتيك ؛ ثم أنها أمرت منادياً ينادى في أرض ممالكهم ليؤذنهم بالرحيل ، ثم شجعت إلى سايمان في اثني عشر ألف قيل من ملوك اللين ؛ تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل ؛ قال ابن عباس وكان سايمان هاهمه السلام رجلاً مهيباً لا يبتدىء بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه ؛

على سرير ملكه فرأى رجلا قريبا منه فقال ما هذا

الله قال : أو قد نزلت منا بهذا المكان ؟ قالوا نعم .

باس : وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فأقبل ساييمان على

مال (أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسامحين) أي طائفتين خاضعين .

اختلف العاهاء في السبب الذي لا يجله أمر سليمان بإحضار العرش ، فقال

رهم لأن ساييمان علم أنها إذا أسلمت حرم عايه مالها فأراد أن يأخذ سريرها

أن يحرم عايه أخذه بإسلامها .

وقال قتادة : لأنه أعجبه صمته لما وصفه المدهد فأراد أن يراه قبل أن يراها وقيل

ليريها قدرة الله تعالى وعظيم سطاته في معجزة يأتي بها في عرشها (قال عفريت من الجن)

وهو المارد القوي (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) من أي مجلسك الذي

تقضى فيه ، قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضى فيه إلى نصف النهار

واختلفوا في اسمه فقال وهب : إنه كودي ، وقال شعيب : إنه كبدان

(ولأني عليه لقوى) أي قوئى على حمله (أمين) على ما فيه من الجواهر ، فقال

سليمان أريد أسرع من هذا (فقال الذي عنده علم الكتاب) واختلفوا فيه فقالت

بعضهم هو جبريل عايه السلام وقال آخرون ، مالك من الملائكة أيد الله به

عايه السلام . وقال آخرون . بل كان رجلا من بنى آدم . ثم اختلفوا فيه

أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعي بن ماسكيا وكان صديقا يعلم لاسم

الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى .

واختلف العاهاء في الدعاء الذي دعا به آصف بن برخيا عند الإتيان بالعرش

فروى عن عائشة رضى الله عنها وعن أبيها أن الإسم الأعظم الذي دعا به آصف

ابن برخيا . يا حي يا قيوم . وروى عن الزهري قال . دعا الذي عنده علم من

... ب يا إلهنا وإله كل شيء إلهنا وإله لا إله إلا أنت اتقنى بعرشها .

وقال مجاهد إذا اجلال والإكرام .

فأما رأى ساييمان العرش مستقرا عنده محمولا إليه من مأرب إلى الشام في قدر

ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة (قال هذا من فضل ربي ليبلونى أشكر أم أكفر

ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) أى لم ينفع بذلك إلا نفسه حيث استوجب شكره
للقام النعمة ودوامها لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة (ومن
كفر فإن ربي غنى) عن شكره (كريم) الأفضال عمن يكفر نعمته فقال سليمان
عليه السلام (نسكروا لها عرشها) أى زيدوا وأنقصوا منه وجعلوا أعلاه أسفله ،
وأسفله أعلاه (تنظر أتم تدى إلى عرشها فتعرفه ، أم تسكون من الجاهلين) الذين
لا يهتمدون إليه أراد أنه يختبر عقلمها ، وأن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان
ويستولدها فتمشى إليه أسرار الجن فلا ينفسكون من تسخير سليمان وذريته من
بعده فأرادوا أن يهدوه فيها فأساءوا الشئاء عليها وقالوا إن في عقلمها شيئاً وإن
رجليها كحافر الحمار فأراد سليمان أن يختبر عقلمها بتمكير عرشها وينظر إلى قدميها
ببناء الصرح فلما جاءت بلقيس (قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو) فشبهته بها
وكانت قد تركته خلفها فلم تقر بذلك ولم تنكر فعل سليمان كمال عقلمها .

قال الحسين بن الفضل فشمعوا عليها فشمعته عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم
ولو قالوا لها هذا عرشك فقالت لهم نعم فقال سليمان وأوتينا العلم بابتلائها وبجيشها
طاعة من قبلها ، أى من قبل بجيشها وكنا مسلمين طائعين خاصين بالله عز وجل
قول مجاهد وغيره ، وقال بعضهم هو قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت
قد عرفت هذا وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه السلام بالآيات المتقدمة من
قبلها أى من قبل هذه الآية ، وكنا مسلمين أى متقادين لك مطيعين لأمرك من قبل
أن جئتاك ، وذلك أن سليمان لما أقبلت بلقيس تريده أمر الشياطين فبنوا لها صرحاً
أى قصرآ من زجاج كأنه الماء يياضاً وجروا من تحته الماء وألقى فيه السمك ثم
وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت الطير والجن والإنس .

ولما أمر ببناء الصرح لأن الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله لسليمان
ما سخر وبلقيس ما سخر سبأ ينكحها فتلد غلاماً فلا تنفك من اليهودية والسحرة
أبدأ فأرادوا أن يهدوه فيها فقالوا إن رجليها رجل حمار وأنها شعراء الساقين
لأن أمها كانت جنية فأراد سليمان أن يعلم حقيقة ذلك وينظر قدميها وساقها فامر
ببناء الصرح .

وقال وهب بن منبه : لما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها يواجها بذلك كما فعلت هي بتوجيهها إليه الوصائف والوصفاء ليعين بين الذكر والأنثى فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رآته حسبه لجة وهي معظم الماء فمكشفت عن ساقها لتخوضه إلى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً إلا أنها كانت شمراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداهما إنه صرح بمدد من قوارير وليس بماء فلما جلست قالت له يا سليمان إنى أريد أن أسألك عن شيء قال سلى ، قالت أسألك عن ماء ليس من الأرض ولا من السماء وكان سليمان إذا جاء شيء لا يعلمه سأل عنه الإنس فإن كان عندهم علم ذلك وإلا - آل الجن فإن علموا وإلا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما أهون ذلك أومر بالخليل أن تجرى ثم املا الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل ثم قالت اخبرنى عن كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجداً وصعق فقامت عنه وتفرقت جنوده فجاءه جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما شأنك ؟ قال يا جبريل ربى أعلم بما قالت ، قال فإن الله يأمرك أن ترجع إلى سريرك فترسل إليها وإلى من حضرها من جنودك وجنودها فقسأها وتسألهم عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقروا قال عن ماذا سألتينى ؟ قالت سألتك عن ماء ليس من أرض ولا من سماء فأجبت قال أى شيء سألتينى أيضاً قالت ما سألتك عن شيء إلا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وأنسأهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب ، ثم إن سليمان دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال الهدهد والهدية والرسل والعرش والصرح فأجابت وقالت رب إنى ظلمت نفسى بالكفر وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين .

واختلف العلماء فى أمرها بعد الإسلام فقال أكثرهم لما أسلمت بلقيس أراد سليمان أن تزوجها فلما هم بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقها فسأل الإنس والجن والشياطين فقالوا لا ندرى فلما ألح عليهم قالوا نحن نحتاج لك عليه حتى يكون كافضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام .

قال ابن عباس : إنه أول يوم رؤيت فيها النورة فاستسكحها سليمان عليه السلام
أخبرني ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي ﷺ قال : أول من اتخذ
الحمامات سليمان عليه السلام ، فلما التصق ظهره بالجدار ، قال أوامه من عذاب الله
تهال ، قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حباً شديداً وأقرها على مملكتها وأمر الجن
فبنوا لها بأرض اليمن ثلاث حصون لم ير الناس مثلاً ارتفاعاً وحسناً وهي : سلحين
وعمدان وبنيون ثم إن سليمان كان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها إلى
مملكتها ويقوم عندها ثلاثة أيام ثم يبعث من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام .

وروى محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه ، قال سليمان بلقيس .
لما أسلمت وفرغ من أمرها اختارني رجلاً من قومك حتى أزوجه إياه قالت ومثلي
ينسكح الرجال يابني الله وقد كان لي في مملكتي وقومي من السلطان ما كان قال نعم
لأنه لا يكون في الإسلام إلا ذاك ، ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله لك قالت
زوجني إن كان ولا بد من تبع الأكبر ملك همدان فزوجه إياها ثم ردها إلى اليمن
وجعل زوجها ذا تبع علي اليمن ودعا سليمان زوجة أمير جن اليمن وقال له أعمل
لذي تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذي تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بهاملاً كما يعمل
فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام ، قال فلما حال الحول وبلغ الجن موت
سليمان عليه السلام أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى إذا كان في جوف اليمن صرخ
بأعلى صوته يا معشر الجن أن سليمان نبي الله قد مات فارفعوا أيديكم قال فعمدت
الشياطين إلى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتاباً بالمسند يعني خط الخيرية نحن
بنينا سلحين وبنينا صرّاح ومرواح وفنقون وهندة وهندة ودلوم وهذه
الخصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذي تبع ولولا صارخ بتهامة لما رفعوا أيديهم
فانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه
السلام والله أعلم .

(باب في ذكر غزوة سليمان عليه السلام وأبا زوجته الجرادة)
(وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه)

قال الله تعالى (وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) وروى محمد بن إسحق عن بعض العلماء أن سليمان أخبر أن في جزيرة من جزائر البحر رجلاً يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس إليه سبيل لمساكنه في البحر وكان الله قد أتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر فخرج إلى تلك المدينة فحملته الريح على ظهرها حتى نزل عليها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وسي ما فيها فأصاب فيما أصاب بلثماً لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلاً حسناً وجمالاً فأصطفها لنفسه ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على يده في الظاهر على خيفة منه وقلة ثقة فأحبها حباً شديداً لم يحبه أحد أمي نسائه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرفأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرفأ ، فقالت إني أذكر أرى وأذكر ملكي وسلطاني وما كان فيه فيحزنني ذلك ، فقال لها سليمان قد أبدلك الله ملكاً هو أعظم من سلطانه وهداك الله إلى الإسلام وهو خير لك من ذلك كله فقالت :

إن ذلك حقاً ولكنني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن ، فلوأنت أكرمت الشياطين يصورون لي صورته في داري التي أنا فيها أراه بكرة وعشيرة لرجوت أن يذهب ذلك حزني ويسليني عن بعض ما أجد في نفسي ، فأمر سليمان الشياطين أن يمثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً ففعلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه فعمدت إليه حين صدوه فأآزرتة وقصته وعمته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبسها ثم أنها كانه إذا خرج سليمان من دارها تغدوا إليه في ولائها فوسجد له ويسجدن له معه كما كانت تصنع معه في ملكه وتروح إليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بذلك أربعين صباحاً فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقاً وكان لا يرد عن باب سليمان في أي ساعة أراد

دخول بيته دخل حاضراً أم غائباً فأناه ، فقال يا نبي الله كبر سنى ودق عظمى ونفذ
عمرى وقد حان الذهاب منى وقد أحبيبت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه من
مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى عليهم بعلوى فيه وأعلم الناس بعض ما يحملون من
كثير من أمورهم فقال افعل بجمع سليمان الناس فقام فيهم خطيباً فذكر من مضى
من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبي بما فيه وذكر ما فضلهم الله به حتى انتهى إلى
سليمان فقال له ما كان أحكمك في صغرك وأروعك في صغرك وأفضلك في صغرك
وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك من كل ما يكره في صغرك ثم انصرف فوجد
سليمان في نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظاً فلما دخل سليمان داره أرسل إليه فلما
أتاه قال له : يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنت عليهم خيراً في
كل أزمانهم وعلى كل حال من أمورهم فما ذكرتني أثنت على بخير في صغرى وسكت
عما سوى ذلك من أمرى في كبرى فما الذى أحدثت في آخر عمرى؟ فقال له أن غير
الله يعبد في دارك أربعين صباحاً في هوى امرأة ، فقال سليمان في دارى قال نعم في
دارك فقال إنا لله وإنا إليه راجعون لقد علمت أنك ما فعلت إلا عن شىء بلغك .

ثم إن سليمان رجع إلى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولادها .

ثم إنه أمر بثياب الطهر فأثى بها وهى ثياب لا يفرلها إلا الأباكر ولا تمسها
امرأة ذات دم ، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده وأمر برماد ففرش
ثم أقبل تائباً إلى الله تعالى حتى جهس على ذلك الرماد وتمسك فيه بثيابه تذللاً لله
تعالى وتضرعاً إليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان في داره ويقول فيما يقول :

رب ما كان يذبح لآل داود أن يعبدوا غيرك وأن يقرؤا في دورهم وأهاليهم
عبادة غيرك فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع إلى داره .

وكانت له وليدة يقال لها أمينة كان إذا دخل مذهبها أو أراد قضاء حاجة أو
اراد إصابة امرأة من نساها وضع خاتمها عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمها

إلا وهو متطهر لأن خاتمه كان من ياقوتة خضراء. أنها بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوماً من الأيام عندها كما كان يضعه عند دخول مذهبها فأناها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخرًا فظنته سليمان لأنها لم تنكر منه شيئاً فقال يا أمينة خاتمي فتناولته لياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فمكثت عليه الطير والجن والإنس والشياطين .

فخرج سليمان فأتى إلى أمينة وقد تغير من حاله ونفسه ما كان معهوداً منه عند كل من رآه .

فقال يا أمينة خاتمي فقالت ومن أنت ؟ قال سليمان بن داود فقالت كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وها هو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان وجعل يقف على الدار فيقول أنا سليمان بن داود فبحشون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا إلى هذا المجنون وأي شيء يزعم يقول إنه سليمان .

فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجهاً إلى البحر فمكث ينقل الحيتان لأصحاب البحر من البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحدى السمكتين بأربعة وشوى الأخرى فيأكلها فمكث كذلك أربعين صباحاً عدة ما كان ذلك الوثن يعبد في داره .

فأنكر آصف بن برخيا وعلباء بن إسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الأربعين يوماً ، فقال آصف يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيتم ؟ قالوا نعم فقال أمهلوني حتى أدخل على نساء فأسألن هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرناه من عامة أمر الناس وعلايته فدخل على نساءه فقال لهن ويحك هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما أنكرناه فقلن

أشد ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جفابة فقال آصف إنا لله وإنا إليه راجعون إن هذا هو البلاء المبين .

ثم إنه خرج إلى بني إسرائيل فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة ، فلم حضرت أربعون صباحا زال الشيطان عن مجلسه ، ثم مر في البحر ففقد الخاتم فتناقلته سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى إذا كان العشاء أعطاه السمكتين وكان من جملتهما السمكة التي ابتلعت الخاتم فحمل سليمان سمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد إلى السمكة الأخرى فشقها ليشويها فوجد خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجدا فمكث عليه الطير والجن والإنس والشياطين وأقبل على الناس .

وعلم أن الذي دخل عليه لما أحدث في داره من عبادة الوثن فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه . ثم أمر الشياطين وقال انتموني بصخر المارد فطلبته الشياطين حتى أتت به وفتحت له صخرة فأدخله فيها ثم سد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد إلى رصاص ثم أمر به فقذف في البحر ، فهذا حديث وهب بن منبه .

قال وأقبل سليمان على حالته التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم ، وقال إني سليمان بن داود فقام إليه بعضهم فضربه بعصاه فشججه فسال دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا له بلئنا صنعت حيث ضربته ، فقال إنهم آفاه سليمان بن داود فأعطوه سمكتين من ضرب عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه في بطن أحدهما فأخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه وبهائه وجاءت الطير حتى حامت عليه فحرفه القوم فجاءوا يعتذرون إليه مما صنعوا ، فقال ما أؤاخذكم على عدوانكم ولا أؤومكم على ما كان منكم هذا ما كان لا بد منه ثم جاء حتى أتى ملكه وأمر أن

أتوا بالشیطان الذى أخذ خاتمه فألقى به فجعله فى صندوق من حديد ثم ألقوه
أففل عليه بقل وختمه بخاتمه ثم أمر به فألقى فى البحر وهو فيه كذلك .
لى الساعة .

وفى بعض الروايات : أن سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده
وكان فيه ملكه فأخذه سليمان وأعاد عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لا يثبت
فى يده أيقن بالفتنة ؛ فقال آصف لسليمان إنك مفتون بذنبك والخاتم لا يماسك
أربعة عشر يوماً ففر إلى الله تائباً من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير فى عملك
وأهل بيوتك بسيرك إلى أن يتوب الله عليك ويردك إلى ملكك ففر سليمان هارباً
إلى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت وأن الجسد الذى قال الله تعالى
(وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) هو آصف كاتب سليمان : وكان عنده علم
من السمكيات فأقام آصف فى ملك سليمان وعالمه يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعة
عشر يوماً إلى أن رجع سليمان إلى منزله تائباً إلى الله تعالى ورد الله عليه ملكه
فأقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم فى يده فثبت .

وقال الشعبي فى سبب زوال ذلك ولد لسليمان ابن فاجتمع الشياطين فقالوا
بعضهم لبعض أن عاش له ولد لم تنتهى عما نحن فيه من البلاد والسخرة فسمينا أنه
نقتل ولده أو أن نخبئه فعلم سليمان ذلك فأمر السحابة أن تأخذ ابنه وأمر الريح
فحملته وغدا ابنه فى السحابة فأمن مضرة الشياطين فعاتبه الله لئلا يخوفه من الشياطين
ومات الولد فألقى على كرسيه وهو الجسد الذى قصه الله علينا بقوله (وألقينا على
كرسيه جسداً له ثم أناب) والله تعالى أعلم .

(باب في ذكر وفاة سليمان عليه السلام)

قال الله تعالى (فلما قضينا عليه الموت) الآية ، قال أهل التاريخ : لبث سليمان في ملكه بعد أن رده الله تعالى عليه تعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محارِب و تماثيل وجفان كالجراب وقذور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويأمرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها إلى حيث أحب .

قال فتزيا لهم إبليس وهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم ؟ قالوا ما لنا طاقة لما نحن فيه فقال إبليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغاً لا تعملون شيئاً قالوا نعم ، قال فأنتم في راحة قال فابلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يحملوا ذاهبين وراجعين فجاءهم إبليس فقال كيف أنتم ؟ فشكوا إليه وأخبروه أنهم يحملون ذاهبين وراجعين فقال لهم إبليس أنتم بالليل ؟ قالوا نعم قال فأنتم في راحة .

قال فابلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار فتزيا لهم إبليس فشكوا إليه أنهم يعملون بالليل والنهار وإنهم دائبون في العمل فقال كيف أنتم : قالوا لا طاقة لنا فيما نحن فيه فقال لهم إبليس وما يشاء فعله قالوا نعم فتوقعوا الفرج وقد بلغ الأمر انتهاء فلم يلبثوا إلا قليلاً وقد مات سليمان عليه السلام .

قال ابن عباس وغيره : كان سليمان عليه السلام يحتجب في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرا به فدخله في المرة التي مات فيها وكان بدء أمره في ذلك أنه لم يكن يوماً يصبح فيه إلا تنبث لله في بيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فيقول لا شيء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فإن كانت نبتت الفرس كتب عليها غرسها في مكان كذا وكذا وإن كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا .

فبينما هو يصلي يوماً إذا رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخرفوبة قال ولأى شيء تبتك ؟ قالت لخراب هذا المسجد .

فقال سليمان بن داود ما كان الله تعالى ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى غائط له .

ثم قال اللهم عم عن الجن موتى حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعملون الغيب ؛ وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعملون من الغيب أشياء وانهم يعملون ما يكون فى غد .

ثم إن سليمان دخل المحراب فقام يصلى متكئاً على عصاه فأتته بقى على تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يخرج فيعاقبهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد : قال سليمان للملك الموت إذا أمرتنى فأعلمنى ؛ قال فأتاه فقال يا سليمان قد أمرت بك وقد بقى لك سوية فدعا الشياطين فبنوا صرحاً من قوارير ليس له باب فقام يصلى واتسكأ على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه .

وفى رواية أخرى أن سليمان عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه - إن الله تعالى آتاني من الملك ماترون وما مر على يوم فى ملكى صاف من السكدر ؛ وقد أحببت أن يكون لى يوم واحد يصفون لى إلى الليل ؛ ولا أغتم فيه وأسكن ذلك اليوم غداً فلما كان من الغد دخل قصر له وأمر بإغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الأخبار إليه لئلا يسمع شيئاً يسوؤه ثم أخذ العصا بيده ووضعها فوق خصره واتسكأ عليها ينظر إلى ممالكه إذ نظر شاباً حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال السلام عليك يا سليمان فقال وعليك السلام فكيف دخلت على هذا القصر بغير إذن ، وقد منعت من دخوله أمامك البواب والحجاب ؛ أما هبتنى حين دخلت قصرى بغير إذن ، فقال أنا الذى لا يحجبني حاجب ولا يدفعني بواب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منهم الرشا وما كنت لأدخل هذا

القصير بغير إذن ، فقال سليمان فمن إذن لك في دخوله فقال له ربي ، قال فارتعد سليمان . وعلم أنه ملك الموت ، فقال له أنا ملك الموت ؛ قال نعم قال فيم جئت قال لأقبض روحك قال يا ملك الموت هذا يوم أردت أن يصنولي ولا أسمع فيه ما ينبغي .

قال يا سليمان إنك أردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا ينفعك فيه شيء . وذلك يوم لم يخاف في الدنيا فارض بقضاء ربك فإنه لا مرد له ، قال فاقبض كما أمرت فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه أقالوا وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه أينما كان ، وكان للمحراب بابان باب بين يديه وباب خلفه .

فقال بعض الشياطين لصاحبه إن كنت جليداً فادخل من الباب الذي بين يديه واخرج من الباب الذي خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق فمر ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ، ثم رجع فلم يسمع فوقه بالببيت فلم يحترق فنظر إلى سليمان وقد سقط ميتاً فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عليه فأخرجوه ووجدوا منسأة وهي العصا بلغة الحبشة قد أكلتها الأرض فلم يعملوا منذ كم مات فوضعوا الأرض على العصا فأكلت منها يوماً وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة ، وكانوا يعملون بين يديه وينظرون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس للطول صلاته قبل ذلك .

وفي رواية ابن مسعود ، فسكشوا يدا نون له بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس أن الجن كانوا يكذبون في ادعائهم علم الغيب فلو أنهم علموا الغيب لعلموا موت سليمان ولم يلبسوا في العناء والعذاب سنة يعملون له .

ثم إن الشياطين قالوا للأرضة لو كنت فأكلين الطعام لا نبتاك بأطيب الطعام هلو كسنت تشربين الماء لسقية ذاك أعذب الشراب ولسكننا نقتل إليك الماء والطير

فشكراً لك فالذى يكون في جوف الخشب فهو ما تأنيها به الشياطين تسكن إليها
فذلك قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض .
تا كل منساته) الآية .

قال أهل التاريخ : كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثاً وخمسين سنة ومدة ملكه
منها أربعون سنة وذلك أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت
القدس لأربع سنين مضين من ملكه ثم ملك بن بعد سليمان ابن له يقال له رحبعام
وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ؛ ثم قبض وكان ملكه
ثلاثاً وستين سنة ، ثم ملك بعد ابنه أساين آفيا وكان رجلاً صالحاً ، وكان أعرج
يعتريه عرق النساء فطمع فيه الملوكة اضعفه وافترت ملوك بني إسرائيل فغزاهم ملك
من ملوك الهند يقال له روح الهند في جمع كثير وقبيلة كبيرة فبعث الله عليهم الملائكة
فهمزتهم فقصدوا البحر حتى إذا ركبوا جميعاً بعث الله عليهم الرياح والأعواج
فضربت سفنهم بعضها في بعض فتسكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه
واضطربت الأعواج حتى ألقت أبقالهم وأموالهم وسلبهم إلى محلة بني إسرائيل
ونودوا أن خذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا من الشاكرين ثم لم تزل تغزوهم
الملك ملك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فيهم الله تعالى إلى أن ظهر فيهم
الظلم والفساد وفشت فيهم المعاصي وعبد بعض ملوك بني إسرائيل الأصنام من
دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر .

(مجلس في قصة بختنصر وما يتصل به)

وخبر شعيا وأرميا وعزير

عليهم وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام

قال الله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) إلى قوله عز وجل
(وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) .

(قصّة شعبياء عليه السلام)

قال محمد بن إسحق وغيره من أهل السير والأخبار: كان فيما أنزل الله تعالى على موسى خبر بني إسرائيل من أحداثهم ومآلهم فاعلموا بعده كما قال الله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علواً كبيراً) إلى قوله (حصيراً) فكانت بنو إسرائيل يركبون الأحداث والذنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تعطلاً وإحساناً إليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما أخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام بأن ملكاً منهم كان يدعى حصديق وكان الله تعالى إذا ملك ملكاً من ملوك بعث الله له نبياً يسدده ويرشده ويكون واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من أمورهم ولا ينزل عليهم كتاباً وإنما يأمرهم أن يأمرُوا بأحكام التوراة والنهي عن المعاصي والمنكرات والدعاء إلى ما تركوا من الطاعات.

فلما مات ذلك الملك بعث الله تعالى شعبياء بن أمضياء وذلك قبل مبعث زكريا يحيى وعيسى وشعبياء هو الذي بشر بيت المقدس حين شكاً إليه الخراب فقال لأبشرفاً فإنه يأتيك ركب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً.

فلما انقضى ملكه فيهم عظمت الأحداث الرديئة وشعبياء فيهم فبعث الله عليهم سمجاريب ملك بابل فنزل هو وجنوده في ستمائة ألف راية فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة شديدة فجاء إلياء شعبياء فقال يا ملك يهني إسرائيل إن سمجاريب ملك بابل قد أنزل هو وجنوده في ستمائة ألف راية وأقبل حائراً حتى نزل بيت المقدس وقد هابهم الناس وتفرقوا عنهم فكبر ذلك على الملك وقال يا بني الله هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبعدونا سمجاريب وجنوده فقال للنبي لم يأت وحى فبينما هم كذلك إذ أوحى الله تعالى إلى شعبياء عليه السلام أن أنت ملك بني إسرائيل فأمره ن

يوصى بوصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته وعترته فأتى شعيباً صديق فقال إن ربك قد أوحى إلى أن أمرك أن توصى بوصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فإنك ميت ، فلما قال ذلك شعيباً لصديق أقبل على الله تعالى وصلى ودعا وبكى وقال في دعائه وهو يبكي ويتضرع إلى الله تعالى بقالب مخلص وظن صادق .

اللهم رب الارباب وإله الآلهة القدوس المقدس يا رحمن يا رحيم يا رءوف يا من لا تأخذه سنة ولا نوم أذكرني بنيتي وفعلي وحسن قضائي في بني إسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به منى وسرى وعلائقي لك .

ثم إن الله تعالى استجاب دعاءه ورحمه وكان عبداً صالحاً ، فأمر الله تعالى إلى شعيباً وأمره أن يخبر صديق الملك أن ربه قد استجاب له ورحمه وقبل منه وقد أخرج له خمس عشرة سنة ، وانجاه الله تعالى من عدوه سنجاريب ملك بابل وجنوده فأتى شعيباً وأخبره بذلك ، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجد وانقطع عنه الهزال وخر ساجداً لله تعالى .

يا إلهي وإله آبائي لك سجدت وكبرت وسبحت وعظمت أنت الذى تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذى أجبته دعوتى ورحمت تضرعى .

فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى إلى شعيباً ، أن قل للملك صديق أن يأمر عبداً من عبيده فيأتيه بماء الثين فيجعله على قرخته فيشفى ففعل ذلك فبرأ فقال الملك لشعيباً ، سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعيباً قل له إني كفيتك عدوك هذا وأنجيتك منه وأنهم سيصبحون موق كلبهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ

على باب المدينة ياملك بنى اسرائيل قد كفناك الله عدوك فاخرج فإن سنجاريب ومن معه هلكوا فلما خرج التس سنجاريب فلم يوجد في الموقى فبعث الملك في طلبه فأدركه الطالب هو ومن معه في خمسة نفر من كبرائه في مغارة أحدهم يختصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم ملك بنى اسرائيل فلما رأهم خر ساجداً لله تعالى من حين طلعت الشمس إلى العصر ثم قال ياسنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال له سنجاريب قد أتاني خبر ربكم ونصرته إياكم من قبل أن أخرج من بلادى فلا أطلع مرشداً ولم يلقنى في الشقوة إلا قلة عذلى فلو سمعت وعقلت ماغزوتكم ولسكن الشقوة غلبت على وعلى من معى قال : فقال صديق الحمد لله رب العالمين الذى كفناكم بما يشاء إن ربنا لم يهلككم معكم لكرامتك عليه ولكن لتزدادوا شقاوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة .

ثم أن بنى اسرائيل تنافسوا في الملك حتى قتل بعضهم بعضاً وظهر فيهم البغى والعساد ونبههم شيعاء فيهم لا يرجعون إليه ولا يقبلون قوله فلما فعلوا ذلك قال الله تعالى لشيعاء عليه السلام : قم في قومك يوح على لسانك ؛ فلما قام النبي أطلق الله لسانه بالوحي فقال .

يا سماء اسمعى ويا أرض انصتى فإن الله أراد أن يقضى شأن بنى اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها فآوى شاردها وجمع ضالها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطح كباشها فقتل بعضهم بعضاً حتى لم يبق منهم عظيم صحيح يجبر إليه كسير فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أجهام الخير أم الشر وإن البعير يذكر وطنه فينتابه وأن الحمار يذكر الآرى الذى يشبع عليه فيراجمه وأن الثور يذكر المسرح الذى يصرح فيه فينتابه وأن هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم أولوا الابواب والعقول ليسوا ببقر ولا حير أنى ضارب لهم مثلاً فليسمعوه

قل لهم كيف ترون في أرض كانت خرابا مواتا فبقيت خرابا زمانا طويلا بلا
عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه
فاحاط عليها جداراً وشيد فيها قصرأ وأجرى نهرأ وأنبت عليها غرسا من الزيتون
والرمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه إذا رأى
حفيظا قويا أمينا فانتظرها فلما أطلعت جاء طلوعها خرنوبا فقال بلئس الأرض هذه
ترى أن يهدم جدرانها وقصرها ويفيض ماء نهرها ويحرق غرسها حتى تصير كما
كانت خرابا أول مرة مواتا لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم أن الجدار ذمتى
وأن القصر شريعتى وأن النهر كتابى وأن القيم نبى والغراس هم وإن الخرنوب
الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وأنا قضيت عليهم لمضاءهم على أنفسهم وأنه
مثل ضربه الله لهم ففرهم يتقربوا بذبح البقر والغنم ليس ينالنى اللحم ولا آكله
لكن يتقربون لى بالتقوى والكف عن ذبح النفس التى حرمتها فأيديهم خضوبة
منها وبناتها مزملة بدمها ، ويشهدون لى البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها
وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها فأى حاجة لى إلى تشييد البيوت ولست
أسكنها وأى حاجة لى إلى تزويق المساجد ولست أدخلها وإنما أمرت برفعها
لأذكر فيها وأسبح ولتكن معلما لمن أراد أن يصلى فيها ويقولون لو كان الله يقدر
على أن يجمع ألفتنا لجمعها ، ولو كان الله يقدر أن يفقه قلوبنا لفقهها فاعمدوا إلى
عودين يابسين ثم ابنهما وهم فى أجمع ما يكون فقل للعودين إن الله يأمركما أن
تكونا عودأ واحدا فلما قال لهما ذلك اختلطا بعضهم فى بعض فصارا عودأ
واحدا فقال الله تعالى لى على كل شىء قدير وأنا الذى صورتهم يقولون ضمنا فلم
يرفع صيا منا وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصد فلم ترك صداقتنا وإن دعونا بمثل
حنين الجبال وبكيها بمثل عواء الذئاب متذللين كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا
قال الله تعالى فسلمهم ما الذى يمنعنى أن استجيب لهم أليست أسمع السامعين وأنظر
الناظرين وأقر بالمحبين وأرحم الراحمين وأن رحمتى وسعت كل شىء إنما يترحم
المترحمون بفضلى ، أو لست أكرم الأكرمين .

وأنا مفتاح بالخيرات ألت أآود من اعطى وأكرم من سنل ولو أن
هؤلاء القوم نظروا لأنفسهم بالآكة التى تورث فى قلوبهم فندبروها ولم يشتروا
بها الدنيا لأبصروا وتية:وا أن أنفسهم هى أعدى العداة لهم؛ فكيف أرفع صيامهم
وهم يلبسونه بالزور ويقوون عليه بطعمه الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم
طاغية تركن إلى من يحاربنى وينتهك محارمى أم كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم
ينصدقون بأموال غيرهم وإنما أجرى عليها أهلها المخصوصين

أم كيف استجيب لهم دعاءهم وإنما هو قول بالسنتهم والعقل من ذلك بعيد
إنما استجيب قول المستعف المسكين وإن من علامة رضائ رضا المسكين ولورحموا
المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا المظلوم ونصروا المعضوب وعالوا الغائب
وأدوا إلى الفقير واليتيم والأرملة والمسكين حقه .

ولو كان يذنبى أن أكلم البشر إذا تكلمتهم وكففت أذا هم وكنت نوراً أبصارهم
وسمع أذانهم ومعقول قلوبهم وأعرت أركانهم وكنت قوة أيديهم وأرجلهم وكنت
السنتهم إلا أنهم يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالتى أنها أقاويل منقولة
وأحاديث متواترة وتأليف فيما يؤلف السحرة والكهنة وزعموا أن لو يشاءوا أن
يأتوا بحديث مثله لفعلوا وإن يطلعوا على الغيب بما توحى إليهم الشياطين إذا
طلعوها وهم يعلمون أنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما يبدون وما يكتُمون
وإنى قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء بيذته على نفسى وجعلت له أجلا
موجلا لا بد أنه واقع فإن صدقوا فيما يذبحون من علم الغيب فليخبرن وكفى أنفذه
وفى أى زمان يكون وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون فليأتوا بمثل
هذه القدرة التى بها أفضى فإنى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وإن كانوا
يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون فليأتوا بمثل هذه الآكة التى أدبرها أمر ذلك
القضاء إن كانوا صادقين فإنى قضيت يوم خلقت السموات والأرض بأن أجمل

النبوة في الاحرار وأجعل الملك في الرعاء وأجعل العز في الأذلاء والقوة في الضعفاء
والغنى في الفقراء والثروة في الأفلاء والمدائن في القلوات والآجام في المفاوز والثرى
في الغيطان والعالم في الجبلية والحكمة في الاميين فسلمهم من هذا ومن المقيم بهذا وعلى
يد من أشمته ومن أعوان هذا الامر وأنصاره فإني باعث لذلك نبياً أمياً لا أعمى
من العميان ولا ضالاً من الضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا بصخباب في الاسواق
ومتري بالفحش ولا قولاً بالخنا أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم اجعل
السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوقار
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والمعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه
والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به
الخطالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد الفقر واجمع به بعد
الفرفة وأولف به قلوباً مختلفة وأهواء مشتتة وأما متفرقة وأجعل أمته خير أمة
أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بأيان وتوحيد يصلون
قياماً وقعوداً وركوعاً وسجوداً ويقفون في سبيل الله صفوفاً وزخرفاً ويخرجون
من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله ألهمهم التكبير والتحميد والتسبيح والتمجيد
والتوحيد في مسيرهم وبحاسنهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومشواهم يكبرون ويهللون
ويقدسون على رؤوس الأشراف ويطهرون لى الوجوه والأطراف ويمقدون
الشباب في الأنصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم في صدورهم رهبان بالليل ليوث
بالنهار وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فلما فرغ شعبيا من مقالته غدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فليقيته شجرة
فانفلقت له فدخلها ، فأدركه الشيطان ، فأخذ بهذبة من ثوبه فأراهم إياها
فوضعوا المنشار في وسطها فذسروها ، حتى قطعوها وقطعوه وهو في وسطها

(قصة أرميا عليه السلام)

فاستخلف الله على بني إسرائيل بعد قتلهم شعياء رجل يقال له فاشمة بن أموس .
 «يبعث الله لآلئهم الخضر نبياً ليسدده ويأتيه بالخبر من الله تعالى وإسم الخضر
 أرميا بن خليفاء .

وكان من سبط هرون بن عمران وإنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء
 فقام عنها وهي تزهر خضراء قال الله تعالى لأرميا حين بعثه إلى بني إسرائيل
 يا أرميا من قبل أن أخلقك اخترتك من قبل أن أصورك في بطن أمك قدستك
 ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ، ومن قبل أن تبلغ السهمي نبأتك
 ولأمر عظيم اجتبيتك فذكر قومك نعمي وعرفهم أحداً منهم وادعهم إلى . فقال
 لأرميا إني ضعيف إن لم تقوني عاجزاً إن لم تنصرنى ، فقال الله تعالى أنا أهلك
 فقام أرميا فيهم خطيباً ولم يدر ما يقول ، فألمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة
 طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعذاب المعصية ، وقال لهم في آخرها إن الله قال :
 «فإني أحلف بعزتي وجلالي إن لم ينتهوا لافيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولا سلطان
 عليهم جباراً قاسياً ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم .

ثم أوحى الله تعالى إلى أرميا عليه السلام إلى مهلك بني إسرائيل يافث
 ويافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح ، فلما سمع أرميا بكى وصاح وشق
 ثيابه وحشا الرمد على رأسه ، فلما سمع الله تضرع أرميا وبكاه ناداه يا أرميا
 أشق عليك ما أوحيت إليك قال نعم يارب أهلكني قبل أن أرى في بني إسرائيل
 ما لا أسره . فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أهلك أحداً من بني إسرائيل حتى
 يكون الأمر في ذلك من قبلك ، ففرح أرميا بذلك وظابت نفسه وقال والذي
 بعث موسى بالحق لا أَرْضِي بِهَلاكِ بني إسرائيل ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكاً
 صالحاً ففرح واستبشر وقال ، إن يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وإن يرحمنا فبرحمته

ثم لأنهم لبشوا بعد الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا فيها إلا معصية وتمادياً في
الشّر وذلك حين اقترّب هلاكهم وفي الوحي ودعاهم الملك إلى التوبة فلم يفعلوا
فسلط عليهم بختنصر فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس .

فلم يصل بختنصر سائراً إلى الملك وقد أتى الملك الخبر فقال الملك لأرمياء أنت
زعمت أن الله أوحى إليك ، فقال أرمياء إن الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق
فلما قرب الاجل وأراد هلاكهم بعث إلى أرمياء ملسكاً قد تمثل له في صورة
رجل من بني إسرائيل ؛ فقال له يانبي الله إني استفتيك في أهل رحى وصلت
أرحامهم ولم أزل لأليهم محسناً ولا يزيد لأكرامى إياهم إلا استخفافاً بي فافتنى فيهم
فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فما مكث
إلا أياماً ثم أقبل عليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له أرمياء أو
ما ظهرت أخلاقهم بعد ، قال يانبي الله والذي بعثك بالحق نبياً ما أعلم كرامة
يأتينا أحد من الناس إلا أهل رحمة إلا قدمتها لأليهم وأفضل .

قال أرمياء عليه السلام ارجع إلى أهلك فأحسن لأليهم وسل الله الذي يصلح
عباده الصالحين أو يصلحهم فقام الملك فبكث أياماً وقد نزل بختنصر وجنوده
حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففزع منهم بنو إسرائيل وشق عليهم
فقال ملكهم لأرمياء يانبي الله أين ما وعدك الله به ؟ قال إن برى لواق ثم أقبل
الملك على أرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه
الذي وعد فقعد بين يديه وقال له أنا الذي أتيتك في شأن أهلي مرتين فقال له أرمياء
عليه السلام ألم يأن لهم أن يذنبوا من الذي هم فيه فقال له يانبي الله كل شيء كان
يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واليوم رأيتهم في عمل لا يرضى الله تعالى
فقال أرمياء عليه السلام على أي عمل رأيتهم : قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى
ففضضت لذلك وأتيتك لآخر برك ، وإني أسألك بالله الذي بعثك بالحق نبياً
إلا مادعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم ، فقال أرمياء ياملك السموات والأرض
إن كانوا على حق وصواب فابقهم وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم .

قال فما خرجت المكلمة من فم ارمياء تماماً حتى أرسل الله صاعقة من السماء
 في بيت المقدس فالتهب مكان العربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابه فلما رأى
 ذلك ارمياء صاح وبكى وشق ثيابه وحشا الرمال على رأسه وقال : يا ملك السموات
 والارض أين ميعادك الذي وعدتني ؟ فنودي أنه لم يصيبهم الذي أصابهم
 إلا بفتياك ودعائك فاستيقن ارمياء عليه السلام أنها فتياه وأن ذلك السائل كان
 رسول ربه فسار ارمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت
 المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه تراباً ثم يقذفه في بيت
 المقدس فقفوا فيه التراب حتى ملشوه ثم انصرفوا إلى بابل واحتمل معه سبايا
 بني اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا ما كان في بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير
 من بني اسرائيل فاختر منهم سبعين ألف صبي فلما أراد أن يقسم الغنائم في جنده
 قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها وأقسم يديننا هؤلاء
 الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل ففعل ذلك فأصاب كل واحد منهم أربعة
 غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنايا وعازريا وميشايل وسبعة آلاف
 من أهل بيت داود وأحد عشر ألفاً من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين
 وثمانية آلاف من سبط يساخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن
 يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى لابني يعقوب ومن بقي من
 بني اسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثاً أقره بالشام وثلثاً سبي وثلثاً قتل
 وذهب بأواني بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالغلن السبعين ألفاً وسائر
 السبايا حتى قدمهم بابل وكانت تلك الواقعة الأولى التي أنزلها الله على بني اسرائيل
 بأحاديثهم وظلمهم وذلك قوله تعالى (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا
 أولي بأس شديد) يعني بختنصر وجنوده ،

وكان بدء أمر بختنصر على ما روى حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم
 عن سعيد بن جبير كان رجل من بني اسرائيل يقرأ التوراة حتى إذا بلغ (بعثنا
 عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد) بكى وفاضت عيناه وأطلق المصحف ثم انطلق

إلى المسجد وقال يارب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني إسرائيل على يديه.
فأرى في المنام أنه مسكين ببابل يقال له بختنصر فانطلق بمال وعبد له وكان رجلاً
موسراً ؛ فقيل له أين تريد ؟ قال أريد التجارة .

ثم ذهب حتى نزل داراً ببابل فاستكراها ليس فيها أحد غيره ، فجعل يدعو
المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأية أحد مسكين إلا أعطاه ، فقال هل من مساكين
غيركم قالوا نعم مسكين بفج آل فرعون مريض يقال له بختنصر ، فقال لغللبانه
انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه .

فقال له ما اسمك ؟ قال بختنصر فقال لغللبانه احملوه فنقلوه إليه ومريضه حتى
يرى فـكساه وأعطاه نفقة .

ثم أذن الإسرائيلي في الرحيل فبكى بختنصر ، فقال الإسرائيلي ما يبكيك ؟
فقال أبكي لأنك فعلت معي ما فعلت ولا أجد شيئاً أجازيك به ، فقال جزائي
شئ يسير قال وما هو ؟ قال له إن صرت ملكاً وملكك بيت المقدس أعطيني
ما أطلبه فجعل يتبعه ويقول له أأستعزي بـي ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله .

قال : فبكى الإسرائيلي وقال قد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك إلا الله
تعالى يريد أن ينفذ قضاءه فـكتب له كتاباً وضرب الدهر ضرباته فقال يوماً
سيحون وهو ملك بابل لو أنا أرسلنا طليلة إلى الشام قالوا ماضرك لو فعلت
قال فن ترون قالوا فلاناً فبعث رجلاً وأعطاه مائة ألف فخرج بختنصر في مطبخه
لم يخرج إلا لياً كل في مطبخه .

فلما قدم إلى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أهل الأرض فرساناً ورجلاً
جلداً فـكبر ذلك في عينه فلم يصل ولم يسألهم عن شئ .

وكان بختنصر دخل الشام ولم يزل يجلس مجلس أهل الشام ويسألهم ويقول لهم
ما منعكم أن تغزوا ببابل فلو غزوتموها لنلتهم منها شيئاً كثيراً فقالوا إنما لا نحسن

القتال ولا تقايل حتى تنفقد بجالس أهل الشام وتعرف سرائرهم ثم إن الطليعة رجعوا فأخبرهم ملكهم بما رأوا وكان مختصر رجع معهم فجعل يقول انفرش الملك لو دعاني الملك لأخبرته غير الذي أخبره فلان وفلان فرفع ذلك إلى الملك فدعاه فأخبره الخبر ، وقال إن فلاناً لما رأى أكثر أهل الأرض كراماً ورجلاً جلد أكثر كبير ذلك في عينه ولم يسألهم عن شيء لأنى لم أدع بجالساً بالشام إلا جلست فيه . اسأل أهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا .

قال سعيد بن جبير : قال صاحب الطليعة لمختصر لك مبلغ مائة ألف دينار . وترجع عما قلت . فقال لو أعطيتني بيت مال بابل مارجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضرباته ؟ فقال الملك لو بعشنا جريدة خيل إلى الشام فإن وجدوا مساعداً ساغوا ولا أمسكوا ماقدروا عليه ؟ فقالوا ماضرك لو فعلت ذلك قال فن ترون قالوا فلاناً قال بل الرجل الذي أخبرني بما أخبرني فدعى بمختصر فبعشه ثم انتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم فأنطلقوا فاجاسوا خلال الديار فسبوا ما شاء الله تعالى ولم يخربوا ولم يقتلوا ومات مسيحيون الملك فقالوا استخلفوا ملكاً قالوا على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فإنهم فرسانكم فأمهلوا حتى جاء بمختصر بـ ١٠٠٠٠ فقسمه بين الناس ، فقالوا ما رأينا أحق بالملك منه فمذه القصة إلى ما قبله على أنفسهم .

وقال السدي بإسناده أن رجلاً من بني إسرائيل رأى في المنام أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يد غلام يتيم بن أرملة من أهل بابل يدعى . بمختصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فأقبل يسأل عنه حتى نزل في بيت أمه . وكان قد ذهب يختطب فجهاء وعلى رأسه حزمة حطب فألقاهم ثم قعد في جانب البيت فبكاهم ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها طعاماً وشرباً فأشترى بدرهم لحماً وبدرهم خبزاً وبدرهم خمرأ وجاء به فأكوا وشربوا حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك وفي اليوم الثالث فعل كذاك ثم قال له الإسرائيلي لأنى أحب أن تكتب لي أملاً إذا أنت ملكت يوماً من الدهر .

فقال بختنصر أتسخرنى قال لا أسخر منك ولست ماعليك أن يجعل عندى لك
بيداً فكلّمته أمه فقالت : ماعليك إن كان وإلا لم ينقصك شيئاً فكتب له أماناً .

فقال أرايت إن جئتك والناس حولك قد حالوا بينى وبينك فاجعل لى علامة
تعرفنى بها قال ترفع صحيفةك على قصبة فأعرفك بها فكتب له أماناً وأعطاه إياه
ثم إن ملك بنى إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا عليه السلام ويدنى مجلسه
ويستشير به فى أمره ولا يقطع امرأ دونه وإن المملك هوى أن يتزوج بنت امرأة له هذا
يقول السدى .

وقيل كانت بنت أخته لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : بعث
عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام فى لئلى عشر من الخواريين يملكون
الناس وكان فيما نهم عنه نكاح بنت الأخت .

قال وكان للملكم ابنة أخت تعجبه ويريد أن يتزوجها وكان لها فى كل يوم
حاجة يقضيها وذكر الحديث فى مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام .

رجعنا إلى حديث السدى فسأل يحيى عن نكاحها فقال لست أرضاها لك
فبلغ ذلك أمها فخطت على يحيى حين نهأه أن يتزوج لبنتها فعمدت حين جلس
المملك على شرابه فألبست لبنتها ثياباً حمراً رقاقاً فاخرة وطيبتها وألبستها من الحللى
شبهتاً لا قيمة له من غايته وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها إلى المملك
وأمرتها أن تسقيه الخمر وإن تعرض له فإن راودها عن نفسها أبت عليه حتى
يعطيها ما سألته ويكون الذى تسأله أن يأتى برأس يحيى بن زكريا فطشت ففعلت
ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتعرض له فلما أخذ من يدها الشراب راودها عن
نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطينى ما أسألك قال وما تسألينى ؟ قالت أسألك أن
تبعث إلى يحيى بن زكريا فتأيننى برأسه فقال ويحك سلينى غير هذا قالت ما أريد
غير هذا فلما أأبت عليه بعث إلى يحيى فأبى برأسه فجعلت الرأس تتكلم حتى وضعت

بين يديه وهي تقول إنها لا تحمل لك ، فلما أصبح الملك وإذا دم يحيى يغلي فأمر بالتراب فألقى عليه فرقى الدم فوق التراب يغلي فألقى عليه أيضاً وارفع الدم فوقه فلم يزل يلقي عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي فبلغ سنجاريب ملك بابل ذلك فنادى في الناس وأراد أن يبعث لهم جيشاً ويؤمر عليهم رجالاً فأناه مختصر وكلمه وقال إن الله أرسلت تلك المرة ضعيف وإني قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها فابهنني فبعثت ... حتى إذا بلغوا ذلك المكان ورآهم أهله تحصنوا في مدائنهم فلم يطقهم .

فلما اشتد عليهم المقام وجاع أصحابه وأرادوا الرجوع فخرجت إليهم عجوز من عجائز بنى إسرائيل وقالت أين أمير الجند فأبى به إليهما فقالت : لقد بلغني إنك تريد الرجوع بخودك قبل أن تفتح هذه المدينة قال نعم فطال مقامى وجاع أصحابي فلست أستطيع المقام فوق الذى كان منى أرايتك إن دلتك على فتح المدينة تعطيني ما أسألك وتقتل من أمرك بقتله وتسكب عمن أمرك بالكف عنه . قال لها نعم قالت إذا أصبحت فأقسم جندك أربعة أقسام ثم أقسم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء ونادوا ياربنا دلنا على من قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام فإنهم إذا فعلوا تساقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فأنطلمت به إلى دم يحيى بن زكريا عليهم السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفاً حتى سكن فلما سكن الدم قالت له كف يدك فإن الله تعالى إذا قتل نبي لا يرضى حتى يقتل من قتلته ومن رضى بقتله .

وأناه صاحب الصحيفة بصحيفته فسكب عنه وعن أهل بيته وخرّب بيته المقدس وأمر أن تطرح فيه الجيف . وقال من طرح عليه جيفة فله جزية في تلك السنة وأطاه على خرابة الروم من أجل أن بنى إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا فلما خربه بختنصر ذهب بوجود بنى إسرائيل وسراياهم .

(قصة دانيال عليه الصلاة والسلام)

وذهب دانيال وقوم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جمالوت .
فلما قدم بختنصر أرض بابل وجد سنجاريب قد مات فملك مكانه واستقام له
الأمرو ثبت على ذلك مدة .

ثم إن بختنصر رأى رؤيا عجيبة فأفرغته فسأل عنها السحرة والسكينة فميجزوا
عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان في السجن مع أصحابه وقد أحبه صاحب السجن
وأعجب به لما رأى من حسن سمته وهدايته ، فقال دانيال لصاحب السجن إنك قد
أحسنيت إلى وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدلّه على لا عبرها له فجاء السجنان وأخبر
بختنصر بقصة دانيال فقال على به ، وكان لا يقف بين يديه أحد إلا سجد له فأقوا
به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ما الذى منعك من السجود لى فقال له إن لى
رباً آتانى العلم والحكمة وأمرنى ان لا أسجد إلا له خشيت إن سجدت لغيره أن
ينزع منى العلم الذى آتانى ويهلك منى فاعجب به وقال نعم ما فعلت وقد أحسنيت
حيث وفيت بعهده وأجملت علمه .

ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤية وهسل لك في تعبيرها قال نعم قال
فأخبره برؤياه التى رآها قبل ان يخبره بها سم عبرها وكانت الرؤيا ما أخبرنا
عبد الله بن حامد بإسناده عن وهب بن منبه يقول : إن بختنصر رأى في منامه صنما
برأسه من ذهب وصدرة من فضة وبطنه من نحاس وفخذيه من حديد وساقه من
المنحار ثم رأى حجراً من السماء قد وقع عليه قدميه .

ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب ، ورأى شجرة أصلها فى الارص
وفروعها فى السماء ثم رأى رجلاً بيده فأس وسمع منادياً ينادى اضرب جذعها
يلفرق الطير من فروعها وتفرق الدواب والسباع من تحتها وأترك أصلها قائماً
فمعبها له دانيال عليه السلام .

أما الصنم الذى رأيت رأسه من الذهب فأنت الرأس الذهب وأنت فضل الملوك
وأما الصدر الذى رأيت من فضة فهو إبنك يملك من بعدك .

وأما البطن الذى رأيت من نحاس فملك يكون بعد إبنك .

وأما ما رأيت من الفخز الذى من حديد فتتفرق فرقان في فارس تكون أشد الملوك .
وأما الفخار فآخر ملوكهم يكون الحديد .

وأما الحجر الذى رأيت قد وقع من السماء وربا حتى ملأ ما بين المشرق
والمغرب فنبى يبعثه الله في آخر الزمان فيفرق ملكهم كله ويربو حتى يملأ ما بين
المشرق والمغرب .

وأما الشجرة التى رأيت والطير الذى عليها والسباع والدواب التى تحتها
وما أمر بقطعها فيذهب ملكك ويردك الله طائراً نسرأ عظيماً فتملك الطيور ثم
يردك الله ثوراً فتملك الدواب ثم يرده الله أسداً فتملك السباع والوحوش
وتكون منذ مسخك الله على ما ذكرنا سبع سنين في ذلك كله وقام لك قلب الإنسان
حتى تعلم ان الله له ملك السموات والأرض وهو يقدر على الأرض ومن عليها .

وأما ما رأيت من ان اصلها قائم فإن ملكك قائم ، فسئل وهب بن منبه أكان
مؤمناً أم لا ؛ فقال وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا في ذلك فمنهم من قال مات
مؤمناً ، ومنهم من قال مات كافراً لأنه حرق بيد المقدس والكتب التى فيه
وقتل الانبياء وغضب الله عليه غضباً شديداً فلم يقبل منه يومئذ توبة .

قالوا فلما عبر دانيال لبختنصر رؤياه وأخبره بها أكرم أصحابه
وجعل يقبل عليه ويستشير في أموره حتى كان أكرم الناس عليه وأحبهم إليه
فخسده المجوس على ذلك فوشوا به وقصدوا إلى لبختنصر فقالوا له إن دانيال
وأصحابه ما يعبدون إلهك ولا يأتون ذبيحتك فدعهم وسألهم فقالوا أجل إن
لنا رباً نعبد وسألنا نأكل من ذبيحتكم فأمر بأخدود فدع لهم وألقوا فيه وهم ستة
وألقى معهم سبع ضارياً كلهم ثم انطلقوا أنا كل واشرب فذهبوا وأكلوا وشربوا

ثم لانهم رجعوا فوجدوهم جلوساً والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخذش منهم
أحداً ولم ينالهم بشئ، ووجدوا معهم رجلاً رائداً فعذوهم فوجدوهم سبعة فقالوا :
ما بال هذا السباع وإنما كانوا ستة فخرج إليهم السباع وكان ملكاً من الملأئكة
فغلظتم بختنصر اطمة فصار في الوحوش والسباع ومسحه الله سبع سنين . ثم رد
إلى صورته ورد عليه ملكه .

قال السدي : فلما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه
فخدمهم الجوس أيضاً وشوا بهم ثمانية وقالوا لبختنصر إن دانيال إذا شرب الخمر
لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عاراً فجعل لهم بختنصر طعاماً وشرباً
فأكلوا وشربوا منه ثم قال للبواب انظر أول من يخرج عليك ليبول فأضربه
بأطبرزان فإن قال أنا بختنصر فقل له كذبت إن بختنصر أمرني فحس الله عن
دانيال وأصحابه البول فكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلاًه
وكان ذلك ليلاً فقام يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال أنا بختنصر فقال
كذبت إن بختنصر أمرني أن أقتل كل من يخرج أولاً ثم ضربه فقتله .

وأما محمد بن إسحق فإنه قال في هلاك بختنصر غير ما قال السدي وذلك أنه قال
بإسناده : لما أراد الله هلاك بختنصر قال لمن كان في يده من بنى إسرائيل أرايتم
هذا البيت الذي خربت وهؤلاء الناس الذين قتلتم من هم وما هذا البيت ؟ فقالوا
هذا بيت الله تعالى ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الأنبياء
فغلظموهم وتعدوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم .

قال فإخبروني ما الذي يطالع بي إلى السماء وأطلع عليها وأقتل من فيها وأخذ
ملكاً فإنني قد فرغت من الأرض وما فيها قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال
لنفعلمان أو لآفة لئلكم عن آخركم فشكوا إلى الله تعالى وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه
بقدرته ليرثه ضعفه وهو أنه بعوضة دخلت في منخره ثم ساخت فيه حتى عصت
بنام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه .

فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله . إذا أنا مات فشقوا رأسي وانظروا
ما الذى قتلتى ، فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بألم دماغه ليرى الله
العباد قدرته وسلاطانه ونجى الله تعالى من كان بقى فى يده من بنى إسرائيل ورحمهم
وردهم إلى إيلياء والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا حتى كانوا على أحسن
ما كانوا عليه فيزعمون ان الله أحيا المؤمنين الذين قتلوا ولحقوا بهم ثم لأنهم لم
رجعوا إلى الشام وجدوا يختصر قد أحرق التوراة وليس معهم عهد من الله
فجدد الله توراتهم وردها إليهم على لسان عزيز وسند ذكر القصة فيه إن شاء
الله تعالى .

وكان عمر يختصر أيام مسخه نيفاً وخمسمائة عام وخمسين يوماً - فلما مات يختصر
استخلف ابنه فلسطين وكانت آتية المقدس التى حملها يختصر إلى بابل عنده
وكان نجسها بل يوم الخنازير وشرب فيها الخمر وأقصى دانيال فلم يقبل منه
فاعتدل دانيال .

فبينما فلسطين قاعد ذات يوم إذ بدت له كف معالفة بغير ساعد فكتبت
ثلاثة احرف بمشهد ثم غاب فعجب من ذلك وتحير ولم يدرك ما هى فدعا دانيال
عليه السلام واعتذر إليه وسأله ان يقرأ له ذلك الكتاب ويخبره بتأويله
فقال دانيال .

بسم الله الرحمن الرحيم - وزن خفف ووعد فأنجز وجمع ففرق فقال أما قولك
وزن خفف - أى وزن عملك فى الميزان فخفف - ووعد فأنجز - أى وعد ملكك
بالخراب فأنجز اليوم وجمع ففرق ، أى جمع لك ولوالدك من قبلك ملكاً عظيماً
ثم فرق اليوم فلا يجمع إلى يوم القيامة فلم يلبث إلا قليلاً حتى أهلك الله تعالى
وضعف ملكهم وبقي دانيال عليه السلام بأرض بابل إلى ان مات بالسوس
والله أعلم .

(خبر وفاة دانيال عليه السلام)

قال أهل الأخبار ؛ لما فتح الله السوس على يد أنى موسى الأشعري في خلافة
عمر بن الخطاب رضى الله عنه قتل أبو موسى ملكها سابور واحتوى على المدينة
فغنم ما فيها وأخذ أموال سابور وملكها وجعل يدور في الخزانة فيأخذ ما فيها
حتى أفضى إلى خزانة مغلقة وقد ختم قفلها بالرصاص فقال أبو موسى الأشعري
لأهل السوس ما في هذه الخزانة فإني أراها مختومة بالرصاص - فقالوا له أيها
الأمير ليس فيها شيء من حاجتك - فقال لأبد لي أن أعلم ما فيها فافتحوا بابها
حتى أنظر ما فيها ففكروا القفل وفتحوا الباب فدخل أبو موسى الخزانة فنظر
فإذا هو بحجر طويل مخفور على مثال الخوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأكتاف
منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفة. قال فتعجب أبو موسى من طوله وكل من كان معه
ثم لأنهم شربوا أنفه فإذا هو يزيد على شبر فقال أبو موسى لأهل السوس ويحكم
من هذا الرجل ؟ قالوا إن هذا الرجل كان بالعراق وكان أهل العراق إذا حبس
عنهم المطر استسقوا به فيستقون فأصابنا من قحط المطر ما كان يصيب أهل العراق
فأرسلنا إليهم وسألناهم أن يدفعوه إلينا حتى تستسقى به فأبوا علينا فأرسلنا إليهم
خمسين رجلاً وحملناه إلى بلدنا هذا ثم استسقيناه به فستقينا فرأينا من الرأى أن
لا نرده إليهم فلم يزل مقيماً عندنا إلى أن أدركه الموت فمات بهذه قصته وحاله .

قال فأقام أبو موسى الأشعري بالسوس وكتب إلى عمر بن الخطاب رضى
الله عنه يخبره بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب في كتابه أمر
ذلك الرجل الميت فلما وصل الكتاب وقرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعا كبار
أصحاب رسول الله ﷺ فسألهم عن ذلك فما وجد عند واحد منهم عليه فقال على
ابن أبى طالب رضى الله عنه . إن هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبى غير مرسل
كان في قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك .

وجعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن قصة دانيال من أولها إلى آخرها إلى وقت وفاته ثم قال اكتب إلى صاحبك وأمره أن يصلي عليه ويدفنه في موضع لا يقدر عليه أهل السوس فيكتب عمر إلى أبي موسى بذلك .

فلما قرأ أبو موسى كتابه عمر أمر أهل السوس أن يكفوا نهرهم إلى موضع آخر ثم أمر دانيال فكفن بأكدفان غير التي كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين ثم أمر بقبور فخفر له وسط النهر ثم دفنه وأجرى عليه النهر فيقال إن دانيال عليه السلام في نهر السوس والماء يجري عليه إلى يومنا هذا والله أعلم .

قال الأستاذ رضي الله عنه - فهذا الذي ذكرت جميع أمر بختنصر الذي جاء في التفسير إلى أن رواية من يروى أن بختنصر هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى غير صحيح عند أهل السير والأخبار والعلماء بأموال الماضين من أهل الكتاب والمسلمين وذلك أنهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا وفي عهد أرميا عليه السلام وهي الواقعة الأولى التي قال الله تعالى فيها (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديداً فجاسوا خلال الديار) الآية يعني بختنصر وجنوده قالوا من عهد أرميا وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا أربع مائة وإحدى وستون سنة - وذلك أنهم يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس إلى آخر عمر الله في عهد كرم بن حرمو بن شير بن أصهيل بابل من قبل جن اسفنديار بن يستاسف سبعين سنة ثم من بعد عمر الله إلى ظهور الإسكندر على بيت المقدس وإحضار ملكهم وضمها إلى ملكه ثمان وثمانون سنة ثم من بعد ملكهم إلى بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا ثمانمائة وثلاثون سنة - وإنما الصحيح في ذلك ما ذكره محمد بن إسحق بن يسار

قال عمرت بنو إسرائيل بيت المقدس بعد ما عمرت الشام وعاد إليها ملكها بعد خراب بختنصر إياها وسببهم منها فجعلوا يحدثون الأحداث بعد ملك عزيز

عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون حتى كان آخر من بعث إليهم من انبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من آل داود عليه السلام .

فمات زكريا وقتل يحيى بسبب نهيهم الملك عن نسكاح المرأة فلما رفع الله عيسى من بين ظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له (كردوس) فسار إليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم أمر رئيساً من رموس جنوده يقال له (بنورازادان) صاحب القتل فقال له اني قد حلفت بإيائهم لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري إلا ان لا أجد أحداً أقتله فأمره ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم . ثم إن بنورازادان دخل بيت المقدس فأقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيهم دماً يغلي فسألهم عنه فقالوا - هذا دم قربان قربناه فلم يقبل منا فدمك هو يغلي كما تراه

ثم قال - يا يحيى بن زكريا قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم من أجلك فاهداً بإذن الله تعالى قبل ان لا أبقى أحداً من قومك فهذا دم يحيى بن زكريا بإذن الله تعالى ورفع بنو رازادان عنهم القتل

وهي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله تعالى فيها قوله تعالى (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين) الآيات فكانت الواقعة الأولى لبختنصر وجنوده ثم رد الله لهم المكرة وكانت لهم الديانة والرياسة وكانت الواقعة الأخيرة لسردوس وجنوده فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة ولا راية وانتقل عن الشام ونواحيها إلى الروم واليونانية إلى ان تناسل بنو إسرائيل وكثروا وانتشروا بعد ذلك وأحدثوا الأحداث واستحلوا المحارم وضيّعوا الحدود فسلط عليهم بلطوس بن اسنا بوس فخرّب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فليسوا في أمة من الأمم إلا ولا عليهم الصغار والذلة والجزية والمملكة في غيرهم وبقى بيده المقدس خراباً إلى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعمره المسلمون بأمره والله أعلم .

(باب في ذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها)

قال الله تعالى (أو كما الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها) الآية واختلفوا في ذلك المار من كان فقال عكرمة وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدي - هو عزيز بن شرحبيل وقال وهب بن منبه وعبد الله بن حميد وعبيد بن عمير هو أرميا بن خليفاء وكان من سبط هرون بن عمران وهو الخضر واختلفوا في القرية التي مر عليها . فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الأرض المقدسة وقال السدي هي سلما باد وقال السكبي هي دير ساير أباد وقيل دير هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وكان السدي في ذلك ماروي محمد بن إسحق بن يسار عن وهب بن محمد أن يختصر لما وطىء النساء وخرب بيت المقدس وقتل بنو إسرائيل وسبواهم طار أرميا حتى خالط الوحوش فلما ولي يختصر عنهم راجعاً إلى بابل ومعه سببا بني إسرائيل قبل أرميا على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة وسيلة تين حتى غشى لإيلياء فلما وقف عليها وعان خرابها قال (أن يحيى هذه الله بعد موتها) ثم ربط أرميا حماره بهبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة عام ومات حماره وعصيره وتبينه عنده وأعشى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحك ومنع الله السباع والطير عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكا إلى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له د يوشك ، فقال له إن الله يأمرك بقتل قومك وتدمر بيت المقدس وإيلياء وأرضها حتى يعودوا أعمر ما كانوا فانتهب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف (١) حامل وجعلوا يعمرونها وأهلك الله تعالى يختصر ببعضه دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني إسرائيل ولم يمت منهم جميعاً أحد ببابل وردهم الله تعالى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه ،

(١) قوم مع كل قهرمان ثلثمائة ألف الخ كذا بالأصل وهو ما لا يمكن عادة كما لا يخفى اهـ مصدحه .

فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر إلى حماره فإذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتاً من السماء إيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمع بعضها إلى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية إن الله يأمرك أن تسكنى لحماً وجلداً فمكّن كذلك ، ثم نادى إن الله يأمرك أن تحيا فقام حماره ينمض بإذن الله تعالى وعمر الله أرمياء فهو الذى يوجد فى القلوات .

أخبرنى ابن فتحويه الحافظ بإسناده عن وهب قال : ليس فى الجنة كلب ولا حمار إلا كلب أهل الكهف وحمار أرمياء الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه وقال الذين قالوا إن المار كان عزيراً إن يختصر لما خرب بيت المقدس قتل أربعين ألف رجل من قراءة التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أباً عزير وجسده وكان عزير يومئذ غلاماً قد قرأ التوراة وتقدم فى العلم فأقدمه مع سبع سبانيا بنى إسرائيل إلى أرض بابل وهو من ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من أهل بيت داود فلما جاء عزير من بابل ارتحل عن حماره حتى نزل على دير هرقل على شاطئ دجلة فطاف فى القرية فلم ير فيها أحداً وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة فى سلة وفضل العصير فى زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال (أنى يحيى هذه القرية بعد موتها) لم يشك فى البعث ولكن قالها تهجماً ثم ربط حماره بحبل جديد ونام (فأما ته الله مائة عام ثم بعثه) فأتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت (قال لبثت يوماً أو بعض يوم) وذلك أن الله تعالى أماته ضحى وأحياه آخر النهار قبل غيوبة الشمس فقال لبثت يوماً وهو يرى أن الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال أو بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام - بل لبثت مائة عام (فانظر إلى طعامك) يعنى الثين وشرباك يعنى عصير العنب لم يتسمنه يعنى لم يتغير وانظر إلى حمارك - قال قوم وذلك أن الله تعالى لم يميت حماره فأحيا له الله تعالى رأسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر إلى حمارك فرأى حماره قائماً كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر إلى الرسن فى عنقه جديداً لم يتغير وهذا قول الضحاك وتادة وتقدير الآية على هذا القول وانظر إلى حمارك

وانظر إلى عظامك كيف نذشرها وقال آخرون أراد به عظام حمارة كما قدمنا ذكره
فذلك قوله تعالى (وانجعلك آية للناس) أى عبرة ودلالة على البعث بعد الموت ،
وقال الضحاك : هو أنه عاد إلى قريبته وأولاد أولاده فوجدهم شيوخاً وعجائز ،
وهو أسود الرأس والاحية .

(باب في ذكر تمام قصة عزيز عليه السلام وحاله بعد ما رجع إلى قومه)

قال الله تعالى (وقالت اليهود عزيز ابن الله) وروى غطية العوفي عن ابن
عباس قال : كان عزيز من أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء
الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم .

فلما رأى الله تعالى أنهم قد أضاعوها وعملوا بالاهواء رفع الله عنهم التابوت
وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فأرسل الله عليهم مرضاً فاستطلقت بطونهم
حتى كان الرجل يمس كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزيز فمكشوا ما شاء الله أن
يمكشوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم ، وكان عزيز قد أمر علماءهم أن
يدعوا الله تعالى فدعا الله هو وإياهم وابتهل أن يرد إليه ما نسخ من صدره .

فبينما هو يصلى ميتلاً إلى الله إذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد إليه
الذي كان ذهب من صدره من التوراة فأذن في قومه وقال : يا قوم قد آتاني الله
التوراة وردّها إلى فطفيق يعلمهم فمكشوا ما شاء الله أن يمكشوا وهو يعلمهم التوراة
ثم إن التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم ، فلما رأوا التابوت عرضوا
ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزيز فوجدوه مثله ، فقالوا والله ما أوتى عزيز
هذا إلا لأنه ابن الله .

قال السدي وابن عباس في رواية عمار : إنما قالت اليهود هذا لأن العاقبة
ظهروا عليهم فقتلوه وأخذوا التوراة وهرب علماءهم الذين بقوا ودفنوا التوراة
في الجبال وغيرها ولحق عزيز بالجبال والوحوش وجعل يتعبد في روس الجبال
(م ٢٥ — قصص الأنبياء)

ولا يخالط الناس ولا ينزل إلا يوم عيد ، وجعل يبكى ويقول يا رب تركت
 بني إسرائيل بغير عالم وجعل يبكى حتى سقطت أشجار عيذه فنزل مرة إلى العيد
 فلما رجع فإذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قر من تلك القبور وهي تبكى وتقول
 يا مطعم يا مكسيه فقال لها عزير يا هذه اتقي الله واصبري واحتسبي أما علمت
 أن الموت سبيل الناس .

ثم قال ويحك من كان يطعمك ويسقيك ويكسوك قبل هذا الرجل يعني زوجها
 الذي كانت تندب ؟ فقالت الله تعالى ، قال فإن الله عز وجل حي لا يموت أبداً .

قلت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بني إسرائيل ؟ قال الله تعالى ، قالت فلم
 تبكي عليهم وقد علمت أن الموت حق وأن الله حي لا يموت فلما علم عزير أنه قد
 خضع ولي مديراً ، فقالت له يا عزير لاني لست امرأة ولست الدنيا ، أما إنه
 سيذبح لك في مصلاك عين وتنبت شجرة فيكل من تلك الشجرة واشرب من ماء
 تلك واغتسل وصلى ركعتين فإنه سيأتيك شيخ ويعطيك شيئاً فما أعطاك نخذ منه .

فلما أصبح نبتت العين في مصلاه ونبتت شجرة ففعل ما أمر به فجاء شيخ وقال
 له افتح فاك ففتح فاه قالن في فيه شيئاً كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال له ادخل
 هذه العين فامش فيها حتى تبلغ أمك ، قال فدخل وجعل لا يرفع قدمه إلا زيد في
 علمه فرجع وهو من أعلم الناس بالتوراة .

ثم إن رجلاً قال : إن أبي حدثني عن جدي أن التوراة جعلت في خابية دفنت
 في كرم فلان في موضع كذا فانطلقوا معي حتى احتفروا وأخرجوا الخابية
 والتوراة فيها فأخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها آية
 ولا حرفاً فاجبوا وقالوا إن الله تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل واحد من
 بعد ما ذهب من قلوبنا لأنه إبنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله .

(مجلس في ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا وخراب حضور)
قال الله تعالى (وكم فضمننا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين)
إلى قوله (حصيداً حامدين) قال هشام بن محمد بن السكبي وغيره كان بدء نزول العرب
أرض العراق واتخاذهم الحيرة والأبواب منزلاً لأن الله تعالى أوحى إلى يوحنا بن
برخيا بن رزيايل بن سنسبل وسنسبل هذا هو أول من اتخذ الطفيل كان من
ولد يهوذا بن يهوقوب أن اتت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق
لبيوتهم ولا أبواب ويطأ بلادهم ويقتل مقاتلهم ويستبيح أموالهم لسكرتهم في
واتخاذ الآلهة دوني وتكذيبهم أنبيائي ورسل ذلك بعد قتل أهل حضور وهي
بلدة بالين بمث الله فيهم نبياً فاقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر يبابل فأخبره بما
أوحى الله تعالى إليه وقص عليه ما أمره به وذلك في زمن معد بن عدنان فأوحى
الله تعالى إلى يوحنا إنني قد سلطت بختنصر على أهل قرية عربية لا تنقم منها فاعليك بمعد
ابن عدنان الذي من ولده النبي محمد ﷺ الذي أخرجه في آخر الزمان وأختم به
النبوة وأرفع به من أطاعه فخرج تطوى له الأرض حتى سبق بختنصر فلقى عدنان
وقد تلقاه فنظر إلى معد ولمعد يومئذ اثنتا عشرة سنة فحمله يوحنا على البراق
وأردفه خلفه فانتهيا إلى أرض نجران من ساعتها قالوا ووثب بختنصر على من
كان في بلاده من تيجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتيان فجمع من
ظفر به منهم فبنى لهم ديراً على نجف وحصنه ثم ضمهم فيه فقيدوا ووكّل بهم حرساً
وحفظه ثم نادى في الناس بالغزو فتنابهاوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من
العرب فخرجت إليه الطوائف منهم مسلمين مستأنسين فاستشار بختنصر فيهم
يوحنا فقال إن خروجي إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عما
كانوا عليه فأقبل منهم وأحسن إليهم .

قال فأُنزل بختنصر السواد على شاطئ الفرات والتقى بختنصر مع العرب
فهمزهم وأثنى فيهم بالقتل والأسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان في قومه
من العرب وبختنصر بذات عرق فهمزهم وفادى مناد من جوف السماء بالثارات

الأنبياء فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فقدموا على ذنوبهم ونادوا بالويل فذلك قوله تعالى (فلما أحسوا بأسنا إذا هم منا يركضون) أى يسرعون هاربين فأخذتهم السيوف وقالت لهم الملائكة (لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتهم فيه ومساكنكم) الآية ، فلما عرفوا أنه واقع بهم أقروا بالذنوب (قالوا يا ربنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم) فما زالوا يدعون بها حتى هلكوا فذلك قوله تعالى (فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) ثم رجع بختنصر إلى بابل بما جمع من سبايا العرب فألقاهم في الأنهار فقبل أتباز العرب وانضم إليهم المستأمنون من العرب وخلي بختنصر أهل الديار بعد فراغه من غزو العرب وابتدوا لأنفسهم بلدين فسموا إحداهما الأنبار والأخرى الحيرة وخالطهم بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خراباً في حياة بختنصر فلما مات بختنصر رجع معد بن عدنان ومعه أنبياء بنى إسرائيل حتى أتى مكة فأقام أعلامها وحج الأنبياء معه .

(مجلس في ذكر لقمان الحكيم عليه السلام)
(وذكر بعض مواظبه وحكمته ووصيته لابنه)

قال الله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) يعنى العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور واختلفوا في نسبه فقال محمد بن يسار هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ وهو آزر أبو إبراهيم عليه السلام ، وقال وهب كان ابن أخت أيوب عليه السلام ، وقال مقاتل كان ابن خالة أيوب ، وقال الواقدي كان قاضي بنى إسرائيل ، وقال آخرون كان عبداً ، وقال مجاهد كان لقمان عبداً أسود عظيم الشفتين مشقياً القدمين .

وروى الأوزاعي عن عبد الرحمن بن حرمة قال جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل أنك أسود فإنه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولقمان الحكيم كان أسود نوبياً من سودان مصر ذا مشافر .

حدثنا الإمام أبو منصور الخشاري لفظاً بإسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان عبداً حبشياً نجاراً .

وأخبرني ابن فتحويه بإسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان خياطاً ، واتفق العلماء أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا عكرمة فإنه يقول : إن لقمان كان نبياً تفرد بهذا القول .

وروى نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (حقاً لم يكن لقمان نبياً وليكن كان عبداً عصمه الله تعالى كمير التفسر حسن اليعن أحب الله فأحبه الله فمن عليه بالحكمة) .

وذلك أنه كان قائماً نصف النهار فجاءه النداء : يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق ، فأجاب الصوت فقال : إن خيرني ربي قبلت العاقبة ولم أقبل البلوى وإن عزم على فسمعاً وطاعة فأني أعلم أنه إن فعل بي أعانني وعصمني فقالت الملائكة لم يا لقمان ؟ قال لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يفسد الظلم من كل مكان إن أصاب فأرجو أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلاً خير من أن يكون شريفاً ، ومن تخير الدنيا على الآخرة نفتته الدنيا ولا تبقى له الآخرة فمعجبت الملائكة من حسن منطقته فدام نومة فأعطى الحكمة فأنذبه بها .

ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط بها ما اشترط لقمان فهم بالخطيئة غير سرية كل ذلك ويعفو الله عنه ، وكان لقمان يوازه بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء ، وأعطى داود الخلافة وأبلى بالبلية والفتنة .

(باب في ذكر بعض ما روى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن)

قال الله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) وقال أيضاً (وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) الآيات .

أخبرنا أبو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من أمون مملوك على سيده ، قال فبعثه مولاه مع رفقة له إلى بستان له ليأثوه بشيء من ثمره فيجاءوا وليس معهم شيء وقد أكلوا الثمرة وأحالوا على لقمان ؛ فقال لمولاه إنه ذا الوجهين لا يكون عند الله أميناً فاستقى وإياهم جميعاً ماء ثم أرسلنا لنفذه ففعل فجعلوا يتقايثون الفاكهة وجعل لقمان يتقايأ ماء نقياً فصرف صدقه من كذبهم .

قال فأول ما روى من حكمته أنه بينما هو مع مولاه إذ دخل الخرج فأطال فيه الجلوس فناده لقمان إن طول الجلوس على الخلاء يتجمع منه السكبد ويورث الباسور وتصلد الحرارة إلى الرأس فاجلس هو بنياً وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحصن .

قال وسكر مولاه يوماً فخطر أقواماً على أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان ثم قال له لمثل هذا اليوم كنت شعباً لك قال أخرج كرسيتك وأباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على أي شيء خاطرتوني قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان إن لها مواد فاحبسوا عنها مواد حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع أن نحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد .

أخبرنا ابن فضال عن يأسناده عن خالد الربيعي قال : كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح له شاة فقال اثنتي بأطيب مصغتين منها فأثامه باللسان والقلب ، فقال له أما كان فيها شيء أطيب من هذا قال لا فسكت عنه ثم قال له اذبح لنا شاة فقال اثنتي بأخبت مصغتين منها فجاء باللسان والقلب .

فقال له أمرتك أن تأتين بأطيبها مصغتين فأثيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تأتين بأخبتها مصغتين فأثيتني باللسان والقلب فقال له إنه ليس بأطيب منهما إذ هذا طاباً ولا أخبت منهما إذ خبثا .

وأخبرني عبد الله بن حامد بإساده عن محمد بن عجلان قال : قال لقمان الحكيم
ليس مال كصحة ولا نعم كطيب نفس .

وأخبرنا عبد الله بإسناده عن أبي هريرة قال : مر رجل بلقمان والناس
يحتشمون عليه فقال أليست العبد الأسود الذي كنت راعياً بموضع كذا وكذا ؟
قال بلى ، قال فما بلغ بك ما أرى ؟ فقال من صدق الحديث وأداء الأمانة وترك
ما لا يضرني .

أخبرني الحسين بن محمد عن أبيه قال ؛ قال لقمان ضرب الوالد لولده كلاماً للزرع
وعن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفره فتلقيه غلامه في الطريق فقال
له ما فعل أبي ؟ قال مات ، قال الحمد لله ملكك أمري ، قال فما فعلت امرأتى ؟
قال ماتت ، قال جددت فراشي ، قال ما فعلت أختي ؟ قال ماتت ، قال سترت
عورتى ، قال ما فعل أخى ؟ قال مات ، قال انقطع ظهري .

أخبرنا الحسين بن الحسن بن محمد بإسناده عن شقيق قال قيل للقمان أى الناس
أشهر ؟ قال الذى لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً

وقيل للقمان ما أقبح وجهك ؟ قال تعيب بهذا على النقش أو على النقش

وروى الشحاربي عن سفيان الثوري قال ، قال لقمان لابنه إن الدنيا بحر عميق
قد غرق فيها ناس كثيرون فلتسكن سفينةك فيها تقوى الله ، وليكن حشوها
إيمانك بالله ، وشراعها التوكل على الله فلعلمك تنجو وما أظلك ناجياً

يا بني كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم في كل يوم ينقصون ، يا بني خذ
من الدنيا باقة ولا تدخلن فيها دخولا فتضر فيها بآخرتك ، ولا ترفضها فتكون
عيالاً على الناس وصم صيماً لا تقطع شهوتك ولا تصم صيماً يمنعك عن الصلاة فإن
الصلاة عمدة الله أعظم من الصوم ، يا بني لا تتعلم العلم لنباهي به العلماء وتمازى به
السفهاء أو ترائى به في المجالس ولا تترك العلم في زهادة فيه ورغبة في الجاهلية

يا بني اختر المجالس على عينك فإن رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس إليهم
فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك ويزيدك علماً وإن تكن مستأهلاً يعلموك ولعل

الله أن يطالعهم برحمتك فنعلمك معهم ؛ وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس
إليهم فإنك إن تسكن عالماً لا ينفعهم علمك وإن تسكن جاهلاً يزيدوك جهلاً فلعل
الله يطالعهم بالعمولة فنعلمتك يا بني لا تضع برك إلا عند راعيه كما ليس بين السكبيش
والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يحب المرأة يشتم ومن يدخل
مداخل السوء يثم ومن يقارن قرين السوء لا يسلم ومن لا يملك لسانه يندم
يا بني كن عبداً للأخيار ولا تسكن خليلي للأشرار يا بني كن أميناً تسكن غنياً ؛
ولا ترى الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركتيك
ولا تجادلهم فيمنعوك حديثهم ؛ والطف بهم في السؤال إذا تركوك ولا تعجزهم
فيملوك يا بني لا تطلب من الأمر مدبراً ولا ترفض منه مقبلاً فإن ذلك يقل الرأى
ويزى العقل : يا بني إن ناديت صغيراً انتفعت كبيراً ؛ يا بني إذا سافرت فلا تأمن
على دابتك فإن ذلك سريع في إدارها وليس ذلك من فعل الحكماء إلا أن تكون
في محل يمكنك فيه التدد وإذا قربت من المنزل فأنزل عن دابتك وسر ثم ابدأ
بملقها قبل نفسك وإياك والسفر في أول الليل وعليك باليقظة والإدلاج من نصف
الليل إلى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وإبركك
وخيوطك وخزرك وتزود من الأدوية ما تنفع به أنت ومن معك وكن لأصحابك
موافقاً موافياً إلا في معصية الله يا بني إياك والتمنع فإنه بالنهار شهوة وبالليل رغبة
يا بني لا تأمر الناس بالسير وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضيء للناس
ويحرق نفسه ؛ يا بني لا تحقرن من الأمور صغراً إن الصغار غداً تصير كباراً
يا بني إياك والكذب فإنه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك فعند ذلك
يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك وتهاون ولا يسمع منك إذا حدثت ولا تصدق
إذا قلت ولا خير في العيش إذا كان هكذا ؛ يا بني إياك وسوء الخلق والضمير
وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس عليهم
مجانب والزم نفسك التردد في أمورك والصبر على مرارات الأحوال وحسن منه
جميع الناس خلقك فإن من حسن خلقه أظهره بشره وبسطة حظى عند الأبرار
وأخيه الأخيار وجانبه الفخار ؛ يا بني لا تعلق نفسك بالهموم ولا تشغل قلبك

بالأحران وإياك والظمع وارض بالقضاء وافسح بما قسم الله لك يصف
عيشك وتسر نفسك وتستلذ حياتك وإن أردت أن يجمع لك غنى الدنيا فاقطع
طعمك عما في أيدي الناس فإن ما بلغ الأنبياء الصديقون ما بلغوا إلا بقطع
طعمهم عما في أيدي الناس ، يا بني لأن متاع الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل
وقد بقي قليل من قليل القليل ، يا بني اجعل معروفك في أهله ولا تضعه في غير
أهله فتخسر في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة وكن مقتصداً ولا تكن مبذراً ،
ولا تملك المال تقتيراً ولا تعطه تبذيراً : يا بني الزم الحكمة تسكرم بها ، وأعرضها
تعرض بها ، وسيد أخلاق الحكمة دين الله عز وجل ، يا بني للحاسد ثلاث علامات
يغتاب صاحبه إن غاب ويتملق إذا شهد ويشتمت فيه بالمصيبة ، ثم خبر لقمان
الحكيم وما وصى لإبنه أنهم والله أعلم

(مجلس في قصة بلوقيا)

أخبرنا أبو محمد بن عبد الله الخزرقى بإسناده عن عبد الله بن سلام الإسرائيلي
قال كان في بني إسرائيل رجل يقال له أوشيا وكان من علماءهم وكان كثير المال
وكان إماماً لبني إسرائيل وكان قد عرف نعمت النبي عليه السلام وأمته في التوراة
خفياً وكنتم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة أبيه في بني إسرائيل وكان ذلك
بعد سليمان فلما مات ولده أوشيا وبقي بلوقيا والإمامة والقضاء في يده ففلس
خزائن والده فوجد فيها تابوتاً من حديد مقفلاً ثقيل من حديد فسأل الخزان عن
ذلك فقالوا لا ندري فاحتال على القفل حتى فسكه فإذا فيه صندوق من خشب
الساج ففسكه فإذا فيه أوراق نعمت النبي ﷺ وأمته محتومة بالمسك ففسكها وقرأ
ها فيها على بني إسرائيل ثم أنه قال الويل لك يا أبت من الله فما كتبت وكنتمت
عن الحق عن بني إسرائيل فردّه إلى أهله فقال بنو إسرائيل يا بلوقيا لولا إناك
إمامنا وكبيرنا لنبشنا قبره وأخرجناه منه وأحرقناه بالنار فقال يا قوم لا صبر
إنما اتبع حظ نفسه وخسر دينه ودينه فالحقوا نعمت النبي ﷺ وأمته بالتوراة
قال وكانت أم بلوقيا من الأحياء فاستاذنها في الخروج إلى بلاد الشام وكانوا

يومئذ يبلاد مصر فقامت له وما تصنع بالشام ؟ فقال اسأل عن محمد وأمه فلهن الله تعالى أن يرزقني الدخول في دينه فاذا نزل له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد الشام فبينما هو يسير إذ انتهى إلى جزيرة من جزائر البحر فإذا هو بجيأت كأمثال الإبل عظماً وفي الطول ما شاء الله وهن يقلن لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما رأيته قلن له أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك ؟ فقال لاسمى بلوقيا وأنا من بني إسرائيل ؛ قال فقال لهم بلوقيا أيها الحيات من أنتن ؟ فقلن نحن من حيات جهنم ونحن نهذب الكسفار فيها يوم القيامة فقال بلوقيا وما تصنعن هنا ؟ وكيف تعرفن محمد ؟ فقلن إن جهنم تفور وتزمر في كل سنة مرتين فقلقينا إلى هنا ثم نعود إليهما فشددة الحر من حرها في الصيف وشدة البرد من بردها في الشتاء وليس في جهنم

درك من دركها ولا باب من أبوابها ولا سراق من سرادقتها إلا وقد كتبته عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ من أجل ذلك عرفنا محمد ﷺ

ثم مضى بلوقيا إلى بلاد الشام فأقبت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عفان الخير فأنابه فسلم عليه فقال له بلوقيا أليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته بينك وبينه قرون وسنون ثم ساروا في السهول والجبال حتى وصلوا إلى جبل ليس بهال ولا متدان ترابه كالمسك عليه غمام أبيض وفيه كهف وفي الكهف سرير من ذهب وعلى السرير شاب مستلق على قفاه ذو وفرة واضع يده اليمنى على صدره والشمال على بطنه كالتائم وليس بنائم وهو ميت وعلى رأسه تين وخاتمه بالشمال ؛ وكان هذا سليمان بن داود عليه السلام ؛ وكان مسكه في خاتمه . وكان خاتمه من ذهب وفضة من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه أربعة أسطر في كل سطر اسم الله الأعظم

وكان عند عفان علم من الكتاب فقال بلوقيا من هذا الميت يا عفان ؟ فقال هذا سليمان بن داود نريد أن نأخذ خاتمه ونملك مسكه ونرجو الحياة إلى أن يبعث الله محمداً ﷺ فقال بلوقيا أليس قد سأل ربه فقال رب هب لي مسكاً لا ينفى لاحد من بعدى فأعطاه إياه على ما سأل ولا ينال ملك سليمان إلى يوم القيامة لدعائه ؛

فقال عفان يا بلوقيا اسكت إن الله معنا ومعنا اسم الله الأعظم ولكن أنت يا بلوقيا
 اقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان من أصبعه فقال التنين
 ما أجراك على ربك إن غلبتنا باسماء الله تعالى فنحن نغلبك بقدرته الله تعالى
 قال فكلما ففتح التنين ذكر بلوقيا لاسم الله تعالى فلم تعمل نفخات التنين فيها
 شيئاً ودنا عفان من السرور لينزع من أصبعه الخاتم فاشتغل بلوقيا بالنظر إلى نزول
 جبريل عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة ارتجت الأرض والجبال
 وتزلزلت منها فاختلفت مياه البحار وهاجت والتنظمت حتى صار كل عذب مالحاً
 من شدة صيحته وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه ونفخ التنين فخرج
 من بطنه شعلة كاهها البرق الخاطف واحترق عفان وعادت نفخته في البحر فامرت
 النفخة بشيء إلا أحرقتة ولا بقاء إلا سحنته وأغلته وأن بلوقيا لما رأى العذاب
 تذكر لاسم الله الأعظم فلم ينله مكروه

ثم تراءى جبريل عليه السلام في صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجراك
 على الله فقال له بلوقيا من أنت يرحمك الله ؟ فقال أنا جبريل أمين رب العالمين فقال
 بلوقيا يا جبريل إنما خرجت حباً لمحمد ﷺ ودينه ولم أقصد الخطأ ولم أنعمده
 فقال فبذلك نجوت

ثم صعد جبريل عليه السلام إلى السماء ومضى بلوقيا فضل الطريق الذي جاء منه
 وأخذ في طريق أخرى فسار فإذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها الورس والزعفران
 وأشجارها الزيتون والنخل والرمان ، فقال بلوقيا ما أشبه ذلك المسكان الجنة علي
 ها وصفت قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت الشجرة
 يا خاطيء يا ابن الخاطيء لا تأخذ مني شيئاً فبقى متعجباً وإذا بجذء الشجرة
 قوم يترأ كضون وبأيديهم سيوف مسلولة وهم يفتاوشون بعضهم بعضاً بالضرب
 والظمن فلما رأوا بلوقيا أحاطوا به وأحذقوا من ورائه وهموا به سوء فذكر
 بلوقيا لاسم الله فتمعنوا منه وهاجوه وأغمدوا سيوفهم وقالوا باجمعهم لا إله إلا الله
 محمد رسول الله ، ثم قالوا له من أنت يا عبد الله ؟ فقال أنا من بنى آدم ؛ فقالوا
 ها لاسمك ؟ قال لاسمى بلوقيا وأنا من بنى إسرائيل قالوا نعرف آدم ولا نعرف

إسرائيل فما الذى أوقعك إلينا ؟ فقال لى خرجت فى طاب نبي يسمى محمدا عليه السلام وإنى قد ضللت الطريق الذى أردته ورأيت من الأهوال كذا وكذا فقالوا يا بلوقيا نحن من الجن المؤمنين ونحن مع ملائكة الله فى السماء ، ثم نزلنا إلى الأرض وقالنا كسفرة الجن ونحن هنا مقيمون نغزوهم ونجاهد إلى يوم القيامة ولسنا نموت إلى يوم القيامة وأنت تصير معنا ، فقال بلوقيا لملك الجن وكان اسمه صخر ، يا صخر أخبرنى عن خلق الجن كيف كان ؟ قال ، لما خاق الله تعالى جهنم خاق لها سبعة أبواب وسبعة أسنة ، وخاق منها خاقين خاقاً فى سمائه سماء جبليات وخلقاً فى أرضه سماء تمايت ، فاما جبليات فإنه خاق فى صورة أسد وتمايت فى صورة ذئب وجعل الأسد ذكراً والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة خمسمائة عام وجعل ذئب الذئب بمنزلة ذئب العقرب وذئب الأسد بمنزلة ذئب الحية ، وأمرهما أن يلتفضا فى النار انتفاضة فسقط من ذئب الذئب عقرب ومن ذئب الأسد حية فليات جهنم وعقاربها من ذلك سم أمرهما أن يتناكحا لحلمات الذئب من الأسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فاوجى إليهم أن يزوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو إبليس وكان اسمه الحارث وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجن يا بلوقيا وإن دوابنا لا تنبت مع الإانس ولكننى أجدل فرسى وأبرقه حتى لا يعرف من راكمه وأركب عليه على اسم الله تعالى فإذا انتهيت إلى أقصى أعمالى على ساحل بحر كذا وكذا فإذا أفت بشيخ وشاب ومشايخ معهما فإنك ستلقاهما هناك فادفع الفرس إليهما وامش فى حفظ الله رشداً

فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى إليهم فسام على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعهما إليهما ، وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغذاء وباع إليهما نصف النهار ، فقال له بلوقيا منذ كم فارقت الملك ؟ قال فارقت من غدوة قال ما أسرع ما جئت قد أتعبت فرسنا فقال بلوقيا ما مددت إليه يداً ولا حركت عليه رجلاً ولم أركضه ركضاً ، قال بلى ولكن فرسنا أحسن بك وبممثلك وثقاك فطار ما بين السماء والأرض ليرى نفسه منك فكم تراه جاب بك ؟

قال خمس فراسخ أو أكثر قال بل جاب بك في هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة ؛ وكان يطير بك ما بين السماء والأرض حول الدنيا دون توقف وأنت لاتعلم قال خلوا عنه السرج والليجام والبراقع فإذا العرق يقطر ويسيل من كل شعرة منه وإله جناحان انفضا وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والإعياء والكلال قال بلوقيا ؛ هذا والله لعجيب ، فقالوا عجائب الله لا تنقضى ، ثم سلم عليهما ومضى فركب اليم ، فبينما هو يسير إذ رأى ملكا إحدى يديه بالمشرق والأخرى بالمغرب وهو يقول ؛ لا إله إلا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا ، فقال له الملك ، من أنت أيها الخالق المخلوق ؟ قال أنا بلوقيا وأنا من بنى إسرائيل من ولد آدم ، ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما اسمك ؟ قال إسمي يوحنايل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار ، قال فقال يديك ميسوطتين ؟ قال في يدي اليمنى ضوء النهار وفي اليد اليسرى ظلمة الليل ، ولو سبق النهار الليل أضأت السموات والأرض ، ولم يكن الليل أبداً ، ولو سبقت الظلمة النور لاطلمت السموات والأرض ، ولم يكن ضوءاً أبداً وبين يدي لوح معاق فيه سطران سطر أبيض وسطر أسود ، فإذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة ؛ وإذا رأيت السواد يزداد زادت الظلمة ؛ وإذا انتقص نقصت ؛ فلذلك الليل في الشتاء أطول من النهار ، والنهار أقصر ؛ وفي الصيف النهار أطول والليل أقصر

ثم سلم بلوقيا ومضى ، فإذا هو بملك آخر قائم يده اليمنى في السماء ؛ واليسرى في الأرض ؛ وقدماه تحت الثرى وهو يقول ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فسلم عليه بلوقيا ، فقال له الملك من أنت ، وما اسمك ؟ قال إسمي بلوقيا ، وأنا من بنى إسرائيل ، وإسرائيل من ولد آدم

ثم أن بلوقيا قال أيها الملك ما اسمك ؟ قال مخاييل قال فما بالي أرى يمينك في السماء وشمالك في الماء ، قال أحبس الريح يميني والماء بشمالي ولورفعت شمالي عن الماء لزخرت البحار كلها في ساعة واحدة وتلاطمت بإذن الله وأغرقت الدنيا ومن عليهما ويدى في الهواء أحبس الريح عن ولد آدم لأن في السماء

ريحا تسمى الهاشمة ولو أرسلتها لنفسفت من في السماء ومن في الأرض ، قال فسلم بلوقيا ومضى فإذا هو باربعة من الملائكة أحدهم رأسه كراس الثور ؛ والآخر رأسه كراس النسر ؛ والثالث رأسه كراس الأسد ؛ والرابع رأسه كراس الانسان

فاما الملك الذي رأسه كراس الثور ؛ فإنه يقول ، اللهم ارحم البهائم ولا تعذبها ، وادفع عنها برد الشتاء ، وحر الصيف ؛ واجعل في قلوب بنى آدم لها الرأفة والرحمة كيلا يكيدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن ، واجعلنى من أهل شفاعة سيدنا محمد ﷺ يوم القيامة
وأما الذى رأسه كراس النسر فيقول . اللهم ارحم الطيور وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف ، واجعلنى من أهل شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة

وأما الذى رأسه كراس الانسان فإنه يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ اللهم ارحم المسلمين ولا تعذبهم ، وادفع عنهم النار ؛ واجعلنى من أهل شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة
فسلم عليهم بلوقيا ومضى حتى انتهى إلى جزيرة فإذا هو بغلام أبيض أمرد بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال له يا شاب من أنت ؟ وما اسمك ؟

قال لىسمى صالح ؛ قال فما هذان القبران ؟ قال ؛ أحدهما قبر أبى والآخر قبر أمى ، وكأنا صالحين فأتا ههنا وأنا عند قبرهما حتى أموت ، فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى إلى جزيرة أخرى فإذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر واقف رأسه من ذهب وعينه من ياقوت ، ومنقاره من أوّل ، ويداه من زعفران ، وقوائمه من زمرد ؛ وإذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوى ؛ فسلم عليه بلوقيا ؛ فرد الطائر عليه السلام ؛ فقال له بلوقيا ؛ من أنت أيا الطائر ؟

قال أنا من طيور الجنة ، وأن الله تعالى قد بعثنى إلى آدم بهذه المائدة لما أهبط من الجنة ، وإن كنت معه حين لقي حواء ، وأباح الله له الأكل ، وأنا هنا من لدن ذلك الوقت ، فسكن غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها ، وأنا أمين الله عليها إلى يوم القيامة .

فقال بلوقيا ، ولا تنغير ولا تنقص ، فقال طعام الجنة لا ينغير ولا ينقص .

قال بلوقيا ، أفأكل منها ؟ قال كل فأكل حاجته ، ثم قال له أيها الطائر ، وهل معك أحد ؟ فقال معي أبو العباس يأتيني أحيانا ، قال ومن أبو العباس ؟ قال ، الخضر عليه السلام .

فلما ذكر الخضر إذا به أقبل ، وعليه ثياب بيض ، فاخطى خطوة إلا نبت الحشيش تحت قدميه .

قال فسلم على بلوقيا وسأله عن حاله ، فقال بلوقيا : طالت غيبتي ، وأريد الرجوع إلى أمي ، فقال الخضر بينك وبين أمك مسيرة خمسمائة عام ، وأنا أردك إليها في مسيرة خمسمائة شهر ، فقال الطائر ، إذا كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة سنة ، فأنا أردك إليها في مسيرة خمسمائة يوم .

فقال الخضر عليه السلام ، فأنا أردك إليها في ساعة واحدة ، ثم قال غمض عيني ، فغمضها ، ثم قال له افتح عيني ففتحتها ، فإذا هو جالس عند أمه ، فسألها من جاءني إليك ؟ قالت طير أبيض يطير بك بين السماء والأرض ، فوضعت أمامي .

ثم أن بلوقيا حدث بني إسرائيل بما رأى من العجائب والأخبار ، فأثبتوها وكتبوها إلى يومنا هذا ، فهذا ما كان من حديث بلوقيا ، وما رأى من العجائب في البحر والبر سهلا وجبلا والله أعلم .

(مجلس في ذكر قصة ذى القرنين عليه السلام)
قال الله تعالى (ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً) .

(باب في نسبه ولقبه)

قال أكثر أهل السير ؛ هو الإسكندر بن فيليش بن بطريوش بن هرمس
ابن هردوس بن منطون بن رومي بن لظين بن يونان بن يافث ، ويقال نسبه
يذهب إلى العيص بن إسمحق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ، وزعم بعض
القدماء أن الإسكندر هو أخو دار بن دارا ، وذلك أن دارا الأكبر بن
ابن اسفنديار بن يستاسف كان زوج أم اسكندر ؛ وكانت بنت ملك الروم ،
وكان اسمها ملانة ، ولما حملت إلى زوجها دارا الأكبر فوجد منها رائحة كريهة
فأمر أن يحمّل في زوال ذلك منها ؛ فاجتمع رأى أهل المعرفة في مداواتها على
شجرة يقال لها سندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فأذهب ذلك كثيراً من
نقتها ومن عرقها ، ولم يذهب ذلك كله فانتهت نفسه عنها ليقية نقتها ، وعاقها
فردها على أهلها ، وقد علقت منه فولدت له في أهلها غلاماً ، فسمته باسمه ،
ولمسم الشجرة التي غسلت بمائها اسكندروس ؛ فهذا أصل لاسمه ؛ ثم خففت ،
فقليل اسكندر ، وكسنى بذي القرنين .

واختلفوا في سبب تسميته بذلك ، فقال بعضهم سمي بذلك لأنه ملك الروم
وفارس وقيل لأنه في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم ؛ وقيل لأنه رأى في المنام
كأنه أخذ بقرني الشمس ؛ وكان تأويل رؤياه أنه يطوف المشرق والمغرب ؛
وقيل لأنه دعا قومه إلى التوحيد فضربوه على قرنيه الإيمن ، ثم دعاهم إلى التوحيد
فضربوه على قرنيه الأيسر ، وقيل لأنه كان له ذؤابان حسذنان ؛ والذؤابة تسمى
قرناً ؛ وقيل لأنه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه ؛
وقيل لأنه كان انقراض في وقته قرنان من الناس وهو حي ؛ وقيل لأنه كان إذا
حارب قاتل بيديه وركابه جميعاً ، وقيل لأنه أعطى علم الظاهر والباطن . وقيل
لأنه دخل النور والظلمة ، والله أعلم .

(باب في قصة ذكر أمره وسبب استكمال مملكته)

قال الله تعالى (إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً فاتبع سبيها)
 وقال قوم كان فيليبس اليوناني أبو الإسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده
 الإسكندر ، وقال آخرون ان الاسكندر أخو دارا الأصغر وكان أبوه لانة جد
 الاسكندر لأمه ماسكاً من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر
 وكان ملوك الروم يؤدون الإتاوة جميعاً إلى ملوك الفرس ، وكانت الإتاوة التي
 كان أبو الاسكندر يؤديها إلى ملوك الفرس بيضة من ذهب

فلما ملك الاسكندر وكان رجلاً ذا عزيمة وقوة وملك غزا ملوك الروم
 ففقرهم واستجمع له ملك الروم ، ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فأفس
 بذلك من نفسه القوة فاستعصى على دارا الأصغر ملك فارس فامتنع عن حمل ما كان
 أبوه يحمله إليه من الخراج والإتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فمكتب إليه دارا
 ابن دارا بقصة الخراج والإتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فأجاب به الاسكندر إني
 قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبقيض ذلك البيض وأكلت لحمها

فلما وصل إليه الكتاب بذلك سخط عليه وكتب إليه يؤنبه بسوء صديقه في
 امتناعه عن حمل الخراج إليه وبعث إليه بصولجان وكرة وقفيزي سمس ، وأعلمه
 فيها كتب به إليه أنك صبي ويذبح لك ان تلعب بالصولجان والكرة التي بعثت
 بهما إليك ولا تتقصد الملك ولا تلبس به ، ولا تستعصى ولا لا بعثت إليك من يأتي
 بك في وثاق ولو كانت جنودك بعدد السمسم الذي بعثت به إليك

فبعث إليه الاسكندر في جواب ذلك ، إني قد فهمت ما كتبت وقد نظرت
 ما ذكرت في كتابك من إرسال الصولجان والكرة وضمت الكرة إلى الصولجان
 وشبهت الكرة بأرض إني محتو على مملكك وأضيفه إلى مملكتي وأضيف بلادك
 (م ٢٦ — قصص الأنبياء)

إلى بلادى ولانى نظرت إلى السمسم الذى بعثته إلى كسنطرى إلى الصولجان
والكرة وبعت إن دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه فى الجواب وإنما بعثت
إليك بذلك لأن جنودى مثل ذلك

فلما وصل إلى دارا بن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وتأهب لمحاربة
الاسكندر ، وان الاسكندر ايضاً تأهب للقائه ، ونادى فى عسكره بالرجيل ؛
وسار نحو بلاد دارا ، فالتقىا بتاحية خراسان عما إلى الخزر ، واقتتلأشد القتال
وصارت الدائرة على جند دارا ، فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثاقته ؛
وقيل ان أحدهما كان صديقته ، فطعناه فأردناه من مركبه ، وأراد يطعنهما إياه
الخطوة عند الاسكندر والوسيلة اليه ؛ وان الاسكندر نادى أن يؤخذ دار
أسيراً ولا يقتل

فاخبر بشأن دار فاسرع حتى وقف عليه ؛ فرآه يجود بنفسه ، فنزل اليه
وجلس عند رأسه ، وأخبره انه لم يهم قط بقتله ؛ وان الذى أصابه لم يكن قط
برأيه وإنما غدر به ثقاته

ثم قال له سلنى عما بدا لك فاعفك به فقال له دارا أن لى اليك حاجتين
أحدهما ان تلزم لى من الرجلين اللذين فتكا بى ، وسماهما وبلادهما ؛ والثانية
أن تتزوج ابنتى روشنك فاجابه إلى الحاجتين . وأمر بصلب الرجلين ، وان ينلأى
عليهما . هذا جزاء من اجترأ على ملكه وغش اهل بلده ، وتزوج ابنته ، وكان
ملك دارا اربع عشرة سنة

فلما قتل اجتماع ملك الروم ، وكان قبل الاسكندر متفرقاً ، وتفرق ملك
فارس ؛ وكان قبل الاسكندر مجتمعاً

﴿ باب في ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذى القرنين بعد قتل دارا ﴾
(ووصف مسيره إلى البلاد والآفاق)

قالت العلماء بأخبار القدماء ، لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له
العباد فهدم ما كان في بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بأرض الهند من
بيوت الأوثان وقتل الموازنة وحرق كتبهم ودعا الناس إلى الإسلام والتوحيد .

قال المرتضى في سبب إحراق كتبهم ، إن المجوس جعلوا حروف كتبهم من
الذهب المضرب بمسامير الذهب على جلود النيران فبلغ عددها اثني عشر ألفاً
فأحرقوها لحصول ذلك الذهب وبني اثني عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان
هراء وسرور وسمرقند ومدينة بارض أصفهان بنيت على مثال الجنة ومدينة بارض
البونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بارض بابل لزوجته ووشك بنت دارا ومدينة
الاسكندرية ثم انه رأى في منامه انه أخذ بقرنى الشمس ورأى في منامه انه يسير
إلى آفاق الارض شرقاً وغرباً .

واختلف العلماء في نبوته فروى عن النبي ﷺ انه قال : لا أدري أكان
ذو القرنين نبياً أم لا ، فلو صح الحدث لكان الخوض في هذه المسئلة تكلفاً ثم
اختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبياً وإنما كان عبداً صالحاً ومسلماً عادلاً فاضلاً
وقال آخرون بل كان نبياً غير مرسل . والصحيح ان شاء الله انه كان نبياً غير
مرسل لما روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلاً من
الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر ويقال كان
باسم عباساً وكان عبداً صالحاً .

فلما استحكم ملكه واجتمع امره أوحى الله تعالى اليه يا ذا القرنين أتى قد بعثتك
إلى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتى عليهم وهذا تاويل رؤياك وأنى
بهاهلك إلى أمم الارض كلهم وهم سبع أمم مختلفة المعتقد منهم أمان بينهما عرض

الأرض وأمان بينهما طول الأرض وثلاث أمم في وسط الأرض وهم الإنس والجن وباجوج وماجوج فاما الأمان اللتان بينهما طول الأرض فامة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأمة أخرى بحياها يقال لها منسك عند مطلع الشمس واما الأمان التي بينهما عرض الأرض فامة في قطر الأرض الايمن يقال لها هاويل والاخرى بحياها في قطر الأرض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين إلهي إنك قد نذبتني إلى أمر عظيم لا يقدر عليه إلا أنت فاخبرني عن هذه الامم التي قد بعثتني اليها بى قوة أكابرهم وبأى جمع وحيلة أكابرهم وبأى صبر أقاسيمهم وبأى اسنان أناطتهم وكيف لى بأن أفقة اغاثتهم وبأى سمع اسمع أقوالهم وبأى بصر انقدهم وبأى حجة اخاصمهم وبأى عقل أعقل عنهم وبأى قلب وحكمة أدبر أمرهم وبأى قسط أعدل بينهم وبأى حلم أصابهم وبأى معرفة أفصل بينهم وبأى علم أنقن أمورهم وبأى يد أسطو عليهم وبأى رجل أطوهم وبأى طاقة احصهم وبأى جند اقاتلهم وبأى رفق أولفهم وايس عندى يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم ويقوينى عليهم وانت الرءوف الرحيم لا تكلف نفسك إلا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشفيتها بل انت ترحمها .

قال الله تعالى . ساطوئك ما حملتك واشرح لك سمعك وصدرك فتسمع وتبى كل شيء واشرح لك فهمك فتفقه كل شيء وابسط لك اسنانك فتنطق بكل شيء وافتح لك بصرك فتتقد كل شيء واحصى لك قوتك فلا يفواك شيء واشد لك عضدك فلا يهوانك شيء واشد لك ركنك فلا يغلبك شيء واشد لك قلبك فلا يفزعك شيء واشد لك يديك فتسطو على كل شيء واشد لك وطاك فتهلك كل شيء واللبسك الهيبة فلا يروعك شيء واستخر لك النور والظلمة واجعلهم جنداً من جنودك يهديك النور من امامك وتحوط بك الظلمة من ورائك .

فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير والى عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقاله لا بد من طاعة الله تعالى ثم امرهم ان يبنوا له مسجداً وان يحولوا طول المسجد

اربعمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع وعرض اساس حائطه اربعة وعشرون ذراعاً وطوله في السماء مائة ذراع وأمرهم ان ينصبوا فيه السورى .

قالوا كيف نصنع ؟ قال إذا فرغتم من شان الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يستوى السكيس مع حائط المسجد فإذا فرغتم فرضتم من الذهب على المورس قدرة وعلى المقتر قدرة وقطعتموه مثل فلامه الظفر ثم خاطتموه بذلك السكيس وجعلتم خشباً من نحاس ووتدأ من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم يمكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراع ومائتي ذراع فيما بين الحيطان لكل حائط اثنتا عشر ذراعاً ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فنحل شيئاً فهو له ففعلوا ذلك فأخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف بماء عليه واستغنى المساكين

فكان جندهم أربعين ألفاً فجعلهم أربعة أجناد في كل جند عشرة آلاف ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جند دارا ستمائة ألف ومن المساكين أربعون ألفاً ، ثم انطلق يوم الامة التى عندهم غروب الشمس فذلك قوله تعالى (حتى إذا بالغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) أى ذات حماً : ومن قرأ حامية بألف من غير همزة فعناه حاره .

أخبرنا عبد الله بن حامد الاصفهاني بإسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبى ابن كعب كما أقرأه رسول الله ﷺ في عين حمئة

وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية إذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب في عين حامية فقلت وما تقرؤها إلا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرؤها قال أقرأها كما قرأتها يا امير المؤمنين قال ابن عباس فاطلت الجدل معها فارسل معاوية إلى كعب فجاءه فقال له أأين تجد الشمس تغرب في التوراة يا كعب ؟

قال : أما العربية فانتم اعلم بها مني ، وأما الشمس فإني أجدّها في التوراة تغرب في
أوطان ، وأشدك ما تزداد به تبصراً وهو قول تبع :

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها في ذى خلب وثأط حرمد
قال معاوية وما الخلب يا كعب ؟ فقلت الطين بكلامهم قال فما الثأط ؟ قلت
الحجارة قال وما الحرمد ؟ قلت الأسود فدعا رجلاً فقال اكتب ما يقول .

فلما بلغ مغرب الشمس وجد عندّها جمماً وعدداً لا يحصىه إلا الله تعالى وقوة
رباً لا يطيعه إلا الله تعالى ورأى السنة مختلفة وأهواء مشتبهة فذلك قوله تعالى
(وجد عندّها قوماً) يعني ناساً فلما رأى ذلك كآثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث
عساكر منها فاحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور
ودعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد إلى
الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وأنوفهم وأذانهم وأجوافهم
ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فلما
خوفوا صاحوا وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا ضجوا بصوت واحد فكشفها
عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجاء من أهل العرب أمم عظيمة فجعلهم
جنداً واحداً ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرمهم والنور
أمامهم يقوده ويدله وهو يسير في ناحية الأرض التي وهو يريد الأمة التي في قطر
الأرض التي يقال لها هاويل ؛ وسخر الله له قلبه ويده ورأيه وعقله ونظره فلا
يخطئ إذا عمل عملاً فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه حتى إذا انتهى إلى بحر
او مخاضة هياً سفناً من ألواح صغار مثل النعال فيحملها في ساعة ثم يحمل فيها جميع
عامة من تلك الأمم تلك الجنود وإذا بلغ البحار والأنهار فقها ثم يدفع إلى
كل رجل منهم لوحاً فلا يكثرث بحمله فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل

فجعل فيها كفعله في ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض التي حتى انتهى إلى منسك عند طلوع الشمس وجدها تطلع على قوم فعمل فيها وجند فيها جنوداً كفعله في الامتين اللتين قبلها ثم كمر مقبلاً حتى أتى ناحية الأرض اليسرى وهو يريد نأويل رعى الامة التي بحيالها ويل وهما مقابلتان بينهما عرض الأرض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنوداً كفعله فيها قبلها فذلك قوله تعالى حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع قروم لم نجعل لهم من دونها ستراً وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يسكنون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى معايشهم وحروثهم والله أعلم .

(باب في صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به)

قال الله تعالى (حتى إذا بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً) .

قالت العلماء بأخبار القدماء : لما فرغ ذو القرنين من أمر الامم الذين هم في اطراف الأرض ، وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التي في وسط الأرض من الجن والانس وبأجوج وماجوج فلما كان في بعض الطريق بمابلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس : يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله ليس فيهم مشابة من الانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفرسها السباع وبأكلون حشرات الأرض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح بما خلق الله في الأرض وليس لله خلق ينمون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم ، فإن أنت اطلعت على مايتقو من نعمهم وزيادتهم فلا تشك أنهم سيملاكون الأرض ويخرجون أهلها منها ويظهرن عليها ويفسدون فيها وايسست تمر بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقع أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين فهل تجمل لك خرجك أي جملاً وأجرأ على أن تجمل

«بيننا وبينهم سداً حاجزاً فلا يصلون إلينا ، فقال لهم ذو القرنين ما مكنى فيه ربي أى
تقوانى عليه خير من خراجكم فاعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً حاجزاً كالخائض .

قالوا وما تلك القوة ؟ قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة ، قالوا
وما تلك الآلة ؟ قال آتونى زبر الحديد أى قطعة واحدة زبرة وآتونى النحاس
«فقالوا من أين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل ، قال سأدلكم على معادتهما
«قالوا فبأى قوة تقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدناً يقال له الساهون وهو
أشد ما خلق الله فى الأرض بياضاً وهو الذى قطع به سليمان أساطين بيت المقدس
وصنوره وجواهره .

ثم أنه قاس ما بين الجبلين ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس والنار وصنع
منها زبراً مثل الصخور العمام ثم أذاب النحاس فجعله كالطين والملاط اتلك
النصخور التى هى من الحديد ثم بنى وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير أنه لما
قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ .

فلما ارشأ فى عمله حفر له الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخ
ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد ، فلم
يزل يعمل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين وهما
الجبلان ثم أمر بالنار فأرسلت فيه ، قال انفخوا حتى جعل يفرغ القطر فيه وهو
النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم
الحديد النحاس فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرة وسواد الحديد
وعبرته ، فصار سداً طويلاً عظيماً حصيناً قال الله تعالى (فما استطاعوا أن يظهره)
أى يعلوه ، وما استطاعوا له نقباً .

قال قتادة : ذكر لنا أن رجلاً قال يا نبى الله قد رأيت سداً ياجوج وماجوج
على انحنه لى ، قال كالبرد المهبى طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال له قد رأيت

ويقال أن موضع الأسد وراء الخزر د بقرب مشرق الأرض بينهما وبين الخزر مسيرة اثنتين وسبعين يوماً .

وذكر أن الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام أن الأسد مفتوح فوجهه سالماً
الرجمان في خمسين رجلاً وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين
خمسين ألف درهم ورزق سنة ، أعطاه مائتي بغلة تحمل الزاد والماء وخرج من
سر من رأى بكتاب الواثق بالله إسحق بن إسماعيل صاحب أرمينية وكان بتغليس
وكتب له إسحق إلى صاحب السر وكتب له صاحب السر إلى ملك اللان وكتب له
ملك اللان إلى الأزامي طليجند في بلاد شاه ملك الخزر .

فأقام عنده حتى أخذ معه خمسين رجلاً أدلاء فساروا خمسة وعشرين يوماً
حتى انتهوا إلى أرض سوداء منتنة الريح ، وكانوا قد حملوا معهم شيئاً يشمونه
من الرائحة الزكية ؛ فساروا تسعة وعشرين يوماً ثم سألوا عن سبب نثر الريح
ما هو فقالوا مات ههنا قوم .

ثم ساروا في مدن خراب عشرين يوماً فساروا عن تلك المدن فقالوا قد ظهر
فيها يأجوج ومأجوج فخرّبوها .

ثم ساروا إلى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية بقره وثن
القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا لنا من هؤلاء القوم ، قلنا رسل أمير المؤمنين
فقالوا وما هو أمير المؤمنين قلنا من أولاد العباس ملك بالعراق فتعجبوا منه
وقالوا : شيخ أو شاب وزعموا أنهم لم يبلغهم خبره

ثم فارقوهم وساروا إلى جبل أمان ليس عليه خضرة وإذا جبل مقطوع
بواد عرضه مائة وخمسون ذراعاً وعضاداته مبيتان مقابلتا الجبل وعرض كل
عضادة خمسة وعشرون ذراعاً مبنية بلبن من حديد مركبة في نحاس في سلك

خمسين ذراعا وإذا وتد من حديد طرفاه على عضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا قد ركب على العضادتين علو كل واحد مقدار عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع فوق ذلك اللبن الحديد المغيّب في الانحاس إلى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر؛ وفوق ذلك شرف من حديد في طرف كل شرافة قرنان مبنى بعضها إلى بعض منظومة كل واحدة في صاحبها فإذا باب له مصراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسون ذراعا في ارتفاع خمسين ذراعا قائمتاهما في دورهما على قدر الدربند

وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع وارتفاع القفل من الأرض خمسة وخمسون ذراعا وفوق القفل مقدار خمسة أذرع غلق وعلى القلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار والحلقة التي في السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع في طوله مائة ذراع سوى ما في العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع، وهذا كله بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل جمعة في عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد وزن كل واحد خمسون منا فيضرب القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلموا أن هناك حفظة ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحددوا في الباب حدثا فإذا ضربوا أصغوا إليه آذانهم فيسمعون من داخل دوبا

وبالقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ في مسيرة مائة فرسخ لانها عشرة في عشرة ومع الباب حصنان طول كل واحد منها مائتا ذراع في مائتي ذراع وعلى باب هذين الحصنين منبرتان وبين الحصنين ماء عين عذب في أحد الحصنين آلة البناء التي بها السد من قدور الحديد ومقاريف من حديد وهناك بعض اللبن من الحديد قد التزق ببعضه ببعض من الصلدا واللينة ذراع ونصف في عرض شبر

وسألنا هل وراء ذلك أحد من أهل يا جوج وما جوج ، فذكروا أنهم رأوا منهم عدة فوق الشرف فبيت ربح سوداء فالقنهم إلى جانبهم وكان مقدار الرجل في رأى العين شبراً ونصفاً

قال فلما انصرفنا أخذ بنا الأدلاء على نواحي خراسان فعدلنا لايها فوقعنا إلى القرب من سمرقند على سبعة فراسخ وكان أصحاب الحصن ثم زودناهم الطعام

ثم سرنا إلى عبيد الله بن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل كل رجل كان معي بخمسة درهم ، وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا إلى الري ورجعنا إلى سر من رأى بعد ثمانية وعشرين شهراً والله أعلم .

(باب فى دخول ذى القرنين الظلمات بما إلى القطب الشمالى لطلب عين الحياة)

روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال ، كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه رفاييل يأتيه ويؤمره . فبينما هما ذات يوم يتحدثان إذ قال له ذو القرنين يا رفاييل حدثني عن عبادتك في السماء فبكى وقال يا ذا القرنين وما عبادتك عند عبادتنا إن في السماء من الملائكة من هو قائم لا يجالس أبداً ، ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبداً ، ومن هو راكع لا يستوى قائماً أبداً يقول سبحان القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك حق عبادتك ، فبكى ذو القرنين بكاء شديداً ، ثم قال لى أحب أن أعيش فاباغ من عبادة ربى حق عبادته . فقال رفاييل أو تحب ذلك يا ذا القرنين . قال نعم

قال رفاييل فإن لله عيناً في الأرض تسمى عين الحياة فما من الله عز وجل أن من يشرب منها شربة لا يموت أبداً حتى يكون هو الذى يسأل ربه الموت ، فقال له ذو القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين ؟ فقال لا غير أنا نتحدث في

السماء أن الله في الأرض ظلمة لا يطؤها إنس ولا جان فنبحن نظن أن تلك العين
وفي تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الأرض وأهل دراسة السكتب وآثار
النبوة فقال لهم أخبروني هل وجدتم فيما قرأنتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من
الاحاديث وسالتم من كان قبلكم من العلماء أن الله وضع في الأرض عيناً سماها
عين الحياة ، فقالت العلماء لا ، فقال عالم من العلماء إني قرأت وصية آدم عليه
السلام فوجدت فيها أن الله خلق في الأرض ظلمة لم يطلأها إنس ولا جان ووضع
فيها عين الخلد .

فقال ذو القرنين أين وجدتها قال وجدتها في الأرض التي على قرن الشمس
فبعث الله إليها ذو القرنين وحشد إليها الفقهاء والأشراف من الناس والملوك ،
صار يطلب مغرب الشمس فساداً انتهى عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة فإذا
هي مثل الدخان وليست كظلمة الليل فمسكر هناك ثم جمع علماء عسكره ، فقال
إني أريد أن أسالكم عن هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك إن من كان قبلك
من الملوك والأنبياء لم يطأوا هذه الأرض فلا تطلأها فإننا نخاف أن ينفتح عليك
أمر تسكره ويكون فيه فساد الأرض ومن عليها ؛ فقال لابد من أن أسالكم
فقالوا أيها الملك كف عن هذه الظلمة ولا تطلبها فإننا لو تعلم أنك طلبتها ظفرت
بما تريد ولم يسخط الله علينا لا تبعناك واسكننا نخاف من الله تعالى فساداً في
الأرض ومن عليها .

فقال ذو القرنين لابد من أن أسالكم فقالت العلماء شأنك بهما فقال ذو القرنين
أي الدواب بالليل أبصر قالوا الخيل قال وأي الخيل بالليل أبصر : قال الإناث
قال وأي الإناث أبصر قالوا البكارى

قال فارسيل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنى أبكاراً ثم انتخب من
عسكره أهل القوى والجلد ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرساً وعقد

براية الخضر عليه السلام وجعل مقدمته ألفين وبقي ذو القرنين في أربعة آلاف رجل وقال ذو القرنين لبنيته عسكره لا تبرحوا من معسكركم هذا إلى اثنتي عشرة سنة فإن نحن رجعنا إليكم وإلا فارجعوا إلى دياركم فقال الخضر أيها الملك إذا نسلك الظلمة ولا ندرى كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع بالضلال إذا أصابنا : فدفع ذو القرنين إلى الخضر خزانة حمراء وقال له حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الأرض فإذا صاححت فليرجع إليهما بأهل الضلال أين صاححت .

قال فسار الخضر بين يدي ذي القرنين يرتحل الخضر ويحيط ذو القرنين .

فبينما الخضر عليه السلام يسير إذا عرض له واد فظن الخضر أن العين في الوادي وألقى في قلبه ذلك ؛ فقام على شفير الوادي ومكث طويلا ثم أجابته الخزانة فطالب صوتها فأتته إليها فإذا هي على جانب العين فنزع الخضر ثيابه ثم دخل العين فإذا ماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ولبس ثيابه ثم أنه رمى الخزانة نحو أصحابه فوقعت وصاححت فرجع الخضر إلى صوتها وإلى أصحابه فركب وقال لأصحابه سيروا على اسم الله .

وإن ذا القرنين مر فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة في أربعين يوما ثم إنهم خرجوا إلى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والأرض حمراء ملة خشخاشية فإذا هم بقصر مبني في تلك الأرض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب فظل ذو القرنين بعسكره ثم إنه خرج وحده حتى دخل القصر فإذا حديد قد وضعها طرفاها على جانب القصر من ههنا وإذا طائر أسود يشبه الخطاف مزموما بأذنه إلى الحديد معلقا بين السماء والأرض فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال من هذا ، قال أنا ذو القرنين ، فقال الطائر يا ذا القرنين ما كفناك ماورائي حتى وصلت إلى .

ثم قال يا ذا القرنين حدثني فقال سل ، فقل هل كثر بناء القصر والآجر في الأرض ؟ قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدية ثم قال يا ذا القرنين هل كثرت شهادة الزور في الأرض ؟ قال نعم فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى ملأ الحديدية وسد ما بين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك ففرق فرقاً شديداً ، فقال الطائر لا تخف حدثني ، قال سل قال أهل ترك الناس شهادة أن لا إله إلا الله بعد ؟ قال فانضم الطائر إلى ثلثه ، ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد ؟ قال لا . فعاد الطائر كما كان ثم يا ذا القرنين أسلك هذه الدرج درجة درجة إلى أعلى القصر فسلكما ذو القرنين وهو خائف . جل لا يدري على ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج فإذا سطح ممدود عليه صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعاً وجهه إلى السماء واضعاً يده على فيه ، فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال من هذا ؟ قال أنا ذو القرنين . قال يا ذا القرنين إن الساعة قد قربت وأنا منتظر أمر رب يأمرني أن أنفخ في الصور .

ثم أن صاحب الصور أخذ شيئاً من بين يديه كأنه حجر فقال يا ذا القرنين خذ هذا فإن شبع هذا شبعته وإن جاع هذا جعت فأخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى أتى إلى أصحابه فحدثهم بأمر الطائر وما قاله وما أورد عليه وما قال له صاحب الصور ثم عمل على جمع عسكره ، وقال أخبروني بما هذا الحجر وما أمره ؟ فقالوا أيها الملك أخبرنا ما قال لك صاحب الصور . فقال ذو القرنين أنه قال : إن شبع هذا شبعته ، وإن جاع جعت ، فوضعت العلماء ذلك الحجر في كفة الميزان وأخذوا حجراً مثله ووضعوه في الكفة الأخرى ثم رفعوا الميزان فإذا الذي جاء به ذو القرنين أنقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فإذا الذي جاء به ذو القرنين أنقل فلم يزالوا يضعون حجراً بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر ثم رفعوا الميزان قال بالآلاف جميعاً فقالت العلماء انقطع علمنا دون هذا لانعرف أسحر هذا أم علم لا نعلمه ، فقال الخضر عليه السلام وكان واقفاً ، أنا أعلم علمه فأخذ الخضر عليه السلام الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذي جاء به ذو القرنين فوضعه في إحدى الكفتين وأخذ حجراً من

تلك الحفرة فوضعه في السكفة الأخرى ثم أخذ كدفاً من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فخرت العلماء بسجدة الله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا والله قد وضعنا معه ألف حجر فما استقل به فقال الخضر عليه السلام أيها الملك إن سلطان الله عز وجل قاهر خلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وأن الله ابتلى خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالجاهل والجاهل بالجاهل والجاهل بالجاهل والمسلم بالجاهل وأنه ابتلائى بك وابتلاك بى، فقال ذو القرنين صدقت فأخبرني ما هذا الحجر؟ فقال الخضر أيها الملك هذا مثل ضربه لك صاحب الصور إن الله تعالى مكن لك في الأرض فأعطاك منها ما لم يعط أحداً من خلقه وأوطأك منها ما لم يوطئ لأحد من خلقه فلم تشبع وآتيت نفسك شرها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطاه لإنس ولا جان فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور ابن آدم لا يشبع أبداً حتى يحشى عليه التراب ولا يملأ جوفه إلا التراب . فبكى ذو القرنين ، ثم قال صدقت يا خضر في ضرب هذا المثل لا جرم لا طلبت أشر في البلاد بعد مسيرى هذا حتى أموت .

ثم إنه انصرف راجعاً حتى إذا كان في وسط الظلمة وطمى الوادى الذى فيه الزبرجد فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر واديهم ما هذا الذى تحتنا أيها الملك فقال ذو القرنين خذوا منه فإن من أخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من أخذ منه شيئاً ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروا إذا هو زبرجد فندم الآخذ والتارك قال : قال رسول الله ﷺ رحم الله أخى ذا القرنين لو ظفر بوادى الزبرجد فى مبدأ أمره ما ترك منه شيئاً حتى كان يخرج به إلى الناس لأنه كان راعياً فى الدنيا واسكنه ظفر وهو زاهد فى الدنيا لا حاجة له فيها . ثم أنه رجع إلى العراق ومملك ملوك الطوائف كلهم ومات فى طريقه قبل وصوله بشهر وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه إنه رجع إلى دومة الجندل وكانت منزله غاقام بها حتى مات قالوا وكان عمره ستاً وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قبل داراً فى أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل إلى أمه بالاسكندرية

ودفن هناك ؛ قالوا فلما مات الإسكندر عرض الملك على ابنه إسكندروس من بعده فأبى واختار الذسك والعبادة فلسكت اليونانية عليهم فيما قبل بطليموس بن لوسوع وكان ملكة ثمانية وثلاثين سنة ؛ وكانت المملكة في حياه الإسكندرو بعد وفاته إلى أن تحول الملك والمضاض واليونانية وابن إسرائيل ببيت المقدس ونواحيه الديانة والرياسة على غير وجه الملك إلى أن خرب بلادهم الفرس والروم وطردهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام .

(مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام)
وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن إسحق وغيره من أهل الأخبار عبرت بنى إسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل إلى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم ينزلوا يحدثون الأحداث ويعود الله عليهم بفضلهم ورحمتهم ويبحث فيهم الرسل ؛ فمريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون كما قال الله تعالى (حتى كان من بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام) .
(نسب زكريا عليه السلام)

هو زكريا بن يحيى بن يوحنا بن آدن بن مسلم بن صدوق بن بحسان بن داود ابن سليمان بن مسلم بن ضديقة بن ناخور بن سلوم بن شفا ساط بن أبيا بن رحيمم ابن سليمان بن داود عليه السلام .

(باب في ذكر مولد مريم عليهما السلام وخبر تحريرها)
قال الله تعالى (إذ قالت امرأة عمران ربى إنى نذرت لك مافى بطنى محرراً)
الآيات ، وقال المفسرون هى حنة بنت فاوذا جدة عيسى عليه السلام وعمران .
قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أن موسى إذ بينهما ألف وثمانمائة سنة ، وكانت بنو ماثان روس بنى إسرائيل وأحبارهم وملوكهم .
وقال ابن إسحق هو عمران بن ساهم بن أمور بن ميشان بن حزقييل بن أحريف ابن يؤم بن عزازيل بن امصيا بن تاوس بن نوثا بن بارض بن يهو شافاظ بن أبيا ابن رحيمم بن سليمان بن داود عليه السلام ؛ وكانت القصة فى ذلك أن زكريا

ابن يوحنا وعمران بن ماثان كانا متزوجين بأختين إحداهما عند زكريا يوحنا وهي إيشاع بنت فاوذا أم يحيى وكانت الأخرى عند عمران وهي حنة بنت فاوذا مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أبست وعجرت وكانوا أهل بيت من الله بمون فبينما هي في ظل شجرة إذا نظرت طائراً يطعم فرخاً فتهجرت عند ذلك شهوتها للكالد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولداً وقالت اللهم لك على إن رزقتني أن أتصدق به على بيت المقدس فيكوتن من سدنته وخدمه نذراً وشكراً فحملت بمريم عليها السلام فحرت مافي بطنها ولم تعلم ما هو فقالت (رب إني نذرت مافي بطني محرراً) أى عتيقاً من الدنيا وأشغالها خالصاً لله تعالى وخادماً لبيتك المقدس حسباً عليه مفرع لعبادة الله ولخدمته فتقبل منى السكان لأنك أنت السميع العليم .

قالوا وكان المحرر إذا حرر ونذر جعل المحرر والمندور في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحلم فإذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث شاء ؛ وإن أراد أن يخرج بعد التخيير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون نحر وجهه على علم منهم ولم يكن أحد من بنى إسرائيل وعلماهم إلا من في نسله تحرر لبيت المقدس ولم يكن محرراً إلا الغلمان . وكانت الجارية لا تكف ذلك ولا تصالح لما يهيبها من الحيض والأذى فحرت أم مريم . مافي بطنها فلما فعلت ذلك قال لها زوجها عمران : ويحك ما صنعت ؟ أرايت إن كان مافي بطنك أبى والآثى عورة لا تصالح لذلك فوقع جميعاً فيهم من ذلك فملك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها إذ هي جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاماً اعتذاراً إلى الله تعالى ورب لاني وضعتها أبى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالآثى ، أى في خدمة الكنيسة والعبادة فيها لعورتها وضعتها وما يعتريها من الحيض والنفاس والأذى وإني سميتها مريم وهي بلغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأشبهن في وقتها . أخبرني الحسن بن محمد بإسناده عن أنى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ وحسبك من نساء العالمين أربع : مريم ابنة عمران وآسيا امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ﷺ وإني أعينها ، أى أجبرها وأمنها بك وذريتها من الشيطان (م ٢٧ - قصص الأنبياء)

الرجيم ، أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده وأخبرنا أبو مهبل وأحمد بن محمد بن هرون بإسناده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : ما من مولود إلا والشيطان يمسّه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إلا مريم ولانها ، ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم ، ولأن أعينها وذريتها من الشيطان الرجيم .

وأخبرنا شعيب بن محمد بإسناده عن قتادة قال : كل آدمي يطعن الشيطان في جنبه حين يولد إلا عيسى عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصاب الطائفة الحجاب ولم ينفذ إليهما منه شيء قال : وذكر أنهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بني آدم قال الله تعالى : فتقبلها ربها بقبول حسن ، الهاء راجعة إلى النذرة أي فتقبل الله النذرة أي مريم من حنة ، وأنبتها نباتاً حسناً ، يعني سرى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تذب في المدة اليسيرة كما يذب المولود في المدة الطويلة وقال ابن جريج . وأنبتها ربها في غداها ورقها نباتاً حسناً حتى نمت امرأة بالغة .

قالوا فلما ولدت مريم أخذتها أمها حنة فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وهم يومئذ ثلاثون في بيت المقدس كإيلي الحجة أمر السكينة فقالت لهم دونكم هذه النذرة فتنافس فيها الأحبار لأنها كانت بذت إمامهم وصاحب قربانهم فقال لهم ذكر يا أنا أحق بها منكم لأن عندي خالتيها فقالت له الأحبار لا نفعل ذلك فإنها لو تركت لأحق الناس وأقربهم إليها لتركت لأما التي ولدتها . ولما كنا نقرع عليها فتكون عند من خرج سهمه فاتفقوا على ذلك ثم اطلقوا وكأوا تسعة عشر رجلاً إلا نهر جار . قال السدي هو نهر الأردن فالتقوا أي سهامهم وقيل أفلامهم ورسميت في الماء قال ابن إسحق وجماعة وقال السدي . بل ثبت قلم ذكر يا فوق الماء وكأنه في طين وجرت أفلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهبهم وقرعهم ذكر يا عليه السلام . وكان رأس الأحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى (وكفلفها زكريا) ضمها إلى نفسه وقام بأمرها وقال ابن إسحق . فلما كفلفها زكريا ضمها إلى خالتيها أم يحيى واسترضع لها حتى نشأت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرراً أي غرفة في المسجد وجعل بابه إلى وسطها لا يرقى إليها إلا بسلم مثل باب السكينة فلا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها في كل يوم . وكان زكريا عليه السلام إذ ذ

خرج أغلق عليها بابها فإذا دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقاً أى فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول لها : أنى لك هذا ، فتقول هو من عند الله من قطف الجنة . قال الحسن يجد عندها قوتها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها زكريا من أين لك هذا ؟ فتقول من عند الله . قال الحسن . وكانت وهى صغيرة يأتيها رزقها .

وقال محمد بن إسحق ثم أصابت بنى إسرائيل أزمة وهى على ذلك من حالها ثم ضعف زكريا عن حملها فخرج إلى بنى إسرائيل وقال يا بنى إسرائيل تعملون والله لاني لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأياكم يكفلها بعدى ؟ فقالوا والله لقد جمدنا وأصابنا من الجلد ما ترى فتدافعوا بينهم ثم لا يجحدون من يحملها فنقاروا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل صالح نجار من بنى إسرائيل يقال له يوسف ابن يعقوب بن مائان وكان ابن عم مريم لحملها . قال فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن الظن بالله فإن الله سيرزقنا ؛ فحمل يوسف إليها ما رزقه الله فيأتيها الله كل يوم من كسبه بما يصلحها فإذا أدخله عليها وهى في الكنيسة أنما الله تعالى وكثره فيدخل إليها زكريا فيرى عندها فضلاً من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها (يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله يرزق من يشاء بغير حساب) .

أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ أقام أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يصب في بيت أحد منهن شيئاً فأتى فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنية هل عندك شيء آكل فأنى جائع ، فقالت لا والله بأبى أنت وأمى . فلما خرج رسول الله ﷺ من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وبضعة لحم فأخذته منها ووضعته في جفنة وغطت عليه وقالت لا وثرن بها رسول الله ﷺ على نفسه ومن عندي وكانوا جميعاً محتاجين إلى شبة من طعام فبعثت حسناً وحسيناً إلى جدتهما رسول الله ﷺ فرجع إليها فقالت بأبى أنت وأمى يا رسول الله قد أتانا الله بشيء نخبأته لك فهل لى به فأنى به فكشف عن

الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً فلما نظرت بهتت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله تعالى وصالت على نبيه ، فقال عليه الصلاة والسلام من أين لك هذا يا بذية (قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) لحمد الله رسول الله ﷺ وقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة نساء بن إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله رزقاً حسناً فسميت عنه (قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فبعث رسول الله ﷺ إلى على رضى الله عنه فأنى فأكل الرسول وعلى وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبي ﷺ ورضى الله عنهم جميعاً حتى شبعوا وبقيت الجفنة كما هي قالت فاطمة رضى الله عنها وأوسعت منها على جميع جيرانى وجعل الله فيها بركة وخيراً كثيراً ، وكان أصل الجفنة غيفين وبضعة والماتى بركة من الله تعالى

(باب فى مولد يحيى بن زكريا عليه السلام)

قال الله تعالى (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء) قالت العلماء بأخبار الأنبياء لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم الفاكهة فى غير حينها قال إن الله الذى قدر على أن يؤتى مريم بالفاكهة من غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتى ويهب لى ولداً على السكبر فطمع فى الولد وكان أهل بيته قد انقضوا وزكريا قد شاخ وآيس من الولد فهناك أى فعند ذلك دعا زكريا ربه (قال رب هب لى) (أى اعطنى) من لدنك ذرية طيبة) نسلاً نقيماً صالحاً رضىاً (إنك سميع الدعاء فادته الملائكة) يعنى جبريل وذلك أن زكريا كان الحبر الكبير الذى يقرب القران ويفتتح باب المذبح فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول ، فبينما هو فى محرابه عند المذبح قائم يصلى والناس ينتظرون أن يأذن لهم بالدخول إذاً هو برجل شاب عليه ثياب بيض ؛ ففزع منه فاداه وهو جبريل عليه السلام (يا زكريا إن الله يبدى لك بهيى) واختلفوا لمسمى يحيى .

قال ابن عباس لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه ، وقال قتادة وغيره لأن الله تعالى أحيا قلبه بالإيمان والعبوة ؛ وقال الحسن بن الفضل لأن الله تعالى أحياها بالطاعة

حقى لم يتغير ولم يهيم بمهنية ، دليله ما أخبرني به الحسن بن قتيويه بإسناده عن
عكرمة عن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ ، ما من أحد يلتقى الله عز وجل
إلا وقد هم بخطيئة أو عملها إلا يحيى بن زكريا فإنه لم يهيم ولم يعمل ، .

قال الأساذ وكان شيخنا أبو الفاسم الجنيدي يقول سمي بذلك لأنه استشهد والشهادة
أحياء عند ربهم يرزقون ، قال النبي ﷺ (من هو أن الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا
قتلته امرأة) قال سمعت أبا منصور الخشاعي يقول ، قال عمر بن عبد الله القدسي
أوحى الله إلى إبراهيم الخليل عليه السلام أن قل ليسارة وكان اسمها كذلك أنى
مخرج منكأ عبدأ لا يهيم بمهنية اسمه حتى فبهى له من اسمك حرفاً فوهبت أول حرف
من حروف اسمها الياء فصار يحيى وسار اسمها سارة مصداقاً بكلمة من الله يعنى عيسى
عليه السلام فسمى كلمة لأن الله تعالى قال له من غير أب كن فكان وقوع عليه لاسم
الكلمة لأنه بها وجد ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه ، وذلك أن أمة كانت حاملة
به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى ، قالت لها أم يحيى يا مريم أحامل أنت ، فقالت
لماذا تقولين هذا ؛ قالت لأنى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك ذلك تصديقه له
ولا يمانه به ، وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى
إلى السماء وسند كره ، قال سعيد بن المسيب « وسيداً » السيد الفقيه العالم . وقال
سعيد بن جبير السيد الذى يطيع ربه عز وجل ، وقال الضحاك السيد الحسن الخلق
وقال عكرمة الذى لا يهضب ؛ وقال سفيان الذى لا يحسد (وحضوراً) قال ابن
عباس وابن مسعود وغيرهما هو الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل
يعنى أنه حصر نفسه عن الشهوات ، وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذى
الابادة له ودليل هذا التأويل ما أخبرني به ابن قتيويه بإسناده عن صالح عن
أن هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول د كل ابن آدم يلتقى الله بذنب قد
أذنبه يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا فإنه كان سيداً حضوراً
وقبلاً من الصالحين ثم أوما النبي ﷺ إلى قذاة من الأرض فأخذها قال وكان ذكره
مثل هذه القذاة ، وقال المدنى . الحضور الذى لا يدخل فى اللهب ولا الأباطيل

قالوا . فلما نادى زكريا بالبشارة قال رب أى ياسيدى ؛ قاله لجبريل هذا قوله أكثر المفسرين وقاله الحسن بن الفضل إنما قال زكريا يا رب لا لجبريل أنى يكونه لى غلام من أين يكون لى ولد وقد بلغنى السكر وامراتى حاقرا لتلد عقيم قال المكبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة .

وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فأجيب (كذلك يفعل الله ما يشاء) فإن قيل لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة أن كان ذلك شكاً فى وحيه أم لإنكاره لقدرته وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الإيمان فكيف الأنبياء فالجواب عند ما قاله عكرمة والسدى أن زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا إن الصوت الذى سمعت أيس من الله وإنما هو صوت الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لأوحاه إليك خفية كما نادينه خفية وكما يوحى إليك فى سائر الأمور فقال ذلك دفعا للوسوسة وفيه جواب آخر وهو أنه لم يشك فى الولد وإنما شك فى كيفيةه والوجه الذى يكون منه الولد فقال أنى يكون لى ولد ؛ أى كيف يكون لى ولداً تجعلنى وامراتى شاببين أم نرزقه كذا ؛ لى كبرنا أم ترزقنى من امرأة غير هاهن النساء فقال ذلك مستخبراً لا منكراً وهذا قول الحسن (قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لاتكلم الناس ثلاثة أيام) وتقبل بكائيك على عبادتى وطاعتى لئأنه حبس لسانه عن الكلام واسكنه نهى عنه بدل عليه قوله تعالى (واذكرك ربك كثيراً) وسبح بالعنى والإبكار) هذا قول قوم من أهل العلم ، وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مناقشته الملائكة إياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة أيام إلا رمزاً أى إشارة وعلى هذا أكثر المفسرين ؛ قال عطاء ، أراد به صوم الثلاثة أيام لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رهزاً ؛ فولد يحيى بن زكريا عليه السلام .

وفى بعض الاخبار أنه لما ولد يحيى رفع إلى السماء فتغذى بأنهار الجنة حتى فطم ثم أنزل إلى أبيه وكان يضئ البيت لنوره وحسن وجهه وجماله .

(باب في صفته وحليته عليه السلام)

قال كعب الأحبار ؛ كان يحيى بن زكريا نبياً حسن الوجه والصورة لبن الجناح قليل الشعر قصير الأصابع طويل الأنف مقرون الحاجبين وقيق الصوت كثير الهدية قوياً في طاعة الله تعالى ، وقد ساد الناس في عبادة الله وطاعته .

(فصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده)

قال الله تعالى (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً) قيل إن يحيى قال له أتراه من الصبيان يا يحيى اذهب بنا لنلعب ، فقال لهم مالم لعب خلقت وقال آخرون إنه نبي صغيراً فكان يعظ الناس ويقف لهم في أعيادهم وجمعهم ويدعهم إلى الله تعالى ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلاً أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ؛ وقال مثل الشريك كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله ثم أسكنهم داراً له ودفع لهم مالا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منهم ما يكفيه ثم يودون إليه فضل الربح فدفعوه إلى عدو سيدهم وأمرهم بالصلاة فقال إن مثل المصلي كمثل رجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه فاقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضى حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت يميناً وشمالاً ولم يتم حاجته فأعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدو فأشترى منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل في بلادهم ويؤدي إليهم عن كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فاعتق ، وأمرهم بذكره عز وجل وقال مثل الذكر مثل قوم لهم حصن ولهم عدو فإذا أقبل عليهم عدوهم دخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان وأمرهم بالصيام وقال مثله كمثل الجنة لا تدع عدوه يصل إليه ويستتره .

وأما سيرته فروى عن رسول الله ﷺ أنه قال كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس فظفر إلى المجتهدين من الأحرار والرهبان وعليهم مدرع الشعر والصوف وبرايس الصوف وإذا هم قد حرقوا تراقيهم وسلوكوا فيها السلاسل وشدوا بها

إلى سرارى المسجد فلما نظر إلى ذلك أنى أمه فقال يا أماه انسجى لى مدرعة من شعر وبرنسا من صوف حتى آتى إلى بيت المقدس وأعبد الله تعالى مع الاحبار والرهبان ؛ فقالت له أمه حتى يأتى نى الله زكريا عليه السلام فاوامره فى ذلك فلما دخل زكريا أخبرته بما قال ، فقال له زكريا يا بنى ما يدعوك إلى هذا ولما أنت صبي صغير فقال له : رأيت من هو صفر منى ذاق الموت قال بنى فقال لأمه انسجى له مدرعة من الشعر وبرنسا من الصوف ففعلت فتدفع بالمدرعة على بدنه ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى أكلت مدرعة الشعر لحسه فنظر ذات يوم إلى ما قد نحل من جسمه فبكى فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى أتبكى على ما قد نحل من جسمك وعزنى وجلالى لو اطلعت على النار اطلاعة لتدعرت مدارع الحديد فضلا عن المسوح .

فبكى يحيى حتى أكل الدمع لحم خديه وبدت للناظرين أضراره فباغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الاحبار والرهبان فقال زكريا لابنه يحيى ما يدعوك لها يا بنى إنما سألت ربى أن يهبك لتقربك عبنى ؛ فقالت أنت أمرتني بذلك يا أبت ؛ قال ومتى ، قال ألسع القائل إن بين الجنة والنار عقبة كمود لا يقطعها إلا الباكون من خشية الله تعالى قال بنى قال فجد واجتهد وقام ففرض مدرعته فأخذته أمه فقالت أنأذن لى يا بنى ان أتخذلك قطعتين من لبد يواريان أضرارك وينشفان دموعك فقال لها شأنك فاتخذت له قطعق لبد يواريان أضراره وينشفان دموعه فبكى حتى ابتلتا من دموع عينييه ثم أخذهما فصرهما فتحدرت الدموع من بين أصابعه فنظر زكريا إلى لابنه وإلى دموعه فرفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إن هذا لابنى وهذه دموع عينييه وأنت أرحم الراحمين وكان زكريا إذا أراد أن يعظ بنى إسرائيل التفت يمينا وشمالا فإذا رأى يحيى لم يذكرك جنة ولا ناراً فجلس يوماً يعظ بنى إسرائيل وأقبل يحيى وقد لف رأسه بعنائة وجلس فى غمار القوم فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيى فأنشأ يقول حدثنى حبيبي جبريل عن الله عز وجل أن فى جهنم جبلا يقال له السكران فى أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان خلق الغضب الرحمن تبارك وتعالى فى ذلك الوادى جب قامته مائة عام فى ذلك الجب

توابيت وصناديق من نار وثياب من نار وأغلال من نار فرفع يحيى رأسه وقال
واغفلناه عن السكران وعن غضب الرحمن .

ثم خرج هائماً على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيى فقال لها
قومى فاطلبى يحيى فإنى قد تخوفت أن لا أراه إلا وقد ذلق الموت فقامت وخرجت
فى طلبه فرث بفتيان من بنى إسرائيل فقالوا لها يا أم يحيى أين تريدن . قالت
أطلب ولدى يحيى ذكرت النار بين يديه فهم على وجهه قضت أم يحيى والفتيان
معها حتى مرت براعى غنم فقالت ياراعى هل رأيت شاباً من صفته كذا وكذا
قال لعلك تطلبين يحيى بن زكريا قالت نعم دلت ولدى ذكرت النار بين يديه فهم
على وجهه فقال تركته الساعة على عقبه ناقماً قدسيه فى الماء رافعا بصره إلى السماء
يقول وعزتك يا مولاي لا أذوق بارد الشراب حتى أنظر إلى منزلتي منك فاقبلت
لأمه فلما رأته دنت منه فاحتوت برأسه فوضمته بين يديها وناشدته بالله أن ينطلق
معها إلى المنزل فانطلق معها إلى المنزل فقال له هل لك أن تخلع مدرعتك الشعر
وتلبس مدرعتك الصوف فإنه ألين ففعل ثم لأنها طمعت له عدسا فأكل واستوفى
فذهب به النوم فلم يقم لصلاته فنودى فى منامه يا يحيى أردت داراً خيراً من دارى
وجوراً خيراً من جورى فاستيقظ وقام وقال رب أقل عثرى وعزتك لا أستظل
بظل سوى بيت المقدس . ثم قال لأمه ناولينى مدرعة الشعر فقد علمت أنى
ستوردانى للمعالم . فتقدمت إليه أمه ودفعت إليه المدرعة وتعلقت به فقال لها
زكريا يا أم يحيى دعيه فإن ولدى قد كشف له عن قناع غفلته . ان ينتقع بالعيش
فقام يحيى قلبس مدرعة ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس لجعل يعبد
الله مع الأجبار والرهبان حتى كان من أمره ما كان والله أعلم .

(باب فى مقتله عليه السلام)

اختلف العلماء فى سبب قتله فقال كان يحيى عليه السلام فى زمن ملك من ملوك
بنى إسرائيل وكان له امرأة وهى ابنة ملك صيدا وكانت قتالة الأنبياء والصالحين
وكانت طاهرة تبرز للناس وكان يحيى يزجرها عن ذلك ويقول لها لا تبرزى كاشفة

وجهك ، وكان كثيراً ما يقول لها مكتوب في التوراة إن الزناة يوقفون يوم القيامة
وريمحونهم أنتن من الجيف فأمرت يحيى فسيجن وكان قد حبس رجل من أبناء الملوك
وكان كثيراً ما يختلف إليها بالليل فعلم بها وبه يحيى فزجره فباغ ذلك امرأة الملك
لحلمات بذنا لها واستقبلت بها زوجها فقال لها لم فعلت ذلك؟ فقالت وجب لها عليك
حق ، فقال سلى ماشئت . فقالت البنت استوهبت منك أهل الحبس اصنع بهم ماشئت
فظن أبوها أنها ترحمهم وتستر وجههم فقال أبوها قد فعلت فأمرت أمها أهل السجن
فهرضوا عليها . فلما مر بها يحيى أمرت به فذبح وأخذت رأسه في طشت ثم حملت
الطشت إلى أبيها بأمر أمها وقالت أيها الملك إنى قد ذبحت لك ذبيحة من أعظم
ما وجدته ولو كان مثله ألف لذبحتهم لك قال وما هو؟ قالت يحيى بن زكريا فقال
هايك وأهلك أبويك ، فغير الله ما بهم من النعم وسلط عليهم عدوا فذبح
البنت وأبوها وسلط عليهم السكالب حتى أكلتهم .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ، كان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا
في لائى عشر من الحوار بين يعلمون الناس ؛ قال وكان ممانهم عنه فكأخ بنت الاخ
وكان للمسكهم بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها وكان له في كل يوم حاجة عنده يقضيها
لها فلما بلغ أمها أنه ينهى عن نكاح بنت الاخ قالت لا بدتها إذا دخلت على الملك وسألك
عن حالتك فقولى حاجتى أن تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليها سأله عن حاجتها
فقالت حاجتى أن تذبح يحيى بن زكريا فقال سلى غير هذا فقالت ما أسألك إلا
هذا فلما أبت عليه دعا يحيى بن زكريا ودعا بطشت فبجعه فيه فنبذت من دمه قطرة
فلم تزل تغلى حتى بعث الله عز وجل بمختصر عليهم . فجاءت عجوز من بنى إسرائيل
فدلته على ذلك الدم فالقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين ألفا منهم فقط
فيهم بمختصر ليسكن فقتلهم فسكن .

وقال السندى بإسناده : كان ملك بنى إسرائيل يكرم يحيى بن زكريا ويدين
بجلسه ويستشير به في أموره ولا يقطع أمراً دونه وإنه هو أن يتزوج ابنة امرأة له
فسأله عن ذلك يحيى فنراه وقال استأرضانها لك ، فباغ ذلك أمها فخذت على

يحيى حين نهاء أن يتزوج لابنتها فعمدت إلى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فالبستها
حياً بأرقافا حراً وطيبتها وأرسلتها إلى الملك . وأمرتها أن تسقيه وأن تعرض له
فيذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله . فإذا أعطاها ذلك سألتها
أن يأتيتها برأس يحيى بن زكريا في طعنت ففعلت ذلك وجمعت تسقيه وتعرض
له فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما سألك
قال وما تسأليني ؟ قالت أن تبعث إلى براس يحيى بن زكريا في هذا الطعنت قال
ويحك سليمانى غير هذا . فلما أبت عليه بعث إليه فأتى برأسه والرأس يتكلم حتى
وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك ، فلما أصبح إذا دمه يغلى فأمر بتراب
فألقى عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلى ويلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة
وهو مع ذلك يغلى وذكر الحديث الطويل الذى فى قصة سنجاريب وبختنصر كما
قدمنا ذكره فى أخبار بختنصر .

قال كعب الأحبار : كان يحيى من أجل الناس وجهاً وأحسنهم فى زمانه حباً
شديداً فأرسلت إليه تراوده عن نفسه فأرسل إليها لأنه لا علم له بالنساء والملك
أحق أن يظلم فإشبهه ، فلما انتهى إليها الرسول غضبت غضباً شديداً وقالت كيف
لى أن أقتله ولا يخبر الناس إنى قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيى بن زكريا
فأرسلت إليه وهو قائم يصل فى بيت المقدس فى محراب داود من يضرب عنقه
ويأخذ رأسه . فلما أخذوا رأس يحيى خسف الله بها وبأهلها الأرض عقوبة لها
بقتلها يحيى عليه السلام .

(ذكر مقتل زكريا عليه السلام)

قال كعب الأحبار : فلما سمع زكريا أن إبنته يحيى قتل وخسف بالقوم
الاطلاق هارباً فى الأرض حتى دخل بستاناً عند بيت المقدس فيه الأشجار فنادته
شجرة يافى الله إلى هنا فلما اتاها انفتحت له الشجرة ودخل زكريا فى وسطها
فانطلق إبليس لعنه الله حتى أخذ بطرف رداءه فأخرجه من الشجرة ليصدقه
إذا أخبرهم بوجوده ، فلذلك تصنع اليهود الخيوط فى أطراف أردبتهم .

وقد أخذ الملك وأهله يلتمسون زكريا فاستقبلهم إبليس لعنة الله تعالى فقال لهم ما تلتسمون ؟ قالوا نلتمس زكريا فقال إبليس إنه دخل في هذه الشجرة ، قالوا لا تصدقك قال فإني إن أريتكم علامة تصدقوني بها ؟ قالوا فأرنا إياها فأرأهم طرفه ردائه فأخذوا المناشير وضربوا الشجرة فأنشروها فصنعين فسلط عليهم أخبث أهل الأرض عجباً مجوسياً فانتقم الله من بنى إسرائيل بدم يحيى وزكريا فقتل عظامه بنى إسرائيل وسبى متهم مائة وسبعين النأ .

وقيل أن السبب في قتل زكريا أن إبليس جاء إلى مجالس بنى إسرائيل ففذف بمريم زكريا وقال ما أحبلها أحد غير زكريا وهو الذى كان يدخل عليها فطلبوا زكريا فهرب واتبعة سفهاؤهم وأشرارهم فسلك وادياً كثير الأشجار فقتلته له الشيطان في صورة راع فقال يا زكريا قد أدركوك فادع الله أن يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فأنفتحت له ودخل فيها وأخرج إبليس هذب ردائه منها فرت بنو إسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعى هل رأيت رجلاً هبنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فأنفتحت له فدخل فيها وهذا هذب ردائه فقطعوا الشجرة مع زكريا وقلعوها فلقنوا بالمشارط ولا فبعث الله الملائكة ففسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه ، وفي الخبر أن الشمس بكى على يحيى أربعين صباحاً وكان بكائها إن طلعت وغربت حمراء ويروى أن يحيى سيد شهداء يوم القيامة وقادهم إلى الجنة والله أعلم .

(مجلس في مولد عيسى عليه السلام وفي حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتصل به)
قال الله تعالى (واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً)
قالت العلماء بأخبار الأنبياء ، لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام .
ومريم يومئذ بذت خمسة عشر سنة وقيل ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم في المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف اللجج وكان رجلاً حليماً نجاراً
يتصدق بعمل يديه وكان يوسف ومريم يليان خدمه الكنيسة وكانت مريم إذ ذاك تفقد ماؤها وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق إلى المهارة التي فيها الماء

فيسبقيان منه ثم يرجعان إلى الكنيسة ، فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبريل عليه السلام وكان أطول يوم في السنة وأشد حراً نفذ ماؤها ، فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف فنستقي فقال إن عندي لفضلاً من ماء اكتفي به يومى هذا إلى غدا قالت واسكنى والله ما عندي ماء ، فأخذت قانتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام وقدمه مثله بشر أسويا فقال لها يا مريم إن الله قد بعثنى إليك لأهب لك غلاماً زكياً قالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً) أى ءومنا مطيعاً وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه علمت ان التقى ذو رحمة وخشية وهى تحسبه رجلاً من بنى آدم . قال عكرمة وكان جبريل عرض لها فى صورة رجل شاب أمرد مضىء الوجه جمعد الشعر سوى الخلق قالت الحسكاه إنما أرسله الله تعالى فى صورة البشر انشبت مريم عليه وتقدر على استماع كلامه ، فلما استعاذت منه مريم (قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت أن يكون لى غلام ولم يستسنى بشر ولم أك بغياً قال كذلك قال ربك هو على هين) الآية فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ فى جيب درعها وكانت قد وضعتة عنها ، فلما انصرفت عنها ابست مريم درعها فحملت بعيسى عليه السلام ثم ملأت قانتها وانصرفت إلى المسجد .

وقال السدى وعكرمة . أن مريم عليها السلام كانت تسكون فى المسجد ما دامت طاهرة فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكاناً شرقياً أى مشرقاً لأنه كان فى الشتاء فى أقصر يوم فى السنة .

قال الحسن إنما اتخذت النصارى المشرق قبلة لأن مريم انتبذت مكاناً شرقياً فاتخذت فضربت من دونهم حجاًباً أى ستراً ، وقال مقاتل جعلت الجبل بينهما وبين قومها فبينما هى كذلك فى تلك الحالة إذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ فى جيب درعها ؛ قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكان منطلقين إلى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد

وكان لخدمته فضل عظيم وكان يلبيان معالجته بأنفسهما وتجميره وتطهيره وكان لا يعام في زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف النجار ، فلما رأى الذى بها استعظمه واستفظحه ولم يدرك ماذا يصنع من أمرها وكلما أراد أن يتمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها ولما لم تغب عنه ساعة واحدة وإذا أراد أن يبرئها رأى مظهرها من الحبل فلما اشتد ذلك عليه كتبها فكان أول كلامه لها ياها إن قال إنه وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على أن أكتمه فقلبنى ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشنى لصدرى فقالت له قل قولا جميلا قال لها اخبريني يا مريم هل نبت زرع بذر؟ قالت نعم؛ قال فهل نبتت شجرة بغير غيث؟ قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر إنما يكون من الزرع الذى أنبتته من غير بذر ألم تعلم أن الله تعالى أنبت للشجرة من غير غيث وبالقدره جعل الغيث حياة الشجرة بعد ما خلق الله كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر ان ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على إنباؤه قال يوسف لها هذا لا يمكنى أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء يقول للشيء كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم ان الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا انشى قال بلى . فلما قالت له ذلك وقع في نفسه ان الذى بها شيء من امر الله وإنه لا يسمعه ان يسألها عنه وذلك لما رأى كثبانها لذلك ثم تولى يوسف خدمه المسجد وكفهاها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من ورقة جسمها وأصفرار لونها وكلف وجهها وتقر بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس

وسمعت من الثقات : ان قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين السلوان وسألت بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التى خدمت فيها مريم ويوسف هذا وقد أفصح فيها عيسى ودعا الخلق إلى الله تعالى ثم نقل من هذه إلى القيامة وهى كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس ويدعون ان عيسى عليه السلام لما قتل دفن فيها وبعد ثلاثة أيام عرج به إلى السماء فلا ينقطع أبد الدهر منها وإنه ينزل فيها والله أعلم .

(باب في ذكر ميلاده عليه السلام)

قالوا فلما انفلت مريم ودنا ففانساها أوحى الله تعالى اليها أن مسجد بيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذي طهر ورفع ليدكر فيه اسمه فأبرزى إلى موضع تأوين فيه فتحولت مريم إلى بيت خالتها أخت أم يحيى فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها فالتزمتها ، فقالت امرأة زكريا يا مريم أشعرت لاني حبلى ؟ قالت مريم وأنت أيضاً أشعرت لاني حبلى ؟ قالت امرأة زكريا فاني أجدها في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى (مصدقا بكلمة من الله) فلما وافت بيت خالتها أوحى الله اليها إنك إن ولدت بين اعر قومك عيروك وقذفوك وقتلوك وولدك فاطمعي من عندهم أى فاخرجي - وقال السكبي قيل لابن عمها يوسف إن مريم حملت من الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها على حمار له فانطلق بها يوسف حتى إذا كان قريبا من أرض مصر في منهطع بلاد قومها أدرك مريم النفاس فألجأها إلى أصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشنا.

قال السكبي لما كان يوسف ببعض الطريق أراد قتلها فأتاه جبريل عليه السلام فقال إنه من روح القدس فلا تقتلها - واختاف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لأنه لم يعش مولود لثمانية أشهر غير عيسى وقيل سنة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة - قال ابن عباس ; ما هو إلا ان حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع والانتباذ إلا ساعة واحدة لأن الله تعالى لم يذكر بينهما فضلا قال الله عز وجل (لحملته فانبتت م مكانا قصيا) أى بعيدا من قومها وقال مقاتل حملته أه في ساعة وصور في ساعة واحدة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بذت عشرين سنة وقد كانت حاضت حيصتين قبل أن تحمل بعيسى قالوا فلما اشتد بها الخاض التجأت إلى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرايف ولا عروق فيحتوشتها الملائكة وكانوا صفوا فاحدقين بها أي محيطين بها وكانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الأمر (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا)

أى جيفة ملقاة فنوديت أن لا تحزننى قد جعل ربك تحتك سرياً وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً . فذلك قوله تعالى (فناداها من تحتها أن لا تحزننى) من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن أمه ناداها وكلها بإذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسى أجرى الله لها نهرأ من ماء عذب بارد إذا شربت منه وفاراً إذا استعملته فذلك قوله تعالى (قد جعل ربك تحتك سرياً) وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الأرض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد يسها فتدلّت غصونها وأورقت وأثمرت وأطبت وقيل لها هزى إليك بجذع النخلة أى حركيه تساقط عليك رطباً جنياً غصناً طرياً) قال الربيع بن خيثم ما للنفساء عندى خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقال عمرو بن ميمون ما أدري للمرأة إذا عسرت عليها ولادتها خير أم من الرطب وقرأ هذه الآية . قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ يمضغ التمر ويحكك به أولاد الصبا حين ولدون . وقال بعض البلغاء فى وصف التمرعة الصغير ونهالة الكبير قالوا ثم إن يوسف النجار عهد إلى حطب فجعله كالخطيرة حوالىها بالقرب منها إذ قد أضر بها البرد ثم أشعل لها نارا لتصطلى بها ثم كثر لها سبع جوزات كانت فى خرجه فأعلمها إياها فنأجل ذلك توعد النصرارى النار ليلة الميلاد وتلعب بالجوز . قال وهب : فلما ولد عليه السلام أصبحت الأصنام كلها بكل أرض منكوسة على رءوسها ففرعت الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاءوا إلى إبليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له فى لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء فأتوه وقد خلت ست ساعات من النهار فلما رأى إبليس اجتماعهم فرع من ذلك ولم يرهم جميعاً منذ فرقهم قبل تلك الساعة وإنما كان يراهم أشتاتاً ففسأهم فأخبروه أنه حدث فى الأرض حدث فأصبحت كالأصنام كلها منكوسة على رؤسها ولم يكن شئ أهون على هلاك بنى آدم منها لأنهم كانوا يدخلون فى أجوافهم فتكلمهم وتدبر امرهم فيظنون أنها هى التى تكلمهم . فلما أصابها هذا الحدث صفرها فى أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا : واعلمنا أن لم نأتك حتى أحصينا

فالأرض وقلوبنا البحار وكل شيء فلم تزد بما أردنا إلا جملا فقال لهم إبليس فما يكون إلا أمر عظيم فمكثوا مكانكم فطار إبليس عند ذلك وليث عنهم ثلاث ساعات فرمى بهم بالمسكان الذي ولد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محذقين بذلك المسكان علم أن ذلك الحدث فيه فأراد إبليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه ، قال فإذا رءوس الملائكة ومنافهم إلى السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض فإذا أقوام الملائكة راسيه فأراد أن يدخل من بينهم فنعوه من ذلك يدل عليه حديث النبي ﷺ و كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه بأصبعه حين يولد إلا عيسى بن مريم عليه السلام حجه الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن في الحجاب .

قال وهب فذهب إبليس لعنه الله إلى أصحابه فقال لهم : ما جئتم حتى أحصيت الأرض كلها مشرقها ومغربها برها وبحرها والخافقين والجوا الأعلى وكل هذا بلغته في ثلاث ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى وقال ما اشتمت قبلة رحم أنسى على ولد إلا بعلى ولا وضعته إلا وأنا حاضرها ، وإني لأرجو أن يضل به أكثر ممن يهتدى به ؛ وما كان نبي الله أشد على وعليكم من هذا المولود ؛ ثم أنه خرج قوم في تلك الليلة يؤمنونه من أجل نجم طلع كانوا من قبل يتحدثون أنه مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبن فروا بملك من ملوك الشام فسألهم أين تريدون ؟ فأخبروه بذلك ، قال فما بالمر والذهب واللبن أهديتموه بهذه الأشياء ؟ قالوا تلك أمثاله لأن الذهب سيد المناع كله ؛ وكذلك هذا النبي ﷺ سيد أهل زمانه ولأن المر يجبر به السكر والجرح وكذلك هذا النبي ﷺ يشفي به كل سقم ومريض ولأن اللبن دخانه يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره ؛ وكذلك هذا النبي ﷺ يرفعه الله إلى السماء ولا يرفع في زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك أخذ الملك يحدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا فإذا علمتم بمكانه أعلموني بذلك فأبى راعب في مثل ما رغبت فيه من أمره فانطلقوا حتى قدموا على مريم ودفعوا ما كان معهم من الهدية لآلئها عليها السلام وأرادوا أن يرجعوا إلى ذلك الملك ليعلموه بمكانه فأتهم ملك وقال لهم (م ٢٨ -- قصص الأنبياء)

لا ترجعوا إلىه ولا تعلموه بمكانه فإنه إنساناً أراد قتله فانصرفوا في طريق آخر .
وقال مجاهد قالت مريم عليها السلام كنت إذا خلوت مع عيسى عليه السلام
حدثني وحديثه فإذا شغلني عنه إنسان سبّح في بطني وأنا أسمع والله أعلم .
(باب في رجوع مريم بإبنها عيسى بعد ولادتها لياها)

(إلى جماعة قومها من بيت لحم)

قال ثم أن جماعة من قومها لما هيا الله تعالى لامة مريم عليها السلام أمرها
ويسر الله لها أسباب ولادتها ، قال كلّي يا مريم من الرطب واشربي من الماء العذب
وقري عينا وطبي نفساً فإذا ترين من البشر أحداً فسلّك عن ولدك أو لامك
عليه فقولي (إنّي نذرت للرحمن صوماً) أي صمتاً ؛ وكذلك هو في قراءة ابن
مسعود وأنس وذلك أنهم كانوا إذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب
والكلام فلنأكلهم اليوم لأنسياً فأنت به قومها تحمله ، قال الكلبي احتفل يوسف
النجار مريم وعيسى إلى غار فأدخلهما فيه أربعين يوماً حتى تعالت من نفاسها
ثم جاء بها فأنت مريم تحمله بعد أربعين يوماً فمكلمها عيسى في الطريق فقال
يا أماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا
وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا (يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً) فظيماً
عظيماً (يا أخت هرون) قال قتادة كان هرون رجلاً صالحاً من أغنياء بني إسرائيل
وليس بهرون أخى موسى وذكر أنه أتبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً من
بني إسرائيل كلهم يسمون هرون وقال وهب : كان هرون من أفسق بني إسرائيل
وأظهرهم فساداً فشيئها به (ما كان أبوك) عمران (امرأ سوء وما كانت أمك
بغياً) أي زانية فنأين لك هذا الولد ؟ فأشارت لهم مرتين إلى عيسى أن كلموه
فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان في المهد صلياً ؟ قال وهب : فأتاها زكريا عليه
السلام عند مناظرتها اليهود وقال لعيسى انطق بحجتك إن كنت أمرت بها ؛ فقال
عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوماً (إنّي عبد الله آتاني الكتاب) الآية
فأقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيباً للنصارى وإلزاماً للحجة عليهم قال عمرو
ابن ميمون إن مريم لما أنت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا أن يرموها فلم
تكلم عيسى تركوها قالوا لم تكلم بشيء بعد ما حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

(باب في ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام إلى مصر)

قال الله تعالى (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) قالوا كان مولد عيسى بعد مضي لئلتين وأربعين سنة من مولد أغسطوس وإحدى وخمسون سنة مضت من الأشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة في ذلك الوقت للملوك الطوائف وكانت الرياسة في الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس ، فلما عرف هردوس ملك بني إسرائيل خبير المسيح قصده قتله وذلك أنهم نظروا إلى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم في كتاب لهم فبعث الله ملكاً إلى يوسف النجار وأخبره بما أراد هردوس وأمره أن يهرب بالفلان وأمه إلى مصر ، وأوحى الله إلى مريم أن الحق بمصر فإن هردوس إذا ظفر بابنك قتله فإذا مات هردوس فارجمي إلى بلادك فاحتمل يوسف مريم ولابنها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهي الربوة التي قال الله تعالى (وآتيناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين) .

وذكر أبو إسحق الثعلبي في التفسير (ذات قرار ومعين) قال عبد الله بن سلام هي دمشق ، وقال أبو هريرة هي الرملة ، وقال قتادة وكعب هي بيت المقدس ، وقال كعب هي أقرب الأرض إلى السماء ، وقال أبو زيد هي مصر ، وقال الضحاك هي عرصة دمشق ، وقال أبو العالية هي إيلياء ، وقال القزاز الأرض المستوية ، والمعين الماء الطاهر فأقامت مريم بمصر لئلتى عشرة سنة تغزل السكتان وتلتقط السنبل في أثر الحصادين ، وكانت تلتقط السنبل والمهد في منكبها والوعاء الذي فيه السنبل في أثر منكبها الآخر حتى تم لعيسى لئلتا عشرة سنة .

وروى عن محمد بن الباقر رضي الله عنه أنه قال : لما ولد عيسى كان ابن يوم كأنه ابن شهر فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاء إلى السكتاب وأقعدته بين يدي المؤدب فقال له المؤدب : قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها عيسى فقال المؤدب قل أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال له هل تدري ما أبجد فعلاه يا لقضيف ليضربه فقال له يا مؤدب لم تضربني إن كنت لا تدري فاسألني حتى أفسر

لك فقال له المؤدب فسرء لى ، فقال الآلاف لا إله إلا الله والباء بهجة الله والجيم جلال الله والبدال دين الله ، هوز : الهاء هى جهنم وهى الهاوية والواو ويل لأهل النار ، والزوى زفير أهل جهنم ، حطلى : حطت الخطايا عن المستغفرين ، كلن : كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته ، سعفص : صاع بصاع والجزاء بالجزاء ، قرشت : نقرشهم حين تحشرهم أى تجمعهم ، فقال المؤدب لآله : أيتها المرأة خذى لبنك فقد علم ولا حاجة به إلى المؤدب .

أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين المفسر بإسناده عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « إن عيسى أرسلته أمه ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله فقال له عيسى وما باسم الله ، قال المعلم ما أدرى ؟ قال عيسى الباء بهاء والسين سناء الله والميم ميمكته جل وعلا ، والله أعلم .

(باب فى صفة عيسى وحليته عليه السلام)

قال كعب الاحبار : كان عيسى بن مريم رجلاً أحمر مائلاً إلى البياض ما هو سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط ، وكان عيسى يمشى حافياً ولم يتخذ بيتاً ولا حليته ولا متاعاً ولا ثياباً ، ولا رزقاً إلا قوت يومه ، وكان حينما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرىء الأكمة والابرس ويحيى الموتى بإذن الله ويخبر قومه بما ياكلون فى بيوتهم ، وما يدخرون لخد ، وكان يمشى على وجه الماء فى البحر ، وكان أشعث الرأس صغير الوجه زاهداً فى الدنيا راغباً فيها حريصاً على عبادة الله ، وكان سياحاً فى الأرض حتى طلبته اليهود ، وأرادوا قتله فرفعه الله إلى السماء والله أعلم

(باب في ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى عليه السلام) (في صباه إلى أن نبي)

قال وهب : كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أرض مصر أنزلها يوسف التجار حين ذهب بها إلى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تآوى إليها المساكين فسرق الدهقان مال من خزائمه فلم يهتم المساكين لخزائمه مريم لمصيبة ذلك الدهقان ، فلما رأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه أتخفين أن أدله على ماله ؟ قالت نعم يا بني قال لها قولي له يجمع لي المساكين في داره فقلت مريم للدهقان ذلك فجمع له المساكين فلما اجتمعوا عمد إلى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الأعمى وقال له قم به فقال الأعمى أنا أضعف عن ذلك ، فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة ؟ فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الأعمى حتى قام فلما استقل قائماً هوى المقعد إلى ركوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتال على مالك البارحة لأن الأعمى استعان بقوته والمقعد بعينه فقال الأعمى صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فأخذه الدهقان ووضع في خزائمه وقال يا مريم خذي نصفه فقالت إني لم أخلق لذلك ، قال الدهقان فأعطيه لأنك ، قالت هو أعظم مني شأناً ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس لابن له فصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فوضع عيسى يده على أفواهما وهو يمشى فكما وضع يده على جرة امتلأت شراباً حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة .

آية أخرى : قال السدي كان عيسى عليه السلام إذا كان في المكتاب يحدث الصبيان بما صنع آباؤهم ويقول للغلام إنك فقد أكل أهلك كذا وكذا ورفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي إلى أهله يبكي لهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون له من أخبرك بهذا ؟ فيقول عيسى فخبسوا عن صبيانهم وقالوا لا نلعبوا مع هذا الساحر ، فجمعهم وهم في بيت فجاء عيسى بطيهم فقالوا له ليسوا بهذا فقال لهم فاني

هَذَا الْبَيْتِ ؟ قَالُوا خُتَنَانِ بْنِ قَالٍ كَذَلِكَ يَكُونُ فَفَتَحَ عَنْهُمْ فَإِذَا هُمْ خُتَنَانِ بْنِ قَالٍ فِي
الْأَنْبَاسِ فَهَمَّتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا خَافَتْ عَلَيْهِ أُمُّهُ حَمَلَتْهُ عَلَى حَارِهَا وَخَرَجَتْ هَارِبَةً إِلَى مِصْرَ
آيَةٌ أُخْرَى . قَالَ السُّدِّيُّ : لَمَّا خَرَجَ عِيسَى وَأُمُّهُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَسْبِجَانِ فِي الْأَرْضِ
إِذْ تَرَكَمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَنَزَلَا فِي قَرْيَةٍ عَلَى رَجُلٍ فَأَضَافَهُمَا وَأَحْسَنَ لَإِيَّهُمَا وَكَانَ مَلِكٌ
بِذَلِكَ الْوَقْتِ جَبَّارٌ عَنِيدٌ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ يَوْمًا مُهْتَمًّا حَزِينًا فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ وَمَرِمَ
عِنْدَ امْرَأَتِهِ فَقَالَتْ لَهَا مَرِمُ مَا شَأْنُ زَوْجِكَ أَرَاهُ حَزِينًا ؟ فَقَالَتْ لَهَا لَا تَسْأَلْنِي ،
فَقَالَتْ أَخْبِرْنِي لَعَلَّ اللَّهَ يُفْرِجُ كُرْبَتَهُ عَلَى يَدَيَّ ؟ فَقَالَتْ : أَنْ لِمَا مَلَسْتُكَ يَجْعَلُ عَلَى كُلِّ
عَمَلٍ نَوْبَةٌ يَطْعُمُهُ وَيَسْقِيهِ الْخَيْرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ صَافِيَهُ وَالْيَوْمُ يَوْمُنَا وَلَيْسَ
عِنْدَنَا سَمْعَةٌ قَالَتْ فَقَوْلِي لَهُ لَا يَتِمُّ بَشَى فَإِنَّهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا وَإِنِّي آمِرَةٌ بِنِي أَنْ يَدْعُوهُ
فِيكَفِي ذَلِكَ ثُمَّ قَالَتْ مَرِمَ لِعِيسَى فَقَالَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ يَقَعُ شَرٌّ قَالَتْ فَلَا تَبَالِي لِأَنَّهُ
أَحْسَنَ إِلَيْنَا وَأَكْرَمَنَا ، قَالَ عِيسَى فَقَوْلِي لَهُ إِذَا اقْتَرَبَ ذَلِكَ فَأَمْلَأْ قَدُورَكَ وَخَوَائِيكَ
حَاءَ ثُمَّ أَعْلِنِي فَفَعَلَ ذَلِكَ ، فَدَعَا عِيسَى فَتَحَوَّلَ مَاءُ الْقَدُورِ لَحْمًا وَمَرْقًا ، وَمَاءُ الْخَوَائِي
خَمْرًا لَمْ يَرِ النَّاسُ مِثْلَهُ قَطُّ ، فَلَمَّا جَاءَ الْمَلِكُ أَكَلَ كُلُّهُمَا شَرِبَ سَأَلَ مِنْ أَيْنَ هَذَا الْخَمْرُ ؟
فَقَالَ لَهُ مِنْ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا قَالَ الْمَلِكُ فَإِنْ خَمَرِي قَدْ أَتَى بِهَا مِنْ تِلْكَ الْأَرْضِ وَلَيْسَتْ
مِثْلَ هَذِهِ فَقَالَ لَهُ مِنْ أَرْضٍ أُخْرَى فَلَمَّا خَلَطَ عَلَى الْمَلِكِ وَشَبِعَهُ عَلَيْهِ قَالَ أَخْبِرُونِي عَنْ
الْحَقِّ ، قَالَ فَأَنَا أَخْبِرُكَ ؟ عِنْدِي غَلَامٌ مَا سَأَلَ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَإِنَّهُ دَعَا اللَّهَ
تَعَالَى فَجَعَلَ الْمَاءَ خَمْرًا ، وَكَانَ لِلْمَلِكِ ابْنٌ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَخْلِفَهُ فَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ ،
وَكَانَ أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ ، فَقَالَ الْمَلِكُ رَجُلًا دَعَا اللَّهَ حَتَّى جَعَلَ الْمَاءَ خَمْرًا لَيْسَتْ جَابِ
لَهُ حَقٌّ يَحْيَى ابْنِي فَدَعَا عِيسَى وَكَلَّمَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ عِيسَى لَا تَفْعَلْ لِأَنَّهُ إِنْ دَعَا وَقَعَ
شَرٌّ فَقَالَ الْمَلِكُ لَا أَبَالِي بَعْدَ أَنْ أَرَاهُ فَقَالَ لَهُ عِيسَى إِنْ أَحْبَبْتَهُ تَرَكَوْنِي أَنَا وَأُمِّي
نَهْضُ حَيْثُ نَشَاءُ ؟ قَالَ نَعَمْ فَدَعَا اللَّهُ تَعَالَى فَعَاشَ الْغَلَامُ فَلَمَّا رَأَاهُ أَهْلُ مَمْلَكَتِهِ قَدِ عَاشَ
تَقَادَرُوا بِالسَّلَاحِ وَقَالُوا أَكَلْنَا هَذَا حَتَّى إِذَا دَنَا مَوْتَهُ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَخْلِفَ ابْنَهُ عَلَيْنَا
فَأَكَلْنَا كَمَا أَكَلْنَا أَبُوهُ فَاقْتُلُوا وَذَهَبَ أَبُوهُ فَاقْتُلُوا ، وَذَهَبَ عِيسَى وَأُمُّهُ .

آيَةٌ أُخْرَى ، قَالَ وَهَبٌ : بَيْنَمَا عِيسَى يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ إِذْ وَثَبَ غَلَامٌ وَصَبَى
فَوَكَرَهُ بِرِجْلِهِ فَفَتَلَهُ فَأَلْقَاهُ بَيْنَ يَدَيَّ عِيسَى وَهُوَ مُطْمَخٌ بِالدَّمِ فَأَطْلَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ فَاتَّهَمُوهُ

به وأخذوه وأنطلقوا به إلى قاضي مصر فقالوا له هذا قتل هذا فسأله القاضي فقال عيسى لا أدري من قتله وما أنا بصاحبه فأرادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم انتوني بالغلام فقالوا له ماذا تريد منه ؟ قال أريد أن أسأله من قتله قالوا وكيف يكسك وهو ميت ؟ فأخذوه وأنوا به إلى مقتل الغلام فأقبل عيسى على الدعاة فأحياء الله تعالى فقال عيسى من قتلك ؟ قال قتلني فلان على الذي قتله فقال بنو إسرائيل من هذا ؟ قال عيسى بن مريم . قالوا قن هذا الذي معه . قالوا قاضي بني إسرائيل ثم مات للغلام من سمائه فرجع عيسى إلى أمه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له أمه يا بني ألم أنك عن هذا فقال لها إن الله حافظنا وهو أرحم الراحمين .

آية أخرى ، قال عطاء : سلبت مريم عيسى بعد ما أخرجه من الكتاب إلى أعمال شقي فكان آخر ما دفعته إلى الصباغين فدفعته إلى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر فقال لعيسى إنك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج في سفر لا أرجع إلى عشرة أيام ، وهذه ثياب مختلفات الألوان وقد علمت كل واحدة منها على اللون الذي يصبغ به فأحب أن تكون فارغاً منها وقتي قدومي ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام جباً واحداً على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال لها كوني بإذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الصباغ وجدها كلها في جيب واحد فقال يا عيسى ما فعلت ؟ قال فرغت منها قال أين هي ؟ قال في الجيب فقال نعم قال كيف تسكون كلها في جيب واحد ؟ لقد أفسدت تلك الثياب ، قال قم فانظري فقام فأخرج عيسى ثوباً أصفر وثوباً أخضر وثوباً أحمر إلى أن أخرجهما على الألوان التي أرادهما فجعل الصباغ يتعجب وعلم أن ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ انظروا إلى ما فعل عيسى عليه السلام فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون والله عز وجل أعلم ..

(باب في ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام) (إلى بلادهما بعد موت هردوس)

قال وهب : لما مات هردوس الملك بعد اثنتي عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى إلى مريم يخبرها بموت هردوس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار إلى الشام فرجع عيسى وأمه عليهما السلام وسكن في جبل الخليل في قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى ، وكان عيسى يتعلم في الساعة علم يوم وفي اليوم علم شهر وفي الشهر علم سنة فلما تم له ثلاثون سنة أوحى الله تعالى إليه أن يبرز للناس ويدعوهم إلى الله ويضرب لهم الأمثال ويداوى المرضى والزمنى والعلميان والنجارين ويقمع الشياطين ويذرحهم ويذلقهم ويقتولهم من خوفه . ففعل ما أمره به فأحبه الناس ومالوا إليه واستأنسوا به وكثرت أتباعه وعلا ذكره . وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى في الساعة الواحدة خمسون ألفاً فن أطاق منهم أن يمشى إليه مشى إليه ومن لم يطق وصل إليه عيسى عليه السلام وإنما كان يداويهم بالدعاء بشرط الإيمان ، ودعاؤه الذي كان يشفيه بالمرضى ويحيى به الموتى (اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الأرض لا إله فيهما غيرك وأنت جبار من في السموات وجبار من في الأرض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من في السموات وملك من في الأرض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكيم من في السموات وحكيم من في الأرض لا حكم فيهما غيرك قدرتك في الأرض كقدرتك في السماء وسلطانك في الأرض كسلطانك في السماء أسألك بأسمائك الكرام إنك على كل شيء قدير)

(باب في قصة الخواريون عليهما السلام)

قال الله تعالى (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الخواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد أنا مسلمون) وقال الله عز وجل (وإذا أوحيت إلى الخواريين) أي ألهمتهم ووفقتهم (أن آمنوا بي ورسولي قالوا آمنا وأشهد بأننا مسلمون) أعلم بأن الخواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياؤه وأرضيائه وأنصاره ووزرائه وكانوا اثني عشر رجلاً وأسمائهم : شععون الصهار المسعى بطرس وأندراوس أخوه ويعقوب بن زبدي ويحيى أخوه

وفيلبس وبز تولوماس وتوما ومتى العشار ويعقوب بن حلفا وليسا الذي يدعى .
تداوس وشمعون القناني ويهوذا الاثريوطى عليهم السلام .

واختلف العلماء فيهم لما سموا بذلك ، قال ابن عباس ، كانوا صيادين يصطادون السمك فربهم عيسى فقال لهم ما تصنعون ؟ فقالوا نصطاد السمك قال لهم ألا تمشون معى حتى نصطاد الناس قالوا وكيف ذلك ، قالوا تدعونا إلى الله قالوا ومن أنت ؟ قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الأنبياء قوفاك ؟ قال نعم النبي العربى ، فأتبعه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه .

وقال السدى : كانوا ملاحين ، وقال ابن أوطاة كانوا قصارين وسموا بذلك لأنهم كانوا يحورون الثياب أى يبيضونها .

أخبرنا ابن فتحويه بإسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا اتبعوا عيسى فكانوا إذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل إنسان رغيفا فبأكلهما ، وإذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب الأرض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون ، فقالوا يا روح الله من أفضل منا إذا شئنا أطعمتنا وإذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعناك ؟ قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه .

قالوا فصاروا يعملون الثياب بالسكران ، قال ابن عون صنع ملك من الملوكة طعاماً فدعا الناس إليه ، وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من أنت ؟ فقال أنا عيسى بن مريم ، قال الملك إني أترك ماسكى واتبعك فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون ، وقيل هو الصباح وأصحابه انتهت القصعة قال الضحاك : سموا حواريين لصفاء قلوبهم ، وقال عبد الله المبارك : سموا حواريين لأنهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها ، وأصل الحور عند العرب شدة البياض ، ومنه الأحور والحور ، وقال الحسن : الحواريون الانصار ، وقال قتادة : هم الذين تصالح لهم الخلافة ، وقال النضر بن شميل : الحواري خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينويه .

ومنه قول النبي ﷺ: لكل نبي حوارى وحوارى الزبير، فهؤلاء حوارى عيسى بن مريم عليه السلام، فأما حوارى هذه الامة، فأخبرنا الحسين بن محمد الدينورى بإسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال: أن الحواريون كلهم من قریش، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وحزرة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهم أجمعين.

(ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التى ظهرت على يديه)
(وبعد بعثته إلى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه)

منها تأييد الله إياه بروح القدس، قال عز من قائل (وأيدناه بروح القدس) ونظيرها سورة المائدة (إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس) .

واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذى نسخ فيه الروح أضافه سبحانه إلى نفسه تكريماً وتخصيصاً نحو بيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى روح منه، فنفسنا فيه من روحنا، قال آخرون، أراد بالقدس الطهارة أى الروح الطاهرة، وسمى عيسى عليه السلام روحاً لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تقتسمل عليه أرحام الطوائف إنما كان أمراً من الله تعالى .

قال السدى وكعب روح القدس جبريل وتأيد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قريبه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار إلى أن صعد به إلى السماء وقال سعيد بن جبيرة وعقيد بن عمر هو اسم الله الأعظم وبه كان يحيى الموتى ويرى الناس تلك المعجائب، ومنها تعليم الله إياه الإنجيل والتوراة، وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله تعالى (وإذا علمت الكتاب) أى الخط، قيل الخط عشرة أجزاء فثلاثة منها لعيسى والحكمة والتوراة والإنجيل .

ومنها خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى عزراً عنه (إني جئتكم بأية من ربكم أخاف لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله) وقال تعالى (إذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذن) فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ

فيه فيكون طيراً بإذن الله ولم يخلق غير الخفاش وإنما خص بالخفاش لأنه أكل الطير خلقاً فيكون أبلغ في القدرة لأن له ندياً وأسناناً ويبيض ويطيّر .

قال وهب ؛ كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عنهم سقط ميتاً ليتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم أن السكّال لله عز وجل .

ومنها إبراء الأكمة والأبرص . قال الله (وتبرئ الأكمة والأبرص بإذن) ، والأبرص الذي به وضوح الأكمة الذي ولد أعمى ولم ير ضوءاً قط ولم يكن في الإسلام أكمة غير قتادة وإنما خص هذين لأنهما أعياياً الأطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك .

ويروى أن عيسى عليه السلام مر بدير فيه عريان فقال ماهؤلاء ؟ فقيل هؤلاء قوم طلبوا للقضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم فقال مادعاكم إلى هذا ؟ قالوا خفنا طاعة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى فقال أقم العلماء والحكماء والأخبار والأفاضل امسحوا أعينكم بأيديكم وقولوا باسم الله ففعلوا ذلك فإذا هم جميعاً قيام ينظرون .

ومنها إحيائه الموتى بإذن الله تعالى . وإذا تخرج الموتى بإذن ، وأحياء منهم أمواتاً منهم العاذر وكان صديقاً له فأرسلت أخته إلى عيسى أن أخاك العاذر يموت فإنه وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقالوا لأخته افطلقي بنا إلى قبره فانطلقت معهم إلى قبره وهو في صخرة مطبقة فقال عيسى ؛ اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك وأخبرتني أني أحي الموتى بإذنك فأحي العاذر فقام العاذر وخرج من قبره وبقي وولد له .

ومنها ابن العجوز ، وكانت القصة فيه أن عيسى مر في سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال أن في هذه المدينة لذين فن يذهب يستخرجون لنا فقالوا يا روح الله لا تدخل هذه القرية أحد غريب إلا قتلوه فقال لهم عيسى مكانكم فضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب أطعموه فقالت له امرأة عجوز ؛ أما ترضى أن أدعك لأذهب بك إلى الوالى حتى تقول أطعموني فبينما عيسى بالباب إذ أقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسى أطفني ليلتك هذه فقال له الفتى مثل مقالة

اللعجوز فقال له عيسى أما إنك لو فعلت ذلك زوجتك بذات الملك فقال له الفتى ؛
إما أن تكون مجنونة؟ وإما أن تكون عيسى بن مريم ؟ فقال أنا عيسى فأضافه وبات
هذه فلما أصبح قال له أعد وادخل على الملك وقل له جئت وأخطب إليك فإنه
سيأمر بضربك وإخراجك فضى الفتى حتى دخل على الملك فقال له جئت إليك لأخطب
إليك فأمر بضربه وأخرج فرجع الفتى إلى عيسى فأخبره بالخبر فقال إن كان غداً
مات فإذهب إليه وأخطب إليه فإنه ينالك بدون ذلك ففعل الفتى ما أمره عيسى فضربه
دون ذلك الضرب الأول فرجع إلى عيسى فأخبره فقال ارجع إليه فإنه سوف يقول
لك أنا أزوجك إياها على حكمي وحكمي قصر من ذهب وفضة وما فيه من ذهب
وفضة وزرجد فقال له افعل ذلك فإذا بعث معك أحد فأخرج به فإنه سوف تجده
فلا تحدث فيه شيئاً ثم إنه دخل على الملك فخطب فقال تصدقها بحكمي وما حكمك ؟
فحكم بالذي سماه عيسى فقال نعم رضيت أبعث من يقبض ذلك فبعث معه رجلاً فسلم
إليهم ما سأله الملك فتهبج الفتى من ذلك وقال ياروح الله تقدر على مثل هذا وأنت
على مثل هذه الحالة فقال له عيسى إن آثرت ما يبقى على ما يقبض فقال الفتى أنا أيضاً
أدعه وأصحبك فتخلى عن الدنيا وأتبع عيسى فأخذ عيسى بيده وأتى به إلى أصحابه
وقال لهم هذا السكين الذي قلت لكم فمكان معه ابن العجوز إلى أن مات ومرو به وهو
صمت على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريرته ونزل من أعلى أعناق الرجال
ولبس الثياب وحل السرير على عنقه ورجع إلى أهله فبهى وولد له .
وعنها ابنة العشار رجل كان يأخذ العشر ؛ قال له أنتحيها وقد ماتت بالأمس
فدعا الله عز وجل فماتت وبقيت وولد لها .

ومنها سام بن نوح قال له الخواريون وهو يصف لهم سفينة نوح ؛ لو بعثت
أنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك فقام وأتى تلا فضرب بيده وأخذ قبة من تراب
وقال هذا قبر سام بن نوح إن شئتم أحبيته اسمكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الأعظم
وضرب التل بعصاه وقال احي يا ذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب
نصف رأسه فقال أو قد قامت القيامة ؛ قال لا وليكني دعوتك باسم الله الأعظم
تقال ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان ، وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب

ثم أخبرهم بخبر السفينة وقال له عيسى مت قال بشرط أن يعبدني الله من سكرات الموت فدعا الله عيسى ففعل ذلك ، وقد ذكر هذا الخبر في قصة نوح عليه السلام ومنها عزير عليه السلام ، قالوا لعيسى عليه السلام أحياه وإلا أحرقتك بالنار . وجمعوا حطباً كثيراً من حطب الكرم وكانوا في ذلك الوقت يدفنون موتاهم في صناديق من حجاره مطبقة فوجدوا قبر عزير مكتوباً على ظهره اسمه فعالجوه ليفتحوه فلم يقدرُوا أن يخزجوه من قبره فرجعوا إلى عيسى فأخبره فناولهم إناء فيه ماء وقال لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الطبق فأتوا به إلى عيسى وهو في أكفانه والارض لا تأكل أجساد الأنبياء ثم أنه نزع ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت ثم قال احبي يا عزير يا ذن الله تعالى فإذا هو جالس وكل ذلك تراه أعينهم فقالوا يا عزير ما تشهد لهذا الرجل يعنون عيسى فقال أشهد أنه عبد الله ورسوله فقالوا يا عيسى ادع لنا ربك يهتبه لنا ليكون بين أظهرنا حياً فقال عيسى ردوه إلى قبره فردوه إلى قبره فعاد ميتاً فآمن به عيسى بن مريم من آمن وعانده من عانده قال السكالي كان عيسى يحيى الموتى بياحي يا قيوم ؛ ومنها إخباره عليه السلام عن الغيوب قال الله عز وجل إخباراً عنه (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم) . قال السكالي لما أبرا عيسى الأكمة والابرص وأحيا الموتى قالوا هذا ساحر ولكن أخبرنا بما نأكل وبما ندخر فكان يخبر الرجل بما يأكل في غذائه وبما يأكل في عشائه ومنها مشييه عليه السلام على الماء ، ويروى أنه خرج في بعض سياحته ومعه رجل من أصحابه قصير وكثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى إلى البحر قال بسم الله بصحة ويقين فشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله بصحة ويقين فشى على وجه الماء فدخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشى على الماء . وأنا أمشى على الماء قال فانغمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء وأخرجه وقال له ما قلت يا قصير فأخبره بما خامر خاطره فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعتك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب إلى الله بما قلت فتاب للرجل وعاد إلى مرتبة التي وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً .

وحدثني الإمام أبو منصور الخشاشي بإسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال (لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذي ليس بعده جبل وما يبلغ ذلك أحد قط قال ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا قالوا يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى بن مريم مشى على الماء ؟ قال نعم ولو ازداد خوفاً و يقيناً لمضى على الهواء قالوا يا رسول الله ما كنا نرى أن الرسل تقصر ، فقال إن الله تعالى أبلغ شأناً من أن يبلغ أحد شأنه (ذكر حديث جامع هذا الباب)

قال وهب ؛ خرج عيسى عليه السلام يسبح في الأرض فصاحبه يهودى وكان مع ذلك اليهودى رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركنى في طعامك قال اليهودى نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى إلا رغيف واحد ندم فقام عيسى إلا الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيف فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر ؟ فقال ما كان إلا رغيف واحد فأكل عيسى رغيفاً وصاحبه رغيفاً ثم انطلقا فجاءا إلى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو أنا بقنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل فبأنا ثم أصبحا منطلقين فلحقا أعمى فقال له أرايت إن أنا عاجلتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره ؛ قال نعم فس عيسى بصره ودعا الله تعالى فإذا هو صحيح فقال عيسى لليهودى بالذى أراك الأعمى بصيراً كم كان معك من رغيف ؟ فقال والله ما كان إلا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومرا فإذا هو بمقعد فقال له عيسى ؛ أرايت إن عاجلتك فعاذك الله فهل تشكره ؟ قال نعم فدعا الله تعالى عيسى فإذا هو صحيح قائم على رجلبيه فقال صاحب عيسى ما أرايت مثل هذا قط فقال له عيسى بالذى أراك الأعمى بصيراً والمقعد صحيحاً أين الرغيف الثاني ؟ فخلف له أنه ما كان معه إلا رغيفاً واحداً فسكت عيسى عنه ، فانطلقا حتى انتهيا إلى بحر عجاج فقال له عيسى لا أرى جسراً ولا سفينة فخذ بحجائى من ورائى وضع قدمك موضع قدمى ففعل فشيا على الماء فقال له عيسى بالذى أراك الأعمى والمقعد وسخر لك الماء من صاحب الرغيف لثالث فقال والله ما كان إلا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فإذا هما بظباء ترعى فدعى عيسى بظبى فذبحه وشوى منه بعضاً وأكله ثم ضرب عيسى بقية الظبى بعصاه وقال قم بإذن الله عز وجل فإذا الظبى يعدو

فقال سبحانه الله فقال عيسى بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر ؟ فقال ما كان إلا رغيف واحد فربصاحب بقر فننادى عيسى يا صاحب البقر اجزرو لنا من بقرك هذا فجعلان فقال ابعت صاحبك اليهودى يأخذه فانطلق اليهودى فجاء به وذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر إليه فقال عيسى كل ولا تمكسر عظماً فلما فرغ قذف بعظامه فى جلدته ثم ضربه بهصاه وقال له قم ياذن الله فقام العجل وله خوار فقال له عيسى يا صاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من أنت ؟ قال أنا عيسى بن مريم فقال عيسى السحار ثم فر منه فقال عيسى لصاحبه بالذى أحيا العجل كم كان معك من رغيف ؟ فقال ما كان معى إلا رغيف واحد فسكت ومشيا حتى دخلا قرية فنزل عيسى فى أسفلها واليهودى فى أعلاها فأخذ اليهودى عصا عيسى وقال له أما الآن أبرئ المرضى وأحيى الموتى قال وكان ملك لك القرية مريضاً مدنفاً فانطلق اليهودى ونادى من يبتغى طبيبياً حتى أتى باب الملك فأخبر بوجعه فقال ادخلونى عليه فأنا أبرئه وإن رأيتموه قد مات فأنا أحييه فقيل له إن وجع الملك قد أعيا الأطباء قبلك وأيسر من طبيب يداريه ولا يشفيه إلا لصاحبه فقال ادخلونى عليه فأدخل عليه فضرب الملك بهصاه فمات فجعل يضرب الملك بالعصا وهو ميت ويقول له قم ياذن الله فلم يقم فأخذ ليصا بهبلغ ذلك عيسى فأقبل عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم عيسى أأرأيتم لو أحييت لكم الملك هل تتركون لى صاحبى ؟ قالوا نعم فدعا الله عز وجل فأحياه وقام فأزل اليهودى من على الخشبة فقال يا عيسى أنت أعظم الناس على منة والله لا أفارقك أبداً فقال له عيسى أشهدك الله الذى أحيا الظمى والعجل بعدما أكلناهما وأحيا هذا بعد ما مات وأنزلك من على الجذع بعدما صلبك كم كان معك من رغيف ؟ قال خلف بهذا كله وقال والله ما كان معى إلا رغيف واحد فقال عيسى لا بأس فانطلقا حتى أتيا قرية عظيمة خربة فيها كنز ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لى واحدة لك واحدة للذى أكل الرغيف الثالث ، فقال اليهودى لعيسى أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلى فقال عيسى هى لك كلها ؛ فانطلق عيسى وتركه ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة لثقلها عليه فقال له عيسى دعه فإن له أهلا

يهاسكون عليه فجعلت نفس اليهودى تتطلع إلى المال ويكره أن يعصى عيسى ويعجزه .
 حمل المال فانطلق مع عيسى ، فبينما هو كذلك إذ مر بالمال ثلاثة نفر فأتوا عليه
 فقال اثنان منهما لصاحبهما الثالث انطلق إلى بعض القرى فائتنا بطعام وشراب
 ودواب نحمل عليها هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما للآخر هل لك أن
 تقتله إذا رجع وتقدم المال بيننا ؟ قال نعم وقال الذى ذهب في نفسه أنا أجعل في
 الطعام سماً فإذا أكلاه ماتا ويصير المال كله لى ففعل ذلك فلما رجع إليهما ووصل
 قتلاه ثم أكلوا الطعام الذى جاء به إليهما فأتا وأن عيسى عليه السلام مر بهم وهم
 حوله مقتولين فقال : لا إله إلا الله هكذا تصنع الدنيا بأهلها ثم إن عيسى أحياهم
إذن الله تعالى فاعتبروا وروا ولم يأخذوا من المال شيئاً فتطلعت نفس اليهودى
 صاحب عيسى إلى المال فقال اعطاني المال فقال عيسى خذه لك فهو حظك في الدنيا
 والآخرة فلما ذهب ليأخذه خسف به الأرض فانطلق عيسى عليه السلام ومنها نزول
 المائدة قال الله تعالى (إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن
 ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) الآية .
 واختلف العلماء في صفة نزول المائدة وكميقيتها وما كان عليها فرى قتادة عن جابر
 عن عمار بن ياسر عن رسول الله ﷺ أنه قال (نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك
 أنهم سألوا عيسى طعاماً يأكلون منه ولا ينفذ قال فقال لهم إني فاعل ذلك وإنما
 مقيمة لكم ما لم تحبثوا أو تحبثوا فإن فعلتم ذلك عذبتم ، قال فما مضى يومهم حتى
 خابوا وخبثوا ؛ وفي بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال لهم لا تنزل أبداً
 فوقعت ومسحوا قرده وخنازير ؛ قال ابن عباس قال عيسى لبنى إسرائيل صوموا
 ثلاثين يوماً ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكوه فصاموا ثلاثين يوماً فلما فرغوا قالوا
 يا عيسى إنا إن عملنا لأحد أفضينا عمله أطعمنا طعاماً وإنا إن صمنا وجعنا فادع
 الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافتش الزماد ثم دعا الله
 تعالى فقال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) الآية فأقبلت الملائكة بمائدة
 يحملونها عليها أرغفة وأحوات ووضعها بين أيديهم فأكل منها آخرهم كما أكل أولهم
 وروى عطاء بن السائب وغيره أنه كانت بالمائدة إذا وضعت لبنى إسرائيل اختلف
 عليها الأيدي فيها كل الطعام إلا اللحم ؛ وقال عطية العوفى نزلت سمكة من السماء فيها

ظعم كل شيء ؛ وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمار الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبنى إسرائيل .
وقال وهب أنزل الله أفرصة من شعير وحبثانا فقيل لو هب ما كان ذلك يغنى عنهم من شيء قال بلى ولكن الله ضاعف لهم البركة فكانوا قوم يأكلون ثم يخرجون ويحیی آخرون فياً كلون حتى أكلوا بأجمعهم وقال كعب الأحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والأرض عليها كل طعام إلا اللحم وقال مقاتل والسكبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال إني منزلها عليكم كما سألتني فن أكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلاً ولعنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد رضينا فدعا شمعون الصفار وكان أفضل الحوار بين فقال هل معك طعام ؟ فقال معي سمكتان صغيرتان وستة أرغفة فقال علي بها فقطعها عيسى قطعاً وقال اقعدوا في روضة وتراقفوا رفاقاً كل رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وأنزل فيها البركة فصار خبزاً صحاحاً وسكاً صحاحاً ثم قام عيسى يمشي فجعل يلقى في كل رفقة ما حملت أصابعه ثم قال كلوا باسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فأكلوا ماشاء الله وفضل الناس خمسة آلاف ونيف وقال الناس جميعاً شهدنا أنك عد الله ورسوله ثم سأله مرة أخرى فأنزل الله خمسة أرغفة وسمكتين فصنع ما صنع في المرة الأولى فلما رجعوا إلى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقال ويحكم إنما سحر أعينكم فن أراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن أراد فتنته رجع إلى كفره فسخطوا قردة وخنازير وليس منهم صبي ولا امرأة فسكثوا ثلاثة أيام ثم هاسكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ويشربوا وكذلك كل مسوخ ويروى عن عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي أنه قال والله ما تبع عيسى من المساوي ولا انتهر يتيماً ولا فقهه ضحكاً ولا ذباباً عن وجهه ولا أخذ على أفه مرتين شيئاً قط ولا عبث قط ولما سأله الحواريون أن ينزل عليهم الموائد صنوفاً قال (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء) الآية وارزقنا عليها طعاماً نأكل (وأنت خير الرازقين) فنزلت سفرة حرام بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها وهي تهوى منهضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم

(م ٢٩ — قصص الانبياء)

اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون إليها فنظروا إلى شيء لم يروا مثله
 قط ولم يجدوا ريحاً أطيب من رائحة ذلك فقال عيسى لهم أحسنكم عملاً يكشف عنها
 ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أننت أولى بذلك
 منا فقام عيسى ونوضاً وصلى صلاة طويلة وبكى بكى كثيراً ثم كشف المنديل عنها وقال
 باسم الله خير الرازقين فإذا هرب سمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل
 سيلاناً من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها شغل وحواليها من أنواع البقول ما خلا
 السكرات وإذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سم
 أو على الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا هذا
 م من طعام الآخرة ؟ فقال عيسى عليه السلام ليس ماترون من طعام الدنيا ولا من
 طعام الآخرة ولكن افعله الله بالقدرة الغالية كلوا بما سألتكم يمددكم ويزدكم فضله
 قالوا ياروح الله لو رأيتنا من هذه الآية آية أخرى ؟ فقال عيسى باسمكة احبب يا ذن
 الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى ما لكم
 تسألون أشياء إذا أعطيتكموها كرهتموها ، ثم قال فما أخوفنى عليكم أن تعذبوا باسمكة
 عودى كما كنت يا ذن الله فعادت السمكة مشوية كما قالوا ياروح الله كن أول من يأكل
 منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله أن آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فها
 أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص والجذام والمبتلين
 وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء وتغيركم البلاء فأكلوا منها وصدر عنها ألف
 وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ورمز من ومرضى ومبتلى كلهم سبعان يتجشأ ثم نظر
 عيسى إلى السمكة فإذا هي كهيئتها حين نزلت من السماء ، ثم طارت المائدة صعداً
 وهم ينظرون إليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يومئذ مريض ولا برى ولا زمن
 إلا صح ولا مبتلى إلا عوفي ولا فقير إلا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم
 الحواريون ومن لم يأكل وكانت إذا نزلت اجتمعت الأغنياء والفقراء والصفار
 والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت أربعين صباحاً تنزل ضحى فلا تزال
 منصوبة يؤكل منها حتى إذا فاء الفاء طارت صعداً وهم ينظرون حتى تغيب عنهم
 وكانت تنزل غداً تنزل يوماً ولا تنزل يوماً كفاقة ثمود فأوحى الله إلى عيسى ان جعل

ما مدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء فعظم ذلك على الأغنياء حتى شكوا وشككوا
الناس فيها فقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حقاً فقال لهم عيسى هلكتم فشعروا
لعذاب الله فأوحى الله تعالى إلى عيسى لاني شرطت على المكذبين شرطين أن من
كفر بعد نزولها عذابه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين فقال عيسى عليه السلام
(إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فسخ منهم ثلثمائة
وثلاثون رجلاً باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم في ديارهم فاصبحوا خنازير
يسعون في الطرقات والسكناسات وبأكلون القاذورات والحشوش فلما رأى الناس
ذلك فزعوا إلى عيسى بن مريم فبكوا وبكى على المسوخين أهلهم فلما أبصرت
الخنازير عيسى بكيت وجعلت تطوف فجعل عيسى يدعهم باسمائهم واحداً واحداً
ففيكون ويشيرون به وسهم لا يقدرعون على الكلام فعاشوا ثلاث أيام وهلكوا
ومنها ما روى أن عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر
المرور فيجده جالساً فقال يا عبد الله أراك تسكن الجلوس عند هذا القبر فقال ياروج
الله هذه امرأة كان لي من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولي عندها وديعة قال أفتعجب
أن أدعوا الله فيحببها لك ؟ قال نعم فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل
فيذا أسود قد خرج من القبر كأنه جذع محترق فقال له من أنت ؟ فقال يارسوله الله
أنا رجل في عذاب منذ أربعين سنة فلما كنت في هذه الساعة قيل لي اجب فأجبت ثم
قال يارسول الله مر على من أليم العذاب ما إن ردني الله إلى الدنيا أعطيتة عهداً أن
لا أعصيه أبداً فداع الله لي فرق لـ قلب عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم
قال له امضي فمضى فقال له صاحب القبر يارسول الله لقد غلطت بالقبر إتما قبرها
هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى
أتعرفها ؟ قال نعم هذه امرأتى فدعا الله عيسى حتى رزها عليه فأخذ الرجل يدها
حتى اتهمها إلى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه في حجرها فمر بها ابن الملك فنظرها
ونظرت إليه وأعجب كل واحد منهما بصاحبه فأشار إليها فوضعت رأس زوجها
عن حجرها واتبعته الفتى فاستقيظ زوجها ففتقددها فلم يجددها فطلبها فدل عليها فعتاق
بها وقال امرأتى فقال الفتى هي جاريتى فبينما هم كذلك إذ طلع عيسى عليه السلام

فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصه فقال لها عيسى ما تقولين ؟ قالت أنا جارية هذا ولا أعرف هذا فقال لها عيسى ردى علينا ما أعطيناك قالت فعلت فسقطت مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجل أمانه الله كافرأ ثم بعثه فآمن وهل رأيتم امرأة أمانها الله مؤمنه ثم أحياها فكفرت ، ومنها رفعه إلى السماء إذ قال الله (يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى مطهرك من الذين كفروا) الآية ، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله (وما قتلوه وما صلبوه واسكنوا شجرة لهم) إلى قوله تعالى (بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً) .

وروى السكلمى عن أبى صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطاً من اليهود فلما رأوه قالوا ؛ قد جاء الساحر ابن الساحر الفاعل بن الفاعلة فقتلوه وأمه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال اللهم أنت ربى وأنا من روحك خرجت وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسى اللهم العن من سببى وسب أبى فاستجاب الله دعاءه ومسح الذين سبوه وأمه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يا معشر اليهود إن الله يعضكم فعضبوا من مقالته غضباً شديداً وثاروا عليه ليقتلوه فبعث الله تعالى إليه جبريل عليه السلام فادخله خوخة وواراه في سقفها ورفع الله تعالى من روثه فأمر رأس اليهود رجلاً من أصحابه يقال له فلطيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فالقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا أنه عيسى فقتلوه وصلبوه وقال وهب إن عيسى لما أعلمه الله تعالى أنه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاماً وقال احضرونى الليلة فلي لكم حاجة فلما اجتمعوا إليه من الليل غشاهم وقام بخدمتهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوصيهم ويمسح أيديهم بثيابه فتعاضموا ذلك وتكاثروا فقال لإلهن رد عليه شيئاً مما أصنع فليس منى ولا أنا منه فأقروه حتى إذا فرغ من ذلك قال لهم ؛ أنا ما صنعت بكم الليلة بما خدمتكم على الطعام غسلت أيديكم بيدي لا ليكون لكم بى أسوة لأنكم ترون إني خيركم فلا يتعاضم بعضهم على بعض وليبدأن بعضهم نفسه

لبعض كما بذلت نفسى لكم ؛ أما الحاجة التى استغثتكم عليها فتدعون الله وتجتهدون
 فى الدعاء أن تؤخروا أجلى فلما نصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا يجتهدوا أرسل الله
 عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون فى
 ليلة واحدة وتعينونى فيها ؟ فقالوا والله ما ندرى ما لنا لقد كنا نسير فنكبر السهر
 وما نطبق الليلة سهرأ وما نربد دعاء لإلا حيل بيننا وبينه فقال يذهب الراعى وتبقى
 الأغنم وجعل يأتى بكلام مثل هذا يعنى نفسه ثم ليكفرن به أحدكم قبل أن يصيح الديك
 ثلاث مرات ليديهمنى أحدكم بدرهم يسيرة وليأكل ثمنى نخرجوا وتفرقوا وكانت
 اليهود تطلبه فاخذ شمعون أحد الحواريين فقالوا أهذا من أصحابه فجحد وقال ما أنا من
 أصحابه فتركوه ثم أخذ آخر فجحد كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه ذلك
 فلما أصبح دعا أحد الحواريين أولئك اليهود فقال ما تجعلون لى إن دلتكم عليه ؟ فجعلوا
 له ٣ درهما فاخذها ودلهم عليه وكان شبه لهم قبل ذلك فاخذوه واستوثقوا منه
 وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون أنت كنت تحبى الموتى وتبرى الأكمة
 والابرص أفلا تفك نفسك من هذا الحبل ويصقون عليه ويلتقون عليه الشوك ثم
 أخذهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به الخشبة ليصلبوه أظلمت الأرض
 وأرسل الله الملائكة فجالوا بينهم وبين عيسى وألقى شبه عيسى على الذين دلهم عليه
 واسمهم يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون أنه عيسى وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم
 رفعه إلى السماء فذلك قوله تعالى (إنى متوفيك ورافعك ومطهرك من الذين كفروا)
 فلما صلب الذى هو شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها
 وأبرأنا من الجنون يبيكيان عند المصلوب فأتاهما عيسى وقال على من تبكيان ؟
 فقالتا عليك فقال إن الله تعالى رفعنى فلم يصيبنى إلا خيراً وإن هذا شخص شبههم
 وقال مقائل ؛ إن اليهود وكلوا بعينى رجلاً يكون عليه رقيبا يدور معه حيثما دار
 فصعد عيسى الجبل فجاهد الملك فرفعه إلى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن
 اليهود أنه عيسى فأخذوه وكان يقول لهم إنى لست عيسى إنى فلان بن فلان فلم يصدقه
 وقتلوه وصلىوه فقال قتادة ذكر لنا أن نبى الله عيسى قال لأصحابه أيكم يقتل عليكم شبهى
 فإنه مقتول فقال رجل من القوم أنا نبى الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه إليه وقيل
 إن الذى شبه عيسى وصلىه مكانه رجل لاسرائيلى يسمى أشيوع بن قيديرا والله أعلم .

(ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام)

قال وهب وغيره من أهل الكتاب ؛ لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث السماء سبعة أيام ثم قال الله له إن أعداءك اليهود أعجلوك من العهد إلى أصحابك فانزل عليهم وأوصهم واهبط على مريم المجدلانية فإنه لم يبك عليك أحد بكاء هلة ولم يحزن عليك أحد حزنا فانزل عليها وأخبرها أنها أول من تلحق بك وأمرها أن تجمع الخواريين فثبتهم في الأرض دعاة إلى الله تعالى .

وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بنى إسرائيل في قرية من قرى أنطاكية يقال لها مجدلان ؛ وكانت امرأة صالحة وكانت تستحاض فلا تطهر فخطبها أشراف بنى إسرائيل فامتعت فظنوا أنها رفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعه وإنما أرادت لإخفاء علتها عنهم ؛ فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام ربما كانت يشفى الله على يديه من المرضى الزمنى أقبلت إليه رجاء الشفاء ؛ فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيبة استحييت والأصرفت إلى ورائه ووضعت يدها على ظهره فقال عيسى لقدمسى ذوعاهة بذية حسنة ولقد أعطاه الله ما رجاء وطهره بطهارته فاذهب الله عنها ما بها وبرأت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها سبعة أيام من رفعه هبط عليها فاشتعل الجبل حين هبط نور فجمعت له الخواريين فبهم في الأرض دعاة إلى الله ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه الثور وقطع منه شهوة المطاعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان لإنسيا ماسكيا أرضية سماويا وتفرق الخواريون حيث أمرهم تلك الليلة التي أهبط فيها هي الليلة التي تزخر فيها النصرى قاوا فوجه بطرس روميه وأندراوس ومتى إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس وتوما وليسا إلى أرض المشرق وفيلبس ويهوذا إلى القيروان وإفريقيه ويحيى إلى أفسوس قرية أصحاب السكف واليعقوبيين إلى أورشليم وهي إلى يليم أرض بيت المقدس وبرتولو ماوس إلى الإغرابيه وضر الحجاز وشعور إلى أرض بربر فاصبح كل واحد من الخواريين الذين بعثهم يحدث بلفظة من أرسله عيسى إليهم قال ابن إسحق ؛ ثم عهد اليهود إلى بقية الخواريين أصحاب عيسى يشتمونهم ويعذبونهم ويطوفون بهم قسمة ذلك ملك الروم وكان صاحب وثن فقبل له إن

رجالاً كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني إسرائيل عدواً عليه فقتلوه ؛ وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الأسقام وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طائراً بإذن الله وأخبرهم بالغيب وأراهم المعجائب فقال ملك الروم قما منكم أن تذكروا لي من أمره فوالله لو علمت لخليت بيده وبيدهم ثم لأنه بعث إلى الخواريين فانتزعهم من أيديهم فلما أتوه سألهم عن دين عيسى فاخبروه خبره فبايعهم على دينه واستنزل شبه عيسى والخشبة التي صلب عليها فأكرمها وصانها لها مسجداً منه وغزا بني إسرائيل فقتل منهم خلقاً كثيراً فمن هناك كانت أصل النصرانية في الروم .

وقال أهل التوراة ؛ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى بميت لحم من أرض أورشليم لمضى خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على بابل ولإحدى وخمسين سنة مضت من ملك الإسكانيين أوحى الله إليه على رأس ثلاثين سنة ورفع من بيت المقدس إليه ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

(ذكر وفاة مريم لابنة عمران عليهما السلام)

قال وحسب ؛ لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام أخى بين الخواريين فامر رجلين منهم يقال لأحدهما شمعون والآخر يحيى أن يلتزما أمه ولا يفارغاها فأنطلقا ومعهما مريم إلى ماروت ملك الروم يدعونه إلى الله تعالى وقد بعث الله تعالى إليه قبل ذلك بولس عليه السلام فلما أتوه أمر بشمعون وأندراوس فقتلا وصلبا منكسين وهرب مريم ويحيى حتى إذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطالب بخافا فانشقت لهما الأرض ففأبأ فيها وأقبل ماروت ملك الروم وأصحابه فحفروا ذلك الموضع فلم يجدوا شيئاً فردوا التراب على حال وعلموا أنه أمر من الله تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فاخبروه فأسلم كما ذكرنا والله أعلم .

(ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان)

قال الله تعالى (وإنه لعلم للساعة فلا تمترون بها) الآية وقيل للحسين بن الفضل هل تجدد نزول عيسى عليه السلام في القرآن ؟ قال نعم قوله « وكملا » وهو لم يكنه يكمل في الدنيا وإنما معناه « وكملا بعد نزوله من السماء » .

أخبرنا أبو صالح شعيب بن محمد السبيعي بإسناده عن أبي هريرة قال ؛ قال رسول الله ﷺ (الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وإنى أوله الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لأنه لم يكن يبنى وبينه نبي ويوشك أن ينزله فيكم ابن مريم عدلاً حكماً وإنه نازل على أمتي وخليفتي عليهم فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشهر كأن رأسه تقطر ولم يصبه بل ينزل بين محصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقبض المال ويهلل من الروحاء حاجاً أو معتمراً أو مليئاً بهما وجهاً ويقاثل الناس على الإسلام حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الإسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة المكذاب الدجال وتقع الأمانة في الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل والنور مع البقر والذئب مع الغنم وتلعصب الصليان بالحيات فلا يضرب بعضهم بعضاً ثم يلبث في الأرض أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة بجانب عمر وأقره وإن شئتم) وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً (أى قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات .

وأخبرنا محمد بن القاسم النعاسي بإسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إذا أهبط الله المسيح عيسى يعيش في هذه الأمة ما يعيش ثم يموت في مدينتي هذه ويدفن إلى جانب قبر عمر فطوبى لاني بكر وعمر يحشران بين نبيين .

وأخبرني أبي قال حدثني الحسين بن أحمد بن محمد بن علي بإسناده عن ابن عباس قال ؛ قال رسول الله ﷺ (كيف يهلك الله أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها » والمهدي من أهل بيتي في وسطها) .

﴿ باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليه السلام إلى أنطاكية ﴾
﴿ وذلك في أيام ملوك الطوائف ﴾

قال الله تعالى (واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذا جاءها المرسلون) يعنى
رسل عيسى عليه السلام (إذ أرسلنا إليهم اثنين) واختلفوا في إسميهما (فقال ابن
اليسحق فاروض وروماض ، وقال وهب ويحي ويونس وقال مقاتل يومان و
وقال كعب صادق وصندوق (فسكذبوهما فمزنا بشاك) أى فقويناه
ثالث وهو شمعون القصار رأس الحواريين في قول أكثر المفسرين وقال كعب
إسمه شلوم وقال مقاتل سمعان .

قالت العلماء بأخبار الانبياء : بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين
إلى مدينة أنطاكية ، فلما قربا من المدينة أتيا شيخاً يرعى غنمات له وهو حبيب
النجار صاحب يس فسلما عليه فقال من أنتم ؟ قالا رسولا عيسى عليه السلام ندعوك
من عبادة الاوثان إلى عبادة الرحمن قال أمعكما آية ؟ قالنا نعم نحن نبريء المريض
ونشفى الاكمة والابرص بإذن الله ، فقال الشيخ أن لى ابناً مريضاً صاحب
غراش منذ سنين ، فلما نظرا إلى ولد الشيخ قربا إليه ودعوا له ومسحا بيديهما
فقام في الوقت بإذن الله ، وشفى الله على يديهما كثيراً من المرضى ، وكان في
مدينة أنطاكية فرعون من القراغة يعبد الاصنام يقال له سلاحين .

وقال وهب : إسمه بطيمحيس وكان من ملوك الروم قالوا فانهى الخبر إلى الملك
فدعاهما إليه وقال لهما من أنتم ؟ قالا رسولا عيسى قال وما آيتكما ؟ قالنا نبريء
الاكمة والابرص ونشفى المرضى بإذن الله تعالى ، قال وفيم جثمتا ؟ قال جثمتك
ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر قال الملك :
أولنا إله سوى آلهتنا ؟ قال نعم ، قال من ؟ قالنا من أوجدك بعد هدمك :
قال قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما في السوق .

وقال وهب : بعث عيسى بهذين الرسولين إلى أنطاكية فأتياها فلم يوصلا إلى ملكها وطالت مدة مقامهما ، فخرج الملك ذات يوم فمكبرا وذكر الله تعالى فغضب الملك فأمرأ بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الخواريين شمعون الصفار على أثرهما لينصرهما قد دخل شمعون البلد متكرراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه ورضى عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك إنه قد بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتكما حين دعوك إلى غير دينك فهل كتمتهما وسمعت قولهما ؟ فقال حال الغضب يلى وبين ذلك ، قال فإن رأى الملك دعاهما ، فدعاهما الملك فلما حضرا قال شمعون لهما من أرسلكما إلى هنا ؟ قال الذى خلق كل شئ فإنه يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد ، قال شمعون وما آيتكما ؟ قال ما تنمناه نبرىء الآكمة والابرص ونشفى المرضى والزمنى بإذن الله ، قال فأمر الملك لجنىء بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجنبه فما زال يدعو أن الله حتى انشق موضع البصر فأخذوا ببندقيتين من الطين فوضعاها في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فانشرح الملك فقال شمعون للملك إن أنت سألت إلهك حتى يصنع لك صنيعاً مثل هذا فيكون لك الشرف والإلهك فقال الملك ليس لى عنك سر اعلم أن إلهنا الذى نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فقال الملك للرسولين إن إلهكم الذى تعبدونه يقدر على إحياء الميت ؟ قالوا إلهنا يقدر على كل شئ فقال الملك إن ههنا ميتاً قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائباً فجاءوا بالميت وقد تغير وأروح فجعل يدعو أن ربهما علانية وجعل شمعون يدعو سراً فقام الميت وقال لهم لى قد مدت منذ سبعة أيام مشركاً فأدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فأمثروا بالله ثم قال إن أبواب السماء فتحت لى فرأيت شاباً حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة ؟ فقال شمعون هذان وأشار إلى صاحبيه فتمعجب الملك فلما علم شمعون أن قوله قد أثر فى الملك أخبر بالحال ودعاه فأسمن قوم وكان الملك بمن آمن وكفر آخرون .

وقال كعب ووهب ، بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس ، وقال ابن عباس ومقاتل واسمه حبيب بن إسرائيل النجار قال وهب ، وكان سقياً قد أقر فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة أنطاكية وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمضى فيقسمه فخصمين يطعم عياله نصفاً ويتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتنم لإيمانه ويعبد ربه في غار ، فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم إلى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى في كتابه ، وذلك قوله تعالى (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) إلى قوله مهتدون فقال له قومه أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بإلههم ؟ فقال : (وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) إلى قوله (إني آمنت بربكم فاسمعون) فلما قال لهم ذلك وثبوا إليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه .

وقال الحسن : خرّوا خرقاً في حلقه وعلقوه في سور المدينة ودفنوه في معوق أنطاكية فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى (قيل ادخل الجنة) فلما أفضى إلى جنة الله وكرامته (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المسكرمين) قالوا فلما قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النعمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فأتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كننا منزلين) على غيرهم من كفار الأمم (إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون) أي ميتون .

أخبرنا أبو بكر الخشراوي بإسناده عن أبي ليلى عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ (سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين : حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس ، وعلى بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم)

(قصة يونس بن متى عليه السلام)

بنى أمه ولم ينسب أحد من الأنبياء إلى أمه إلا عيسى بن مريم ويونس
متى عليهما السلام وهو الذى قال رسول الله ﷺ فيه (لا ينبغي لأحد أن
يقول أنا خير من يونس بن متى) قال الله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضباً) الآيات .
قالت العلماء بأخبار القدماء : كان يونس رجلاً صالحاً يتعمد فى جبل وكان فى
قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم
يونس بن متى عليه السلام بالنبى عن الكفر والأمر بالتوحيد وكان يونس عليه
السلام رجلاً صالحاً لا يصبر على الناس فلمحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه وكان حسن
القامة يستمع إلى قراءة الوحش كما كان لداود فى زمانه وكان يعتره حدة ولذلك
نهى رسول الله ﷺ أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى (فاصبر كما
صبر أولوا العزم من الرسل) وقال تعالى (ولا تكن كصاحب الحوت) لأنه كان
قليل الصبر على قومه والمداورة لهم ، قال رسول الله ﷺ (كان يونس بن متى فيه
عجلة وخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ نحتما تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ؛ ولذلك
السبب ذهب مغاضباً) .

واختلف العلماء فى صفة مغاضبته وسبب ذلك ووقته ، فقال قوم ذهب مغاضباً
لقومه وهى رواية الضحاك والعمري عن ابن عباس قال : كان يونس بن متى وقومه
يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسمى منهم تسعة أسباط ونصفاً وبقي سبطان ونصف
وكانوا اثني عشر سبطاً فيهم النبوة والملك فأوحى الله تعالى إلى شعيب النبي أن سر
إلى حزقيا الملك وقل له يوجه نبياً قوياً أميناً فأبى ألقى الخوف فى قلوب أولئك
الأسباط حتى يرسلوا معه بنى إسرائيل فقال الملك فما ترى ؟ وكان فى مملكته خمسة من
الأنبياء فقال إن يونس فإنه قورى أمين فدعاه الملك وأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك
الله بإخراجي ؟ قال لا فقال هل سماني لك ؟ قال لا فقال ههنا غيرى أنبياء أقوياء أمناء
فألحوا عليه فخرج مغاضباً للنبي وللملك ولقومه فأتى بحر الروم وكان من أمره ما كان
وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال أتى جبريل يونس فقال له انطلق
إلى أهل نينوى فأنذريهم أن العذاب قد حضرهم إن لم يتوبوا ، قال له التمس دابة

قال الامر اعجل من ذلك فغضب وانطلق إلى البحر فركب سفينة فكان من أمره ما كان فعلى هذه الأقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت .

قال ابن عباس إنما كانت رسالة يونس بعد أن نبذه الحوت ودليل هذا القول أن الله تعالى ذكر قصة يونس في سورة الصافات ثم عقبها بقوله (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) وقال آخرون : بل كانت قصة الحوت بعد دعاء قومه وتبليغه الرسالة وإنما ذهب عن قومه مغاضباً لربه إذ كشف عنهم العذاب بعد ما أوعدهم به وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخلف فيما أوعدهم بل ولم يعلم السبب الذي رفع عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضباً قال والله لا أرجع إليهم كذاباً أبداً أو عدتهم العذاب في يوم ولم يأتهم .

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : بعث الله يونس بن متى إلى قومه وهو ابن ٣٠ سنة فأقام فيهم يدعوهم إلى الله تعالى ٣٣ سنة فلم يؤمن به إلا رجلان أحدهما روبيل وكان عالماً حكماً والآخري تدوخا وكان عابداً زاهداً .

قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما : لما أيس من إيمان قومه دما عليهم فقبل له ما أسرع ما دعوت على قومك أرجع إليهم فادعهم أربعين ليلة أخرى فإن أجابوك وإلا فإنى مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم ٣٧ ليلة فلم يجيبوه فقام خطيباً فيهم وقال إني محذركم العذاب إلى ٣ أيام إن لم تؤمنوا ثم قال لهم إن آية ذلك تغير ألوانكم فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بك ما قال يونس وإنما لم نجرب عليه كذباً فانظروا فإن بات الليلة فآمنوا من العذاب وإن لم يبت فيكم فاعلموا أن العذاب مصيحكم فلما كان ليلة الأربعين ورأى يونس تغير ألوانهم علم أن العذاب نازل بهم فخرج من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب .

قال سعيد بن جبير كما يغشى التراب القبر إذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤوسهم قدر ميل وقال ابن عباس قدر ثلثي ميل وقال وهب أغيمت السماء غما أسود هائلا تدخن دخاناً شديداً فحبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه

فقدف الله في قلوبهم التوبة وألهمهم الرجوع إليه فخرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسأهم رصديانهم وظلوا بهم ولبسوا المسوح وأظهروا الإيمان والتوبة لله وأخلصوا النية وهرقوا بين كل والددة وولدها من الناس والدواب والآنعام فحين بعضها إلى بعض وعلت أصواتهم واختلط حنينهم وتضرعوا إلى الله وقالوا آسفنا بما جاء به يونس فرحمهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعد ما أظلمهم وذلك يوم عاشوراء وقيل كان يوم الأربعاء للأنصاف من شوال .

وروى صالح المروى عن عمران الجوني عن أبي خالدة قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له قد نزل بنا العذاب فما ترى ؟ قالوا يا حى حين لاح يا حى حين تحبى المرنى لا إله إلا أنت فمالوا كشف الله عنهم العذاب ومتموا إلى حين كما قال الله تعالى فلو لا كانت قرية آمنت أى فلم تكن قرية آمنت وضع النجس موضع النقي لأن فيه ضرباً من الجحد (فنفخوا ليمانها) فى وقت اليأس عند معاينة العذاب (إلا قوم يونس لما آمنوا) ففهم ليمانهم فى ذلك الوقت لما علم الله من صدقهم (كشفتنا عنهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) .

قال يونس كيف أرجع إلى قومي وقد كذبتم فأنطلق معا تبارك ربه مغاضباً فومه فأتى البحر كما قال الله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه) أى أن لن نقضى عليه العقوبة تقول العرب قدر الله الشيء يقدره تقديرأ وقدره يقدر قدرأ وقد قرىء بهما جميعاً فى قوله تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت) وقوله تعالى (والذى قدر فهدى) هذا قول أكثر المفسرين ، وقال عطاء معناه فظن أن لن نضيق عليه الحيس فن قول الله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى ويضيق ، وقوله تعالى (ومن قدر عليه رزقه) .

قال ابن زيد : هو استفهام معناه فظن أن لن نقدر عليه ، وقال الحسن معناه فظن أن يعجز ربه فلا يقدر عليه ، قال وبلغنى أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضباً ربه فاستنزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فأتى الله أن يدعه الشيطان فلما أتى يونس البحر إذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير

أجرة فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون
أفيها عبداً آتقاً من سيده وهذا رسم السفينة إن كان فيها آتق لم تبحر فأقرعوا فوقعت
القرعة على يونس فقال أنا الآتق فقالوا تلقى في الماء فأقرعوا ثانياً وثالثاً فخرجت
القرعة على يونس فزوج نفسه في الماء فذلك قوله تعالى (فساهم فساكن من المدحضين)
فلما وقع في الماء وكل الله به حوتاً فابتلعه وأوحى الله تعالى إلى الحوت إن لم أجعله
لك رزقاً بل جعلناك له حرزاً ومسكناً فخذ به ولا تكسر له عظماً ولا تأخذ له لحماً
فأهوى به إلى مسكنه في البحر وقد فطلق من ذلك المكان حتى مر به على الأبله ثم
مر به على هجلة ثم انطلق به إلى نينوى ، ويقال إن الله تعالى رقق له جلد الحوت
حتى كاد يرى جميع ما في البحر فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس صوتاً فقال
في نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله تعالى إليه وهو في بطن الحوت أن هذا تسبيح دواب
البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا إنا نسمع
صوتاً ضعيفاً معروفاً بأرض بجهولة ؟ قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبهسته في
بدن الحوت في البحر قال فشيئوا له عند ذلك وهو قوله (فنادى في الظلمات أن
لا إله إلا أنت) قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت
(سبحانك إنى كنت من الظالمين) .

وروى سعيد بن المسيب عن سعد بن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول
إسم الله الذي إذا دعا به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى فقلت
يا رسول الله هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين ؟ فقال هي ليونس خاصة
ولجماعة المسلمين عامة إذا دعوا بها ألم تسمع قوله تعالى (فنادى في الظلمات) إلى
قوله (وكذلك ننجي المؤمنين) فلما دعا به يونس وشفعت له الملائكة أمر الله
الحوت ففقدفه إلى ساحل نينوى كما قال الله تعالى (فنبذناه بالبراء) أى بوجه
الأرض (سقيم) أى عليل ضعيف كالقرخ الممعط .

واختلفوا في مدة مكث يونس في بطن الحوت فقال مقاتل ٣ أيام وقال عطاء
٧ أيام ، وقال الضحاك ٢٠ يوماً وقال السدى والبكي ٤ يوماً فلما أخرجه الله
من بطن الحوت أنبت له شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها فذلك

قوله تعالى (وأنبتنا عليه) أى عنده (شجرة من يقطين) قالوا فيلبست الشجرة
فبكى عليها فأوحى الله إليه : أتبكي على شجرة يلبست ولا تبكى على مائة ألف أو
يزيدون أردت أن أهلكم .

ثم ذهب يونس فإذا هو بغلام يرعى غنما فقال من أين أنت يا غلام ؟ قال أنا
من قوم يونس ، فقال له إذا رجعت فقل لهم إنك لقيت يونس فقال الغلام : إن
كنت يونس فأنت تعلم أنه إن لم يكن لي بيضة قتلت فن يشهد لي ؟ فقال يونس تشهد
لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة ، وأشار إلى شاة من غنمه فقال له الغلام
فرهم ؟ قال لهم يونس إذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له ؟ قالوا نعم .

فرجع الغلام إلى قومه ثم قال للملك إنى قد لقيت يونس وإنه يقرأ عليكم السلام
فأمر الملك بقتله وقال كذبت فقال إن لي بيضة فأرسلوا معي أحدا يشهد فأرسلوا معه
رجالا فاتى البقعة والشجرة والشاة وقال أشهدكم بالله هل أشهدكم يونس ؟ قالوا نعم
فرجع القوم مذعورين فأخذ الملك بيد الغلام واجلسه في مجلسه وقال : أنت أحق
بهذا المكان منى ، قال فأقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة ثم خرجوا يلتمسون
يونس فوجدوه ففرحوا به وآمنوا به فأقام لهم أمرهم .

يرى أن يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ليلا فأضافه رجل وكان
ذلك الرجل قد عمل كثير من الفخار . فأوحى الله إليه يا يونس مر صاحب هذا
الفخار أن يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال
شؤ عملته بيدي أعيش منه وأتمتع بشمته أنا وعبادى تأمرنى بكسره فبكى يونس
فأوحى الله إليه : هذا عمل فخار من طين لم تطب نفسه بكسره وأنت طبت نفسك
وطنتها على هلاك مائة ألف أو يزيدون من عبادى فضى يونس وهبط واديا .

قال فلما شهدت الشجرة والأرض والشاة والغلام وكانت الشاة التى كانت مع الغلام
قالت لهم إن أردتم يونس فاهبطوا الوادى فاهبطوا فإذا هم بيونس فسألوه أن يدخل
معيهم المدينة ، فقال لا حاجة لي في مدينتكم وألحوا عليه فأجابهم فكثرت مع أهله
وولده أربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصبر الغلام الراعى ملصكا
لذلك المدينة كما ذكرنا فلم يزالا سائحين يعبدان الله تعالى حتى ماقا عليهما السلام،
وكانت نبوة يونس في زمان ملوك الطوائف والله أعلم .

(باب في قصة أصحاب الكهف)

قال الله تعالى (أم حسبك أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا)
 اختلف العلماء في الرقيم . قال النعمان بن بشير الأنصاري : سمعت رسول الله ﷺ
 يذكر الرقيم قال « إن ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لأهلهم فيبينا هم يمشون إذا
 أصابتهم السماء فأتوا إلى الكهف فأنحطت صخرة من الجبل عليهم فانطبقت على
 باب الكهف فأوصدته عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله ففعل
 الله برحمتنا فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة : كان لي أجراء يعملون عملا لي
 فاستأجرت كل رجل منهم بأجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار
 فاستأجرته بشطر أصحابه فعمل في بقية نهاره كعمل رجل منهم نهاره كله فرأيت
 على من الإكرام أن لا أنقصه شيئا عما استأجرت به أصحابه لما اجتمعوا في عمله فقال
 رجل منهم ، أعطى هذا مثل ما أعطيتني ولم يعمل إلا نصف النهار ؟ فقلت له يا عبد الله
 أألم أحسبك شيئا من شرطك إنما هو مالي أحكم فيه بما شئت : قال فغضب وذهب
 وترك أجرته فوضعت حقه في جانب من البيت ماشاء الله ثم مر بي بعد ذلك بقر
 فاشترت به فنعمت به فبلغت ماشاء الله ، فر بي بعد ذلك شيخ ضعيف لا أعرفه فقال لي
 ن لي عندك حقا فقلت له اذكره لي حتى أعرفه قال فذكره فقلت له إياك أبغى
 وهذا حقا وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تسخر لي إن لم تتصدق علي فأعطني
 حتى فقلت له ما أسخر إن هذا لحقك ومالي فيه شيء فدفعتهما إليه ، اللهم إن كنت
 فعلت هذا لوجهك الكريم فأفرج عنا فانصدع الجبل حتى أبصروا الضوء .

وقال الآخر : قد عملت حسنة مرة كان لي فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءني
 امرأة تطالب مني معروفا ، فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت علي وذهبت ثم لأنها
 رجعت فذكرتني بالله فأبيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فأبت علي وذهبت
 ثم لأنها رجعت إلى تنشدني بالله فأبيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فلما رأت
 ذلك أسلمت إلى نفسها فلما كشفتها ارتعدت فقلت لها ما شأنك ؟ فقالت ، إني أخاف
 الله رب العالمين ، فقلت لها خفتيه في الشدة ولم أخذه في الرخا . فركسته وأعطيتها ما تحب
 اللهم إن كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فأفرج عنا تصدع الجبل حتى تمارفنا .
 (م ٣٠ - قصص الأنبياء)

وقال الآخر ، لقد عملت حسنة مرة كان لي أبوان كبيران ؛ وكان لي غنم فكنيت أطعم أبوي وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي ، قال فأصابني يوه اغيث فخبسني حتى أمسيت فأنتيت إلى أهلي وأخذت محلي فخلبت غنمي وتركتهما قائمة ومضيت إلى أبوي فوجدتهما قد فاما فشق علي ان أوقفهما وشق علي ان اترك غنمي فها برحت جاسأ ومحلي في يدي حتى أيقظهما الصبح فستقيتهما اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا مانحن فيه ، وقال العمان لسكأني أسمع من رسول الله ﷺ قال (كأن الجبل طبق ففرج الله عنهم فخرجوا) .

وقال ابن عباس ، الرقيم واد بن غطفان وأيلة دون فلسطين وهو الوادي الذي فيه أصحاب المكلف قال كعب هي قريتهم .

وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الأخيار . والرقيم لوح من حجارة ، وقيل من رصاص وكتبوا فيه أسماء أهل المكلف وقصتهم ثم جعلوه في صندوق ووضعوه على باب المكلف ثم ذكر الله خبر أصحاب المكلف فقال (إذ أوى الفتية إلى المكلف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) قال أهل التفسير وأصحاب التواريخ (كان أمر أصحاب المكلف في أيام ملوك الطوائف بين عيسى ومحمد عليهما السلام .

وأما قصتهم . فيقال لما ولي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة أنناه قوم من احبار اليهود فقالوا يا عمر أنت ولي الأمر بعد محمد ﷺ وصاحبه وإنا نريد ان نسالك عن خصال إن أخبرتنا بها علنا ان الإسلام حق وان محمدا كان نبياً وإن لم تخبرنا علنا أن الإسلام باطل وأن محمداً لم يكن نبياً فقال عمر ، سلوا عما بدا لكم ؟ قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ما هي ؟ وعن مفاتيح السموات ما هي ؟ وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو ؟ وأخبرنا عن خمسة أنبياء مشوا على وجه الأرض ولم يخلقوا في الأرحام ؟ وأخبرنا عما يقول الدارج في صياحة ؟ وما يقول الديك في صراخه ؟ وما يقول الفرس في صهيله ؟ وما يقول الضفدع في نقيقه ؟ وما يقول الحمار في نهيقه ؟ وما يقول القنبر في صفيره ؟

قال فنكس عمر رأسه في الأرض ثم قال لاعيب بعمر إذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم وان يسأل عما يعلم فوثب اليهود وقالوا . نشهد ان محمداً لم يكن

نبييا وأن الإسلام باطل فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود قفوا قليلا ثم توجه نحو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال يا أبا الحسن أغث الإسلام فقال وما ذاك؟ فأخبره الخبر فاقبل يرفل في بردة رسول الله ﷺ فلما نظر إليه عمر وثب قائما فاعتنقه وقال يا أبا الحسن أنت لست بمعضلة وشدة تدعى فدعا علي كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فإن النبي ﷺ علي ألف باب من العلم فذهب لي من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال علي كرم الله وجهه . إن لي عليكم شريطة إذ أخبرتكم كما في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتم قالوا نعم ؛ فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ماهي ؟ قال أقال السموات الشريك لأن العبد والامة إذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل .

قالوا أخبرنا عن مقاتيح السموات ماهي ؟ قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . قال فجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويقولون صدق النبي :

قال أخبرنا عن قبر سار بصاحبه ؟ قال الحوت الذي التهم يونس بن متى فسار به في البحار السبعة ، فقالوا ، أخبرنا عن أنذر قومه لاهو من الجن والامن الإنس؟ قال هي نمة سليمان بن داود قالت يا أيها الملأ ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ، قالوا أخبرنا عن خمسة مشوا في الأرض ولم يخلقوا في الأرحام ؟ قال ذاك آدم وحواء وناقة صالح وكبش إبراهيم وعصا موسى ، قالوا أخبرنا ما يقول الدارج في صياحه ؟ قال يقول الرحمن على العرش استوى ، قالوا أخبرنا ما يقول الديك في صراخه ؟ قال يقول اذكروا الله يا غافلون . قالوا أخبرنا ما يقول الفرس في صهيله ؟ قال يقول إذا مشى المؤمنون إلى الكافرين للجهاد اللهم أفصر عبادك المؤمنين على الكافرين ، قالوا فأخبرنا ما يقول الحمار في نهيته ؟ قال يقول لعن الله العشار وينق في أعين الشياطين ، قالوا فأخبرنا ما يقول الضفدع في نقيقه ، قال يقول سبحان رب المعبود المسيح في لجج البحار ، قالوا فأخبرنا ما يقول القبر في صفيره ؟ قال يقول اللهم لعن مبغضى محمد وآل محمد ، وكان اليهود ثلاثة نفر قال اثنان منهم نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ووثب الحبر الثالث فقال يا علي لقد وقع في قلوب أصحابي ما وقع من الإيمان والنصديق وقد بقي خصلة

واحدة اسألك عنها فقال سل ما بدا لك ؛ فقال أخبرني عن قوم في أول الزمان ماتوا
 ثلثمائة وتسع سنين ثم أحياهم الله فما كان من قصتهم ؟ قال على رضى الله عنه يا يهودى
 هؤلاء أصحاب السكف وقد أنزل الله على نبيينا قرآناً فيه قصتهم وإن شئت قرأت
 عليك قصتهم فقال ما أكثر ما قد سمعنا قراءتكم إن كنت عالماً فأخبرني بأسمائهم
 وأسماء آياتهم وأسماء مدينتهم واسم ملكهم واسم جبلهم واسم كهفهم
 وقصتهم من أولها إلى آخرها فاجتبي على كرم الله وجهه بركة رسول الله ﷺ ثم
 قال : يا أبا العرب حدثني حبيبي ﷺ انه كان بأرض رومية مدينة يقال لها
 أفسوس ويقال هي طرسوس وكان لاسمها في الجاهلية أفسوس فلما جاء الإسلام
 سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع ملك
 من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جباراً كافراً فأقبل في عساكره حتى دخل
 أفسوس فأتخذها دار ملكه وبني فيها قصراً فوثب اليهودى وقال : إن كنت عالماً
 فصف لى ذلك القصر ومجاليسه فقال يا أبا اليهود ابقى فيها قصراً من الرخام طوله
 فرسخ فى عرض فرسخ واتخذ فيها أربعة آلاف اسطوانة من الذهب وألف قنديل
 من الذهب لها سلاسل من اللجين تخرج فى كل ليلة بالادهان الطيبة واتخذ لشرق
 المجلس مائة وثمانين كوة ولغريبه كذلك وكانت الشمس من حين تطلع إلى حين
 تغيب تدور فى المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريراً من الذهب طوله ثمانون ذراعاً
 فى عرض أربعين ذراعاً مرصعاً بالجوهر ، ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيّاً
 من الذهب فأجلس عليها بطارقه واتخذ أيضاً ثمانين كرسيّاً من الذهب عن يساره
 فأجلس عليه هراقته ثم جلس هو على السرير ووضع التاج على رأسه فوثب اليهودى
 وقال : يا على إن كنت عالماً فأخبرني بما كان ناجه ؟ فقال يا أبا اليهود كان ناجه من
 الذهب السبيك له تسعة أركان على كل ركن أولوة تضيء كما يضيء المصباح فى الليلة
 الظلماء واتخذ خمسين غلاماً من أبناء البطارقة فمنطقهم بمناطق من الديباج الأحمر
 وسروهم بسرابيل من القز الأخضر وزينهم وتوجهم ودملجهم وأعظامهم عمد
 الذهب واقامهم على رأسه واصطنع ستة غلبة من أولاد العلماء وجعلهم وراة فلما
 يقطع أمراً دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودى وقال

يا على إن كنت صادقاً فأخبرني ما كانت أسماء الستة؟ فقال على كرم الله وجهه . حدثني حميد بن محمد بن عيسى إن الذين كانوا عن يمينه أسمائهم تملينا ومساكيننا ومحبسيننا وأما الذين كانوا عن يساره فرطليوس وكشطوس وسادقيوس وكان يستشيرهم في جميع أموره وكان إذا جلس كل يوم في صحن داره واجتمع الناس عنده دخل من باب الدار ثلاثة غلقة في يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك وفي يد الثاني جام من فضة مملوء من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر فيصيح فيطير الطائر حتى يقع في جام ماء الورد فيتعرج فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثالث فيطير فيقع على تاج الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بما فيه من المسك وماء الورد فمكث الملك في ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط فلما رأى ذلك من نفسه عتا وطغا وتجبهر واستعصى وادعى الربوبية من دون الله تعالى ودعا إليه وجوه قومه فمكث من أعباء أعطاء وحياه وكساه وخلع عليه ومن لم يحببه ويتابعه قتله فأجابوه بأجمعهم فأقاموا في ملكه زماناً بعددونه من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس في عيد له على سريره والتماج على رأسه إذا أتى بعض بطارقه فأخبره أن عساكر الفرس قد غشيت يريادون قتاله فاغتم لذلك غمّاً شديداً حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره فنظر أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه إلى ذلك وكان عاقلاً يقال له تملينا ففكر وتذكر في نفسه وقال لو كان دقبايوس هذا إلهاً كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان يبذل ويتفوت وليس هذه الأفعال من صفات إله وكانت الفتية الستة يكونون كل يوم عند واحد منهم ، وكان ذلك اليوم نوبة تملينا فاجتمعوا عنده فأكلوا وشربوا ولم يأكل تملينا ولم يشرب ، فقالوا يا تملينا ما لك لا تأكل ولا تشرب؟ فقال يا إخواني وقع في قلبي شيء منهي عن الطعام والشراب والمنام فقالوا وما هو يا تملينا فقال أعطت فكري في هذه السماء فقلت من رفعها سقفاً محفوظاً بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالاجرام ثم أطلت ففكرت في هذه الأرض ومن سطعها على ظهر اليم الزاخر ومن حبسها وربطها بالجبال لرواسي الثلاث ففكرت في نفسي فقلت من أخرجني جنيناً من بطن أمي

ومن غذائي ورباني إن لهذا صانعاً ومدبراً سوى دقيانوس الملك فأنكبت الفية على
رجليه يقبلونها وقالوا يا تلميذا لقد وقع في قلوبنا ما وقع في قلبك فأشر علينا فقال إني
يا إخواني ما أجد لي ولا لكم حيلة إلا الهرب من هذا الجبار إلى ملك السموات والأرض
فقالوا الرأي ما رأيت فوثب تلميذا فابتاع تمرا بثلاثة دراهم وصرها في رداءه وركبوا
خيو لهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم تلميذا يا إخوتاه قد
ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل
يجهل لكم من أمركم فرجاً ومخرجاً فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبعة
فراسخ حتى صارت أرجلهم تقطر دماً لأنهم لم يعتادوا المشي على أقدامهم فاستقبلهم
رجل راع فقالوا ايها الراعي أعندك شربة ماء أولن؟ فقال عندي ما تحبون ولا كني
أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أظنكم إلا هرايا؟ فاخبروني بقصصكم فقالوا يا هذا إنا
دخلنا في دين لا يحل لنا الكذب أفبئنا الصدق؟ قال نعم فاخبره بقصصهم فانسكب
الراعي على أرجلهم يقبلها ويقول قد وقع في قلبها وقع في قلوبكم فقفوا لي معنا حتى
أرد الاغنام إلى أربابها وأعود إليكم فوقفوا له فدهوا قبل يسمى فنبهه كلب له فوثب
إليه هودى قائماً وقال يا علي إن كنت عالماً فاخبرني ما كان لون الكلب وإسمه فقال
يا أخا لي هودى حدثني حبيبى محمد عليه السلام أن الكلب كان أبلق يسود وكان إسمه قطمير .
قال الأستاذ : اختلف العلماء في لون كلب أصحاب الكهف فقال ابن عباس كان أبيض
وقال مقاتل كان أصفر وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرة وصفرة أنه يضرب إلى الحمرة
وقال الكلبي لأنه كالثعلب وقيل لون الهرة وقيل لون السماء . واختلفوا في إسمه أيضاً
فروى عن علي كرم الله وجهه أن إسمه ريان وقال ابن عباس كان إسمه قطميرى وهى
إحدى الروايات عن علي وقال شعيب الجباني كان إسمه حمرا وقال الأوزاعي نتوى
وقال مجاهد قطوريا وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب أصمب وإسمه تقنى
وأخبرنا ابن فضال عن أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه أن إسم كلبهم
كان قطمور وقيل قطمير .

أخبرني أبو علي الزهرى بإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (ما يعلمهم إلا قليل)
قال أنا من أولئك القليل وهم مكسلينا وتلميذا ومرطليوس وبيذوس وساونوس

ودانوس وكشطرس وهو الراعى والكلب اسمه قطير كلب أتمر فوق القلطي ودون السكركى . وقال محمد بن إسحق القلطي الصغير وكتبه أبو عمرو الجبلى .

رجعنا إلى الحديث قال : فلما نظرت الفتية إلى الكلب قال بعضهم لبعض اننا نخاف ان يفصحننا هذا الكلب بنبيحه فألحوا عليه طرداً بالحجارة فلما نظر لايهم الكلب وتمطى وقال باسان طلق ذلق باقوم لم تطردوننى وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له دعونى أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك إلى الله سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا فصعد بهم الراعى جبلاً واحط بهم على كهف فوثب اليهودى وقال : يا على ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال أمير المؤمنين : يا أبا اليهود اسم الجبل تاجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم .

قال ابن عباس : كانوا يفلحون فى السنة مرة لثلاثاً كل الارض لحومهم ويقال : إن يوم عاشوراء كان يوم تغلبهم قال أبو هريرة ، كان لهم فى كل سنة تغلبتان .

رجعنا إلى الحديث قال : وأوحى الله تعالى إلى الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين إذا طلعت وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ، فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقبل له إنهم اتخذوا إلها غيرك وخرجوا هاربين منك فركب فى ثمانين ألف فارس وجعل يفتقروا آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف فظفر لايهم مضطجعين فظن أنهم نيام فقال لأصحابه لو أردت ان أعاقبهم بشئ ما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم فأتونى بالبنايين فأتى بهم فرموا عليهم باب الكهف بالجبس والحجارة ثم قال لأصحابه قولوا لهم يقولون لإلههم الذى فى السماء إن كانوا صادقين يترجمهم من هذا الموضع فكشوا ثمانمائة وتسع سنين فنفخ الله فيهم الروح وهما من رقدتهم لما برغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه الليلة عن عبادة الله تعالى فقوموا بنا إلى العن فإذا بالعين قد غارت والأشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض إن أمرنا هذا لى عجب مثل هذه العين قد غارت فى ليلة واحدة ، ومثل هذه الأشجار قد جفت فى ليلة واحدة .

فألقى عليهم الجوع فقالوا أياكم يذهب بورقكم هذه إلى المدينة فليأتنا بطعام
 عندها ولينظر أن لا يكون من الطعام الذي يعجن بشحم الخنازير وذلك قوله
 تعالى (فابعدوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أذى طعاماً) أي أحل
 وأجود وأطيب فقال لهم تلميذا يا إخوتي لا ياتيكم أحد بالطعام غيرى ولكن أيها
 الراعى ادفن إلى ثيابك وخذ ثيابي فلبس ثياب الراعى ومر وكا يمر بمواضع
 لا يعرفها وطرق ينكرها حتى أتى على باب المدينة فإذا عليه علم أخضر مكتوب
 عليه لا إله إلا الله عيسى روح الله صلى الله على نبيينا وعليه وسلم فطفق القتي ينظر
 إليه ويمسح عينيه ويقول أرني نائماً .

فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فر باقوام يقرءون الإنجيل واستقبله أقوام
 لا يعرفهم حتى انتهى إلى السوق فإذا هو بخباز فقال له ياخباز ما اسم مدينةكم هذه
 قال أفسوس قال وما اسم ملككم ؟ قال عبد الرحمن قال تلميذا إن كنت صادقاً
 فإن امرى عجيب ادفن إلى بهذه الدراهم طعاماً وكانت دراهم ذلك الزمان الأول
 ثقالا كباراً فعجب الخباز من تلك الدراهم فوثب اليهودى وقال : يا على إن كنت
 عالماً فاخبرنى كم كان وزن الدرهم منها ؟ فقال يا أخا اليهود أخبرنى حبیبى محمد ﷺ
 أن وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلاث دراهم ؛ فقال له الخباز يا هذا إنك قد
 أصبت كنزاً فاعطاني بعضه وإلا ذهبت بك إلى الملك فقال تلميذا ما أصبت كنزاً
 وإنما هذا من ثمن تمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام وقال ألا ترضى إن أصبت
 كنزاً أن تعطيني بعضه حتى تذكر رجلاً جباراً كان يدعى الربوبية قد مات منذ
 ثلثمائة سنة وتسخر بى ثم أمسكه واجتمع الناس ثم إنهم أتوا به إلى الملك وكان
 عاقلاً عادلاً فقال لهم ما قصة هذا القتي ؟ قالوا أصاب كنزاً فقال له الملك
 لا تخف فإن نبيينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكسبوز إلا خمسها فادفع
 إلى خمس هذا الكسبوز وامض سالماً فقال أيها الملك تثبت في امرى ما أصبت كنزاً
 وإنما أنا من أهل هذه المدينة فقال له أنت من أهلها ؟ قال نعم قال اتعرف أحداً ،
 قال نعم قال فسمي لنا فسمي له نحواً من مائة رجل فلم يعرفوا منهم رجلاً واحداً .

قالوا يا هذا ما نعرف من هذه الأسماء وليست هي من أسماء أهل زماننا ولكن هل لك في هذه المدينة داراً ؟ فقال نعم هذه داري .

ثم قرع الباب فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من السكبر على عينيه . فقال أيها الناس ما بالكم ؟ فقال له رسول الملك إن هذا الغلام يزعم أن هذه الدار داره فغضب الشيخ وانفتحت إلى تلميذها وتدينه وقال ما اسمك ؟ قال تلميذا بن فلسطين فقال الشيخ أعد على فأعاد عليه فأنكب الشئخ على يديه ورجليه يقبلهما وقال هذا جدى ورب السكبة وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار إلى جبار السموات والأرض ولقد كان عيسى عليه السلام أسخرنا بقصتهم وأنهم سيحيون . فأبى ذلك إلى الملك وأتى إليهم وحضرهم .

فلما رأى الملك تلميذا نزل عن فرسه وحمل تلميذا على عاتقه فجعل الناس يقولون يديه ورجليه ويقولون يا تلميذا ما فعل بأصحابك فأخبرهم أنهم في السكف وكانت المدينة قد وليها رجلان رجل مسلم وملك نصراني فركبا في أصحابهما وأخذوا تلميذا فلما صاروا قريباً من السكف قال تلميذا يا قوم إنى أخاف أن إخواني يحسون بوقع حوافر الخيل والدواب وصاصلة اللجم فقوا قليلاً حتى أدخل إليهم . فأخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تلميذا فوثب إليه الفتية واعتنقوه وقالوا الحمد لله الذى نجاك من دقيانوس ، فقال دعوتى منكم ومن دقيانوس (كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم) قال بل لبثتم ثلثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن أهل المدينة بالله العظيم وقد جاءكم فقالوا له يا تلميذا تريد أن تصيرنا فئنة للعالمين قال فاذل تريدون . قالوا ارفع يديك ونرفع أيدينا فرفعوا أيديهم وقالوا اللهم بحق ما أريتنا من العجايب فى أنفسنا إلا قبضت أرواحنا ولم يطلع علينا حرام لا ابوت فقبض أرواحهم وطمس الله باب السكف وأقبل يطوفان حول السكف سبعة أيام فلا يجدان له باباً ولا منفذاً ولا مسلكاً فأيقنا حينئذ بطيف صنع الله الكريم وإن أحوالهم كانت عبرة أراهم الله إياها فقال

المسلم على ديني ما نوا أنا أبى على باب الكهف مسجدا وقال النصراني قل ما توأ
على ديني فأنا أبني على باب الكهف ديرا فاقتتل المسلمان فغلب المسلم النصراني فبنى
على باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى (قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن
عليهم مسجدا) وذلك يابودي ما كان من قصتهم .

ثم قال على كرم الله وجهه لليهودي سألتك بالله يابودي أوافق هذا ما في
توراةكم فقال اليهودي ما زدت حرفاً ولا نقصت حرفاً يا أبا الحسن لا نسمي يهودياً
هنا نبي أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإفك أعلم هذه الامة .

وقال عبيد بن عمير : كان أصحاب الكهف فتية أنا مطوقين مسورين ذرى ذوائب
وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم فيزى موكب وأخرجوا معهم
آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله فغضب الله في قلوبهم الإيمان وكان أحدهم
وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد منهم الإيمان عن صاحبه فقالوا في أنفسهم من
غير أن يظهر بعضهم لبعض نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرهم

فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه إيمانه مخافة على نفسه
ثم قالوا لبعضهم ليخرج كل فتية منكم فيدخلوا ثم ليفش كل واحد منكم أمره إلى
صاحبه ، فخرج فتية منهم فتوافقوا ثم تسكلموا فذكر كل واحد منهم أمره لصاحبه
فأقبلوا وهما مستبشران إلى أصحابهما فقالا : قد اتفقنا على أمر واحد وإذا هم
جميعاً على الإيمان وإذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض (فأووا
إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً) فدخلوا
الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلاثمائة سنة وتسع سنين قال وفقدهم قومهم
فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكفهم فلم يلم يقدروا عليهم كتموا اسمائهم
وأنسابهم وكتبوا في لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في يوم كذا في شهر كذا
من سنة كذا في ملك فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا
ليكون لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن .

وقال وهب بن منبه ، جاء حواري من اصحاب عيسى عليه السلام إلى مدينة
اصحاب الكهف فأراد ان يدخلها فقبل له ان على بابها صنبا لا يدخلها أحد إلا يسجد
له فبكره ان يدخلها فأثنى إلى حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمامي
وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم
عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة ، فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر
الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه ، وكان يقول ان الليل لى لا يحول بدي وبينه أجد
فيصلى فكان على ذلك الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بامرأة فدخل بها الحمام فغيره
بها الجوارى وقالوا له انت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستجيبا ابن الملك بعد أن
سبه وانتهره ولم يلتفت إليهم ثم لهما دخلا معاً فأتا جميعاً في الحمام فأثنى الملك
وقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه فقال من كان بصحبته فسموا
الفتية فالتسوا فخرجوا من المدينة فرروا بصاحب لهم في زرع وهو على مثل إيمانهم
فذكروا أنهم التسوا فالطلق معهم ومعه كلبه حتى آواهم الليل إلى الكهف فدخلوا
وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرِب الله على
آذانهم فخرج الملك في أصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كلما
أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أربع فلم يظن أن أحد يدخله فقال قائل أليس
لو كنت قدرت عليهم فقتلتهم ، قل بلى قال فأب عليهم باب الكهف وأتركهم فيه
يموتوا عطشاً وجوعاً ففعل ذلك ومضى زمان بعد زمان ثم ان راعياً أدركه المطر
عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت فيه غنمي من المطر فلم
يزل يعالجه حتى فتح الباب ورد الله إليهم وأرواحهم من القبر حين أصبحوا .

وقال محمد بن إسحق . مرج أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطفئت فيهم
الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبخوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون
بعبادة الله تعالى وتوحيده فكان من فعل ذلك من ملوكهم ملك الروم يقال له
ذقيانوس كان عبد الاصنام وذبج للطواغيت وقتل من خالفه في ذلك من أقام على
دين المسيح وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها أحداً بدين المسيح إلا

فقتله حتى نزل مدينة أصحاب السكف وهي أفسوس فلما نزلها كبر ذنوبه على أهل الإيمان فاستخلفوا وهربوا في كل ناحية ودقيانوس قد أمر حين دخلها أن يتبع أهل الإيمان فيجمعوا إليه واتخذوا شرطاً من كمار أهلها وجعلوا يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم فيخرجونهم إلى دقيانوس فيقدمهم إلى الجامع الذي يذبح فيه للطواغيت فيخبرهم بن القتل وعبادة الأوثان والذبح للطواغيت فمن القوم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد الله سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون.

فلما رأى ذلك الفتية حزتوا حزناً شديداً فقاموا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتعديس والدعاء وكانوا من أشرف الروم وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون (ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً) ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين الفتية وارفع عنهم هذا البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك .

فبينما هم على ذلك إذ أدركهم الشرط وكانوا قد دخلوا في مصلى لهم فوجدوهم سجوداً على وجوههم يبتكون ويتضرعون إلى الله تعالى ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وقتلته فلما رأيهم أولئك الكفرة قالوا لهم : ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا إليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم إلى دقيانوس فقلوا نجمع الجميع هؤلاء الفتية أهل بيتك يسخرون منك ويعصونك فلما سمع ذلك خيرهم إما أن يذبحوا لألهتهم كما ذبح غيرهم من الناس وإما أن يقتلهم الملك مكسليهم وإن كان أكبرهم إن لنا إلهاً ملائكة السموات والأرض عظمة لن ندعو من دونه إلهاً أبداً وإن نفر بهذا الذي تدعو إليه أبداً ولما سمعوا نعت ربنا الذي له التمجيد والتكبير والتسبيح والتعديس من أنفسهم خالصة أبداً وإياه نعبد وإياه نسأل الفجأة والخير وأما الطواغيت فلن نعبد لها أبداً فاصنع بنا ما بدا لك . ثم قال أصحاب مكسليهم دقيانوس مثل ما قال له قالوا فلما قالوا له ذلك أمر بهم فززع ملبوساً كان عليهم

من ملبوس عظمائهم ثم قال لهم لاسكم اذا فعلتم ما فعلتم ساؤخركم وانفرغ لاسكم ما وعدتكم من العقوبة ما ينبغي ان اعجل لاسكم ذلك لاني اراكم شباباً حديثي أسنانكم فلا احب ان اهلككم حتى اعجل لاسكم ذلك أجلاً فتراجعوا فيه عقولكم ثم امر بحلية كانت معهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم أمر بهم فأخرجوهم من عنده وانطلق دقيانوس إلى مدينته سوى مدينتهم التي هم بها قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية ان دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدومه وخافوا إذا قدم مدينتهم ان يذكرهم فأتمروا ان يأخذ رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة يقال له بالجلوس فيسكنون فيه ويعبدون الله تعالى حتى إذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما يشاء .

فلما قال ذلك بعضهم لبعض عهد كل فتى منهم إلى بيت أبيه وأخذ نفقة فيصدقوا منها وانطلقوا بما بقي معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان لأحدهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبشوا فيه .

رجعنا إلى حديث ابن إسحق . فلبشوا في ذلك الكهف ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له تمليخا فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرّاً وكان من أجلهم وأجلهم فكان تمليخا يصنع ذلك فإذا دخل المدينة يصنع ثياباً كانت عليه حسناً ويأخذ ثياباً كثياب المساكين الذين يستطعمون فيه ثم يأخذ درهما فينطلق إلى المدينة فيشتري طعاماً وشراباً ويستمع ويتجسس لهم الخبر هل يذكرونهم بشيء ثم يرجع إلى أصحابه فلبشوا كذلك ما لبشوا . ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر العظماء فذبحوا للطواغيت فنزع من ذلك أهل الإيمان . وكان تمليخا بالمدينة يشتري طعاماً فرجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام فأخبرهم ان دقيانوس دخل المدينة ولأنهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة لينذبحوا للطواغيت فلما أخبرهم بذلك فزعوا ووقعوا سجداً يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ويتعوذون به من الفتنة .

ثم جلسوا يتحدّثون ويتدارسون ويذكرون بعضهم بعضاً فبينما هم كذلك إذ ضرب الله على آذانهم في السكف وكلبهم بأسط ذراعيه بالوصيد بباب السكف فأصابه ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتبسهم فلم يجدهم فقال لبعض قومه لقد ساءنى شأن هؤلاء النتية الذين ذهبوا لقد كانوا يحسبون لى غضبان عليهم بحملهم ما جعلوا من أمرى فإنى لا أغضب عليهم إذا تابوا وعبدوا آلحق فقال عظماء المدينة ماأنت بحقيق أن ترحم قوما مردة عصاة مقيمى على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاءوا لرجعوا إلى ذلك الأجل والكنهم لم يتوبوا .

فلما قالوا له ذلك غضب غضباً شديداً ثم أرسل إلى آبائهم فسألهم عنهم وقال أخبرونى عن أبناءكم المردة الذين عصونى فقالوا له أما نحن فلم نصلك ولم تقتلنا بقوم مردة لأنهم خالفونا وانطلقوا إلى جبل يسمى ناجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدرى مايصنع بالفتية فألقى الله فى نفسه أن يأمر بالسكف فيسند عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم ويجعلهم آية لامة تستخلف بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، فأمر دقيانوس بالسكف أن يسند عليهم وقال دعوهم كما هم فى السكف يعوتون جوعاً وعطشاً واسكن كفهم الذى اختاروه قبراً لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون مايصنع بهم وقد توفى الله ارواحهم وفاه النوم وكلبهم بأسط ذراعيه بالوصيد بباب السكف وقد غشيه ماغشيههم يقلعون ذات اليمين وذات الشمال ، قال ثم إن رجلين مؤمنين كانا فى بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما لاسم أحدهما تندروس والآخر روباس اتتمرا أن يكتمبا شأن الفتية وأنسابهم وأسمائهم وخبرهم فى لوح من رصاص ويجعلاه فى تابوت من نحاس ويجعلان التابوت فى البنيان وقال لعل الله أن يطالع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليه خبرهم حين يقرأ هذا اللوح ففعل ذلك وبنيأ عليه فتية دقيانوس ما يقى ومات قومه ومات قرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك .

ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقى في ملكه ثمانية وثمانين سنة فتمحزب الناس في ملكه أحزاباً منهم من أومن بالله العظيم ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فشكا إلى الله وتضرع إليه وحزن حزناً شديداً لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق وإنهم يقولون لا حياة إلا الحياة الدنيا وإنما نبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد وأما الجسد فيأكله التراب ونسوا ما في الكتاب .

فلما رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته فأغلقه عليه ولبس مسحاً وجعل تحته رماداً فدأب ليله ونهاره يتضرع إلى الله ويبكى بما يرى فيه الناس ويقول أى ربي قد ترى اختلاف هؤلاء ؟ فابحث لهم آية ثم إن الرحمن الرحيم جل وعز الذي يكره اختلاف العباد أراد أن يظهر الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأنه يستحب لعبده الصالح تندوسيس أن يتم نعمته عليه ولا ينزع منه ملكه ولا الايمان الذي أعطاه وان لا يعبد إلا الله ولا يشرك به شيئاً وان يجمع من كان تبعد من المؤمنين فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى به الكهف وكان اسم ذلك الرجل أرياس أن يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف فيبين به حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين فجعلوا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعوا ما على فم الكهف وفتحوا عليهم باب الكهف وحجبتهم الله عن الناس فيزعمون أن اشجع من يريد أن ينظر إليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كالهم نائماً .

فلما نزع الحجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة والسيادة محي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فراحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يسمتقظون منها إذا أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون بها .

ثم إنهم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذى كانوا يفعلون لا يرون في وجوههم ولا أبصارهم ولا ألوانهم شيئاً ينكرونه إنما هم كهيتهم حين رقدوا برون أن ملكهم

دقيانوس في طلبهم فلما قضاوا صلاتهم قالوا لتلميذا صاحب نفقاتهم ، بين لنا ما الذي قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل لهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا بها حتى تساءلوا بينهم قالوا بعضهم لبعض ، وكم لبثتم . قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ، وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تلميذا التستم في المدينة لتذبحوا للطواغيت أو تقتلوا قالوا فما شاء الله بعد ذلك قعل . فقال مكسليمينا . يا إخوتاه اعلّموا أنكم ملاقوا الله تكفروا به بعد إيمانكم إذا دعاكم غداً .

ثم قالوا يا تلميذا انطلق إلى المدينة فنسمع ما يقال عاينها اليوم والمطف ولا تشعرون بك أحداً وابتع لنا طعاما واثقنا به وزدنا عل الطعام الذي جئتنا به أمس فإنه كان قليلا وقد أصبحنا جوعا ففعل تلميذا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها ثم أخذ ورقة من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربيع فانطلق تلميذا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى حجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستخفيا بعيداً عن الطريق تخوفاً أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به إلى دقيانوس الجبار ولا يشعر العبد الصالح أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك ثلثمائة سنة ، فلما رأى تلميذا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق الباب علامة لأهل الإيمان فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفيا فظريمتاً وشمالاً لأنه ترك ذلك الباب وتحول إلى باب آخر من أبوابها فنظر فرأى مثل فجعل يتخيل له أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى ناسا كثيرين محدثين لم يكونوا قبل ذلك فجعل يمشي بين بين أطر أهل سوقها وهو يسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام مسنداً ظهره إلى جدران المدينة وهو يقول في نفسه هم هذه ليست بالمدينة التي أعرفها فإني اسمع كلام أهلها ولا أعرف واحداً منهم والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالخيران ولا يتوجها وجهها ، ثم إنه لقي فـ

أهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى ؟ فقال أفسوس في نفسه لعل بى مسأ
او أمرا اذهب عقلى والله يحق على أن أبادر الخزوج منها قبل أن يصيبنى شر فأهلك
هذا ما يحدث به تملينا اصحابه حتى يبين لهم ما فيه ، ثم افاق وقال والله لو عجالت
الخروج من المدينة قبل أن يفتن بى فسكران اكيس لى فدنا من الذين يبيعون الطعام .

ثم أخرج الورقة التي كانت معه فأعطاه رجل منهم وقال يا عبد الله بعنى بهذه
طعاما فأخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها فتهيج منها ثم طرحها إلى
رجل من اصحابه فنظر إليها ، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل فيتعجبون
منها ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد أصاب كنزاً
في الأرض من زمان طويل فلما رأهم يتشاورون من أجله فرق فرقاً شديداً فجعل
يزعد ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه ولأنهم يريدون ان يذهبوا به إلى ملكهم
دقيانوس قال وجعل أناس آخرون يأتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق
اتفصلوا قد أخذتم ورقى فأمسكتموها فلا حاجة لى في طعامكم فقالوا يا فتى فن انت
وما شأنك ؟ فلما سمع قولهم عجب في نفسه ثم قال قد وقعت في كل شيء أحذر
منه ثم قالوا والله يا فتى لك لا تستطيع ان تسكن ما وجدت ولا تظن في نفسك ان
تستخفى عليك فتجبر في نفسه وليس يدري ما يقول لهم وما يرجع إليهم وفرق
حتى ما يخبرهم بشيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وطوقوه في عنقه ثم جعلوا
يقودونه في سكك المدينة مكبلا حتى سلح به من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنزاً
فاجتمع عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون إليه ويقولون والله
ما هذا الفتى من أهل المدينة وما رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تملينا وما يدري
ما يقول لهم مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم يتكلم ولو قال
لأنه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقناً أن أباه وإخوته في المدينة وأن حسبه
في أهل المدينة من عظماء أهلها وأنه لا يعرف اليوم من أهلها أحداً فيبينها هو قائم
كالخيران ينظر متى يأتيه بعض أهله فيخاطبه من أيديهم ، فبينما هو كذلك إذ

قد اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومديريها وهما رجلان صالحان لاسم
أحدهما ارموس والآخر اسطيوس .

فلما انطلقوا به ظن تملیخا أنهم انطلقوا به إلى دقيانوس الملك فجعل يلتفت
يميناً وشمالاً وجعل الناس يستخرون منه كما يستخرون من المجنون والهيران فجعل
تملیخا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم إله السموات والأرض أفرغ
تلى اليوم صبراً وأولج معي روحاً منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي
ويقول في نفسه فرق بيني وبين إخوتي باليتيم يملعون ما لقيت فيأتون فقوم
جميعاً بين يدي هذا الجبار فإننا كنا قد توافقنا لنبكون معاً لأنكفر بالله ولا نتفرق
في موت ولا في حياة أبداً حتى انتهى إلى الرجلين الصالحين ارموس واسطيوس .

فلما علم تملیخا أنه لم يذهب إلى دقيانوس أفاق وسكن ما به فأخذ ارموس
واسطيوس الورق ونظرا إليهما وعجبا منها ثم قال أحدهما أين السكندر الذي
وجدت يافتي ؟ فقال ما وجدت كنتز وإنما هذه الورق ورق آبائي ونقش هذه
المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم فقال
أحدهما من أنت ؟ فقال له تملیخا قال فن أبوك ومن يعرفك بها ؟ فأنبأهم باسم
أبيه فلم يجدوا أحداً يعرفه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم
يدر تملیخا ما يقول غيره ثم انه نكس بصره إلى الأرض ، فقال بعض من حضر :
هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنهم يحقق نفسه عمداً لكي ينفلت
منكم فقام أحدهما وانظر إليه نظراً شديداً وقال له اظن أنا رسلك ونصدقك بأن
هذا مال أبوك واضرب هذه الورق ونقشها أكثر من ثلثمائة سنة أنت غلام شاب
اظن ان تأفكنا وتسخر بنا ونحن سمط كما ترى وحولك سراة هذه المدينة
وولاية أمرها وخزائن هذه البلد بايدنا وليس عندنا من هذا الضراب درهم ولا دينار
لأعذبك عذاباً شديداً ثم أوثقك حتى تعرفني هذا السكندر الذي وجدت ، فلما قال
له ذلك قال تملیخا انبئوني عن أسألكم عنه فإن فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا

سل لانكتمك شيئاً قال ما فعل بالملك دقيانوس ؟ فقال له تملينا فوالله ما أجد من الناس أحداً يصدقنى على ما أقول لقد كسنا فتية وإن الملك دقيانوس أكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبقنا فلما انتهينا نخرجت لأشترى لأصحابى طعاماً وأنجسنا الأخبار فإذا كما ترون فانطلقوا معى إلى السكف الذى فى جبل ناجلوس أرىكم اصحابى .

فلما سمع أرموس ما يقول تملينا قال : يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد الفتى فانطلقوا معه يربنا اصحابه فانطلق معه أرموس وأسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو اصحاب السكف لينظروا إليهم وكان الفتية اصحاب السكف ظنوا ان تملينا قد احتسب عنهم لأنه لم يأتهم بطعامهم وشرابهم فى القدر الذى كان يأتى فيه فظنوا انه قد أخذ وذبح به إلى دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفون إذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا انهم رسل الجبار وأنه بعث إليهم ليؤتى بهم فقاموا حين سمعوا ذلك إلى الفلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا نأت أماناً تملينا فإنه الآن بين يدي دقيانوس ينتظر متى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراى السكف ولم يشعروا إلا وأرموس واصحابه وقوف على باب السكف وقد سبقهم تملينا قد دخل عليهم وهو يبكى فلما رأوه يبكى بكوا معه ثم لمنهم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره وقص عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياماً بأمر الله ذلك الزمان كله وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقاً للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر تملينا أرموس فرأى تابوتاً من نحاس محتوماً بخاتم من فضة فقام بباب السكف ، ثم دعا رجلاً من عظماء أهل المدينة ففتحوا التابوت فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيهما أن مكسلينا و تملينا و مرطونس وكشيطونس وداسيوس وتكر يوس وبطيونس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة ان يقتلهم قد دخلوا هذا السكف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالسكف فسد عليهم بالحجارة ولما كننا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم أن عشر عليهم

فلما قرأوه عجزوا وحمدوا الله تعالى الذى أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوساً مشرفة وجوههم لم تبلى ثيابهم فخر أرموس وأصحابه سجدوا وحمدوا الله الذى أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضاً وأنباهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم أن أرموس وأصحابه بعثوا إلى ملكهم الصالح تندوسيس فاعجل لملكك تنظر آية من آيات الله تعالى قد أظهرها الله فى ملكك فاعجل إلى فتية بعضهم الله وقد كان توافهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة فلما أتى الخبر قام من السدة التى كان عليها وقال: أحمدك اللهم رب السموات والأرض تطوات على ورحمتى برحمتك فلم تطفى النور الذى جعلته لأبائى وللعباد الصالح فسطيطوس الملك فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى أنوا الكهف .

فلما رأى الفتية تندوسيس الملك ومن معه فرحوا به وسجدوا سجداً لله على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ثم أعنتهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه ثم إن الفتية قالت لتندوسيس نستودعك الله ونقرأ عليك السلام وحفظك الله وحفظ ملكك وأعاذك من شر الجن والإنس فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أرواحهم قام الملك إليهم فجعل ثياباً عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه فى المنام فقالوا إنا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكننا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يعيشنا الله منه فأمر الملك حينئذ بتواييت من ساج فجعلوا فيها وجههم الله حين خرجوا من عندهم بالربح فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلى فيه وجعل لهم عيداً عظيماً وأمر أن يؤتى كل سنة ، وقيل لأنهم لما أتوا باب الكهف قال تلميذا دعونى أدخل على أصحابى فأبشرهم فدخل وقبض الله روحه وأرواحهم وعسى عليهم مكانهم فلم يفتدوا إليه كما ذكر على بن أنى طالب كرم الله وجهه ؛ فهذا خبر أصحاب الكهف .

(مجلس في ذكر جرجيس عليه السلام)

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبي بإسناده عن وهب بن منبه النخعي قال كان في الموصل ملك يقال له زنانة، وكان ملك الشام كلها ودان له أهلها، وكان جبارا غابيا وكان يعبد صنما يقال له أفلون؛ وكان جرجيس عبدا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حواري عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة؛ وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه يخرج يوما يريد ملك الموصل ومعه مال يريد أن يهديه إليه لئلا يجعل لاحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فجاء وقد برز في مجلس له وأمر بصنمه أفلون فنصب والناس يحرضون عليه وهو يعذب من خالفه بأشواق العذاب وقد أوقد ناراً عظيمة.

فلما رأى جرجيس عليه السلام فزع منه وهاله فعمد إلى المال الذي أراد أن يهديه له فقسمه على أهل ملته حتى لم يبق منه شيء وكره أن يجاهده بالمال فأقبل عليه، وقال له أعلم أنك عبد ملوك لا تملك لنفسك شيئا ولا غيرك وأن لك رباً هو الذي يملكك وغيرك وهو الذي خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضررك وينفعك؛ وإذا قال شيء كن فيكون وإنك إنما عدت إلى خلق من خلقه أصم لا يسمع ولا يبصر ولا يفهم عنك شيئا من الله فزيته بالذهب والفضة وجعلته قنينة أناس ثم عبده من دون الله، فقال الملك له إن سأله عن حاله وأمره ومن هو ومن أين هو، فقال جرجيس أنا عبد الله وابن عبده وابن أذل عباد من التراب خلقت وإليه أصير، فقال له الملك لو كان ربك الذي تزعم كما تقول لرؤى أثره عليك كما رؤى أثرى على من حولي ومن هو في طاعتي فأجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم أمره؛ ثم قال أتعبد أفلون الأصم الأبكم الذي لا يفهم عنك شيئا برب العالمين الذين قامت السموات والأرض بأمره أم تعبد طوفلياً ومائلاً بولايتك فإنه عظيم قومك بما نالك إلياس من ولاية الله تعالى فإن إلياس كان في بدء أمره آدمياً يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق فأكرمه الله تعالى حتى أنبت له الريش وكساه النور فصار

لأنسيا سماويا أرضيا يطير مع الملائكة أم تعدل مخاطيس وما قال بولايتك فإنه عظيم
قومك بالمسيح بن مريم وما نال بولاية الله تعالى فإن الله تعالى فضله على رجال العالمين
وجعله وأمه آية للمعتبرين ، أم تعدل هذه الروح الطيبة التي اختارها بكلمته وفضلها
على إمامه وما نالت بولاية الله بأربيل وما نالت بولايتك حتى اقتحمت السكاب
بيتها فانتحشت لحما وولفت في دمه وأقطعت الذهباع أوصالها فقال له الملك
إنك لتحدثنا بشيء ليس لنا به علم فاثبتنا بالرجلين اللذين ذكرتهما قال إن تراهما
وإن يرباك إلا أن تعمل بعملهما فتتزل منازلهما فقال له الملك أما نحن فقد أعذرتنا
إليك وتبين لنا كذبك لأنك غفرت بأمر عجزت عنها ولم تأت بتصديقها ، ثم
إن الملك خير جرجيس بين العذاب وبين السجود لأفلون فقال له جرجيس إن
كان أفلون هو الذي رفع السماء ووضع الأرض فقد أمسيت ونصحت لي وإلا
فاخسأ أبها النجس الملعون فلما سمعها الملك غضب وشتمه وسب إلهه وأمر بنخشة
فقصبت له وجعل عليها أهشاش الحديد فخدش بها جسده حتى تقطع لحمه وجلده
وعروقه ونضح عليه خلال ذلك بالخل والخردل لحفظه الله من ذلك الألم والهلاك .

فلما رأى الملك أن ذلك لم يقتله أمر بستة مسامير من حديد فأحبت حتى جعلته
نارا فسمر بها رأسه حتى سال دماغه لحفظ من الألم والهلاك فلما رأى ذلك أنه لم
يقتله أمر بحوض من نحاس فاوقد عليه حتى إذا جعله نارا أمرته فادخل في جوفه
واطبق عليه فلم يدل فيه حتى برد حره فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال له جرجيس
ألم تجد ألم هذا العذاب الذي تعذب به ، فقال إن ربي الذي أخبرتك به حمل العذاب
عني وصبرني لأحتج عليك فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخاف على نفسه ومملكه
وأجمع رأيه على أن يخلده في السجن فقال له الملائكة قومه إنك إن تركته طليقا في
السجن يكلم الناس أو شك أن يميل بهم عليك ولكن مر له بعذاب في السجن
فيشغله عن كلام الناس فأمر به فبطح على وجهه ثم أوتده في يديه ورجليه أربعة
أوتاد من حديد وأمر باسطوانه من رخام فوضعت على ظهره ثم لأنه حمل تلك
الاسطوانة ثمانية عشر رجلا فضل يومه موتدا تحت الحجر فلما ادرك الليل أرسل

الله تعالى إليه ملسكا وذلك اول ما ايدته الله تعالى الملائكة واول ما جاء الوحي فقلع عنه الحجر ونزع عنه الاوتاد من يديه ورجليه وأطعمه وسقاه وبشره بالنصر .

فلما اصبح أخرجه من السجن ثم قال له الحق بعدوك فجاهده في الله حق جهاده ، فإن الله يقول لك اصبر وابشر فإنى قد ابتليتك بعدوى هذا سبع سنين يعذبك ويقبلك فيهن اربع مرات وفي كل ذلك أرد إليك روحك فإذا كان في القتلة الرابعة نقلت روحك وأوفيتك اجر ك فلم يشعروا إلا وقد وقف جرجيس على رؤسهم يدعوهم إلى الله تعالى فقال له الملك يا جرجيس من أخرجك من السجن فقال أخرجنى الذى سلطانه فوق سلطانتك فلما قال له ذلك مله غيظا ودعا بأصناف العذاب وقال لهم الملك مدوه بين خشبتين فمدوه ثم انهم وضعوا سيفها على مفرق رأسه فدشروه حتى سقط من بين رجليه وصار جزمين ثم عمدوا إلى أجزائه فقطعوها قطعا ودعوا له سبعة أسود ضارية كانت له في جيب وكانت صنفها من اصناف عذابه فرموا بجسده إليها فلما هوى نحوها امر الله عز وجل شخصعت برؤوسها وأعناقها وقامت على براثنها تقيسه الام فظل يومه ذلك ميتا وكانت أول موته ماتها ، فلما ادركه الليل جمع الله جسده الذى قطعه وضم بعضه إلى بعض حتى سواه ثم رد الله إليه روحه وأرسل إليه ملسكا فأخرج من الجلب فأطعمه وسقاه وبشره بالنصر ، فلما أصبحوا قال له الملك يا جرجيس قال ابيك قال له : اعلم ان القدرة التى خلق الله بها آدم هى التى أخرجتك من الجلب اخرج فالحق بعدوك وجاهده في الله حق جهاده وموت الصابرين ، فلم يشعر الملك واصحابه الآخرون إلا وقد أقبل جرجيس وهم عجوف على عيد لهم قد صنعوه فرحا بموت جرجيس ، فلما نظروا إلى جرجيس مقبلا قال الملك ما أشبه هذا الرجل بجرجيس فقالوا كأنه هو ، فقال الملك ليس هو حقا ألا ترون إلى سكون ريشه وقلة هيئته فقال جرجيس بلى هو فبئس القوم انتم قتلتم ومثلتم فاحيانى الله تعالى بقدرته فهللوا إلى الرب العظيم الذى اراكم ما اراكم فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم إلى بعض وقالوا ساحر سحر اعينكم فجمعوا له من كان ببلاد الملك من

السحرة فلما جاء السحرة قال الملك لمكبيرهم أعرض على من كبير سحر ك مايسر عيني فقال ادع لي بشور من البقر فلما اتى به نفث في إحدى اذنيه فانشقت اثنان ثم نفخ في الاذن الاخرى فإذا هو ثوران ، ثم دعا بهنذر فخرث وبذر ونبت الزرع وحصد ثم درس وذرى وطحن وعجن وخبز كل ذلك في ساعة واحدة وهم يرون : فقال له الملك هل تقدر ان تمشي لي جرجيس دابة ، فقال الساحر ادع لي بقدح من ماء ، فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه ان يشربه فشر به جرجيس حتى اتى على آخره ؛ فلما فرغ منه قال له الساحر ماذا تجد ، قال ما اجد الا خيرا كنت قد عطشت فعطف الله لي بهذا الشراب وقواني به عليكم فلما قال ذلك اقبل الساحر على الملك وقال له ؛ اعلم ايها الملك انك كنت تقايس رجلا مثلك . إذا لكنت غلبته ، ولكنت تقايس جبار السموات والارض وهو الملك الذي لا يرام .

١ وقد كانت امرأة مسكينة من أهل الشام قد سمعت بجر جيس وما يصنع من لاعايب فأتته فقالت له يا جرجيس أنا امرأة مسكينة ولم يكن لي مال الا ثوران كنت أحرث عليهما فانا فجعناك لترحمي وتدعو الله أن يحيي لي ثوري فلما سمع كلامها ذرفت عيناه ثم دعا الله أن يحيي لها ثورها ثم إنه أعطاها عصا وقال لها اذهبي إلى ثوريك فاقرعيهما بهذه العصا وقولي لهما احيا يا الله تعالى فقالت يا جرجيس إن ثوري قد مات منذ سبعة أيام ومزقتهما السباع وبينى وبينهما أيام فقال لها لو لم تجدى منهما الا شيئا يسيرا وقرعته بالعصا فلنهما يقومان ياذن الله تعالى فانطلقت المرأة حتى اتت مصرعهما وكان أول شيء بدت لها من ثورها ذقن احدهما وشعر أمهني الآخر فجمعت احدهما إلى الآخر وقرعتهما بالعصا وقالت كما امرها فقام الثوران ياذن الله تعالى ؛ قال رجل من اصحاب الملك وكان أعظمهم عند الملك لانهم قد وضعتم أمر هذا الرجل على السحر ولما نك قد عذبتموه فلم يصل إليه عذابكم وقتلتموه فلم يمت فهل رأيتم ساجدا يذرك عن نفسه الموت أو أحيا ميتا فقط فقالوا إن كلامك بكلام رجل صبا إليه فلعله استهواك إلى

هذه آمنت بالله واشهد أنى برىء مما تعتقدون فقام إليه الملك واصحابه
فألقوا جراحاً فقتلوه .

فلما رأى القوم ذلك اتبع جرجيس أربعة آلاف آمنوا فعمد إليهم الملك فلم
يزل يعذبهم بألوان العذاب حتى أفتناهم فلما فرغ منهم قال لجرجيس هل ادعوت ربك
فأجابك أصحابك هؤلاء الذين قتلوا بجزيرتك فقال جرجيس ما خلى يمينى وبينهم
حتى حانت آجالهم فقال لهم رجل من عظمائهم يقال له تخليطش إنك زعمت يا جرجيس
إن إلهك هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ؛ وإنى سألتك أمراً إن فعلته آمنت بك
وصدقت وكفيتك ؛ نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيّاً وهذه مائدة بيننا عليها
أقداح وصحاف من اشجار شتى فادع ربك بنشئ هذه الكراسى والاوائى كما
بدأها أول مرة تعود خضراء فيعرف كل عود منها أنبوتة ورقه وزهره فقال له
جرجيس : لأنه على الله لهين فدعا الله عز وجل فأبرحوا من مكائهم حتى اخضرت
تلك الكراسى والاوائى كلها وأورقت وازهرت واثمرت فلما نظروا إلى ذلك
انتدب لهم تخليطش الذى تمنى عليه ما تمنى فقال انا اعذب لىكم هذا الساحر عذاباً
يبطل به كيده ثم لأنه عمد إلى نحاس فصنع منه صورة ثور له جوف واسع ثم
حشاها فقطاً ورصاصاً وكبريتاً وزيغاً ثم ادخل جرجيس مع الحشوش في جوفه
ثم اوقد على الصورة حتى التهب وذاب كل شئ فيها وجرجيس فى جوفها ،

فلما مات جرجيس أرسل الله ريحاً عاصفاً فلات السماء سحاباً أسود فيه رعد
وبرق وصواعق وأرسل الله أعصاراً ملأت بلادهم عجاجاً وقتاماً ، وأرسل الله
ميكائيل فاحتمل الصورة التى فيها جرجيس حتى إذا أقلها ضرب بها الأرض
ففزع من روعها أهل الشام فخرجوا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة
خرج منها جرجيس حياً . فلما وقف يكلمهم انكشفت الظلمة واسفر ما بين
السماء والأرض ورجعت إليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له طولوفليا لا تدري
يا جرجيس إن كنت تصنع هذه الاعاجيب أم ربك . فإن كان ربك هو الذى
يصنع فادعه يحبى لنا موتانا التى فى القبور فإن فيها امواتاً منهم من نعرفه

ومنها من لا يعرفه فقال له جرجيس لقد علمت أن ما يصفح الله عنكم هذا الصفيح ويريك هذه الاعاجيب ثم إنه أمر بالقبور فنبشت وهي عظام رفات وأقبل جرجيس على الدعاء فابرحوا من مكانهم حتى نظروا إلى سبعة عشر إنساناً سبعة رجال وخمس نسوة وثلاثة صبية وإذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس يا شيخ ما اسمك ، فقال يا جرجيس اسمي توبيل قال متى مت ، قال في زمان كذا وكذا فحبسوه فاذا هو مات منذ أربعائة عام ، فلما نظر الملك وأصحابه إلى ما فعل قالوا ما بقي من أصناف العذاب شيء إلا وقد عذبتموه إلا الجوع والعطش فعذبوه بهما فعمد إلى بيت عجوز كبيرة فقيرة كان لها ابن أعشى أصم أبكم مقعد فحضره في بيتها وكانوا لا يوصلون له من عند أحد طعاماً ولا شراباً فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك من طعام أو شراب فقالت لا ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا وسأخرج ألتس لك شيئاً فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى ، قالت نعم . قال إياه تمدين ، قالت لا ، فدعاها إلى الله فصدقته ، ثم لأنها انطلقت تطلب لها شيئاً وكان في بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل خشب البيت فأقبل على الدعاء فأحضرت تلك الدعامة وأنبتت له كل فاكهة تؤكل أو تعرف حتى كان مما أنبتت اللوبيا واللياز وهو مثل البردى ، فأقبلت العجوز وهو فيها شاء يأكل رغدا فلما رأته الذي حدث في بيتها من بعدها قالت آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفي ابني فقال لها أدنيه مني فأدنته فبصق في عينيه فأبصر ونفث في أذنيه فسمع فقالت له أطلق لسانه ورجليه رحمك الله قال لها أخبريه فإن له يوماً عظيماً .

وكان الملك قد خرج يوماً في مدينته إذ وقع بصره على شجرة فقالوا له إن تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع فهو فيما يشاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وردها كما كانت أول مرة فتركوها وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأوتله أربعة أوتاد وأمر بمجمل فأوقد اسطوانة وجعل في أسفل المجمل خناجر وشفار ثم أمر بأربعين ثوراً فنهضت بالمجمل

مهمضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فأمر بقطعة أن تحرق فالقيت في النار حتى عادت رماداً فبعث بذلك الرماد وبعث معه رجلاً فدروه في البحر فما برحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتاً من السماء : يا بحر إن الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من الجسد الطيب فاني أريد أن أعيده كما كان ، ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ثم جمعته حتى صار الرماد صرة واحدة كهيئته قبل أن يذرى فخرج معه جرجيس مغبراً ينفض رأسه فرجعوا ورجع جرجيس وأخبروا الملك فقال له الملك يا جرجيس هل لك فيما هو خير لي ولك وما نحن فيه ولولا أن يقول الناس إنك غلبتني وقهرتني لاتبعثك وآمنت بك ولستك اسجد لافلون سجدة واحدة وأذبح له شاة واحدة ثم إنى أفعل لك ما يسرك فقال له نعم مهما شئت فعلت فأدخلني في صنمك فخرج الملك بقوله أن نظل هذا اليوم ولا نبيت هذه الليلة إلا في بيتي وعلى فراشي وكرامتي حتى تستريح فأخلى له بيته فظل فيه جرجيس حتى إذا أدركه الليل قام يصلي ويقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتاً فلما سمعته امرأة الملك استجاب له فلم يشعر إلا وهي خلفه تبكي فدعاها جرجيس إلى الإيمان فآمنت به وأمرها فكتمت إيمانها فلما أن أصبح الصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها فلما سمعت المعجوز بذلك خرجت تحمل ابنتها على عاتقها وتوبخ جرجيس والناس مشتغلون عنها .

فلما دخل جرجيس بيت الأصنام ودخل الناس معه نظروا وإذا بالمعجوز ولا بنتها على عاتقها أقرب الناس إليه مقاما فلما رآها جرجيس دعا ابن المعجوز بإسمه فناطق وأجابه ولم يتكلم قبل ذلك قط ثم اقتحم عن عاتق أمه يمشى على رجليه ولم يكن يبطأ الأرض قبل ذلك بتقديمه قط ، فلما وقف بين يدي جرجيس قال له اذهب فادع لي هذه الأصنام وهي يومئذ سبعون صنماً على منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعيدون معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف أدعوا الأصنام فقال له قل لها ان جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلقك إلا ما أجبته فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تندحرج إلى جرجيس فما انتهت إليه ركض الأرض

برجله فحسف بها ، وبمنابرها وخرج لإبليس لعنه الله من جوف صمم منها هارباً من الحسف فلما مر بجرجيس أخذ بناصيته فحسف له وكله جرجيس فقال أخبرني أيها الروح النجسة والخلق الملعون ما الذى يملك على أن تهلك الناس معك وأنت تعلم أنك وجندك تصيرون إلى جهنم ، فقال له إبليس لعنه الله لو خيرت بين ما أشرقت عليه الشمس وبين ما أظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بني آدم وضلالته لاخترت هلكته على ذلك كله ولأنه ليقع في من الشهوة واللذة في ذلك جميع ما يذلذ به جميع الخلق ألم تعلم يا جرجيس أنه الله تعالى أسجد لأبيك آدم جميع الملائكة فسجدوا كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه ؛ قال فلم قال هذا خلى سبيله جرجيس .

قال الملك يا جرجيس غررتني وخدعتني وأهلك آلهتى فقال جرجيس ألم تعلمت ذلك لتعتبر وتعلم أنها لو كانت آلهة لدافعت عن نفسها ولما أنا مخلوق ضعيف لا أملك إلا ما ملكتني ربي .

فلما قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكلمتهم وكشفت لهم عن إيمانها وقالت لهم ما تنتظرون من هذا الرجل لإلدعوة فيحسف بكم الأرض كما حسف بأصنامكم اتقوا الله أيها القوم في أنفسكم ، فقال الملك ويحك يا اسكندرة ما أصرع ما أضلك هذا الساحر في ليلة واحدة نقالت أمارأت الله كيف يظفره بك ويسلطه عليك فيكون له الفلاح والحجة في كل موطن .

فلما سمع كلامها أمر بها الملك عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التي كان علق عليها وجعلت عليه الأمشاط التي جعلت على جرجيس ؛ فلما آلمها قالت : ادع ربك يا جرجيس فيخفف عني فاني قد آلمني العذاب فقال لها انظري فوقك فلما نظرت ضحكك فقال لها الملك ما يضحكك ، قالت أرى ملسكين فوقى ومعهما تاج من حلى الجنة ينتظرون خروج روحى ؛ فلما خرجت روحها زينهاها بذلك التاج ثم صعدا بها إلى الجنة ؛ فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعام وقال اللهم انت أكرمتنى بهذا البلا. لتعطينى منازل الشهداء فهذا آخر أيامى الذى كنت

وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا ، اللهم لئني أسألك أن لا تنقبض روحي ولا أزل
من مكاني هذا حتى تنزل هؤلاء المتكبرين من سطواتك ونعمتك ، الا قبل لهم به
حق تشفي به صدري وتقربه عني فانهم ظلموني وعذبوني فيك . اللهم لئني أسألك
أن لا يدعوا بعدي داع في بلاء وكرب فيذكروني ويشدك باسمي الا فرجت عنه
ورحمته وأجبتني شفعتني فيه فلما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فلما
رأوا ذلك عمدوا إليه فضر به بالسيوف غيظا من شدة الحريق ليمطيه الله بالقتله
الرابعة ما رعبه ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رمادا فغلبها الله من
وجه الارض وجعل عاليها سافلها ، وكان جميع من آمن بجرجيس قد قتل وقتل
معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك ، وقال الأستاذ وكانت قصة جرجيس في
أيام ملوك الطوائف والله أعلم .

(باب في قصة شمسون النبي عليه السلام)

أخبرنا عبد الله القاضي بإسناده عن وهب بن منبه ، أن رجلا من أهل قرية من
قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الإنجيل وكانت
أمه قد جعلته نذيرا وكان قومه أهل أوثان يعبدونها من دون الله وكان منزله منها
على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله فيقتل منهم ويسبي ويصيب
الاموال فتعبد وعطش انفجر له من الحجر ماء عذب فيشرب منه حتى يروى
وكان قد أعطى قوة في البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره لجاهدهم في الله
ألف شهر يصيب منهم حاجته فاحتالوا عليه وقالوا لآناتيه إلا من قبل امرأته
لجعلوا لها جملا على ذلك فأجابتهم وقالت أنا أوثقه لكم فأعطوها حبلا وثيقا .
وقالوا لها إذا نام فأوثقي يديه إلى عنقه حتى تأتية فتأخذه فلما نام أوثقت يديه
إلى عنقه بذلك الحبل ، فلما انقبه من نومه جذبته بيديه فوقع من عنقه فقال لها لم
فعلت ذلك فقالت له أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فارأيت لآنيهم وقالت
لهم لئني قد ربطته بالحبل فلم يغن عنه شيئا فارسلوا إليها بجماعة من حديد وقالوا
لها إذا نام فأجعلها في عنقه فلما نام جعلتها في عنقه ثم أحكمتها . فلما هب جذبها

فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت أجب به قوتك ما رأيت مثلك
قط فعمل في الأرض شيء يغلبك قال لا إلا شيء واحد قالت وما هو . قال ما أنا
بمخبرك به فلم تزل تسأله حتى قال لها ويحك إن أمي كانت أخبرني أن لا يغلبني
شيء أبدا ولا يغلبني إلا شعري فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بشعر رأسه فوقفه
ذلك فبعثت إليهم فجاءوا وأخذوه فجدعوا أنفه وأذنيه وفقدوا عينيه وأوقفوه
بين ظهري المدينة وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا إلى شمسون
وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به وأوقفوه عل الناس أن يسلطه عليهم
فامر أن يأخذ بعمودين من عمد المدينة التي عليها الملك والناس معه فيجذبهما جميعاً
فجذبهما فانهارت المدينة بمن فيها فهلكوا فيها هدماً وهلكت أيضاً امرأته معهم
ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تاماً وعاد كما كان وكانت قصة
شمسون في أيام ملوك الطوائف والله أعلم .

(باب في قصة أصحاب الاختدود)

قال الله تعالى (قتل أصحاب الاختدود النار ذات الوقود) الآيات وروى عن
عطاء عن ابن عباس أنه كان بنجران ملك من ملوك حبر يقال له يوسف ذونواس
ابن سرحيل في الفترة قبل مولد النبي ﷺ بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما
كبر قال للملك إنى قد كبرت . فأبعث لي غلاماً يعلم السحر فبعث إليه غلاماً يقال
له عبد الله بن السامر يعلم السحر فذكره الغلام ذلك فجعل يتخلف عن الساحر
وكان في طريقه راهب حسن القراءة وحسن الصوت فتعد الغلام عنده وسمع
كلامه فأعجبه وكان يبطله عند الراهب ويأبى المعلم فيضربه ويقول له ما أبطاك .
فشكا الغلام ذلك إلى الراهب فقال له الراهب إنى أتيت المعلم فقل حبسنى أنى
وكان في تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فربها الغلام ورماها
بحجر وقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتلها فلما
رماها قتلها فأتى الراهب وأخبره فقال الراهب أنت قتلتها ؟ قال نعم قال إن لك لشأناً

وقد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستقبل فإذا ابتليت فلا تدل على فيكان الغلام يرى
الأكمة والابرص ويشفي المرضى .

وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقوله الحية ، فجاءه مع
قائد وقال له . أنت قتلت الحية ؟ قال لا . قال فمن قتلها ؟ قال الله تعالى ، قال
فمن الله قال رب السموات والأرض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل
والنهار والدنيا والآخرة ، قال إن كنت صادقاً فادع الله أن يرد على بصري فقال
له الغلام أرايت إن رد الله عليك بصرك تؤمن بالله . قال اللهم إن كان صادقاً
فأردد عليه بصره فرجع إلى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه
وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله ؟ قال رب السموات والأرض
فقال له الملك أخبرني من علمك هذا ؟ فأبى فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام
فجىء بالغلام فقال له الملك يا بني قد بلغ من سحرِكَ هذا ، فقال له الغلام إني
لا أشفي أحداً وإنما يشفي الله فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجىء بالراهب
فقيل له ارجع عن دينك فأبى ثم جىء بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك
فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسهم فشققهم ثم انفتحت إلى الغلام وقال له ارجع
عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا
فذهبوا به إلى جبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا
ثم جاء الغلام يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك بك فقال كفانيهم الله
ففاظ المملك ذلك فدفعه إلى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به في قرقر وهي
السفينة واطرحوه في البحر ولججوا به فيه فإن رجع عن دينه وإلا فاقتلوه في
البحر وأغرقوه فذهبوا به إلى البحر ، فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت
فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك ،
قال كفانيهم الله ، فقال له الملك اقتلاه بالسيف فبنا السيف عنه ، وفشا خبره في
الأرض وعرفه الناس وعظموه وعلّموا أنه وأصحابه على الحق ثم إن الغلام قال
للملك إنك لا تقدر على قتلي إلا أن تفعل ما أمرك به فقال وما هو ، قال تجمع

أهل ملكيتك وأنت على سريرك فتصلبني على مجذع وترميني بسهم وتقول باسم الله رب الغلام ، ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال باسم الله فأصابه في صدغه فوضع يده عليه ومات ، فقال الناس لآله إلا الله آمنا بدين عبد الله بن السامري ولادين إلا دينه ، فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك وأغلق أبواب المدينة وأخذ أفواه السكك وخدد أخذودا وملاء ناراً ثم عرض الناس عليه رجلاً رجلاً فن رجع عن الإسلام تركه ومن لم يرجع ألقاه في الأخدود فاحترق وكانت امرأة قد أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أولاد أحدهم رضيع فقال لها الملك أترجمين عن دينك وإلا ألقيتك أنت وأولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الأكبر والواوسط فالقى في النار ثم أخذ الرضيع وقال لها ارجعي فأبت فأمر بإلقائه في النار فهتت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي الصغير يا أماه لاترجعي عن الإسلام فإنك على الحق ولا بأس عليك فالقى الصبي في النار وأمه على أثره وقد روى هذا بنحو ما ذكرناه مرفوعاً عن رسول الله ﷺ .

أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور بإسناده عن صهيب عن رسول الله ﷺ بمثل معناه « وقد تكلم ستة في المهد شاهد يوسف الصديق عليه السلام وابن ماشطة بذت فرعون ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الأخدود »

وقال سعيد بن المسيب : كنا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذ ورد عليه كتاب أنهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهر واضع يده على صدغه فكلماهم يده عادت إلى الصدغ فكتب إليهم عمر واروه حيث وجدتموه وقال مقاتل كان أصحاب الأحاديث ثلاثة : واحد بنجران اليمن وآخر بالشام وآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذى بالشام فانطياخوش الرومى أحرق قوماً من المؤمنين وأما بفارس فهو بختنصر ، وكانت قصته ما أخبرنا عبد الله بن حامد بإسناده عن ابن أروى قال لما هزم المسلمون أهل الاسفندهار وانصرفوا جاءهم نعي عمر . فاجتمعوا وقالوا أى شيء تجرى على الجوس من الأحكام فإنهم ليسوا بأهل كتاب وليسوا من مشركى

العرب ، فقال على كرم الله وجهه ؛ بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابتهم ، وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولوا ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول أخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي أتيت به وما المخرج منه ؟ فقالت المخرج منه أنك تخطب الناس فنقول ؛ أيها الناس إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات إذا ذهب هذا في الناس تناسوا ما حرمتهم عليهم ، فقام فيهم خطيبا فقال ؛ أيها الناس إن الله قد أحل لكم نكاح الأخوات ، فقال الناس بأجمعهم ؛ معاذ الله أن نؤمن بهذا ما جاءنا بهذا نبي ولا أنزل علينا في كتاب فرجع إلى أخته وقال ويحك إن الناس قد أبوا علي فقالت ابسط فيهم السوط فأبوا أن يقربوا له فقال لها إن الناس قد أبوا فقالت جرد فيهم السيف فأبوا أن يقربوا فقالت خذ لهم الأخدود ثم اعرضهم عليه فن تابعت حل عنه ومن أنى قذفه في النار فأخذ الأخدود وأوقد فيه النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فن أنى قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله فأنزل الله تعالى فيهم (قتل أصحاب الأخدود) إلى قوله تعالى (عذاب الحريق) وأما الذي في الذين هم يوسف ذو نواس بن شراحيل بن تبع بن يشرخ الحميري ، وقال مقاتل إنما قذف في النار يومئذ سبعة وسبعين إنسانا ، وقال الكلبي كان أصحاب الأخدود سبعين ألفا فلما قذفوا المؤمنين في النار خرجت النار إلى أعلى شفير الأخدود فأحرقتهم وارتفعت النار فوقهم لمائتا عشر ذراعا ونجا ذو نواس فسلط الله عليهم أرباطا الحديد حتى غلب على الذين فخرج هاربا فاقترع البحر فأغرقه الله فيه ، وفيه يقول عمرو بن معديكرب ؛

أتوعدني كأنك نور عيني	بأنهم عيشة أو ذو نواس
وما قد كان قبلك في نعيم	وملك ثابت في الناس رواي
فقدت عهد من عهد عاد	عظيم قاهر الجبروت قاسي
فأمسى أهله بادرا وأمسى	ينقل في أناس من أناس

(باب في قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الغرض)
(والشرف لنبينا محمد ﷺ)

قال الله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) قال محمد بن إسحق بن
إسحاق كان من حديث أصحاب الفيل ما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير
وعكرمة عن ابن عباس وعن بقى من علماء اليمن وغيرهم أن ملكاً من ملوك حمير
يقال له زرة ذو نواس كان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك إلا ما كان
من أهل نجران فإنهم كانوا على دين النصرانية على حكم الإنجيل ولهم رأس يقال
له عبد الله بن السامر فدعاهم إلى اليهودية فأبوا فخرهم فاختاروا القتل فنهزم من
قتل صبراً ، ومنهم من ألقى في النار لإلراجلا من أهل سبأ يقال له دوس بن ثعلبان
فذهب على فرس له يركض حتى أعجزهم في الرمل فأتى قيصر فذكر له ما بلغ منهم
واسأله فقال له بعدت بلادك عنا وامكني أكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على
ديننا قيصر فكاتب له وبعث معه رجلاً من الحبشة يقال له إرياط فلما بعثه قال
له إن دخلت اليمن فاقتل ملك رجالها وانخرب بلادها وابعث إلى بثلث سبأ ياها
لما دخلها ناولهم القتال فنعوا قوا عن ذي نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به
البحر فملكها جميعاً فكان آخر العهد به ، ودخلها إرياط فعمل بما أمره النجاشي
فقال ذو جدرن الحميري فيما أصاب أهل اليمن :

دعيني لا أناك لم تطبق	لحاك الله قد أنزفت ريقى
بذا عزف القيان إذا أنشأ	إذا تسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس على عار	إذا لم يشكيني فيها رفيقى
وإن الموت لا ينهائاه	ولو شرب الشفاء من النشوق
ولا مترهب في أسطوان	يناطح جلده بيض الانوق
وغمدان الذى نبت عنه	ينوء ممسكا في رأس نيق
لمتهمه وأسفله حروث	وجر الموجل اللشق الزليق
مصاييح السليط يلحن فيه	إذا يمسي كومضان البروق

فأصبح بعد جدته رماداً وغير حسنه لهب الحريق
ونخلته التي غرست لآلهه يكاد اليسر يهصر بالمعذوق
وأسلم ذو نواس مستبينا وحذر قومك صنيك المضيق
قال ؛ فأقام لإرباط باليمن وكتب لآليه النجاشي أن اثبت بجندك ومن معك حينما
ثم أن أبرهة بن الصباح ساخطه في أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت معه
طائفة ومع أبرهة طائفة ثم تزاحفا فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى
لإرباط وكان لإرباط جسيما عظيما وسيما في يده حربة ، وكان أبرهة رجلا قصيرا
حاذرا لحما وكان ذا دين في النصرانية وكان خلف أبرهة وزيراً يقال له عنودة
فلما دنوا رفع إرباط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جنبه فشرمت
عينيه وجبينه وأنفه وشفته فلذلك سمي أبرهة الأشرم ، فلما رأى عنودة ذلك حمل
على إرباط فقتله فاجتمع الجيش على أبرهة فبالغ النجاشي ما صنع أبرهة فغضب
عليه وحلف لا يدع أبرهة حتى يعجز ناصيته ويطأ بلاده ، ثم إنه كتب إلى أبرهة
إنك عدوت على أميرى فقتلته بغير أمرى ، وكان أبرهة رجلا مارداً ، فلما بلغه
قول النجاشي حلق رأسه وملا جرابا من تراب أرضه وكتب إلى النجاشي ؛ أيها
الملك إنما كان لإرباط عبدك وأنا عبدك اختلفنا في أمرك وكتب أعلم بأرض الحبشة
وأسوس لها وكتب أردته أن يعتزل في فقلته ، وقد بلغني الذي خلف عليه الملك
وقد حلق رأسى وبعثت به إليك وملا جرابا من تراب أرضى وبعثته إليك
ليطأه الملك ليبر قسمه فلما انتهى إليه ذلك رضى عنه وأقره على عمله وكتب لآليه
بأن اثبت بمن معك من الجند ، ثم أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال لها القليس ،
ثم كتب إلى النجاشي إنى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم بين الملك مثلها قط است
منتهيا حتى أصرف لآليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بنى مالك بن كساعة
فخرج إلى القليس ، فدخلها ابلا فحذر فيها تهونا بها وتغضبها للسكبة فبلغ ذلك
أبرهة ، ويقال إنه أنها ناطرا لآليها فدخلها فوجد القذرة فيها ، فقال من اجترأ
على هذا ؟ فقيل فعل هذا رجل من العرب من أهل ذلك البيت الذى يحجونه سمع
بالذى قلت فصنع هذا فحلف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى السكبة حتى يهدمها ،

فخرج سائراً من الحبشة إلى مكة وأخرج معه الفيل ، فبلغ ذلك العرب فأعظموه ورأوا جهاده حقاً عليهم فخرج ملك من ملوك حمير يقال له ذو نفر بن أطاعة من قومه فهزمه وأخذ ذو نفر فأنى به إلى أبرهة فقال له أيها الملك لا تقتلنى فإن استبقاه لكى خير لك من قتلى ، فاستجياه وأوقفه وكان أبرهة رجلاً حليماً ثم خرج سائراً حتى إذ دنا من ديار خثعم خرج إليه نضيل بن حبيب الخثعمى فى قبيلته خثعم وهما شهران وناهش ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نضيل أسيراً فقال أيها الملك إن دليلك بأرض العرب فلا تقتلنى فاستبقاه وخرج معه يده حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث الثقفى فى رجال من ثقيف وقال له ؛ أيها الملك إنما نحن عبيدك فإن كنت تريد البيت الذى بمكة فنحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولاهم فخرجوا حتى إذا كانوا بالمغمس مات أبو رغال فهو الذى ترجم قبره العرب وبعث أبرهة من المغمس رجلاً من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على مقدمة خيله فجمع إليه أموالاً وأصاب لعبد المطلب جد رسول الله ﷺ مائتى بعير ثم أن أبرهة بعث حناطة الحميرى إلى أهل مكة سفيراً فقال له سل من شريفها ثم أبلغه أنى لم آت لقتال إنما جئت لهدم هذا البيت فانطلق حناطة حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال له ؛ إن الملك أرسلنى إليك لأخبرك أنه لم يأت للقتال إلا أن تقاتلوه إنما أنى لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب سنخلى بينه وبين ما جاء له فإن هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام فإن يمنعه فهو بينه وحرمة وإن يخل بينه وبين ذلك فهو كذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معى إلى الملك .

زعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة وكان راكباً عليها وركب معه بعض بنيهِ حتى قام المعسكر وكان ذو نفر صديقاً لعبد المطلب فأناه فقال له يا ذو نفر هل عندك من عناء فيما نزل فقال له ما عناء رجل أسير لا يأمن من أن يقتل بكرة أو عشية لكن سأبعث لك أنيس سائس الفيل فإنه صديق لى فاسأله أن يصنع لك عند عند الملك ما استطاع إليه من الخير ويعظم منزلتك وحظك عنده فأرسل إلى أنيس

فأتاه ، فقال له إن هذا سيد قریش صاحب عیر مکه يعطى ويطعم الناس من السهل والجبل والوحوش والطير في رموس الجبال ، وقد أصاب الملك ما تنى بعير ، فإنه استطاع أن تنفعه عنده فهو صديق لى وإنى أحب ما يصل لايه من الخير ، ثم أن أنيسا دخل على أبرهة هو وعبد المطلب وقال له : أيها الملك هذا سيد قریش وصاحب عیر مکه الذى يطعم الناس فى السهل والجبل والطير والوحش فى رموس الجبال ، وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فأذن له ، فلما دخل عليه وجلس بين يديه فأناه وأجلسه معه على السرير ، ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك ؟ فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتى أن برد على ما تنى بعير أصابها لى فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبته حتى حين رأيته ولقد زهدت فيك الآن فقال له ولم ؟ قال حيث جئت لى بيت هو دينك ودين آبائك لا هدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائة بعير أصبتها فقال له عبد المطلب قل له أنا رب هذه الإبل ولهذا البيت رباه سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه منى فقال له أنت وذاك ثم أمر له بإبله فردت عليه قال محمد بن إسحق وكان فيما يزعم بعض أهل العلم أن عبد المطلب قد ذهب لى أبرهة بعمر بن معدى كرب بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو يومئذ سيد بنى كنانة وخويلد بن وائلة الهذلى وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة تلك أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى أن يرجع قاله فلما ردت الإبل على عبد المطلب رجع فأخبر قریشا الخبر وأمرهم أن يفرقوا فيه الشعاب ويتعزقوا فى رموس الجبال تخوفا عليهم من مودة الجيش إذا دخل فعلموا ذلك ثم أن عبد المطلب لى السكعبة فأخذ حلقة الباب وجعل يقول :

يا رب لا أرجو لهم سواك	يا رب فامنع منهم حماك
إن هدو البيت من عاداك	فامنعهم أن يخربوا قراكا
وقال أيضا : لا هم أن المزم يمت	سح رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب	سب وعابديه اليوم آلك
لا يغلبن صليبيهم	ومحاليهم أبدا محالك

عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك
 إن كنت تاركهم وكعد بيتنا فأمر ما بدالك
 ثم أن عبد المطالب توجه في بعض الوجوه مع قومه ، وأصبح أبرهة بالمغمش
 وقد نهياً لدخول مكة وعبيد جيشه وهيا فيله ، وكان اسم الفيل محموداً وكان من
 قبل النجاشي بعثه إلى أبرهة وكان فيلا لم ير مثله في الأرض عظما وقوة وجسما
 وقال السكلي لم يكن عندهم إلا ذلك الفيل الواحد فلذلك قال الله تعالى (ألم تركيف
 تفعل ربك باصحاب الفيل) قال الضحاك : كانت الفيلة كثيرة . ويقال فإن معه
 اثنا عشر فيلا ، وإنما وحده (١) على هذا التأويل لوفاق رموس الآي ، ويقال
 نسبهم إلى الفيل الأعظم ، قال فاقبل الفيل الأعظم فاخذ بأذنه وقال ؛ ابرك وقال
 ابرك محموداً أو ارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام فبرك الفيل
 فبعشه فاني أن يقوم فضر به بالمعول في رأسه فادخلوا محاجتهم تحت مراقه
 مرافقه ورفعوه ليقوم فاني ، فوجهوه راجعا إلى اليمن فقم يهرول ثم وجهوه
 إلى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك فصر فوه إلى الحرم
 فبرك وأنى أن يقوم ثم أن نفيلاً خرج من عندهم وصعد إلى الجبل وأرسل الله
 تعالى طيراً من البحر كما مثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة أحجار حجران
 في رجله وحجر في منقاره أمثال الحص والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم
 فلم تصب تلك الحجارة أحداً إلا هلك وليس كل القوم أصابت فذلك قوله تعالى
 ﴿ طيراً ابابيل ﴾ أى متفرقة من ههنا وههنا ، قال ابن عباس كان لها خراطيم
 كخراطيم الطيور ، واكيف كما كسف السحاب ورموس كرموس السباع ولم تر
 قبل ذلك ولا بعده ، وقال ابو الجوزاء ؛ افنساها الله في الهواء في ذلك الوقت
 (ترميمهم بحجارة من سجيل) أى سنك كل (٢) قال ابن مسعود صاحبت الطيور ورميمهم

(١) قوله ؛ وإنما وحده الخ ؛ المراد ان الأفراد في الآية على هذا القول
 لوفاق رموس الآي .

(٢) قوله ؛ أى سنك كل ؛ لفظ معربه سجيل .

بالحجارة ، وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فقا وقع منها حجر على جنب رجل إلا أخرج من الجنب الآخر ، وإذا وقع على رأس رجل خرج من دبره (فجعلهم كعصف ما كول) أى كزرع قد أكل حبه وبقي تبنة ، فلما رأته الحبيشة ذلك خرجوا هاربين يتدرون الطريق الذى جاءوا منه ويسألون عن نفيل ابن حبيب ليدلهم على الطريق فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمة .

ابن المنذر والإله الطالب والأشهر المغلوب غير الغالب
وقال أيضا فى ذلك

الا حبيت عنا يا رديثا نعمنا كم من الاصباح عيوننا
رديشة لو رأيت ولم تريه لدى جنب المنضب ما رأينا
إذ لعذرتى وحدث امرى ولم تأس على ما فات يميننا
حدث الله إذ عاينت طيرا وخفت حجارة ترمى علينا
وكل القوم يسألون عن نفيل كان على للجيشان ديننا

وذكر زياد عن عبد الله بن عمر أن طيرا الأبايل كانوا يسلموا من قبل البحر لرجال الهند ترميهم بحجارة أصغرها مثل رموس الرجال وكبرها كالإبل النزل ما رمت أصابت وما أصابت قتلت ، وبعث الله تعالى على أبرهة داء فى جسده فجعل تساقط انامله كلما سقطت انملة اتبعها انملة وقيح ودم فانتوى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فيما بقى من أصحابه فما مات حتى تصدع صدره عن قلبه ، ثم هلك وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذى جر حديث أصحاب الفيل هو أن فئة من قريش خرجوا تجارا إلى أرض النجاشى ففسدوا حتى دنوا من ساحل البحر وفى سندها حقف من أحقادها بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل ويسميها النجاشى وأهل أرضه الماسر خندان فنزل القوم فى سندها فجتمعوا خطبا واججوا نارا واشتقوا لثما ، فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم صائف فعمجت الرياح فاضطرم الهيكل نارا وانطلق الصرير إلى النجاشى فاخبروه فأسف عند ذلك غضبه للبيعة فبعث أبرهة لهم السكبة وكان يمكنه يومئذ أبو مسعود الثقفى ، وكان

مكيفوف البصر يصيف بالظائف ويشتى بمكة ، وكان رجلا نبيها عليلا ، وكان لعبد المطلب خليل فقال عبد المطلب يا أبا مسعود ؛ هذا يوم لا نستغنى فيه عن رأيك فما رأيك ؟ فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الإبل فأجعلها هدية لله تعالى وقلدها زملا وأثبتها في الحرم لكل بعض هؤلاء السودان يعقر منها وفيه غضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم إلى تلك الإبل فحملوا عليها وعقروا بعضهم وجعل عبد المطلب يدعو فقال ابو مسعود ؛ إن لهذا البيت ربا سيمتعه ، فقد نزل تبع ملك اليمن بصحراء هذا البيت وأراد هدمه فنهه الله وابتلاء واظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى ذلك تبع كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له جزورا .

ثم قال ابو مسعود لعبد المطلب انظر إلى بحر اليمن هل ترى شيئا ؟ فقال أرى طيرا بيضا نشأت من جانب البحر وحلقت على رؤوسنا فقال له هل تعرفها ؟ فقال عبد المطلب والله ما اعرفها ما هى بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية ، وإنما طير بارضنا غير مؤنسة قال ما قدرها ؟ قال أمثال اليماسيب فى مناقيرها حصى كأنها حصى الحذف قد أقبلت كالليل المظلم ، فجاءت حتى إذا حاذت عسكر القوم ركبت فوق رؤوسهم فلما توافت الرجال كلها بنحيا لهم اهلت الطير فى مناقيرهم على من تحنها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم لأنها رجعت من حيث جاءت فلما أصبح عبد المطلب وابو مسعود انحطا من ذروة الجبل فمشيا فلم يسمعا حسا فقال لبعضهما بات القوم سامدين فاصبحوا نياما فلما دنوا من عسكر الفيل فإذا هم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة احدهم فيفجرها ويقطع فى دماغه ويخرق الفيل والدابة ويفيب الحجر فى الارض من شدة وقعه .

ثم إن عبد المطلب أخذ فأسأ وحفر حتى اعرق فى الارض فملأها من الذهب الأحمر والجوهر الجيد ثم حفر لصاحبه حفرة فملأها ثم قال لأبى مسعود هات سخائمك فاختر فإن شئت اخذت حفرتى وإن شئت اخذت حفرتك وإن شئت فهما لك معا فقال له ابو مسعود اختر لى على نفسك فقال عبد المطلب لانى جمعات اجود المتاع فى حفرتى فهو لك .

ثم جلس كل واحد منهما على حفرة ونادى عبد المطلب بذلك على قرينيه
وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطلب غنيين من ذلك المال إلى أن ماتا
وقال الواقدي بإسناده : غزا النجاشي لإرياط قى أربعة آلاف إلى اليمن فغلب عليها
فأكره الملوك واستنزل الفقراء فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم
أبو يكسوم فدعا إلى طاعته فأجابوه فقتل إرياط وغلب على اليمن فرأى الناس
يتجهزون أيام الموسم للحج ، فسأل أين تذهب الناس ؟ فقيل يحجون بيت الله بمكة
قال فما هو ؟ قالوا من حجير ، قال فما كسوته ؟ قالوا ما يأتي من ههنا من الوسائل
فقال والمسيح لا بين خيراً منه فبنى لهم بيتاً من الرخام الأبيض والأسود والأحمر
والأصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر وجعل له أبواباً عليها صفائح
الذهب ، وكان يرقده بالمندل ويلطخ جدرانها بالمسك حتى تغيب الجواهر ، وأمر
الناس بحججه فحججه كثير من قبائل العرب سنين ، ومكث فيه رجال يتعبدون
ويتكسون فاميل نفيل الجشعي حتى كان ليلة من الليالي لم ير أحداً يتحرك فجاءه
بعذر فلطخ بها قبلته وألقى فيه الحيف فأخبر أبرهة بذلك فغضب غضباً شديداً ،
وقال إنما فعلت العرب ذلك غيظاً لأجل بدتهم ثم إنه قال لا تفضه حجيراً حجيراً ،
ثم إنه كتب إلى النجاشي يخبره بذلك ويسأله أن يبعث إليه بفيلة محمود وكان فيله
لم ير مثله في الأرض عظماً وجسماً وقوه فبعثه إليه فغزا البيت كما ذكرنا إلى أن
قال أقبلت الطير من البحر أباييل مع كل طير ثلاثة أحجار حجيران في رجله
وحجير في منقاره فخذت الحجارة عليهم لا تصيب شيئاً إلا هشمته وبعث الله
سليلاً أتى عليهم فذهب بهم إلى البحر فألقاهم فيه وولى أبرهة ومن معه هرباً فجعل
أبرهة يسقط عضواً عضواً حتى مات وأما محمود النجاشي فربض ولم يشجع على
الحرم فنجاً ، وأما الفيلة الآخر فتشجعت فخصبت وهاسكت ، وهو أول وقت
رؤى عليه الجدرى والحصبه ، وقال أمية بن أبي الصلت في ذلك :

لن آيات رينا بدقات ما يمارى بين إلا الكفور
حبس الفيل بالمعس حتى يحبوا كأنه معقور ظل

حواله من رجال كندة فتيان مصاليات في الحروب صقور
غادروه وقد تولوا سراعا كلهم عظم ساقه مكسور

وقال الكلبي : لما أهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم إلا أبرهة الأشرم بن
يسكسوم فسار طائر يطير فوقه ولم يشعربه حتى دخل على النجاشي فأخبره بما أصابهم
فها استنم كلامه حتى رماء طائر فسقط ميتاً فأرى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه

وقال الواقدي : كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي ﷺ وآمن به
واختلفوا في تاريخ عام الفيل ، فقال مقاتل ؛ كان أمر الفيل قبل مولد النبي ﷺ
بأربعين سنة ، وقال عبيد بن عمير الكلبي كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة ،
وقال آخرون كانت قصة الفيل قبل العام الذي ولد فيه رسول الله ﷺ ، وعلى هذا
أكثر العلماء وهو الصحيح يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزقي قال : سمعت
عبد العزيز بن أبي ثابت الزبير ، حدثنا ابن موسى عن أبي الجوزاء قال : سمعت
الملك بن مروان يقول لقيث بن أسيم للمكناشي يا غياث أنت أكبر أم رسول الله
ﷺ فقال إن رسول الله ﷺ أكبر مني وأنا أسن منه .

ولد رسول الله ﷺ عام الفيل . ووقعت بني أمي على روث الفيل .

ويدل عليه أيضاً ما روى أن عائشة رضي الله عنها قالت : رأيت الفيل
بوسائسه بحكمة أعين مقعدين يستطعمان .

فلما كفى الله أمر أصحاب الفيل عظم العرب قريشاً وقالوا : هم أهل الله ،
ولأن الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم ، والله عز وجل أعلم وأحكم ، وحسبنا
والله ونعم الوكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين .

(تم الكتاب)

فهرس قصص الانبياء (المسمى عرائس المجالس)

صحيفة

- ٢ خطبة السكتاب ، باب في ذكر بعض وجوه الحكمة ، وتقصيله تعالى
- أخبار الماضين على سيد المرسلين
- ٤ الباب الاول في بدء خلق الارض وكيفيتها
- ٥ • الثاني في حدود الارض ومسافتها وأطرافها وسكانها
- ٦ • الثالث في ذكر الايام التي خلق الله فيها الارض
- ٧ • الرابع في ذكر اسمائها وألقابها
- ٨ • الخامس في ذكر ما زين الله به الارض
- ٩ • السادس في عاقبتها وما لها وآخر حالها
- ١٠ • السابع في وجوه الارض المذكورة في القرآن
- ١١ مجلس في ذكر خلق السموات والارض وما يتصل به ، وفيه سبعة أبواب
- الباب الاول في بدء خلق السموات ، الثاني في جواهرها وأجناسها
- ١٢ • الثالث في هيئتها وحدودها ، الرابع في اسمائها وألقابها
- ١٥ • الخامس في ذكر الايام التي خلق الله الاشياء فيها
- السادس في ذكر ما زين الله به السموات
- ١٨ • السابع في ذكر ما لها وآخر حالها
- ٢٣ مجلس في قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهو يشتمل على أبواب كثيرة
- الباب الاول في ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام
- ٢٤ • الثاني في خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته
- ٢٦ • الثالث في صفة نفخ الروح فيه
- ٢٨ • الرابع في صفة خلق حواء عليها السلام
- ٢٩ • الخامس في ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه السلام وما كان منه في ذلك
- ٣٤ • السادس في حال آدم بعد هبوطه إلى الارض وما كان منه

صحيفة

٤١ الباب السابع في ذكر هبوط إبليس لعنه الله في الأرض وحاله فيها بعد اللعنة
٤٢ » الثامن في ذكر ما روى من الأخبار فيمن تراءى له إبليس فرآه عياناً
وكله شفاهاً ٤٣ الباب التاسع في قصة قابيل وهابيل

٤٩ » العاشر في وفاة آدم عليه السلام
٥١ » في الخصائص التي خص الله بها آدم عليه السلام

مجلسن في ذكر النبي لإدريس عليه السلام ٥٣ قصة هاروت وماروت
٥٨ » » قصة نوح عليه السلام ٦٤ ذكر خصائص نوح عليه السلام

٦٦ » » » هود » » ٧٢ مجلسن في قصة صالح » »
٧٩ » » » إبراهيم عليه السلام والنمرود وهو يشتمل على أبواب

الباب الأول في مولد إبراهيم عليه السلام

٨٦ » الثاني في خروج إبراهيم من السرب ورجوعه إلى قومه النخ
٨٧ » الثالث في ذكر مولد إسماعيل وإسحق ونزول إسماعيل وأمه هاجر

إلى الحرم وقصة بئر زمزم ٩٣ الرابع القول في بقية قصة بئر زمزم
٩٥ » الخامس في صفة بناء السكينة وبده أمرها إلى وقتنا هذا

١٠١ » السادس في ذكر أمر الله تعالى خليله إبراهيم بذبح ولده
١٠٢ قصة الذبح وصفته وفعل سيدنا إبراهيم بإبنته

١٠٥ » السابع في هلاك النمرود بن كنعان وقصة بناء الصرح
١٠٧ » الثامن في وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج إبراهيم وولده

١٠٨ » التاسع في خصائص إبراهيم
١١١ مجلسن في ذكر بعض أخبار إسماعيل وإسحق ابني إبراهيم عليهما السلام

١١٤ » في قصة لوط عليه السلام
١٢٠ » في قصة يوسف بن يعقوب وإخوته عليهم الصلاة والسلام

١٢٢ القول في القصة ١٥٩ مجلسن في قصة موسى بن ميثا بن يوسف عليه السلام
١٢٣ مجلسن في ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة إرم ذات العماد

١٢٤ » » » قصة أصحاب الرس ١٦٨ مجلسن في قصة نبي الله أيوب

مصحفة

١٧٦. مجلس في قصة ذي السكفل ١٧٧ مجلس في قصة شعيب النبي
- ١٨٠ » » ذكر صفى الله ونجيه موسى بن عمران وهويشتمل على أبواب
الباب الاول في ذكر نبيه عليه السلام ، الباب الثانى في ذكر مولده
- ١٨٤ » الثالث في ذكر حليمة موسى وهرون عليهما السلام
- » الرابع في قصة قتل القبطى وخروجه من مصر ووروده مدين
- ١٨٦ » الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب لابنته لياہ
- ١٨٨ » السادس في ذكر نعمت عصا موسى وبدء أمرها
- ١٨٩ » السابع في صفة المآرب التى كانت له فيها
- ١٩١ » الثامن في ذكر خروج موسى من مدين وتكليم الله لياہ في الطريق
ولرسالة إلى فرعون واستعانت به بأخيه هرون وكييفية ذهابهما إلى فرعون
- ١٩٥ » التاسع في ذكر دخول موسى وهرون على فرعون
- ١٩٦ » العاشر في قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة
- ١٩٩ » الحادى عشر في قصة حزقييل مؤمن آل فرعون وامرأة ومقتله وأولاده
- » الثانى عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها
- ٢٠٠ » الثالث عشر في بناء الصرح
- ٢٠٢ » الرابع عشر في ذكر الآيات التى ابتلى الله بها فرعون وقومه الخ
- ٢٠٣ باب في صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكييفيةها
- ٢٠٣ فصل في بعض ما ورد من الاخبار الغريبة في الجراد
- ٢٠٩ الباب الخامس عشر في قصة اسراء موسى بين اسرائيل وفلق البحر لهم
- ٢١٣ » السادس عشر ذهاب موسى إلى الجبل لملاقات ربه وإيتاء الله له الألواح
- ٢١٥ فصل في نسخة العشر الكلمات التى كتبها الله تعالى لموسى نبيه الخ
- ٢١٩ باب في قصة بنى اسرائيل وهرون مع السامرى حين اتخذ لهم العجل
- ٢٢٣ » » » قارون حين عصى ربه الخ
- ٢٢٨ » » » موسى حينلقى الخضر وما جرى بينهما من العجائب

صحيفة

- ٢٣١ فصل في ذكر جبل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله
- ٢٣٢ » » بدء أمر الخضر عليه السلام
- ٢٤٣ باب في ذكر قصة عاميل قتييل بنى إسرائيل وقصة البقرة
- ٢٤٧ » » » بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النوار
التي كانت تأكل القربان الخ
- ٢٤٩ » » » مسيرة بنى إسرائيل إلى الشام حين جاوزوا البحر وصفة حرب
الجبارين الخ . فصل في فضل الشام وأهله
- ٢٥٠ » » » قصة بلعام بن باعوراء
- ٢٥٤ » » » النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم الخ
- ٢٥٥ فصل في ذكر جبل من أخبار عوج بن عنق وأحواله
- ٢٥٨ باب في ذكر النعمة التي أنعم الله بها على بنى إسرائيل في التيه الخ
- ٢٦١ » » فتح أريحا ونزول بنى إسرائيل الشام . قصة وفاهرون عليه السلام
- ٢٦٢ ذكر وفاه موسى عليه السلام ٢٦٦ مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين
قاموا بأمر بنى إسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام
- ٢٦٦ ذكر حزقييل عليه السلام ٢٦٨ باب في قصة إلياس عليه السلام
- ٢٦٨ قصة اليمسح عليه السلام ٢٧١ مجلس في قصة ذي السفل عليه السلام
- ٢٨٣ مجلس في قصة عيل وشمويل وهي تشتمل على أبواب كثيرة الخ
- فصل في سياق الآية ومقدمة القصة ٢٨٤ القول في بدء أمر شمویل وصفة نبوته
- ٢٨٥ ذكر قصة طالوت وإيمان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به
- ٢٧٨ قصة التابوت وصفته وابتداء أمره إلى انتهائه
- ٢٩١ باب في قصة شمویل حين أوحى الله إليه أن يأمر طالوت بالمسير إلى قتال جالوت مع
بنى إسرائيل وصفة نهر الایلاء ٢٩٣ باب في ذكر أمر داود وخبر طالوت وقتله
- ٢٩٥ ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه إلى داود عليه السلام بعد قتل جالوت
- ٢٩٩ مجلس في خلافة داود عليه السلام وما يتعلق بها
- باب في ذكر نسبه - ياب في ذكر صفته وحليته
- » » » ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل الخ

- ٣٠٤ باب في قصة داود حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك
- ٣١٢ » » ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما
- ٣١٣ » » قصة أصحاب السبت ٣١٥ باب في قصة داود وسليمان في الحرب
- ٣١٦ » » استخلاف داود لابنه سليمان وذكر بدء الخاتم
- ٣١٨ » » ذكر وفاة داود عليه السلام ٣١٩ مجلس في قصة سليمان وما يتعلق به
- ٣٢٠ » » صفة حليته باب فيما خص الله به نبيه عليه السلام حين ملكه من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك ٣٣٣ حديث القبة
- ٣٢٥ قصة مدينة سليمان التي كان يسافر بها في الهواء ، صفة كرمي سليمان
- ٣٣٦ صفة بذيانه وبدء أمره ٣٤٣ قصة بلقيس ملكة سبأ والهدد وما يتصل به
- ٣٤٤ صفة القصر الذي بئنه بلقيس ٣٤٥ صفة عرشها
- ٣٥٤ باب في ذكر غزوة سليمان أبا زوجته والجرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه
- ٣٥٩ » » » وفاة سليمان ٣٦٢ مجلس في قصة بختنصر وما يتصل به
- ٣٦٣ قصة شعيب ٣٦٩ قصة أرميا
- ٣٧٦ قصة دانيال ٣٧٩ خبر وفاة دانيال
- ٣٨٢ باب في ذكر الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
- ٣٨٥ » » » تمام قصة عزيز وحاله بعد ما رجع إلى قومه
- ٣٨٦ مجلس في ذكر غزوة بختنصر للعرب وقصة يوحنا وخراب حضور
- ٣٧٨ » » » لقمان الحكيم وذكر بعض مواظبه وحكمته ووصيته لابنه
- ٣٨٩ » » » ما روى من حكم لقمان ومواظبه المذكورة في القرآن
- ٣٩٣ » » قصة بلوقيا ٤٠٠ مجلس في ذكر قصة ذى القرنين
- باب في نسبه ولقبه ٤٠١ باب في قصة بدء أمره وسبب استكمال ملكه
- ٤٠٦ » » ذكر الحوادث التي كانت في أيام ذى القرنين بعد قتل دارا ووصف مسيره إلى البلاد والآفاق
- ٤٠٩ » » صفة سد ذى القرنين وما يتعلق به

صحيفة

- ٤١١ باب في دخول ذي القرنين الظلمات مما يلي القطب الشمالى لطلب عين الحياة
- ٤١٦ مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى ونسب زكريا
- ٤١٨ باب في مولد مريم وخبر تحريرها ٤٢٠ مولد يحيى بن زكريا
- ٤٢٢ » » صفته وحليته وفصل في نبوته وسيرته وذكر زهده وجمده
- ٤٢٥ » » مقتله عليه السلام ٤٢٧ ذكر مقتل زكريا
- ٤٢٨ مجلس في مولد عيسى وفي حمل مريم وما يتصل به
- ٤٣١ باب في ذكر ميلاده
- ٤٣٣ رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها لياها إلى قومها من بيت لحم
- ٤٣٥ باب في ذكر خروج مريم وعيسى إلى مصر
- ٤٣٦ » » صفة عيسى وحليته
- » » ذكر الآيات والمعجزات التي ظهرت لعيسى في صباه إلى أن نبى
- ٤٣٩ » » رجوع مريم وعيسى إلى بلادهما بعد موت هردوس
- ٤٤٠ » » قصة الحوارين
- ٤٤١ ذكر خصائص عيسى وانما معجزات التي ظهرت على يديه بعد مجيئه
- إلى أن رفع صلوات الله وسلامه عليه وذكر حديث جامع في هذا الباب
- ٤٥٣ ذكر نزول عيسى من السماء ٤٥٥ ذكر وفاة مريم لابنة عمران
- ٤٥٦ » » » » في المرة الثانية في آخر الزمان
- باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى إلى أنطاكية ، وذلك في أيام
- ملوك الطوائف
- ٤٥٩ قصة يونس بن متى ٤٦٤ باب في قصة أصحاب السكف
- ٤٨٥ مجلس في ذكر جرجيس ٤٩٣ باب في قصة شمسون النبي
- ٤٩٤ باب قصة أصحاب الأخدود
- ٤٩٨ باب في قصة أصحاب الفيل وبيان ما فيها من الفضل والشرف لسيدنا محمد ﷺ

مكتبة الإسكندرية
Bibliotheca Alexandrina



0207119